



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

كلية أصول الدين

قسم : العقيدة و مقارنة الأديان

تخصص : الفلسفة الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

رقم التسجيل : .....

الرقم التسلسلي : .....

## التجربة الصوفية والممارسة السياسية

### عند الأمير عبد القادر الجزائري

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في العقيدة

تخصص : الفلسفة الإسلامية

إشراف الأستاذة الدكتورة

الزهرة لحلح

إعداد الطالب:

بن خليف مالك

#### أعضاء لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
أ.د/اسعيد عليوان	أ.التعليم العالي	رئيسا	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
أ.د/الزهرة لحلح	أ.التعليم العالي	مشرفا و مقرا	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
أ.د/ ابراهيم بن مهية	أ.التعليم العالي	عضوا	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
د/ زهير بن كتفي	أستاذ محاضر أ	عضوا	جامعة الشهيد حمدة لخضر ، الوادي
د/فاتح النور رحموني	أستاذ محاضر أ	عضوا	جامعة محمد بوضياف المسيلة

السنة الجامعية : 1442-1443هـ / 2021 - 2022

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة الأمير

الإسلامية

# الإهداء

أهدي ثمرة هذا الجهد العلمي:

\* الى أرواح النبيين والعلماء المؤمنين الصالحين في كل زمان ومكان ، الذين يصلحون ولا يفسدون ، و يعملون لكي يبني كل شيء في هذه الحياة على تقوى من الله ورضوان....

ثم بعد ذلك إلى :

\* أمي وأبي ، رحمهما الله كما ربباني صغيرا. وأن يكون صدقة جارية لهما .

\* زوجتي الغالية أم أولادي حفظها الله ورعاها .

\* الى أولادي وفلذات كبدي : سلمى ، حسام ، نسرين وإيناس أصلح الله حالهم ، و جمعني بهم في جنان الخلد .

# الشكر

- اشكر الله العلي القدير على نعمة التوفيق لإتمام هذا البحث .
- ثم أخص بالشكر أساتذة جامعة الأمير في اليسانس و الماجستير والدكتوراه وخاصة  
منهما : مشرفيا :
- الأستاذ صالح نعمان ، المشرف الأول على الرسالة. أكرمه الله على الجهد المبذول و  
جعله الله في ميزان حسناته...
- الأستاذة الفاضلة ، الزهرة لحلح : على تفضلها قبول الإشراف على رسالتي . وعلى ما  
أمدتني به من توجيهات سديدة ونافعة في جوانب البحث المعرفية والمنهجية . جزاها الله  
على ما قدمته الخير الجزيل...
- كما لا أنسى :
- إدارة قسم العقيدة وطاقم مكتبة جامعة الأمير .
- طاقم مكتبة السليمانية في اسطمبول .
- كل من مد لنا يد العون في سبيل اتمام هذا البحث.
- الكرام الطيبون في مدينة عنابة أساتذة وأئمة وإخوانا وهم أكثر... كل بمقامه وفضله وقفوا  
معي تشجيعا وتكريما... فجزاهم الله الخير الوفير .

جامعة الأميرة  
عبد القادر للعالم الإسلامي

# مقدمة

جامعة الأمير  
عبدالمبارك  
العلوم الإسلامية

## 1- التعريف بالموضوع وأهميته:

الشائع عند الكثير من الناس-عامة ومثقفين- أن التصوف والسياسة لا يلتقيان في حل ولا ترحال وهما نقيضان إذا حضر أحدهما يجب أن يغيب الثاني وهذا التصور له أسباب كثيرة منها:

أ- الضرورة العلمية والمنهجية والحاجة المتزايدة إلى التخصص العلمي الذي يجعل لكل علم مجاله الخاص به ومن ثم فإن كل من التصوف والسياسة علمين مختلفين وبحوثهما تبعا لذلك متباعدة لا يمكن لشخص أن يلم بهما فضلا عن أن يتحلى بروحهما في وقت واحد.

ب- إن التاريخ الفلسفي الغربي قديما وحديثا يفصل بين التصوف والسياسة على اعتبار أن التربية الروحية والصوفية تنتمي إلى دائرة الأخلاق والصفاء والطهر بينما السياسة هي ختل ومكر وخداع ولذلك فصل بينهما هوبز ونيتشه وكذلك ميكيافلي الذي كان كتابه الأمير إلى عهد قريب هو الإنجيل السياسي للنخبة الفكرية والسياسية التي تزعمت حركة الإستعمار الحديث. وعلى سبيل المثال فإن هتلر كان مولها بكتاب الأمير لمكيافيلي إذ كان يضعه تحت وسادته ويقرأ منه كل ليلة قبل أن ينام و لقد كان نفس الكتاب موضوع أطروحة الدكتوراه للفاسيشتي موسيليني الذي نكل بألاف الليبيين. ولقد نقل ماكس ليرنو في مقدمته لكتاب أحاديث أن لينين وستالين قد نهما من فكر ميكيافيلي.

ويستغل هذا الإنفصام في العصر الحديث في السياسة العالمية للهيمنة على العالم العربي والإسلامي. فليس من المستغرب بعد ذلك أن يجارب الإستعمار الحديث الإسلام بتشجيع الحركات الصوفية ، و قد لوحظ أن أكثر الكتب انتشارا في الغرب مؤلفات محي الدين ابن عربي وأشعار جلال الدين الرومي ، وقد أشار المسيري أن لجنة الكونغرس الخاصة بالحريات الدينية أوصت بأن تقوم الدول العربية بتشجيع الحركات الصوفية لأنها بإشاعة روح الزهد في الدنيا بين أتباعها تضعف من مقاومة الإستعمار الغربي الحديث للعالم الإسلامي.

ومن تداعيات هذا الانفصال ما يعرف اليوم بفصل الدين عن الدولة في كتابات المفكرين العرب. ولا خلاص للعالم الإسلامي والعربي من التخلف والتعثر وكل مظاهر الإضطراب وعدم الإستقرار إلا بالفصل بين كل ماهو ديني صوفي وديني سياسي . لأن التفكير الصوفي يشل من التقدم الإجتماعي والسياسي والتكنولوجي ويجعل من عمارة الدنيا ربما مفسدة ومعيقا لبلوغ الآخرة.

وقد أعتبرت الحركة الإنسانية في التصورات الصوفية حركة للخلاص الفردي بمعاينة المطلق والفناء فيه و أن غاية التصوف هي تحقيق الفوز والفلاح في الآخرة ولا يتم ذلك إلا عبر الزهد في الدنيا و الإنقطاع الى الله وطرح ما سواه.

وكثير من العلمانيين يؤمنون بالتصوف ولكنه لا يخرج عن سلوك الترهين والدروشة والخلاص الفردي ولا ضرر في أن يهال على صاحبه بعد ذلك كل معاني الميتوس-الأسطورة- الإغريقي الذي يصل فيه الإنسان إلى اختراع آلهته على هواه من خلال الكشف والذوق. ولا حرج عندهم أيضا أن يصل التصوف الفلسفي إلى نتائج خطيرة في الفكر مثل وحدة الوجود والفناء وإسقاط التكليف و الأحكام الشرعية.

د- كثير من أصحاب الطرق الصوفية يعتبرون الدين روحانية طاهرة مثل السحاب والسياسة نجاسة ورجس من عمل الشيطان فأنى لهما أن يلتقيان ولأمر ما نجح الإستعمار الحديث في اكتساح العالم الإسلامي وكان التيار الطريقي -بعضه وليس كله-السند القوي لهذا الإستعمار وما وقع في تاريخ الجزائر خير دليل على ذلك. حيث استصدر المارشال بيجو من مكة و الأزهر الشريف والزيتونة فتوى تبطل جهاد الأمير عبد القادر ضد فرنسا!؟

ونحن إذا رجعنا إلى هذين العُلمين : التصوف والسياسة مصطلحا ومفهوما نجد أن معني التصوف عند العدول من علماء الإسلام يقصد به اعتكاف الإنسان على نفسه من أجل إصلاحها والترقي بها في سلم الإسلام والإيمان والإحسان وفق مرجعية القرآن الكريم والتجربة النبوية التي ورثها بعد ذلك السلف الصالح.



وأما السياسة فمعناها تولى أمور الناس والسهر على تحقيق مصالحهم وذلك يجلب المنافع لهم وودفع المضار عنهم.

والسياسة بمعناها الشرعي تختلف عن السياسة بمعناها الوضعي الذي نظر له ميكيافيلي و هوبز واسبينوزا لأنها لا تقيم للقيم والأخلاق وزناً.

وتاريخ الإسلام من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ومرورا بالخلافة الراشدة وانتهاء بأهل التصوف السني يشهد ويؤكد على هذا الاتصال بين مفهوم الرباط الروحي التربوي ومفهوم الرباط السياسي الذي يحمل صاحبه على الانخراط في هموم أمتة وحماية ثغورها والسير في مصالح البلاد والعباد ولعل عبارة السلف : " أينما تكون المصلحة فتم شرع الله " تؤكد على هذا المعنى بأقصر طريق وأوضح بيان. والمصلحة (السياسة) كما قرر أهل الأصول يجب أن تكون منضبطة بمقاصد الشريعة لا بأهواء النفوس وشهواتها، ولذلك ورد في تعريف التصوف أنه النصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول ﷺ في الشريعة

وإذا كان علماء الإسلام من مثل عبد القادر الجيلالي وابن تيمية، والعز بن عبد السلام، وقبلهما كثير من شيوخ التصوف قد صدوا قديما جحافل التتار وغارات الصليبيين، وفي ليبيا قاوم عمر المختار ابن الزاوية السنوسية الفاشية الإيطالية وفي الجزائر أيضا تصوف سني يحمله علماءه المشهود لهم بالرباط السياسي والإستماتة في الدفاع عن الوطن ومن هؤلاء الأمير عبد القادر الذي رابط وناضل من أجل بعث الدولة الجزائرية العربية الإسلامية والتصدي للمستعمر الذي أراد دمجها في الحضارة الغربية دينا ولغة ووطننا.

## 2- إشكالية البحث:

ولقد أردت من خلال هذا النموذج من علماء الإسلام في الجزائر أن أقف على تجربة الأمير عبد القادر الفلسفية و التاريخية في الوصل بين الأخلاق والسياسة وما هو المنهج الصوفي الذي دفع بالرجل إلى الخروج من الزاوية (التصوف) الى المعركة (السياسة) وتتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسية قضايا نتوسع فيها من خلال هذه الدراسة وتمثل في ما يلي:

- س1: كيف استطاع الأمير عبد القادر الإنطلاق من مرجعية الإسلام لتأسيس الرباط السياسي؟ وما هو المنهج الصوفي الذي الذي أهله لبناء دولة في الجزائر؟ وعلى حد تعبير الكثير من النخب الأكاديمية المثقفة و النافذة اليوم ، هل كان الأمير يملك إسلاما علمانيا-لائكيا-؟ أم إسلاما سياسيا؟ أم إسلاما روحيا؟! أم إسلاما أصوليا!؟

- س2: ما هو التاريخ الصوفي للأمير عبد القادر ؟ وهل بدأ تصوفه في زاوية أبيه بالقيطنة بالجزائر في صغره ؟ أم أنه بدأ يعرف التصوف لما هاجر إلى الشام ؟ أم أنه بدأ طريقه الصوفي لما سجن بفرنسا عدد سنين ؟ أولا تعتبر سنوات الجهاد والكرّ و الفرّ في منازل الجيوش الفرنسية طيلة سبعة عشرة سنة فتوةً ورباطاً صوفياً ؟

- س3 : وما هي خصائص منهجه الصوفي؟ وهل يصنف تصوفه في دائرة التصوف السني أم الفلسفي؟ وما هي العلاقة الفكرية التي تربطه بالمتصوف العرفاني ابن عربي صاحب الفصوص و الفتوحات المكية ؟

- س4 : وما حقيقة ما أثارته حفيده الأمير بديعة الحسني من أقوال حول عدم نسبة كتاب المواقف للأمير ؟ مع العلم أن ابنه الأمير محمد يقر بخلاف ذلك حيث يعتبر كتاب المواقف من أهم مؤلفات أبيه في الحقيقة والشريعة.

- س5: وهل تم الكشف عن كل مباحث كتاب المواقف من مثل الإشارات الكسمولوجية والبيئية التي لها علاقة بنظرية وحدة الوجود السنية- لا الإلحادية - التي تعتبر كل المخلوقات بما فيها النبات والتراب وسائر العناصر البيئية الأخرى كائنات لها كرامة وأهلية يتوجب صيانتها من نهم الإستهلاك التكنولوجي - الذي يستأصل وجودها - لأنها في ميزان عقيدة وحدة الوجود الصوفية أثر من آثار التحليات الإلهية .

- س6: كيف ألهم المتصوف عبد القادر إلى بناء دولة في الجزائر ؟ وماهي مظاهر هذا البناء ؟ وهل كان فيه مقلدا و تابعا ؟ أم مستقلا ومجددا ؟ وهل سمي بأمير المؤمنين لأن دولته كانت دينية

ثيوقراطية يحظى فيها رئيسها بالحكم المطلق المستبد و المستمد مباشرة من عند الله؟ أم كانت دولة مدنية ديمقراطية بلغة العصر الحديث تقوم على الشورى والمؤسسات في صنع القرار؟

-س7: إلى أي مدى يمكن الاستفادة من تاريخ الإسلام وتجربة علمائه في الجزائر في الجمع بين الأخلاق والسياسة والتمثل بفلسفة الأمير في التسامح بين الأنا والآخر وردم الأحقاد بين أبناء الوطن الواحد - حتى مع اختلاف المشارب و الأفكار- ولذلك نطمح في ثنايا هذا البحث لطرح السؤال الفلسفي حول وجود شخصيات يهودية ومسيحية وظفها الأمير في دولته - ليون روش المسيحي الفرنسي وابن دوران اليهودي! - وكذلك دفاعه عن المسيحيين في فتنة دمشق سنة 1860م. وما حقيقة علاقة الأمير بالمحافل الماسونية؟

وإيرازا لكل ما سبق ذكره من المعاني فإن بحثي سيكون موسوما بالعنوان الآتي: "التجربة الصوفية والممارسة السياسية عند الأمير عبد القادر الجزائري".

### 3- أسباب البحث:

أ- ذاتي : يتمثل في ميلي الخاص إلى الدراسات الصوفية والسياسية على اعتبار أنني أشعر من خلالها أنني أدرس روح الشريعة التي من مقاصدها الكبرى تهذيب الإنسان ليكون إضافة إيجابية في المجتمع الذي يعيش فيه فيصلح نفسه ثم يصلح غيره.

ب- موضوعي: عندما قمت بدراسة الفكر السياسي عند عبد الحميد بن باديس في رسالة الماجستير ارتأيت أن أوسع البحث في الفكر السياسي عند علماء الأمة الجزائرية فتولدت عندي فكرة القيام بدراسة علمية أقوم فيها بدراسة الأمير عبد القادر قاصدا بذلك الوقوف على خصائص و مميزات

التفكير الفلسفي السياسي والصوفي عند هذا العلم من أعلام الإسلام في الجزائر. هذا من جهة ، ومن جهة ثانية لقد كان لثورات الربيع العربي والحراك السلمي وقعا في النفس والعقل لأنها عرت على تأزم الفعل السياسي في عالمنا الإسلامي والعربي والذي أقدر أن من أكبر أسبابه ما يتصل بجانب من جوانب إشكالية البحث الرئيسية وهو الانفصام النكد بين الأخلاق والسياسة.

#### 4- أهداف البحث:

إن من أهم الأهداف التي قصدت تحقيقها من خلال هذا البحث هي:

أ- جمع ما أمكن من مادة علمية وتاريخية تتعلق بالتجربة الصوفية عند الأمير عبد القادر والكشف عن أبعادها الإنسانية والحضارية.

ب- بيان العلاقة المتينة بين السياسة والأخلاق من خلال تجربة الأمير حتى لا تتحول السياسة ففكرا وممارسة إلى ميكيفلية انتهازية لا تلتزم بدين ولا بخلق فتشقى الأمة و تخرج إلى الشارع تطالب بإسقاط أنظمة الحكم و تقع الفتنة التي وصفها الله بأنها أشد من القتل. وما آثار الإنتفاضات التي تسمى ثورات ربيعية أو حراكا سلميا عنّا ببعيد .

ج- التعريف بالمرجعيات العلمية والفكرية والتاريخية في الجزائر والتي همشت من طرف النخب الفكرية والسياسية في بلادنا خاصة في مجال البحث الفلسفي السياسي والتشريع الدستوري وعدم الإكتفاء بالتشهير الإعلامي والثقافي والإستهلاك السياسي.

د - الكشف عن مظاهر النبوغ عند الأمير عبد القادر في كل المجالات والحق ما شهدت به الأعداء، قال عنه عدوه اللدود الماريشال بيجو "... إنه خصم عنيد، وهو يعتبر رمزا لكل القوى التي تواجهنا بها الجزائر، إنه دائما في الريادة، الخطيب الأكثر فصاحة، المسلم الأكثر تقوى والمنظم الوحيد، لا يوجد أحد سواه قادر على بعث الهمة والإيمان في صفوف الجزائريين

هـ- تقديم النموذج الصحيح للتصوف الإسلامي في الجزائر الذي يجعل من صاحبه يتمثل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: " الخلق عيال الله أحبكم إليه أنفعكم لعياله." ويدفع بالكفاءات العلمية و الأصيلة لأخذ زمام المبادرة في الإصلاح الإجتماعي عند وقوع الأزمات كما فعل الأمير عبد القادر وابن باديس ويؤثرون مذهب الفارابي الذي يشترط في رئيس المدينة الفاضلة أن يكون

نيا أو فيلسوفا ولا يأخذون بمذهب ابن طفيل الذي يعتكف فيه الفيلسوف وحيدا في جزيرة بعيدة تسمى جزيرة السعداء.

## 5- الدراسات السابقة:

من خلال قراءتي المتواضعة فإن الدراسات التي تقترب من موضوع هذا البحث هي ما كتب على الأمير عبد القادر في جانب التصوف أو السياسة ولكنها دراسات في جانب واحد، لم تجمع بين الجانبين معا (التصوف والسياسة) أو أملت بالموضوع بقدر غير كافي وهي حسب ما وجدته وأخترته :

\* الكتب :

1- الأمير محمد : تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر ، المطبعة التجارية ، غرزوزي و جاويش ، الإسكندرية ، 1903 م. وجدت فيه مادة تاريخية قل ما توجد في غيره - لأن مؤلفه هو ابن الأمير الذي لازمه حتى واره التراب في دمشق- وفيه إشارات كثيرة تتضمن بعض الإشكاليات المتعلقة بالبحث. مع ملاحظة عدم التعمق والتركيز في بعضها و الإكتفاء بالسرد التاريخي للأحداث فمثلا يستعرض رحلة أبيه الى الحج ولا يشير الى دلالات تجربتها الصوفية ونفس الشيء نسجله على أحداث الفتنة الطائفية في دمشق ويمكن المقارنة بين السرد التاريخي لها في التحفة وبين ما استخلصناه منها من دلالات صوفية وسياسية في بحثنا .

2- شارل هنري شرشل : حياة الأمير عبد القادر . ترجمة و تقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله ، طبعة خاصة ، دار الرائد ، دار المعرفة ، 2009م . وتبرز أهمية هذا المرجع لكون مصدر مادته العلمية هو املاآت مباشرة من الأمير للمؤلف . ولقد استفدت منه كثيرا في الجانبين الصوفي والسياسي وذلك بالمقارنة بينه وبين ما ورد في تحفة الزائر ولقد وظيفته أيضا في معالجة مسألة الإنتماء الماسوني للأمير .

3- الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار و المعارف تحقيق وتقديم بكري علاء الدين ، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق ، 2004 م . وجدت فيه ما يتعلق بتجربة الأمير الصوفية ودراسة وافية في مقدمته عن إشكالية نسبة كتاب المواقف للأمير .

4- برونو إتيين : عبد القادر الجزائري ، ترجمة ميشيل خوري ، ط1 ، دار عطية للنشر ، بيروت ، لبنان ، 1997م . فيه إشارات تحليلية كثيرة لم أجدها في غيره خاصة ما تعلق منها بزاوية القيطنة التي تشكل فيها العقل الصوفي والسياسي للأمير عبد القادر . ولكن تنقصه الإحالات والنصوص المباشرة وهي موجودة في مصادر أخرى . كما أن مؤلفه من المعاصرين الذين أثبتوا ماسونية الأمير .

#### \* المقالات :

1- بكري علاء الدين : الأمير عبد القادر الجزائري قارئاً لفصوص الحكم لابن عربي ، مقال في كتاب إلكتروني بعنوان ABD EL-KADER, UN SPIRITUEL DANS LA MODERNITÉ من تأليف " Ahmed Bouyerdene Éric Geoffroy " مطبوعات المعهد الفرنسي للشرق الأوسط " l'Ifpo " ، Setty G. Simon-Khedis " ، مطبوعات المعهد الفرنسي للشرق الأوسط " l'Ifpo " ، 2012 . واستفدت منه في جانب تصوف الأمير ومميزات كتابته الصوفية في كتابه المواقف .

2- أمين عودة " كتاب المواقف للأمير عبد القادر الجزائري ، دفع الشبهة عن إثبات النسبة " مقال منشور في مجلة دراسات الصادرة عن الجامعة الأردنية في شهر حزيران - جوان - سنة 2003م . ثم ألقاه كمدخل في "الملتقى الدولي حول حياة الأمير عبد القادر وأثاره " الذي أقيم في تلمسان - الجزائر - في شهر فيفري سنة 2012م . وفيه حقائق قيمة عن تاريخ كتاب المواقف للأمير عبد القادر .

3- دراسة قام بها الدكتور عبد الله شريط بعنوان: مشكلة الحكم الإسلامي في دولة الأمير ونظرية ابن باديس والذي حوته مجلة الثقافة التي تصدرها وزارة الثقافة بالجزائر عدد 75 ، السنة 13 ، رجب شعبان 1403 هـ /ماي-جوان 1983م ولكنه اقتصر فيها على الجانب السياسي .

4- بوسلاح فايزة : كتابات أدب التصوف عند الأمير عبد القادر ، مجلة الحوار المتوسطي مخبر البحوث والدراسات الإستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي ، جامعة جيلالي اليابس ، المجلد 12 ، العدد 2 ، ماي 2021م. وجدت فيه بعض مميزات التصوف عند الأمير.

ولقد استفدت من كل ما سبق ذكره و التي يتفاوت بعضها في تناول موضوع التصوف و السياسة عند الأمير عبد القادر، وفق منهجيات مختلفة ولعلّ بحثي هذا يجمع ماتناثر فيها من خلال طرح جديد وفق الخطة المقترحة في دراستنا هذه.

## 6- منهج الدراسة:

طبيعة هذا البحث تستلزم استعمال المنهج التاريخي وذلك بالوقوف على الأحداث الماضية التي عاشها الأمير مع تفسيرها وتحليلها وكذلك فعلنا مع كتاباته المتعلقة بإشكاليات البحث و ملاحظة كل ما رصدناه حول الأمير ووظفنا المنهج الإستقرائي للتوصل الى علاقات كلية ومبادئ عامة أثبتنا بها صحة ما قرناه في بحثنا .

## 7- مصادر ومراجع البحث الأساسية :

المصادر الأساسية والتي تفرضها طبيعة البحث انحصرت في ما يلي :

- 1- كتاب المواقف للأمير عبد القادر بطبعاته المختلفة وهي ثلاثة ، الأولى منها من تحقيق بكري علاء الدين والثانية التي حققها عبد الباقي مفتاح والثالثة التي قدم لها عاصم الكيالي.
  - 2- كتاب تحفة الزائر لابنه الأمير محمد .
  - 3- ما كتبه الضابط البريطاني هنري تشرشل في كتابه حياة الأمير عبد القادر و الذي كانت مادته الأساسية من إملاءات الأمير نفسه أيام إقامته بالشام .
- ثم كانت بعد ذلك المراجع العامة المختلفة التي استعنت بها لمعالجة مختلف مباحث الرسالة وهي مذكورة في قائمة المراجع.

## 8- صعوبات البحث :

لا يخلو البحث العلمي من صعوبات تعترض سبيل صاحبه ومن العوائق التي صادفتني في طريق إنجاز هذا البحث التغيير المفاجئ للمشرف الأول بسبب انتقاله الى العمل خارج الجزائر. كما تبين لي مع مرور الوقت كبر حجم فصول البحث التي تتناول جانبين من حياة الأمير وهما مبحثا التصوف والسياسة. ومادة هذين المبحثين متناثرة في مراجع كثيرة . كما شكل الجانب الأمني الذي عاشته دولة سوريا الشقيقة معضلة كبيرة حرمتني من التحقيق العلمي في مسائل كثيرة خاصة منها الجانب الصوفي للأمير وكتابه المواقف. هذا الى جانب الصعوبات الأخرى وهي عامة بين الباحثين من مثل البعد عن جامعة الإنتساب ومهام التدريس والإدارة . وازداد الأمر صعوبة في السنة الأخيرة بسبب الوضع الصحي الإستثنائي بسبب جائحة فيروس كورونا كوفيد 19.

## 9- خطة الدراسة:

تتكون الخطة التي تتناول هذا البحث من مقدمة و أربعة فصول و خاتمة.  
وفق التفصيل الآتي:

**أولاً- المقدمة:** وتشتمل على التعريف بالموضوع و أهميته وبيان إشكاليته وكذا الأسباب الدافعة لإنجازه والهدف منه و الدراسات السابقة و المنهج المتبع في هذه الدراسة وذكر الفصول و المباحث المتعلقة بهذا البحث.

## ثانياً- الفصول والمباحث:

**الفصل الأول:** الملمح الصوفي والسياسي في نسب الأمير عبد القادر وتعليمه وجهاده  
**المبحث الأول:** نسب الأمير عبد القادر ونشأته وتعليمه وتأسيس توجهه الصوفي والسياسي.



المطلب الأول : المولد و نسبه الصوفي القادري.

المطلب الثاني : نشأته وتعليمه وتكوينه الصوفي والسياسي.

المبحث الثاني : البعد الصوفي في مسيرة الأمير عبد القادر الحربية.

المطلب الأول : الحقيقة الصوفية في جهاد الأمير عبد القادر.

المطلب الثاني : إرهابات في طريق تأسيس جهاد الزاوية القادرية بالجزائر.

المطلب الثالث : تجربة الأمير الجهادية تحت إمرة أبيه " شيخ الزاوية "

المطلب الرابع : مأسسة جهاد الأمة الجزائرية من خلال مبايعة الأمير .

المطلب الخامس : محطات من سياسة الأمير الحربية بعد توليه الإمارة .

المبحث الثالث : ثقافة الأمير عبد القادر

المطلب الأول : أساتذته

المطلب الثاني : نماذج من كتاباته.

الفصل الثاني : تجربة الأمير الصوفية في الجزائر وفرنسا والشام.

المبحث الأول: تاريخ التصوف والزوايا في الجزائر.

المطلب الأول :تعريف التصوف و المنهج الصوفي.

المطلب الثاني: الطرق الصوفية في الجزائر ودورها السياسي.

المبحث الثاني: تجربة الأمير الصوفية قبل هجرته من الجزائر .

المطلب الأول: تجربة الأمير الصوفية في زاوية القيطنة القادرية.

المطلب الثاني : تجربة التصوف عند الأمير في رحلة حج مع أبيه

المبحث الثالث : تجربة الأمير الصوفية بعد هجرته من الجزائر.

المطلب الأول : تجربة الأمير الصوفية في سجون فرنسا.

المطلب الثاني : تجربة الأمير الصوفية بعد هجرته الى بلاد الشام.

الفصل الثالث :الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف.

المبحث الأول : التعريف بكتاب المواقف والتحقيق في نسبته للأمير.

المطلب الأول :التعريف بكتاب المواقف.

المطلب الثاني : الأميرة بديعة الحسيني ونفي نسبة كتاب المواقف للأمير.

المطلب الثالث : آراء وحجج المثبتين نسبة كتاب المواقف للأمير.

المبحث الثاني : نماذج من الكتابات الصوفية للأمير في كتابه المواقف.

المطلب الأول : خصائص المنهج الصوفي للأمير من خلال كتاب المواقف

المطلب الثاني : نماذج من المباحث الصوفية في كتاب المواقف

الفصل الرابع :الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر.

المبحث الأول: الممارسة السياسية عند الأمير عبد القادر لتأسيس دولة إسلامية في

الجزائر.

المطلب الأول: تعريف السياسة و الممارسة السياسية.

المطلب الثاني : ممارسات الأمير عبد القادر السياسية لبناء دولة إسلامية في الجزائر.

المبحث الثاني : الممارسة السياسية عند الأمير بعد الهجرة الى بلاد الشام .

المطلب الأول: الأمير والنزاع الطائفي في لبنان .

المطلب الثاني : الأمير و الفتنة الطائفية في دمشق.

المطلب الثالث : الأمير ومشروع المملكة العربية " Le Royaume Arabe " بالجزائر

والشام.

المطلب الرابع : الأمير عبد القادر وعلاقته بالجمعية الماسونية.

ثالثا- الخاتمة : وتتضمن النتائج و التوصيات التي يتم التوصل إليها من خلال هذا البحث.

## الفصل الأول

الملح الصوفي والسياسي في نسب الأمير عبد القادر

وتعليمه وجهاده

المبحث الأول :نسب الأمير عبد القادر ونشأته وتعليمه وتأسيس توجهه الصوفي والسياسي.

المبحث الثاني : البعد الصوفي في مسيرة الأمير عبد القادر الحربية .

المبحث الثالث : ثقافة الأمير عبد القادر .

تمهيد:

الإنسان ابن بيئته وهي معلمه الأول، والنشأة الأولى للإنسان هي التي تشكل المبادئ الكبرى في ما يستقبل من حياته

فإن الاتجاه الفكري أو الفلسفي لأي إنسان إنما تتشكل أنساقه الكبرى في مرحلة التربية الأولى و التي تمثل المنشأ الأول الذي يتكون عادة من رافدين اثنين هما: الأسرة و التعليم والذي يعمل كل منهما على تزويد العقل و النفس بمعارف و مهارات و قيم و سلوكيات تحدد كلها معالم الشخصية و تنحت الاتجاه الفكري لكل صاحب رأي أو فكر.

ومن الضروري وأنا أبحث في شخصية الأمير عبد القادر المتصوف و السياسي أن أستعرض تاريخ نشأته وتعليمه مبرزاً أهم العوامل التي كان لها الأثر البالغ في صقل شخصيته الجمعية و التي جعلت منه رجل دولة ذات منظومة فكرية وتربوية و سياسية متميزة عن أنماط دول أخرى كانت معاصرة له مثل دولة آل عثمان وسلطان المغرب وشاه إيران وملك أفغانستان وباي تونس وباشا مصر وإمام اليمن .

وعليه سأتناول في هذا الفصل ثلاثة مباحث ، الأول منهما يتعلق بنسب الأمير و نشأته وتعليمه وأثر ذلك في تأسيس توجهه الصوفي والسياسي بينما خصصت المبحث الثاني لإبراز البعد الصوفي في مسيرة الأمير عبد القادر الحربية من خلال محطات مختارة أما المبحث الثالث فقد تناولت فيه ثقافته .

## المبحث الأول: نسب الأمير عبد القادر ونشأته وتعليمه وتأسيس توجهه الصوفي و

السياسي

### المطلب الأول: مولده ونسبه الصوفي القادري:

ولد الأمير عبد القادر يوم الجمعة في شهر ماي سنة 1807م في قرية القيطننة<sup>(1)</sup> على ضفة وادي الحمّام<sup>(2)</sup> في منطقة أغريس التي تقع في إقليم وهران<sup>(3)</sup> في الجزائر<sup>(4)</sup>. ويذكر ابن عمّة الأمير ورفيق دربه مصطفى بن التهامي<sup>(5)</sup> تاريخ مولده فيقول " ومولود هذا السيد في أحد أو اثنتين و عشرين و مائتين و

(1)- القيطننة لغة مشتقة من القَطْن بمعنى الإقامة ضد الظعن وهو الترحال. قال تعالى ﴿يَوْمَ طَعَنَكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ سورة النحل الآية رقم 80 . وهذا يفيد أن أجداد الأمير لم يكونوا رحلا أهل عمود بل كان لهم موطن قار وهذه من مزايا الأشراف. والقيطننة قرية تبعد عن معسكر بـ 28 كلم . يقصدها طلاب العلم لوجود الزاوية القادرية بها . وقد شيدت القيطننة من طرف جد الأمير مصطفى المختار سنة 1206 هـ / 1791م. مصطفى بن التهامي : سيرة الأمير عبد القادر وجهاده ، تحقيق وتقديم يحي بوعزيز ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، طبعة خاصة ، 2009م ، ص : 48.

(2)- " وتعزى تسمية هذا الوادي إلى منبعي ماء ساخن (حمّام). وهي ظاهرة مألوفة في الجزائر، البلد المتميّز بنشاط زلزالي كثيف يوجد على جوانب هذين المنبعين آثار رومانية " . انظر : Pierre Montagnon, La conquête de l'Algérie, Les germes de la discordie , 1830-1871. éd. Pygmalion, Paris , 1986, note, p.138.

ترجمة مختار محمصاحي ، ديوان المطبوعات الجزائرية ، بن عكنون ، الجزائر، 2007 م ، ص : 38 .

(3)- وهران : بناها خزر بن حفص المغراوي سنة 290 هـ ( وهي السنة التي تمتد بين ديسمبر 902 م و نوفمبر 903 م ) وذلك بأمر من عبد الرحمان بن الحاكم بن هشام بن عبد الرحمان الداخل الأمير الأندلسي . وقد أسسها على السفح الشرقي للجبل الذي يحمل عدة أسماء منها : هيدور نسبة لرجل علم ، و مرجاجو وهو اسم شخص زناقي أو اسباني ، والمائدة وهي صفة لقمته المنبسطة . كما يحمل اسم سيدي عبد القادر . ينتمي سكانها القدامى إلى مغرواة و نفزاوة يعود تأسيسها إلى ما قبل عهد الفينيقيين كان يطلق عليها المرسى الصغير وهي عاصمة إيالة الغرب في العهد العثماني . أنظر : الأغا بن عودة المزارى: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر ، تحقيق و دراسة يحي بوعزيز ، نشر دار الغرب الإسلامي بيروت ، لبنان ، 1990م ، ج 1 ، ص : 55-59 .

(4)- شارل هنري شرشل : حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، دار الرائد ، دار المعرفة، 2009م، ص: 61.

(5)- مصطفى بن التهامي : ولد بمعسكر سنة 1205هـ - 1788م عالم وفقهيه و أديب كان أبوه مفتيا بمدينة وهران .ابن عمّة الأمير وصهره .عينه الأمير خليفة له على مدينة معسكر .وزوجه أخته خديجة . كان بمثابة وزيره الأول ولذلك كلفه بملفات سياسية هامة مثل مفاوضة المتمرّد التيجاني سنة (1254هـ - 1838م) . رافق الأمير في السجون الفرنسية ، بو و أمبواز كما كان مدرسا في المسجد

ألف من قرننا هذا. <sup>(1)</sup> ويرجح يحيى بوعزيز أنه ولد في 23 رجب 1222هـ الموافق لـ 26 سبتمبر 1807م ويؤكد أن هذا يخالف ما تواضع عليه المترجمون من أنه ولد في شهر ماي. كما تذكر بعض المصادر أن سنة ميلاده هي: 1223هـ / 1808م. <sup>(2)</sup>

وهو عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار بن عبد القادر بن أحمد المختار بن أحمد المشهور بابن حدّه وهي مرضعته بن محمد بن عبد القوي بن خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن محمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبد القوي بن أحمد بن محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله المحض بن الحسن المثني ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب و أمه فاطمة الزهراء بنت سيد الوجود محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. <sup>(3)</sup>

وقد تزوج محي الدين والد الأمير من أربعة نسوة رزق منهن ستة أولاد كان الأمير في المرتبة الثانية من الزوجة الثالثة السيدة زهرة ابنة سيدي محمد بن دوحة الحسينية و التي توفيت عن عمر يناهز الثمانين سنة <sup>(4)</sup> وقد سبق لها الزواج قبل محي الدين حيث أنجبت ولدا و مات ، وأنجبت من محي الدين عبد القادر و خديجة <sup>(5)</sup> ومما ذكر عن خصال والدة الأمير تمييزها بالجمال و الورع والذكاء وحب الوطن وسعة الثقافة

الأموي بعد الهجرة مع الأمير الى أرض الشام . من أبرز آثاره التي كتبها في سجن أمبواز " غوثية مصطفى بن التهامي " وهي عبارة عن رجز طويل بلغ 500 بيتا. توفي بدمشق سنة 1820م. أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 1988م ، ج7 ، ص : 325 وكذلك ج8 ، ص : 324.

(1)- مصطفى بن التهامي :مرجع سابق، ص : 50.

(2)- انظر كل من : محمد العربي الزبيري ، الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، المؤسسة الوطنية للطباعة ، 1982 م ، ص: 12. و اسماعيل العربي : المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، دط ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982م ، ص: 39.

(3)- الأمير محمد: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر ، المطبعة التجارية ، غرزوي و جاويش ، الإسكندرية ، 1903 م ، ج2 ، ص: 297.

(4) - عبد الرزاق بن سبع : الأمير عبد القادر و أدبه ، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، 2000م ، ص : 11.

(5)- قدور محمصاحي، ص : 46 و 48 .

وكانت تشارك زوجها الرأي والنصيحة والمؤازرة حتى لولدها عبد القادر فيما بعد حيث " شاهدتها الناس فيما بعد ، على سبيل المثال ، في تلمسان ، وهي تقنع السكان بالبقاء موحدين تحت راية ولدها الأمير عبد القادر ، لأنه كان الوحيد القادر على حمايتهم من المخزن ، الذي هو من بقايا الإدارة التركية المنهارة ، ومن الحملة العسكرية الفرنسية في آن واحد ..... " (1)

ويشير الأمير إلى فضل نسب أهل البيت وما حاباهم الله به من علم وبصيرة في الدين فيقول " فأنا بفضل الله محفوظ الوارد ، في المصادر و الموارد ، ليس علي للشيطان سلطان ، إذ كلام الله تعالى لا يأتي به شيطان ، ما تنزلت به الشياطين ، وما ينبغي لهم و ما يستطيعون ، وكل آية تكلمت عليها إنما تلقيتها من هذا الطريق ، إلا ما ندر ، وأهل طريقنا - رضي الله عنهم - ما ادعوا الإتيان في الدين بشيء جديد ، و إنما ادعوا الفهم الجديد في الدين التليد<sup>(2)</sup> ثم يورد حديثاً نبوياً صحيحاً يستشهد به علي فضل نسب أهل البيت الذي ينتمي إليه وهو المروي عن علي رضي الله عنه أنه قيل له : "هل خصكم رسول الله -ص- أهل البيت بشيء دون الناس ؟ يعني من العلم ، فقال : لا. والذي فرق الحبة ، و برأ التسمّة . إلا أن يكون فهما أعطيه رجل في كتاب الله " (3) وإن كان السياق الذي أوردنا فيه هذا الحديث النبوي هو الإشادة بنسب الأمير إلا أنه - أي الحديث الشريف - يتضمن إشارة قوية إلى المنهج العرفاني الذي يتعامل به الأمير مع النصوص الشرعية وهذا ما يؤكد حين يقول :

---

(1) - قدور محمصاجي ، ص : 49.

(2) - الأمير عبد القادر : المواقف الروحية و الفيوضات السبوحية ، تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي ، منشورات محمد علي بيضون ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2004 م - 1452 هـ ، الموقف الأول ، ج 1 ، ص : 43.

(3) - ابن حجر العسقلاني : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز و محمد فؤاد عبد الباقي و محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د ت ، كتاب الجهاد و السير ، باب فكاك الأسير ، رقم 3046 ، ج 6 ، ص : 167.



"ومن أراد أن يبلو صدقهم ، فليسلك طريقهم ، وأن القوم رضي الله عنهم – ما أبطلوا الظواهر ، ولا قالوا ليس المراد من الآية إلا ما فهمنا ، بل أقرروا الظواهر على ما يعطيه ظاهرها . وقالوا فهمنا شئ زائد على ما يعطيه ظاهرها ."<sup>(1)</sup>

ويذكر ابنه محمد أنه أخذ هذا النسب من عند أبيه مباشرة كما وجده مدونا في كتب النسب و الشرف على حد تعبيره و ذكر منها جوهرة العقول في ذكر آل الرسول وعقود الجمان لمحمد الفاسي ومحمد بن أحمد بن أبي القاسم العشماوي في كتاب التحقيق في النسب العتيق ومحمد بن محمد بن أحمد بن أبي القاسم الحوزي في كتاب فتح الرحمان شرح عقود الجمان وعبد الله الونشريسي صاحب المعيار في كتابه السنان في ذكر العلماء الأعيان و المقرري التلمساني في رياض الأزهار في عدّ آل النبي المختار.<sup>(2)</sup> ولقد هاجرت أسرته إلى المغرب، ومن هناك انتقلت إلى نواحي وهران واشتهر رجالها بالورع وكانوا قدوة للناس.<sup>(3)</sup> وهم في الأصل من فروع الأدارسة<sup>(4)</sup> الذين أقاموا دولتهم في المغرب من نسل محمد بن ادريس الأصغر. كما لعبت أسرته دورا أساسيا في عهد الدولة العثمانية التي لم تعد تملك السيطرة على ممثليها في شمال افريقيا<sup>(5)</sup> ومما يفيدنا في معرفة عراقية نسبه الذي هيأه لكي يسلك سبيلا يجمع فيه بين التصوف و السياسة هو أن نيسط القول في التعريف بأجداده مبرزين بعض مناقبهم التي تحلوا بها.<sup>(6)</sup>

(1)- الأمير عبد القادر : المواقف الروحية و الفيوضات السبوحية ، تحقيق عاصم ابراهيم الكيالي ، مصدر سابق ، الموقف الأول ، ج 1 ، ص : 44.

(2)- الأمير محمد ، ج 2 ، ص: 297.

(3)- نزار أباطة : الأمير عبد القادر الجزائري ، العالم المجاهد ، ط 1 ، دار الفكر ، دمشق ، 1994 م ، ص : 9.

(4)- أقيمت دولة الأدارسة في المغرب على يد إدريس الأكبر عام 172هـ - 788 م وسقطت في عهد آخر ملوكهم محمد المستعلي ابن إدريس بن علي عام 459 هـ - 1066 م . راجع الأميرة بديعة الحسيني الجزائري : فكر الأمير عبد القادر الجزائري حقائق ووثائق ، ط 1 ، دمشق ، دار الفكر للطباعة ، 2000م ، ص: 16.

(5)- كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس و منير البعلبكي ، ط 5 ، دار العلم للملايين ، 1968 م ، ص: 619 .

(6)- راجع في سيرة أجداد الأمير ومناقبهم الأمير محمد ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص: 299-302.

أجداد الأمير عبد القادر:

01- عبد القوي الأول: صاحب تفرست-نزل بقلعة بني حماد ومنها الى تاهرت-تيارت-. قال عنه عبدالرحمان الفاسي في جوهرة العقول " ومن أختيار الأشراف القطب السني السعيد عبد القوي صاحب تفرست "

02- محمد بن عبد القوي: كان على علم وصلاح .

03- أحمد بن محمد المعروف بابن خدة : قال عنه صاحب التحفة " سكن بوادي العبد قرب غريس وهو أول من اشتهر من أسلافنا في ذلك النادي و أضاءت بأنوار عوارفه تلك النواحي والبلاد.

04- عبد القادر بن أحمد : سكن بكاشرو.<sup>(1)</sup> و قصده الخلق لأخذ العلم من كل فج عميق .قال عنه خاتمة المحققين محمد بن محمد الجوزي في فتح الرحمان " ومنهم الرئيس الجليل النحوي اللغوي الحيسوبي الفرضي المحدث الإمام أبو محمد السيد عبد القادر بن أحمد المعروف بابن حدّه . "

05- أحمد المختار: عالم جليل. من تلاميذه الفقيه النحوي المؤرخ المحدث أبو العباس أحمد بن شعرون السلوكستي ، له منظومة شعرية سماها عقد جواهر المعاني في مناقب الغوث عبد القادر الجليلاني ، ذكر فيها مناقبه وكراماته وأحوال المشائخ الذين اعترفوا بفضله وقد شرحها الإمام اليوسي في مجلد ضخيم

(1)- تغير اسم المدينة من كاشرو إلى سيدي قادة عام 1967 م . وهي تقع في الشمال الغربي للجزائر و بالتحديد جنوب شرق مقر ولاية معسكر.تعتبر سيدي قادة من أهم المناطق السياحية لولاية معسكر باعتبارها تضم مواقع وآثار تاريخية لمؤسس الدولة الجزائرية الأمير عبد القادر. فزماله الأمير المتواجدة في هضبة سيدي قادة على الطريق الوطني رقم14 والتي كانت مدرسة قرآنية درس فيها الأمير وترعرع بها. وبجوارها حمام الأمير بالإضافة إلى صومعة الأمير وسور يحيط بها يعود لتلك الفترة(بداية القرن 19م). وعلى بعد 5 كلم من زمالة الأمير تقع قرية الأمير عبد القادر التي تضم ضريح الولي الصالح سيدي قادة الجدد السادس للأمير عبد القادر الجزائري وضريح سيدي أحمد المختار الجدد السابع للأمير وضريح الأمير سيدي محي الدين والد الأمير عبد القادر وبجواره الأمير محمد أخ الأمير عبد القادر. هذه الأضرحة بناها الأمير خالد حفيد الأمير سنة 1913م.انظر شبكة الأنترنت ، ويكيبيديا ، تاريخ الدخول : 2015/08/29م.

06- عبد القادر بن أحمد المختار: ترجم له صاحب التحفة بعبارة موجزة جاء فيها "كان أعصف أهل عصره ربحا وأكثرهم في علم الحقيقة تلويحا وتصريحا".<sup>(1)</sup>

07- المختار بن عبد القادر: من العلماء العاملين توفي في أوائل القرن الثاني عشر وهو مسافر في بلاد بني عامر ودفن بها ومنعوا أهله من نقله إلى أرض أهله فأخرجوه ليلا ودفنوه في مسقط رأسه. فلما سمع بنو عامر فتحوا قبره الأول فوجدوه فيه واشتهر من يومها بأبي قبرين!<sup>(2)</sup>

08- محمد بن المختار: ولد في كاشرو سنة 1095 هـ واستشهد سنة 1163 هـ في حرب اسبانيا مع المسلمين.

09- مصطفى بن محمد: هو مصطفى بن محمد بن المختار توفي سنة 1212 هـ/1798 م. تركه أبوه صغيرا، ويذكر صاحب كتاب تحفة الزائر أن محمد بن المختار الذي كان يلقب بالمجاهد ولد في كاشرو سنة 1095 هـ واستشهد سنة 1163 هـ في حرب اسبانيا مع المسلمين. وتولى الأعمام تربية الفتى اليتيم مصطفى.<sup>(3)</sup> وتفقه في غريس بمدينة معسكر وأخذ الطريقة القادرية على يد الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي<sup>(4)</sup>. سافر إلى الحج وحج في كل واحدة حجتين وزار المسجد الأقصى ثم دمشق ومنها إلى بغداد ولقي علماء كثر وأخذ عن كل عالم فنه ولبس الخرقة القادرية من نقيب الأشراف عبد الرحمان بن علي من سلالة الشيخ عبد القادر الجيلاني<sup>(5)</sup> ولبس الخرقة فيه رمزية تتعلق بالإنتماء والانتظام في النهج الصوفي

(1)- مثل هذه السياقات هي التي جعلت أبو القاسم سعد الله يقول عن تحفة الزائر "...فإنها ليست خالية من العيوب الأساسية . ذلك أن افتقارها إلى المنهج و احتواءها على المبالغات وأسلوبها العاطفي ..... " انظر ، شارل هنري شرشل ، ص : 28 .  
(2) - قد يكون هذا الأمر كرامة لولي وهي مسألة ثابتة عند علماء العقيدة الذين يقرون أن المعجزة تكون للنبي و الكرامة للولي. انظر: تهذيب رسالة الشرك ومظاهره لمبارك بن محمد الميلي ، اختصرها و هذبها سعد بن عبد الرحمان الحصين ، منار السبيل ، د ت ، ص : 64 .  
(3)- الأمير محمد ، ج 2 ، ص : 301 .

(4)- يحي بو عزيز : موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب ، ط 1 ، دار الهدى للطباعة و النشر والتوزيع ، 2009م ، ص : 470  
(5)- الشيخ أبو صالح عبد القادر الجيلاني : ( 470- 562 هـ / 1078- 1167 م ) ولد بجيلان بجمال كركوك شمال العراق ، استوطن بغداد واعتكف على الدراسة والتعلم وتضلع في الفقه الحنبلي وألف عدداً من الكتب في الأصول والفروع والأدعية وفي التوسل إلى الله مال

وأجازه<sup>(1)</sup> بالواسطة إمام اللغة السيد مرتضى الحسيني الزبيدي شارح القاموس<sup>(2)</sup>. وتبرع من ماله الخاص لتوسيع ضريح الشيخ عبد القادر الذي أصبح يعرف بزيادة مصطفى المغربي. ويذكر الأمير عبد القادر لشارل هنري شرشل ما وقع لجدته من كرامات منها أنه " كان قد زار بغداد ثلاث مرات ، وفي كل مرة كان ينال حظوة خاصة . مرة حين كان عائدا ، ولم يكن بينه وبين دمشق ثمانية أيام . فقد انفصل عن القافلة وأضاع الطريق ووجد نفسه وحيدا في الصحراء في حيرة وقد دهمه الظلام . وفجأة ظهر زنجي إلى جانبه وعرض عليه أن يقوده إلى المدينة . وعند طلوع الفجر رأي المنائر ونفذ صوت المؤذن إلى أذنيه ، وهكذا ألغى الوقت و المكان خلال بضع ساعات ومرة أخرى عندما كان في القاهرة. فقد كان يرغب في شراء كتاب ولم يكن عنده نقود وهنا تقدم منه رجل غريب ووضع قطعة من النقود في يده ثم اختفى."<sup>(3)</sup> وعند ما عاد من رحلته الأولى بنى قرية القيطنة وأسس زاويته ومعهد بواحي الحمام سنة 1206 هـ (1791-1792م) ، وتفرغ للتعليم والقيام على ورد الطريقة ووظف في زاويته علماء أكفاء مثل شيخه عبد القادر المشرفي وتعلم على يديه باي وهران المصلح و المجاهد محمد بن عثمان الكبير.<sup>(4)</sup> وتبحر جد الأمير في العلوم العربية و الفقهية وفي علم التصوف و الحكمة . كما نظم الأشعار و المدائح . وخلال عودته من حجته الرابعة أدركته الوفاة في برقة الليبية<sup>(5)</sup>.

إلى حياة الزهد والتصوف وألف طريقته الصوفية القادرية بعد أن كثر اتباعه وانتشرت بسرعة في بلدان المغرب العربي. انظر يحي بوعزيز ، الطريقة القادرية و الأمير عبد القادر: مجلة مسالك، الجزائر، تصدر عن مؤسسة الأمير عبد القادر ، عدد 3 ، الجزائر ، 1998م ، ص: 23

(1)- الإجازة أو الوصية أو السلسلة في الزاوية القادرية هي وثيقة تحرر ويتم قراءتها في اجتماع يعين فيه الخليفة المبعوث من بغداد إلى فرع من فروع الزاوية في جهة ما. انظر أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق، ج 4 ، ص : 23.

(2)- الأمير محمد ، ج 2 ، ص : 302.

(3)- شارل هنري شرشل ، ص : 69.

(4)- وصفه صاحب التحفة بقوله " ومن تلامذته محمد باي حاكم معسكر وفاتح وهران من يد اسبانيا. " ، مرجع سابق ، ص : 302.

(5)- أدركه الموت وهو راجع من حجته الرابعة وقبره بمنطقة درنة الليبية عند عين بساحل البحر يقال لها عين غزالة وعلى قبره مكتوب : هذا قبر سيدي الحاج مصطفى الغريسي. أنظر مصطفى بن التهامي ، مرجع سابق ، ص : 48.

## 10: محي الدين والد الأمير عبد القادر:

هو محي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار الغريسي وبقية نسبه ينتهي إلى البيت النبوي كما سبق ذكره في التعريف بالأمر عبد القادر. وقد ولد بوادي الحمام بسهل غريس بمدينة معسكر<sup>(1)</sup> سنة 1190هـ/1777م وتوفي بها سنة 1249هـ/1833م. درس على أبيه وعنه ورث زاوية وادي الحمام<sup>(2)</sup> التي قال عنها أبوه وهو في طريقه إلى حجه الأخير الذي مات فيه " أنا تركتها - أي الزاوية - لولدي محي الدين بغلة مسرّحة " وقد أصبح شيخا يلقي الأوراد القادرية للأتباع الذين بلغ عددهم ستمائة جاؤوا من مراكش وسوس وشنقيط و برقة و الإسكندرية يحفظون القرآن و يتعلمون علوم الشريعة من خلال سيع مجالس علمية تعقد بمسجد الزاوية كما تقوم بوظائف اجتماعية منها إطعام الضيف و الفقير والقيام بالوساطة للنظر في مظالم المسلمين عند رجال الدولة العثمانية وقضاء حوائجهم وكان الشيخ محي الدين يقوم أحيانا بالوساطة بنفسه أو يرسل أحد أولاده. وعلى الرغم من قيامه بكل هذه الأعمال لم يكن الشيخ محي الدين ليغفل عن رواتبه و أذكاره وقيام الليل الذي عرف به في السفر و الحضر<sup>(3)</sup> كما عرف عنه سداد الرأي و غزارة العلم و المعرفة ومقاومته للظلم وقد شارك في ثورة عامة في الغرب الجزائري دعما لإنتفاضة الفلاحين سنة 1818م ضد سلطان المغرب وسجن من أجل ذلك سنتين في سجن العريش بمدينة وهران.

(1)- معسكر :مدينة تقع على بعد 95 كلم من وهران ، و هي مدينة قديمة معمورة ،ذات موقع إستراتيجي .أما عن تاريخ هذه المدينة ، فقد عرف أنها شيدت في المنطقة التي تدعى بالوطن الراشدي ، على الحافة الشمالية الغربية لسهل غريس الكبير ، يحدها شرقًا جبل المناور ، و غربًا جبل كرسوط و شمالا قلعة بني راشد وجنوبًا واد البيبان وأقرب رواية حول تأسيسها هي أنها تأسست في القرن 7 هـ . 13م على عهد بني زيان عندما اتخذ يغمراسن الحشم جنودًا له كفاصل بينه وبين بني توجين " أمراء تاهرت" ، فعسكرت بها القوات و كبرت حتى أصبحت عاصمة للبايلك في القرن 12 هـ - 18 م بدءًا من عهد الباي مصطفى بن يوسف بوشلاغم 1113 هـ - 1683 م . انظر : يحيى بوعزيز ، أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة ، ط1 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1995م ، ج 2 ، ص : 45.

(2)- يحيى بو عزيز : موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب ، مرجع سابق ، ص : 471 .

(3)- مصطفى بن التهامي ، مرجع سابق ، ص : 49.

خرج إلى الحج وزار أماكن كثيرة أكسبته علما وريادة<sup>(1)</sup>. وبعد رجوعه من الحج بصحبة ابنه عبد القادر دخل في عزلة روحية في منزله ثم مكث في زاويته معلما ومرييا وسيأتي لاحقا تفصيل دوره الريادي في التصدي للإستعمار الفرنسي في منطقة الغرب الجزائري

## المطلب الثاني: نشأته و تعليمه وتكوينه الصوفي والسياسي :

### أ- المستوى التعليمي في عصر الأمير.

آثرت قبل الحديث عن تعليم الأمير أن أتعرض لمستوى التعليم في الجزائر في ذلك الوقت. فبالرغم من التخلف الحضاري العام الذي كانت تشترك فيه الجزائر مع غيرها من دول العالم الإسلامي و العربي إلا أن التعليم كان منتشرا فيها انتشارا واسعا. وكان التعليم يشتمل على العلوم الدينية و اللغوية و الفلسفية و الرياضية وحتى الطبية. وليس هذا بالأمر المستغرب لأن الجزائر ورثت ذلك من عهدها الثقافي الزاهر في عواصم العلم الكبرى وهي تلمسان و قسنطينة و بجاية .

وهذه بعض الشهادات التاريخية من مسؤولين فرنسيين عاصروا تلك الحقبة ، تشهد كلها على المستوى التعليمي الراقى الذي كانت تتمتع به الجزائر. ذكر "Dumas"<sup>(2)</sup> - وهو من الضباط الفرنسيين

---

(1) - سنذكر بالتفصيل ما وقع له في هذه الرحلة عند حديثنا عن رحلات ابنه الأمير عبد القادر في مباحث لاحقة.

(2) - "أوجين دوماس " 1802-1871 م . شارك مع كلوزيل في الهجوم على مدينتي معسكرو تلمسان ، أصبح قنصلا لدى الأمير سنة 1837-1839م. أشرف على مصلحة الأهالي في منطقة وهران بين سنتي 1844 و 1847م . له منشورات عن المجتمع الجزائري . وكانت بينه وبين الأمير مراسلات . أنظر الأمير محمد ، ج2 ، ص : 161 .

الستة عشر<sup>(1)</sup> الذين ارتقوا إلى رتبة جنرال بفضل حروبهم مع الأمير - في تقرير كلف بكتابته مع المفتش " لوبيتشو " :

" إن التعليم منتشر بالجزائر أكثر مما كان متصورا عموما. إن اتصالاتنا بأهالي العمالات الثلاث كشف لنا بأن معدل الذكور الذين يحسنون القراءة و الكتابة هو بالأقل مساو لما ذكرته الإحصائيات العالمية التي جرت في الأرياف الفرنسية... إن حوالي 40% يحسنون القراءة تقريبا . وحتى إذا لم يتعلم كل الأطفال القراءة و الكتابة فإنهم جميعا دخلوا المدارس ويستطيعون قراءة ما يؤدون به شعائرهم الدينية (...). إن كل القبائل و المداشر و التجمعات السكانية و القرى كان لها معلموها و مدرسوها قبل الإحتلال الفرنسي " (2)

وجاء في تقرير " لاموسير<sup>(3)</sup> " قائد القطاع الوهراني ما نصه : " في مقاطعة تلمسان وحدها ، كان بالمدينة التي يبلغ عدد سكانها من 12000 إلى 14000 نسمة ، ثلاثة معاهد و 50 مدرسة . وفي كامل

(1) - ونذكرهم بالترتيب الأبجدي الفرنسي : Allonville. Barral. Bazaine. Bosquet. Bourbaquet. Dumas. Deligny. Desvaux. Durrieu. Duvivier. Herbillon. La Moriciere. Marey-Monge. Martinprey. Rivet. Walsin-Esterhazy.

محمد بن أحمد بابا علي : أسئلة الجنرال دumas حول وضعية الأسرة المسلمة بالجزائر ، مجلة جامعة الجزائر - مؤسسة الأمير عبد القادر ، الملتقى الدولي حول " الأمير عبد القادر و القيم الإنسانية ، عدد خاص ، طباعة دار الحكمة ، شارع أملكار بلكار ، ساحة الشهداء ، الجزائر ، 2001م ، ص : 39.

(2) - إيفون توران : الجاهة الثقافية في الجزائر تحت الإستعمار ، ص: 127 . نقلا عن عبد الحميد بن هذوقة: الأمير عبد القادر و الجاهة اللامتكافئة. مقال بمجلة الثقافة ، من إصدار وزارة الثقافة ، الذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، مطبعة أحمد زبانة ، الجزائر، عدد 75 ، رجب ، شعبان 1403 هـ - ماي ، جوان ، 1983م ، ص : 201.

(3) - لاموسير: ولد لويس " Juchault Lamoriciere " في نانت يوم 5 فبراير 1806م. درس في كلية الفنون التطبيقية ومن ثم إلى مدرسة ميتر التطبيقية، بدأ برتبة ملازم. كان أول ظهور له في مقر الجزائر في عام 1830م. تمت ترقيته إلى قائد في عام 1831 م، كان مسؤولا عن تنظيم أول كتيبة من " Zouaves " ثم في عام 1833م كلف بالمكتب العربي الأول. كان له دور مميز. خلال الحملة الثانية على قسنطينة سنة 1837م، تحت قيادة الدوق نيمور " Le duc de Nemours ". وفي 13 أكتوبر 1837م وعلى الساعة 7 صباحا، احتل العقيد لاموسير قسنطينة. وقد أصيب بجروح بالغة وأوشك تقريبا على العمى. في سنة 1840م كان من أكبر المساعدين لحاكم الجزائر الجنرال بيجو. رقي إلى رتبة جنرال في سنة 1834م. توفي 2 سبتمبر 1865م في قلعة " Prouzel " قرب "Amiens"

المقاطعة التي يبلغ عدد سكانها 12500 - باستثناء المدينة طبعاً - توجد 30 زاوية ذات شهرة وكان في كل قرية مدرسة. التعليم يشمل الجميع. 2000 شاب يتلقون التعليم الثانوي ، و 600 يتلقون التعليم العالي. ولكل مدرسة مكتبتها. وكان الأهالي هم الذين ينفقون على التعليم و الباقي من الأوقاف و الأحباس . الدولة الإسلامية لم يكن لها دخل في ذلك " (1)

ويفهم من العبارة الأخيرة من تقرير لاموسير أن الدولة العثمانية لم تتولى إقامة كل ما ذكر من مؤسسات التعليم الشعبية الجزائرية وهذا يدل على حرص الأمة الجزائرية على تعليم أبنائها و شغفها بطلب العلم .

ومن الصور القائمة لمستوى العلم و التعليم في هذا العهد العثماني ما ذكره الأستاذ محمد علي كرو<sup>(2)</sup> رئيس الجمع العلمي ووزير المعارف السابق بدمشق حيث يقول : " أدركت دمشق في النصف الثاني للقرن التاسع عشر، وليس فيها طبيب قانوني ، ولا صيدلاني قانوني ، ولا حقوقي قانوني .... أما علوم الرياضيات و الحساب ، التي كانت تربط أجدادنا مع علوم القرآن و الحديث فقد غدت أسماء بدون مسميات ، وهكذا بلغ الجهل مبلغاً عجبياً بين الناس . حتى قل فيهم من يعرف القراءة و الكتابة ، وكان من يتلقى رسالة من قريب له في الخارج يفتش عن من يقرأها له وقد يبقى يوماً أو يومين حتى يجد من يقرأ له الرسالة ، وكان ضعف الدولة العثمانية في هذه الفترة قد أثر في جميع المجتمعات ..... " (3)

=فرنسا . وضع له الإحتلال الفرنسي تمثالا في وسط مدينة قسنطينة يوم 25 أبريل 1909م وأزيل من طرف السلطة العسكرية الفرنسية في ليلة 8 و 9 جويلية 1962م. ليتم نقله بعد ذلك إلى فرنسا. انظر شبكة الأنترنت ، موقع : [www.Constantine-hier-aujourd'hui.fr](http://www.Constantine-hier-aujourd'hui.fr) تاريخ الدخول 2015/09/12 م. الساعة : 19:57.

- (1) - عبد الحميد بن هدوقة: الأمير عبد القادر و المجاهدة اللامتكافئة ، مجلة الثقافة ، مرجع سابق ، ص: 201.
- (2) - محمد علي كرو هو من تلاميذ الشيخ طاهر الجزائري السمعوني و الذي هو بدوره من تلاميذ الأمير عبد القادر. عدنان المبارك : الأمير عبد القادر الجزائري مع العلماء و الشخصيات والأعيان و الوجهاء في بلاد الشام ، مجلة جامعة الجزائر - مؤسسة الأمير عبد القادر ، عدد خاص 2001 م ، ملتقى دولي " الأمير عبد القادر و القيم الإنسانية " ، مرجع سابق ، ص : 34.
- (3) - المرجع نفسه ، ص : 34.



ويصف أحد علماء الأزهر حالة الجمود التي أصابت طرق التدريس ، والمواد الدراسية في الأزهر في العهد العثماني بقوله : "ولمّا فترت همة المتأخرين من العلماء عن التأليف عمدوا إلى مصنّفات السلف الصالح ، رضوان الله عليهم ، وشرحوها ، ثمّ عمدوا إلى الشروح فشرحوها ، وسموا ذلك حاشية ، ثم عمدوا إلى الحواشي فشرحوها وسموا ذلك تقريراً أو تعليقا ، فتحصل عندهم متن هو أصل المصنّف ، و شرح ، و شرح الشرح ، و شرح شرح الشرح ، وكانت النتيجة أن تطرق الإبهام إلى المعاني واختفى مراد المصنّف " (1) فلم تكن في العهد العثماني سياسة رسمية لتشجيع التعليم وتطويره و العناية بأهله في الجزائر. (2)

وبالرغم من هذا الوضع المزري للتعليم الرسمي فإن الأمة الجزائرية لم يخل منها العلم و العلماء .يقول أبو القاسم الحفناوي : "..... فالظاهر أن القطر الجزائري قد اجتهد قديما في طلب العلم بجميع أسبابه و أتاه من سائر أبوابه ، ووقف على معقوله و منقوله ، فتمكن من فصوله و أصوله ، وكان لعلوم وقته جامعا ، و لرايتها رافعا ، مثل أخويه المغربين الأقصى و الأدنى ، فظهر في الأقاليم بدره ، واشتهر في التاريخ قدره ، بعلماء بنوا تأليفهم على أركان التحقيق ، وحصنوها بأسوار التدقيق ، فكانوا في عصرهم نجوم اهتداء ، وأئمة اقتداء... " (3) ويكتب باحث آخر يقول ".... فالثقافة في الجزائر لم تحظ بالأهمية الكبيرة من طرف العثمانيين بمثل ما حظيت به بقية القطاعات الأخرى ، وفي مقدمتها القطاع العسكري وقد يكون لذلك مبرر، ومهما يكن فالثقافة العربية الإسلامية اعتمدت في تطورها النسبي والعددي على ذاتيتها وعلى المجتمع الإسلامي الجزائري ، انطلاقا من المؤسسات الثقافية المحصورة في المساجد و المدارس و الزوايا التي نشرت الدين و التعليم العربي الإسلامي و ساهمت في تأسيس الضمير الجمعي للسكان . وكان اهتمام الجزائريين بالمسجد كبيرا وكذلك بالمدارس و الزوايا وبالكتب و المكتبات والوقف و الرحلات العلمية إلى خارج الجزائر

(1) - عبد المنعم الحفناوي : الأزهر في ألف عام ، ط2 ، عالم الكتب ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، 1408 هـ - 1988 م ، ج1 ، ص : 78.

(2) - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ج1 ، ص : 324.

(3) - أبو القاسم الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف ، ط1 ، مطبعة فونتانا الشرقية ، الجزائر ، 1906 م ، ج1 ، ص 1 و2. من المقدمة.

(...) ولنا أن نقدم مثالا على وجود هذه المؤسسات وكثرتها ، إذ بناء على المصادر التي بين أيدينا يتبين أن مجموع المؤسسات التي عرفتها مدينة قسنطينة قبل الإحتلال الفرنسي كانت حوالي 93 مؤسسة بالإضافة إلى 20 مؤسسة التي وجدت خارج المدينة ، ولهذا الرقم 113 مؤسسة أكثر من دلالة ، خاصة إذا علمنا من خلال ما تذكره بعض المراجع أن مساحة المدينة كانت حوالي 30 هكتارا خلال العهد العثماني ، وأن عدد السكان كان ما بين 40 و 45 ألف نسمة يعني هذا ومن باب التقريب أن لحوالي 400 فرد مؤسسة و كانت هذه المؤسسات زوايا طرقية .<sup>(1)</sup>

في هذه البيئة العلمية عاش الأمير عبد القادر حيث تجمع المصادر التاريخية على أنه تلقى العلم أولا في زاوية أجداده " القيطنة".

#### ب - تعليم أبيه له في زاوية القيطنة:

ولما كانت هذه الزاوية هي المهد الأول لنشأة الأمير عبد القادر ، كان لزاما عليّ أن أتعرض إلى التعريف بمؤسس الزاوية الأم عبد القادر الجيلاني للوقوف على فلسفته التعليمية و التربوية وهل يوجد فيها ما يجمع بين الزاوية(التصوف) و المعركة (السياسة)؟

#### ب1- مؤسس الطريقة القادرية : عبد القادر الجيلالي :

يعود تاريخ تأسيس هذه الزاوية إلى الشيخ ابي صالح عبد القادر الجيلاني الذي عاش في الفترة الممتدة بين (470-562هـ/1078-1167م) والذي لم يكن من الزهاد الذين تصوفوا في الرباطات وشغلتهم مقاماتهم و أحوالهم عن إرشاد الناس ودعوتهم إلى الحق وقد كان عارفا بالله ، ومن عرف الله لا يهرب من شيء، ولا يخاف ويأبى عليه وعيه الانسياق في تيار بدعة التزهب والاختفاء عن الناس، فيقف

(1)- احميدة عميراي: الطرق الصوفية و السياسة ، كتاب الحياة الروحية للأمير عبد القادر ، إصدار مؤسسة الأمير عبد القادر، بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية ، 2011 م ، ص : 84.

ينادي الأمة، ويدلها على الأمراض التي تتهددها. ولقد تكلم الشيخ عبد القادر كثيرا وصاح بأهل العراق صيحات بليغة رفيعة المعنى والمبنى. ومن أقواله: " المتزهّد المبتدي في زهده يهرب من الخلق، والزاهد الكامل في زهده لا يبالي منهم، ولا يهرب منهم، بل يطلبهم، لأنه يصير عارفا بالله ومن عرف الله لا يهرب من شيء ولا يخاف من شيء سواه" (1)

ذكره ابن كثير فقال: " وانتفع به الناس انتفاعا كثيرا وله سمت حسن وصمت عن غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيه زهد كبير، وله أحوال و مكاشفات ولأتباعه وأصحابه فيه مقالات ويذكرون عنه أقوالا وأفعالا و مكاشفات أكثرها مغالاة، وقد كان صالحا ورعا وقد صنف كتابه " الغنية " و" فتوح الغيب " وفيها أشياء حسنة ولكن ذكر فيهما أحاديث كثيرة ضعيفة وموضوعة وبالجملة كان من سادات المشائخ الكبار قدس الله روحه ونور ضريحه. " (2)

وقال عنه الإمام الذهبي: "الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة، شيخ الإسلام، علم الأولياء، محيي الدين، أبو محمد، عبد القادر بن أبي صالح عبد الله ابن جنكيدوست الحنبلي الحنبلي، شيخ بغداد." ذكر قولاً للشيخ موفق الدين أبو محمد بن قدامة حين سئل عن الشيخ عبد القادر فقال " ليس من كبار المشائخ و من له كرامات وأحوال أكثر من الشيخ عبد القادر، لكن كثير منهم لا يصح وفي بعض ذلك أشياء مستحيلة. " (3)

(1) - محمد أحمد الراشد: المنطلق، ط1، مؤسسة الرسالة، شارع سوريا، بيروت، 1975 م، ص: 114 .

(2) - ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق علي شري، ط1، دار إحياء التراث العربي، 1408هـ - 1988م، ج12، ص: 313.

(3) - الذهبي: سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، 1426هـ - 2006م، جزء 15، ص: 179 و 180.

ولقد ذكر ابن تيمية الشيخ عبد القادر الجيلاني فقال فيه: " من أعظم مشائخ زمانه أمرا بالتزام الشرع و الأمر و النهي وتقديمه على الذوق و القدر و من أعظم المشائخ أمرا بترك الهوى و الإرادة النفسية." (1)

وسماه ابن القيم الشيخ العارف القدوة وذلك في قوله " وهو معنى قول الشيخ العارف القدوة عبد القادر الكيلاني : ( الناس إذا وصلوا إلى القضاء أمسكوا إلا أنا فانفتحت لي فيه روزنة فنازعت أقدار الحق بالحق للحق ، والرجل من يكون منازعا للقدر لا من يكون مستسلما للقدر). " (2). وإنما استحق كل هذه المنزلة عند علماء السلف لأنه أقام تصوفه في رباط الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر كيف لا وهو القائل: " يا زهاد الأرض تقدموا ، خربوا صوامعكم و اقربوا مني ، قد قعدتم في خلواتكم من غير أصل ، ما وقعتم بشيء تقدموا . " (3)

ومن ضروب العمل السياسي الذي قامت به هذه الزاوية هو محاولة التنسيق بين الطرق الصوفية وإصلاح منهج عملها حيث عقد الشيخ عبد القادر الجيلاني اجتماعا في زاويته في بغداد حضره أزيد من خمسين شيخ طريقة منهم الشيخ عبد القادر الجيلاني من العراق والشيخ عثمان مرزوق القرشي من مصر وأبو مدين من المغرب والشيخ أرسلان الدمشقي من الشام ولقد كان الهدف من هذه الاجتماعات الخروج بالتصوف من عزلته الفلسفية في جزيرة السعداء ، كما صورها ابن طفيل (4) الذي " اعتبر الإنسحاب من

(1)- ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، جمع و ترتيب عبد الرحمان بن محمد بن قاسم ، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، 2004 م ، ج 10 ، ص : 488.

(2)- ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد و إياك نستعين ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ط 2 ، 1993 م ، ج 1 ، ص : 199.

(3)- محمد أحمد الراشد: المنطلق ، مرجع سابق ، ص : 115.

(4)- ابن طفيل : أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي . ولد في أوائل القرن الخامس الهجري في بلدة تسمى وادي آش وقيل قادش التي تبعد عن غرناطة بحوالي ستين كيلو مترا . درس الطب في غرناطة وأصبح أمين اسرار حاكم غرناطة وكذلك كان عند الأمير أبي سعيد حاكم طنجة ثم أصبح طبيب و مدير تشريفات متخصص بأهل العلم والأدب والفلسفة في قصر أمير المؤمنين الموحد بالمغرب أبو يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن وهو الذي استجلب ابن رشد وكلفه عن طريق أبي يعقوب بشرح مؤلفات أرسطو . وفق لوضع

مضطرب الحياة الاجتماعية الى هدوء المهجر الصوفي منهجا لابديل له لإنقاذ الأذكىاء ذوي النباهة والإدراك الممتاز من شرور مدارك عامة الناس في المجتمع"<sup>(1)</sup>. ولكن الزاوية القادرية تريد للتصوف منهجا آخر بحيث يشارك في قضايا الأمة وحماية ثغورها - وهذا هو المقصود في البحث بين الجمع بين التجربة الصوفية والممارسة السياسية والتي هي إشكالية هذا البحث الرئيسية - و تقرر الإتصال بنور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي وأصبحت هذه الزوايا بتوجيه من الشيخ عبد القادر الجيلاني مدارس للتوجيه والتربية على الفتوة والجهاد والمرابطة. وكان من نتائج هذه التربية ظهور مقدمين للزوايا لعبوا دورا بارزا في حركة الجهاد منهم أسعد بن النجا بركات قاض وفقهه وكان له اتصال واسع بالسلطين وزين الدين علي ابن ابراهيم ابن نجا وكان مستشارا لصلاح الدين الأيوبي ويسميه عمرو بن العاص ويعمل برأيه ويحضر مجلسه هو وأولاده وبعثه نور الدين محمود بن زنكي رسولا الى بغداد الى الخليفة العباسي سنة 564هـ.<sup>(2)</sup> وهو الذي مهد لدخول جيوش صلاح الدين الى مصر بالتنسيق مع شيخ الصوفية بداخل مصر عثمان بن مرزوق وبفضل جهودهما توحدت مصر والشام وتخلصت من المد الشيوعي الفاطمي سنة 569هـ-1173م

نظام فلكي يخالف النظام الذي وضعه بطلميوس . انتقده ابن رشد في كتابه النفس ، المقالة الخامسة بأنه جمع بين العقل بالملكة وبين المخيلة التي إذا أعدت إعدادا موثما أمكن لها أن تتلقى الصور المعقولة دون الحاجة الى افتراض عقل آخر . توفي سنة 581هـ في خلافة أبي يوسف يعقوب الملقب بالمنصور . له تأليف منها رسالة في النفس و رسالة حي بن يقظان الذي يولد في جزيرة منفردا وبالرياضة العقلية يعرف الله وبالرياضة الروحية يصل الى طريق الولاية ثم تعرف على عابد في جزيرة أخرى فعلمه شرائع السماء ثم خرج الى المدينة ليصلح حالها ففشل ثم عاد الى جزيرته ومات فيها وحيدا. وقد ترجمها الى العبرية في القرن الرابع عشر موسى النربوني ومن العبرية الى اللاتينية بيكو ديلا ميراندولا في القرن الخامس عشر. انظر ، عبد الحلیم محمود : فلسفة ابن طفيل وقصة حيي بن يقظان ، دار غريب للطباعة والتوزيع ، القاهرة ، 2000م ، ص : 13 وما بعدها. وكذلك جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة ، ط3 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، 2006م ، ص : 30.

<sup>(1)</sup> - مدني صالح : ابن طفيل قضايا ومواقف ، دار الرشيد للنشر ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، 1980م ، ص : 193.

<sup>(2)</sup> - زين الدين عبد الرحمان بن أحمد بن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ، تحقيق عبد الرحمان بن سليمان العثيمين ، ط1 ، الناشر مكتبة العبيكان ، الرياض ، 1425هـ - 2005م ، ج2 ، ص : 528 وما بعدها.

والزاوية الأم لهذه الطريقة - كما أشرنا سابقا - توجد في بغداد ولها فروع في الجزائر وعلى كل فرع من فروع الزاوية مقدّما . و أول من أسّس لها فرعا في الجزائر هو جد الأمير عبد القادر مصطفى بن المختار الغريسي .

### ب3- تعليم الزاوية الأول للأمير:

وفي هذا الحوضن القادري يبدأ الأمير تعلم المبادئ الأولى للقراءة والكتابة مع حفظ القرآن الكريم وسنفضل في ما تلقاه الأمير من تعليم في زاوية القيطنة الى مبحث التجربة الصوفية التي سنتعرض لها لاحقا على اعتبار أن العملية التعليمية للزاوية تنصف بميزتي التكامل والتواصل بين شعب المنهج التعليمي الثلاث : الشرعي والصوفي والسياسي .

وبعد فترة التعليم التي قضاها الأمير في رحاب الزاوية يشاء القدر أن ينشغل الأب المعلم عن الإبن المتعلم بسبب ثورة ضد باي وهران التركي سنة 1818م والتي كانت دعما لثورة الفلاحين في المغرب ضد استبداد نظام الحكم وقد شارك فيها الجزائريون ذوي الأصل الأندلسي في تلمسان بقيادة الحاج محمد وعبد الله بن حوّى . و قد وجد محي الدين الفرصة مواتية لتأليب قبائل الغرب الجزائري و المشاركة في هذه الثورة ولتأسيس جيش جزائري خالص لمجاهة المليشيات التركية التي نغصت عيش البوادي بالضرائب الجائرة . وأجدني مضطرا الى التذكير ملمحا ودون تفصيل الى بعض إشكاليات البحث والتي تتمثل في هذا السياق في حضور التصوف الجزائري - القادري ، والتهيجاني كما سنبينه لاحقا - في المعترك السياسي وأن التاريخ ذاكرة الشعوب وهو مستودع الباحثين والمفكرين المنصفين للرد على دعوى الانفصام النكد بين الزاوية والمعركة و الذي تسمى بعد ذلك في مباحث الفكر السياسي قديما وحديثا بمسميات أخرى براقعة من مثل فصل الدين عن الدولة وظلامية الفقه السلطاني والدولة الشمولية وأنه لا يوجد في تاريخنا الوطني ما يدل على هذا التكامل المعرفي والمنهجي بين الدين والسياسة !

وتمكن الباي من قمع الإنتفاضة وألقي القبض على محي الدين وسجن في دار العريش بوهران .وفي وسط هذه النوائب لم ينس الأب واجبه التعليمي تجاه ابنه عبد القادر فقرر أن يعهد به إلى صديقه قاضي أرزيو أحمد بن طاهر ليواصل تعليمه عنده .<sup>(1)</sup>

### ج-في مدرسة أرزيو:

ومن حسن حظ الشاب عبد القادر الذي كان يبلغ من العمر اثنا عشرة سنة أن يكون معلمه الثاني هو قاضي أرزيو الشيخ أحمد بن طاهر<sup>(2)</sup> الذي كان يشرف -بمحكم منصبه - على توثيق كل العقود التجارية التي تتم بمرفأ مدينة أرزيو ذي الأهمية المعتبرة في هذه المدينة الغنية جدا بالآثار القديمة و الصفقات الإقتصادية وخاصة صادرات الحبوب . فوجد القاضي نفسه على اتصال دائم بتجار ورجال أعمال كبار من أوروبا و غيرها فتعلم منهم الكثير سواء في مجال الأفكار و العلوم الحديثة أو في مجال الأعمال المختلفة . مما أكسب القاضي علما غزيرا ومعرفة واسعة بالتطور الحاصل في العالم الغربي .

ووجد القاضي عند الأمير عبد القادر استعدادا وذكاء متميزين وشمل التعليم حسب ما تذكر بعض المصادر : الأدب من كتاب نهج البلاغة للإمام علي و علم العروض على منظومات شعرية لشعراء مثل ابن رشيق<sup>(3)</sup> الحسن المسيلي .

(1)- قدور محمصاجي ، ص : 67-68 .

(2)-أحمد بن الطاهر الرزيوي :قاضي أرزيو، أصله من مدينة أرزيو تولى القضاء لدى الأتراك بوهران ، ودرس عليه الأمير عبد القادر في صدر شبابه عندما سجن والده في دار العريش بوهران ،لكن بعد أن تولى الأمير الإمارة قدمه للمحاكمة وأعدمه في مدينة معسكر، بعد أن ثبتت عمالته مع الفرنسيين أعداء البلاد حيث كان يمددهم بالماشية والعلف رغم تحذير الأمير له أكثر من مرة. أنظر يحي بوعزيز : أعلام الفكر و الثقافة قي الجزائر المحروسة ، مرجع سابق ، ج2 ، ص : 210 .

(3)- أبو الحسن بن رشيق : أحد أعلام اللغة و الأدب. ولد في المسيلة سنة 385هـ / 995-996م .ثم مال إلى الأدب وقال الشعر، فرحل إلى القيروان عاصمة الدولة الأغلبية سنة 406 هـ ومدح ملكها المعز لدين الله الفاطمي ، واشتهر فيها. وحدثت فتنة فانتقل إلى جزيرة صقلية وأقام بمازر [Mazzar] إحدى مدنها ، إلى أن توفي بها سنة 463هـ / 1071م . من كتبه : - العمدة في صناعة الشعر ونفده

و ابن هانئ<sup>(1)</sup> الذي عاش طويلا في نفس المدينة أيضا. وتعلم أيضا الرياضيات وخاصة الجبر و الفلك والقوانين الفيزيائية و القضاء و الفقه المالكي و فلسفة أفلاطون<sup>(2)</sup>

كما تعلم منطق أرسطو<sup>(3)</sup> ونقتبس من كتاب الأمير لصاحبه برونو فقرة فيها حوار علمي بين الأمير ومعلمه جاء فيها : (...ارتجفت يدا الحكيم الشيخ وهو يبسط المخطوطة أمام عبد القادر ويتابع كلامه : هذه قطعة من مؤلف المنطقيات لأرسطو، وقد ترجمها معلمونا الأجلاء عن الإغريقية ، وبدونهم ما كنت لتعلم كيفية بناء الكون ، أيها البدوي الجاهل ! انظر هنا ، هو ذا السماء و النجوم . كان عبد القادر يجب معلمه إلى حد لا يعرف فيه إزعاجه ، لكنه قال له بلهجة وقار مصطنع: "يا معلم ، هل تعبد الآن المخطوطات ؟" دفعت هذه الملاحظة ابن طاهر إلى الإبتسام قائلا : " إنك تتعلم سريعا ، يا بني ، إنك تتعلم سريعا ، لكن انتبه فالمعرفة يمكن أن تؤدي بك إلى التعاسة ." أجاب عبد القادر مباشرة : " لا يهم لأن نبينا -ص- أمرنا أن نطلب العلم ولو في الصين." فقال الشيخ : كم أنت فتني ! إليك تماما ما علمنا

---

= وبه اشتهر ، قال فيه ابن خلدون : إنه انفرد به في هذه الصناعة وأعطاهما حقها ولم يكتب فيه أحد قبله ولا بعده " انظر، المرجع نفسه ، ج1 ، ص : 28-29

(1)- ابن هانئ : ولد بإشبيلية أديب و شاعر ، هاجر بعد فتنه إلى المغرب ثم إلى المسيلة بالجزائر وكانت له بها حظوة ثم طلبه المعز أبي تميم العبيدي فأكرمه . كان معاصر للمنتبي . ذكر ابن خلكان روايات عديدة في سبب موته الذي كان في سنة 362هـ . له ديوان شعري كبير. انظر ابن خلكان ، مرجع سابق ، ج4 ، ص : 421 وما بعدها.

(2)- أفلاطون : ( 427 - 347 ق م ) ولد في أثينا في أسرة عريقة الحسب ، من أكبر فلاسفة اليونان وصاحب أحد أكبر مذهبين في الفلسفة و هو المذهب المثالي ، وهو الناقل الأساسي لفلسفة سقراط ، بعد موت معلمه سقراط اتجه إلى ميغاري حيث اتصل بإقليدس الرياضي الكبير ، ثم إلى مصر واصل بمدرستها الكهنوتية ، واطلع على علم الفلك ثم زار إيطاليا وصقلية . وبعد عودته إلى أثينا سنة 387 ق م أنشأ الأكاديمية التي ظل يدرس و يكتب فيها أربعين سنة . من أهم مؤلفاته : أوطيفرون ، غورغياس ، المأدبة ، الجمهورية . انظر عبد القادر تومي ، وجوه الفلسفة ، طبع دار هومة ، الجزائر ، 2009 م ، ص : 21. و جورج طرايشي ، ص : 71.

(3)- أرسطو : ( 384\_324 ق م ) فيلسوف ومعلم وعالم يوناني ، ترك أثرا كبيرا في الفكر الإنساني ، ولد في مدينة اسطاغيرا بمقدونية دخل في سنة 366 ق م إلى أكاديمية أستاذه أفلاطون بأثينا وقضى فيها عشرين سنة وبعد وفاة أستاذه انتقل إلى طراودة ثم جزيرة لسبوس. كلفه فيليبس المقدوني بتعليم ابنه الإسكندر الذي تولى العرش سنة 344 ق م ، رجع أرسطو إلى أثينا ثم تركها مضطرا إلى خلقيس حيث توفي بها. من مؤلفاته : ما بعد الطبيعة ، المقولات ، العبارة ، تاريخ الحيوان ، السماع الطبيعي . انظر عبد القادر تومي ، المرجع نفسه ، ص : 23. و جورج طرايشي ، ص : 52.



الإغريق : يوجد فرق ما بين العلم و المعرفة يا عبد القادر ، وستكون هذه وظيفتك القادمة ، إنما عليك من أجل إعدادها أن تقرأ ابن باجه و متوحده ، ثم ابن طفيل ، وستبين لي رأيك في قصة حيّ بن يقظان ربيب الغزال أو الفيلسوف بدون معلم ، وذلك من خلال قراءتك لأرسطو، سأسلمك هذه المخطوطة ، ستعيدها إلي ، لنقل غدا مساء . اذهب الآن لإقامة الصلاة .....<sup>(1)</sup>

كما قرأ العقائد والفلسفة في كتب حجة الإسلام أبي حامد الغزالي . وفي علمي التاريخ و الجغرافيا حيث اكتشف عبد القادر على يد معلمه أوطانا و ثقافات و شعوبا و حضارات . وفي تاريخ المسعودي و ابن خلدون أدرك الأمير كثيرا من المعارف و الفنون و الموسيقى و الميتافيزيقا و الدين و سائر العلوم وقوانين التطور و الضعف في الدول و الحضارات .

ولم يقتصر التعليم على الجانب النظري و الفكري بل تعداه إلى التربية البدنية في شكل تدريبات عسكرية في الفروسية واستعمال أسلحة الصيد والقتال .<sup>(2)</sup>

وبعد خروج محي الدين من سجن العريش وبسبب تقدم سن المعلم أحمد بن طاهر ، أشار هذا الأخير على والد الأمير بأن يستكمل الإبن تعليمه في مدرسة وهران عند قريب له يدعى عثمان خوجة. إلا أن محي الدين آثر أن يمر ابنه بفترة انتقالية في زاوية القيطنة.

ويعود الأمير الى تعليم الزاوية مرة أخرى حيث تكون له جولة أخرى يتعمق فيها في علوم الشريعة والتصوف والسياسة . ولكننا سنفصل فيها - كما سبق ذكره - لاحقا لضرورات منهجية .

ومن حقنا أن نتساءل : لماذا حرص محي الدين على توفير تربص علمي ثاني لابنه عبد القادر بزاوية أجداده قبل أن يلتحق بمدرسة التعليم العالي بوهران ؟

---

(1)- برونو إتيين: عبد القادر الجزائري ، ترجمة ميشيل خوري ، ط1 ، دار عطية للنشر ، بيروت ، لبنان ، 1997م ، ص : 65.

(2)- قدور محمصاجي ، مرجع سابق ، ص : 73.

لعل في ما سنتناوله في تجربة الأمير الصوفية في رحاب هذه الزاوية - في مبحث لاحق - ما يكشف لنا الجواب على هذا التساؤل.

#### هـ - المدرسة العمومية بوهران :

ولما أصبح للأمير أربعة عشر سنة ، وقد تأكد والده محي الدين من رسوخ علم الزاوية في قلب ابنه أرسله إلى مدرسة وهران أخذاً بنصيحة صديقه معلم مدرسة أرزيو.

وتتميز مدرسة وهران التي كان يشرف عليها حمدان خوجة<sup>(1)</sup> بالتعليم العصري وتتبع منهجا تعليميا كان سائدا في فرنسا يومها وهو الذي يسمى بالمنهج التبادلي في التدريس (méthode mutuelle) وقوام هذا المنهج أن يقوم الأستاذ بإلقاء المادة العلمية على طلبته على السبورة في مختلف المواد ثم يأتي دور المعيد من بعده ليتأكد من أن الطلبة قد استوعبوا المادة العلمية وأنهم يتحسنون في كل العلوم الملقاة عليهم وهي كما تذكر بعض المصادر: القرآن ، الحديث ، اللغة ، الحساب ، الجغرافيا ،<sup>(2)</sup> كما قرأ الأمير كتب الفلاسفة وأخذ النحو وعلم البيان و المنطق عن بعض علماء وهران ، كالسيد مصطفى بن الهاشمي، و الشيخ محمد بن نقرید.<sup>(3)</sup> وبصفة عامة فإن ما تلقاه الأمير من علوم في هذه المدرسة كان تحسينا و تعميقا لما تلقاه في مدرسة أرزيو.

ولعل ما استجد للأمير في مدرسة وهران -خاصة- هو نوعية المتعلمين حيث كان التعليم مقتصرًا على أبناء المسؤولين الأتراك الكبار وأبناء العائلات الجزائرية الثرية. وقد اكتشف الأمير كثيرا من أسرار

---

(1) - حمدان بن خوجة : هو في الأصل من مدينة مستغانم ، رحل الى وهران و أقام بها مدرسة على النمط العصري استقطبت أبناء الأعيان وقد درس فيها الأمير عبد القادر . ألف كتاب تحت عنوان " در الأعيان في مدينة وهران .انظر يحي بوعزيز : أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، مرجع سابق ، ج2، ص : 201.

(2) - قدور محمصاجي ، ص : 77.

(3) - آسيا تميم :الشخصيات الجزائرية 100 شخصية ، د ط ، دار المسك ، الجزائر، 2008م ، ص: 15 .

مدينة وهران الإجتماعية والسياسية من ذلك طبائع غير حسنة عند هذه الطبقات الراقية التركية والجزائرية الموالية لها .

ولقد كتب بول آزان يصف مشاعر عبد القادر في هذه الفترة الحساسة من حياته فقال " إن المشهد الذي كان عبد القادر يراه بأم عينه في وهران صدم شعوره . فجنود الباي كانوا يغالون في التجاوزات ، وسكان المدينة من الحضر كانوا يجهلون مبادئ القرآن ، وكان المسيطرون الأتراك يعاملون العرب باحتقار . وكان الفارق مهولا بين المدينة الكبيرة الملحدة المستخفة (...) وقطنة واد الحمام حيث أعتاد على نقاوة الأخلاق ، و على حياة تتسم بالبساطة و الورع . وهذا ما يفسر سبب الكراهية المقيتة التي أكنها للأتراك منذ ذلك الوقت. هؤلاء الأتراك الذين يعتبرهم كأعداء الله ، ومضطهدي بني عرقه في الوقت نفسه " (1)

#### و- الرجوع إلى زاوية القيطنة وتعميق التربية الوطنية والسياسية :

ومّا استفاده الأمير عبد القادر - ابن الخمسة عشر عاما - من وهران كما أشرنا سابقا هو شعوره بكثرة المظالم التي تمارسها السلطة العثمانية وأعوانها على الطبقات الشعبية المحرومة. ولما عاد إلى القيطنة ، استفاد مع روادها منهج تربوي تمثل في تكوين تاريخي وسياسي عمق له شعوره بالإنتماء لوطنه الجزائر المتميز والمستقل عن النفوذ الأجنبي المتمثل في الإنكشارية المنحرفة والمتمردة عن الباب العالي من جهة و التحرشات الأروبية الإسبانية - في عهد أجداده خاصة- و الفرنسية والإنجليزية وستعرض الى مزيد من التفصيل في التربية السياسية والوطنية للأمير في رحاب هذه الزاوية عند حديثنا - لاحقا - في مبحث الزاوية القادرية في الجزائر ونشاطها التعليمي والسياسي والإجتماعي على اعتبار أن الأمير يومها يعد أحد رواد هذه الزاوية تحت مشيخة أبيه .

---

(1) - Paul azane, L'émir Abdelkader (1808-1883). Du fanatisme musulman au patriotisme francais. Hachette, Paris , 1925 pp.199-200 . ص : 81.

ثم يتجه الأمير مع أبيه في رحلة طويلة لأداء فريضة الحج التي اعتبرتها كباحث من خلال التحليل والتفكيك للدلالات أحداثها التاريخية مكونا أساسيا للملمح الصوفي والسياسي للأمير.

### ز- خروج الأمير إلى الحج مع أبيه - الزاد الشرعي و الصوفي و السياسي - :

ويتجه الأمير بعد ذلك مع أبيه في رحلة طويلة<sup>(1)</sup> إلى الحج. ولقد كانت هذه الرحلة بكل ما وقع فيها- رافدا كبيرا للتكوين الصوفي والسياسي للأمير و من أهم محطات هذه الرحلة محنة السجن في وهران ثم الخروج من وهران إلى الحج و ضيافة علماء تونس لهما. و الزيارات الصوفية بالإسكندرية لني الله دانيال ، والعباس المرسي ، وابن عطاء الله السكندري والإمام البوصيري شاعر المدائح النبوية. وفي القاهرة أين رأى الأمير الشاب الحاكم العثماني لمصر : محمد علي باشا . وكذلك الزيارات الروحية والعلمية لجامع الأزهر ولقبري الحسين والشافعي مؤسس علم الأصول . ثم ما كان في رحاب جدة ومكة والمدينة ثم في الزاوية النقشبندية بدمشق و تجديد العهد الصوفي بالزاوية الأم ببغداد .

وللضرورة المنهجية سنفصل في أحداث هذه الرحلة بما يخدم إشكالية البحث الأساسية ( الأمير وتكوينه الصوفي والسياسي ) في مبحث التجربة الصوفية من الفصل الثاني .

ولقد كانت الأفراح في سهل غريس كبيرة بعودتهما سالمين إلى أرض الوطن . وهي أفراح تحمل في طياتها الرمز الصوفي والسياسي في آن واحد ، حيث امتلأت ساحة الزاوية وما جاورها بالوفود المهتمة وذبح في حفلة أولى خمسة عشرة بقرة و ثمانون شاة على شرف عبد القادر الجيلالي . وفي كل يوم ضيوف من كل الجهات و من كل الطبقات وكان كرم الشيخ محي الدين لا حدود له من خلال الولائم المتواصلة . وممرت

(1)- لقد كانت ثلاث حجرات على ما ذكر صاحب تحفة الزائر أما يحي بوعزيز يذكر أن رحلته المحجازية استغرقت عامين حج فيهما مرتين ، انظر، الأمير محمد ، ج2 ، ص : 303. ويحي بوعزيز : موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و العرب ، مرجع سابق ، ص : 472.

الأسابيع ومنطقة وادي الحمام في حركة ذهاب و إياب من طرف المهنيين وظل الحال هكذا حتى قام كل عرب إقليم وهران وقبائل الصحراء بأداء التحية وتقديم التهاني إلى شيخ الزاوية<sup>(1)</sup> محي الدين الذي آثر وبعد رجوعه من الحج بصحبة ابنه عبد القادر أن يدخل في عزلة روحية في منزله عاكفا على بث علوم الشريعة و الأوراد القادرية في زاويته وسط مردييه وألّف كتابا كاملا في التصوف سماه إرشاد المريدين<sup>(2)</sup>.

ولا يخفى على باحث ودارس أن هذه الوفود المهتمة والتي ستكون في المستقبل القريب القاعدة العريضة والصلبة لجيش الأمير تسمى في قاموس بعض المنظرين في الفلسفة السياسية ب " الأغليات الغافلة " التي تستغلها الأنظمة الشمولية لتحقيق مكاسبها السياسية والتي وجدت في أتباعها استعدادا للتخلي عن الحقائق والهروب الى الخيال كما حدث في تاخ الحزبين النازي والبلشفي. ويبرر أصحاب هذا الإتجاه أن سبب هذه الغفلة - الجماهيرية - في الأنظمة الشمولية راجعة الى تعييب الحرية الفردية التي تعجز صاحبها عن قول الرأي المخالف بسبب الإكراه أو " الخضوع لضرورة كسب خبزه اليومي "<sup>(3)</sup> ولكن زاوية القيطنة كما تثبت الدراسات التاريخية هي بناء تنظيمي وسياسي يخضع جميع أفرادها لنظام صارم في العلاقات بين الجند والقائد يرتكز أساسا على ركني الطاعة الواعية و الشورى للذان يتجليان -مثلا- في نموذج الجندية الذي وضعه الأمير في كتابه وشائع الكاتب الذي سنتناوله في مبحث الممارسات السياسية للأمير.

وينتهي حديثنا عن تربية الأمير وتعليمه في هذا المبحث الأول من الفصل الأول. لكي نشرع في المبحث الثاني الذي نحاول فيه إبراز الملمح الصوفي في جهاد الأمير عبد القادر. الذي هو ثمرة من ثمار المنهج التعليمي في زاوية القيطنة .

---

(1)- شارل هنري تشرشل ، ص: 71.

(2) - الأمير محمد ، ص : 304 .

(3) - حنة أرندت : ما السياسة ، تحقيق وترجمة ، زهير الخويلدي و سلمى بالحاج مبروك ، ط 1 ، دار الأمان ، الرباط و منشورات الإختلاف الجزائر و منشورات ضفاف ، بيروت 1435هـ - 2014م ، ص : 26 و 36 .

## المبحث الثاني: البعد الصوفي في سيرة الأمير عبد القادر الحربية :

تمهيد :

لقد صقلت روح الأمير عبد القادر بما تربى عليه في صباه في زاوية أبيه وأجداده حيث كان المشرب الصوفي القادري الجهادي هو أساس المنهج التعليمي والتربوي . وستتناول في هذا المبحث ما يبين هذه الحقيقة من خلال أربعة مطالب ذكرت في الأول منها شهادات وأقوال تثبت البعد الصوفي في جهاد الأمير. وخصصت المطلب الثاني لبيان إرهاصات تأسيس جهاد الزاوية القادرية بالجزائر وفي المطلب الثالث بينت بعضا من معارك الأمير الأولى تحت إمرة أبيه " شيخ الزاوية " ....وفصلت في مطلب رابع كيف يتعاقب السياسي والصوفي في ظروف مبايعة الأمير عبد القادر حاكما للبلاد و أميرا على الجهاد وختمت هذا المبحث بمطلب خامس رصدت فيه محطات ثلاث من سيرة الأمير الحربية أدلل بها على المراد.

### المطلب الأول :الحقيقة الصوفية في جهاد الأمير عبد القادر :

.وسنرى هذه الحقيقة - الصوفية - واضحة في مسيرة الأمير الجهادية و السياسية من خلال بعض المواقف و الشهادات لشخصيات نافذة عاصرت الأمير عبد القادر عن قرب.

1-المارشال بيجو : إنه -الأمير- رجل حرب ودين .

لقد أرسل المارشال بيجو<sup>(1)</sup> يوما إلى وزير الحرب الفرنسي تقريرا يصف فيه الأمير عبد القادر جاء فيه : " عبد القادر رجل عبقرى ، ولا شك أنه أحد شخصيات التاريخ العظيمة في عصرنا ، وهو عدو نشط

---

(1) - توماس روجير بوجو دولا بيكونري(thomas Bugeaud de la piconnerie ) جنرال ثم مارشال فرنسي ولد في ليموج عام 1748م ومات في باريس 1849م ، موطن الإستعمار الفرنسي في الجزائر عندما أرسل إليها في عام 1836 م ، وحارب الأمير بلا هوادة في الثلاثينيات الميلادية في إقليم وهران ووقع معه معاهدة التافنة ، ثم أصبح من دعاة القضاء عليه واتباع سياسة الأرض المحروقة في الجزائر عُيّن في عام 1840 م حاكما عاما للجزائر . وله كتابان :حرب إفريقيا 1839م ، تأملات و ذكريات عسكرية 1845م .استقال و عاد

وفعال ، ذكي وسريع في تحركاته . له هيبه على شعبه اكتسبها بعبقريته و سمو قضيته التي يدافع عنها . إنه أكثر بكثير من مجرد طالب لحقوق ، بل هو شبيه بمنزلة نبي . إنه أمل كل المسلمين الذين يملكون حرارة الإيمان . إنه شاب ماهر وصادق و نشيط ، مثابر إنه رجل حرب و دين . بفضل عبقرته وعشر سنوات من قيادته لشعبه أكسبها مكانة محترمة وسلطة مطاعة . حماسه وإخلاص أتباعه وصلت إلى حد التعصب . قوته المادية قليلة الاعتبار وإن كان يمكنه الاعتماد عليها منها ألف فارس نظامي وبهم يملك سرعة فائقة على الحركة والتنقل من مكان إلى آخر لم نكد نفهم بعد سر نجاحه فيه . ولكن قوته الحقيقية تتمثل في أكبر مظهرها في القبائل المؤيدة له .<sup>(1)</sup>

ومما نلاحظه في قول بيجو ، هذا الخبير الحربي المتمرس هو جمعه في وصفه للأمير بين الصفات السياسية الحربية والخصال الأخلاقية الصوفية فمن الأولى ذكر العبقرية و العظمة و النشاط و الفاعلية وسرعة الحركة في المعارك ورجل و ماهر ورجل حرب والسلطة المطاعة ومن الثانية الصدق والتدين و التشبه بالأنبياء وكونه أمل للمسلمين .

## 2- القائد سانت إيپوليت: الروح والخلق والمهمة المقدسة عند الأمير:

ويصفه "le capitaine saint hypolite" فيقول : " إن الأمير رجل متميز ، بلغ حالة من الروح و الخلق لم تعرفها أروبا المتحضرة . إنه كائن معزول عن ماديات هذا العالم . يعتقد أنه ملهم من طرف ربه بمهمة مقدسة تتمثل في حماية المسلمين . طموحه غير محصور في طموحاته الشخصية ، ولا يسعى

---

= إلى فرنسا ، ودارت بينه وبين الأمير عبد القادر مراسلات عندما كان هذا الأخير أسيرا في فرنسا . أبو القاسم سعد الله : بحوث في التاريخ العربي و الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 1424 هـ - 2003 م ، ص : 323-324 .

(1) - عمار بلخوجة: القيم المعنوية و الروحية للأمير عبد القادر ، مجلة جامعة الجزائر - مؤسسة الأمير عبد القادر ، الملتقى الدولي حول " الأمير عبد القادر و القيم الإنسانية ، مرجع سابق ، ص : 40 .

لتحقيق أغراض خاصة . لا يعرف حب المال و الثروة . وهو متعلق بالماديات إلا بالقدر الذي يجعله يحقق إرادة ربه الأقوى الذي يعتبر حياته سبيلا لتحقيق ذلك. " (1)

### 3- البابا بوجولا (2) – Baptism Poujoulat – والشحنة الصوفية للأمير:

يتحدث هذا الرجل البابوي الفرنسي عن الأمير سنة 1847م ويبين ، متعجبا ، من قوة الطاقة الروحية التي يتحلى بها الأمير والتي كانت السر الأكبر في تقلده إمارة الجهاد وقيادة شعبه طيلة خمسة عشرة سنة ، وهذا نص شهادته : " يجب علينا أن نسائل أنفسنا : كيف أن حياة شعب برمته تركزت ، منذ خمسة عشرة سنة ، في شخص واحد ؟ إن هذا الرجل لا محالة كان التعبير الأسمى و الأشد حيوية عن شعبه ، كان التجسيد الحي لمشاعره الدينية . إن عبد القادر المهزوم أبدا بأسلحتنا ، و الواقف أبدا ، كان قويا قوة المعتقد و غامضا غموض القدر . لأن كل إحساس يتخذ الإله وسيلة وغاية ، يسري في طاقته شيء ما لا يفنى " (3)

ونستطيع أن نلاحظ الوصف الصوفي للأمير في شهادة هذا القديس الذي انتظم في سلك الجيش الفرنسي حيث يصفه بالتميز والسمو الروحي الذي لا تعرفه أوروبا وكذلك الزهد في ماديات الحياة والبعد عن حب الذات وله هدف صوفي مقدس ووحيد يتمثل في الدفاع عن الإسلام ولتحقيق هذه الغاية سخر كل حياته

(1) - المرجع نفسه ، ص : 45.

(2) - رجل دين فرنسي متطرف ، شارك في الحملة الفرنسية بسوريا ، الف كتاب : " Lettres de Syrie " سنة 1960م وجه فيه نقدا لاذعا للكولونيل الإنجليزي شارل هنري شرشل يتهمه بكونه أحد المتسببين في الاضطرابات التي وقعت بين المسيحيين المارونيين و المسلمين الدرروز. انظر : قدور محمصاجي ، ص : 30 في الهامش.

(3) - M. Poujoulat , Voyages en Algérie . Parallèle de Jugurtha et d'Abdelkader , études Africaines , t.II.Ch . XIV , Paris , 1847. نقلا عن المرجع نفسه ، ص : 30.



#### 4- الأمير - وهو في أعز أيام إمارته - يعرض نفسه جنديا على سلطان المغرب :

ومما يؤكد على هذا الترفي الصوفي و الأخلاقي في جهاد الأمير عبد القادر بعض ما كتبه من نص رسالة وجهها إلى سلطان المغرب عبد الرحمان وذلك بعد إبرامه لمعاهدة تافنة<sup>(1)</sup> مع الجنرال بيجو في 31 ماي 1837 م ، قال الأمير " إنَّ شعب الجزائر متحد الآن ، وإن علم الجهاد قد طوي ، فالطرق آمنة وعامرة ، والعادات السيئة قد قضى عليها ، وتستطيع المرأة أن تعبر البلاد وحدها ليلا و نهارا ، من الشرق إلى الغرب ، دون خوف على نفسها (...). إنني لم أتقدم لتولي مسؤولية الحكومة بدافع الطموح ، او الرغبة في السلطة و الجاه ، أو حبا في ثروات الحياة الدنيا . ولكن - والله وحده يعلم أسرار القلوب - لأحارب في سبيل الله ، ولأحقن الدماء بين المسلمين ، ولأحمي أملاكهم ولأمهدهم البلاد كما تقتضي ذلك الغيرة على الدين و الوطن . ومنذ تحملنا المسؤولية و نحن بالمرصاد ليلا ونهارا ، متنقلين في طول البلاد وعرضها ، في السهل و الجبل ، مرة نقود المعارك ، وأخرى ننظم شؤون الدولة....."<sup>(2)</sup> ونستنج من قول الأمير في هذا الجزء من الرسالة صفات أخلاقية عالية وعديدة مثل حبه للسلم والأمان والجهد العظيم الذي بذله في تربية شعبه واعتبار الوحي - الكتاب و السنة - هما المرجع للتشريع في دولته التي تولى تنظيم شؤونها .

ثمَّ ها هو الأمير يعطي لنا نموذجا هو سابقة في تاريخ القادة و الأمراء حينما يقبل أن يتحول من قائد عظيم في الجزائر إلى جندي تابع لسلطان المغرب ، حيث يتابع الأمير في رسالته قائلا : " .....ونحن الآن نرجو من سموكم أن ترسلوا أحد أبنائكم أو أحفادكم أو خدامكم ليتولى سلطان الحكم ، لأن البلاد الآن موطدة وليس هناك معارضة من أية جهة . وسأكون أول من يعمل تحت -قيادة - من ترسلونه ، وأن أسخر كل امكانياتي الضعيفة إلى أقصى حد لذلك ، وأن أساعده بالرأي و النصيحة"<sup>(3)</sup> وهنا تتجلى لنا

(1) - تافنا أو تافنة: اسم لنهر بإقليم وهران ينبع من جبال بني سوس ويصب في البحر الأبيض المتوسط . على بعد حوالي خمسين كيلومتر أطلق اسمه على المعاهدة ما بين الأمير عبد القادر والجنرال بيجو ودامت سنتين ( 1837- 1839 ) فقد نصها العربي فترجم الفرنسيون النص الفرنسي واعتبروه النص العربي .انظر : هنري تشرشل ، ص : 302.

(2) - بسام العسلي : الأمير عبد القادر الجزائري ، ط 3 ، دار النفائس ، 1986 م ، ص : 125.

(3) - المرجع نفسه ، ص : 126.

صفة التجرد عند الأمير من مغريات الدنيا و فتنة المنصب و السلطة و ما يصحبها من شهوات نفسية مثل الجاه و حب النفس و الاستعلاء و بدل المال في غير وجهه الشرعي و صرفه على ما يدعم الحكم بتكثير الأنصار و شراء الذمم. و كم عرفت الدنيا في القديم والحديث المآسي بسبب انفصام السياسة عن التصوف وهذا هو المعنى الذي أشار إليه حديث رسول الله ص - في قوله : " إذا ضيقت الأمانة فانتظر الساعة ، قيل كيف إضاعتها يا رسول الله قال إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة."<sup>(1)</sup>

5- شهادة سلطان المغرب ورده على تنازل الأمير :

ولكن سلطان المغرب عبد الرحمان رفض عرض الأمير وأكد عليه البقاء في الجزائر قائدا وشهد له بالبلاء الحسن وطلب وناشده باسم الإسلام أن يستمر في جهاده وترجاه أن يرسل إليه قميصه ليتبرك به في مسجده<sup>(2)</sup>. وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على المنزلة الروحية التي كان يحظى بها الأمير عند أمراء عصره. وأجدي هنا مرغما لكي أقول أن تنازل الأمير عن كرسي الإمارة يعتبر في تاريخ الميكيا فيلية السياسية نوع من الغفلة و السداجة ، وهو من النوادر في تاريخ الصراع الدموي والمفزع الذي يسببه التكالب على مقاليد السلطة بين أفراد الأسرة الواحدة فما بالك إذا كان بين دويلات أو إمارات متصارعة. وقد لا يكون مبالغا من قال من الباحثين : " ومن هنا يأتي اهتمامنا بشخصية الأمير عبد القادر على وجه الخصوص، لأنه عبقرية اجتمعت فيه الكثير من الخصال المفتقدة في عصرنا الراهن، فقد اجتمع فيه وتوحد الظاهر والباطن والفكر والتطبيق والمعتقد الحق والسلوك القويم."<sup>(3)</sup> وإن ابتعاد السياسة عن روح التصوف هو الذي كان وراء فشل جميع محاولات تحقيق كل معاني الوحدة والإخاء بل وأقل من ذلك وهو كف الأذى بكل صورته عن الآخر سواء كان هذا الآخر فردا أو هيئة أو حزبا أو دولة .

---

(1)- ابن حجر العسقلاني : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز و محمد فؤاد عبد الباقي و محب الدين

الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د ت ، باب رفع الأمانة ، كتاب الرقاق ، رقم 6496، ص : 333 ، ج 11

(2)- بسام العسلي ، ص : 126.

(3)- بركات محمد مراد : الأمير عبد القادر الجزائري ، دار النشر الإلكتروني ، الجزائر ، 1990م ، ص : 6 .

وننتقل الآن لتفكيك وكشف الأسباب التي ساهمت في تبوأ زاوية القيطننة الصوفية لشعيرة الجهاد الذي هو صورة من صور الممارسة السياسية لكونه يتعلق بتاريخ ومستقبل الأمة الجزائرية .

### المطلب الثاني: إرهابات في طريق تأسيس جهاد الزاوية القادرية بالجزائر :

و سأتناول في هذا المطلب المبررات الشرعية (الصوفية) والواقعية التي أدت الى ظهور مؤسسة الجهاد تحت راية التصوف القادري في الجزائر. ولماذا التفت الأمة الجزائرية حول هذه المؤسسة وسأوظف المنهج التحليلي للوقوف على المقاربة بين السياسي والصوفي وذلك بغرض معالجة الإشكالية الرئيسية للبحث والتي تتقاطع فيها الزاوية مع المعركة أو السبحة مع السيف كما سنبينه لاحقاً.

#### 1-المبررات الشرعية والواقعية لاندلاع الجهاد في الجزائر- تحليل نص رسالة أميرية-

بعد عودة الأمير عبد القادر بمعية أبيه من الحج ( سنة 1828 م ) ، كانت أحوال الجزائر تزداد من سيء إلى أسوأ حتى انتهت بوقوعها أسيرة في يد الإحتلال الفرنسي . ويصف الأمير عبد القادر بعض مظاهر الفساد الإجتماعي و السياسي للأتراك في هذه المرحلة الذي تسبب فيها الحكم العسكري الإنكشاري<sup>(1)</sup>، لما تمرد عن مركز الخلافة ، واستبد بالحكم . يقول الأمير عبد القادر في رسالة بعث بها إلى الصدر الأعظم عبد المجيد خان<sup>(2)</sup> ممثل الخلافة الإسلامية " إن الينيشارية كانوا بالجزائر، ولما خرجوا عن

(1)- الانكشاري: نسبة لكلمة الإنكشارية ومعناها عند الأتراك يتكون من كلمتين "يني" ومعناها الجديد و " جيري " ومعناها النظام أي النظام الجديد . وهو النظام الذي أطلق على نظام الجند الجديد الذي أحدثه السلطان أورخان ثاني سلاطين آل عثمان 1326م -1362م . وكانوا أعز فرق الجيش وأكثرها نفوذا . انظر عبد العزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية دولة مفتري عليها ، مكتبة الإنجلو المصرية ، القاهرة ، 1980م ج1 ، ص : 472.

(2)- السلطان عبد المجيد خان : ولد سنة 1239 هـ - 1823م وهو سلطان عثماني إصلاحى حكم الدولة العثمانية من سنة 1255هـ - 1839م حتى 1278هـ - 1861م. أول من تكلم الفرنسية من سلاطين آل عثمان ، تابع برنامج والده محمود الثاني، وساعده على ذلك وزراؤه أمثال مصطفى رشيد باشا ومحمد أمين علي باشا .وهو من أصدر خطي شريف كولهانة سنة 1255هـ -1839م وخطي شريف هامبوني 1273هـ -1856م والتنظيمات التي أعلنت المساواة بين كل من المسيحيين والمسلمين. من إنجازاته ترميم كنيسة آيا صوفيا

طاعة أمير المؤمنين ، والدك المرحوم . عاقبهم الله بسوء فعلهم ، فسلط عليهم من لا يرحمهم ، العدو الكافر الغشوم ، فبيد شملهم و اجثت آمالهم (...). وسمت به - أي العدو الفرنسي - همته أخزاه الله إلى ملك جميع الإيالة واسترقاق المسلمين تارة بالمكائد والحيل ، وتارة بالقهر والإستيطان. وحال الكافر و البحر بين المسلمين و سلطانهم - الباب العالي في اسطنبول - مع شدة حاجتهم إلى من يقوم بهم ويدافع عن حريتهم و أولادهم و أوطانهم ، فعند ذلك استغاث الناس بالسلطان الشريف - يقصد سلطان المغرب - فلمّا رأى والدي عموم المصيبة في الدين و اشتغال المسلمين فيما بينهم عن قتل الكفار المعتدين ، بذل جهده في إصلاح ذات البين وشنّ الغارات على الكفار (...). فأشار إلىّ لما سبق لي من الشقاوة في أم الكتاب هناك فامتثلت أمره فلمّا رأى الكافر ذاك زاد في قوته وشؤونه ، واحتاج الناس إذ ذاك إلى من يضبط جهادهم... فاجتمع أعيان الوطن . وطلبوا ذلك من الوالد . فنفر منهم نفور الفقير الشارد مع ما كان فيه من الرحمة على المسلمين و الإشفاق ، لأنه كان أروع أهل الوقت ، فطلبوا منه تعيين بعض أولاده، وإن كان أمرا إذا لم أعص له مدة عمري أمرا ، وثمرت عن ساعد الجد و الإجتهد ، وبذلت للمسلمين نصحي في جمع الكلمة ، وإنف للدفع عن المسلمين وقمع الكفار العتاة . فدفع الله عن الإسلام بذلك من الشرّ بعضه وشيد من أركان الدين ما كان الكفار يحاول نقضه. " (1) فمن خلال هذا الجزء من الرسالة التي بعثها الأمير إلى الخليفة العثماني نستطيع أن نقف على جملة من الحقائق و التصورات نذكرها في ما يلي :

#### أ-فساد الحكم العثماني في الجزائر :

و هو من أكبر الأسباب الممهدة للإحتلال الفرنسي . ولقد أدرك الأمير عبد القادر ذلك بأمر عينيه وهو مازال تلميذا في مدرسة وهران كما مر معنا في صفحات هذا البحث. وهذا وارد في نص الرسالة

= وإقامة المدرسة العثمانية في باريس ، أوجد أول مسرح فرنسي في استانبول . انظر، عبد الوهاب الكيالي : موسوعة السياسة ، دار الهدى و النشر ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، د ت ، ج 3 ، ص : 853 و ما بعدها .  
(1)- هنري شرشل ، ص : 309.

الأميرية : " إن الينيشارية كانوا بالجزائر، ولما خرجوا عن طاعة أمير المؤمنين ، والدك المرحوم . عاقبهم الله بسوء فعلهم ، فسلط عليهم من لا يرحمهم ، العدو الكافر الغشوم ، فبيد شملهم و اجثت آماهم..."

ب- البيعة في الإسلام لا تكون إلا لخليفة واحد :

قال ص- " ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر " <sup>(1)</sup> وقوله أيضا : " إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما " <sup>(2)</sup> وهذا الفقه السياسي العام كان موجودا في زاوية القيطنة القادرية ، وقد بين الأمير العائق في عدم طلب النصرة من خليفة دولة آل عثمان وهو بطش العدو الفرنسي الذي استولى على شمال الجزائر وكذلك بعد المسافة البحرية . وهذا مأخوذ من قول الأمير " وحال الكافر و البحر بين المسلمين و سلطانهم " كما في هذه العبارة اعتراف من الأمة الجزائرية بالخلافة العثمانية التي استسلم ممثلها وهو باي وهران - حسن - لسلطة الإحتلال <sup>(3)</sup> ، فأصبح الغرب الجزائري دون زعيم يحكمه .

### ج- مقدم زاوية القيطنة محي الدين و دوره السياسي في الدفاع عن الجزائر :

لقد بين الأمير أنه لما تعذر الأمر في الإستنجاد بالسلطان العثماني توجه أعيان الناس إلى الشريف سلطان المغرب . وهذا مستفاد من قول الأمير " مع شدة حاجتهم إلى من يقوم بهم ويدافع عن حريتهم و أولادهم و أوطانهم ، فعند ذلك استغاث الناس بالسلطان الشريف - يقصد سلطان المغرب - ويقوم والد الأمير عبد القادر ، المتصوف القادري بدور سياسي بارز يشير إليه شارل هنري في كتابه رواية عن عبد القادر عن أبيه محي الدين الذي يقول مخاطبا أعيان الأمة الجزائرية :

(1) - مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، تحقيق محمد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، كتاب الإمارة ، باب الأمر ببيعة الخلفاء الاول فالأول ، رقم 1844 ، ج 3 ، ص : 1472 .

(2) - المرجع نفسه ، كتاب الإمارة ، باب اذا بويع لخليفتين ، رقم 1853 ، ج 3 ، ص : 1480 .

(3) - في 4 جانفي 1831م ، دخل الجنيرال دامريمون - Damrémont - ميناء وهران . وفي الحال استسلم الباي و سمح له بالإبحار إلى الإسكندرية . انظر شارل هنري ، ص : 50 .

"منذ عدة شهور وأنا أحاول ، كما تعلمون جميعا ، أن أحافظ على الأقل على درجة ما من النظام وسط الفوضى العامة التي تسود الآن ، ولكن جهودي القصوى لم تقدر سوى على إنقاذ عدد قليل من الضعفاء و المشردين من أيدي أناس قساة غلاظ . إن طغيان الأتراك قد كبح وأوهن طاقتنا (...). فأواصر المجتمع تنحل وكل فرد قد رفع يده في وجه جاره ، وشعبنا الذي أرخى العنان لغرائزه الرذيلة ، قد أصبح يستهتر يوميا بقوانين الله و الإنسان . وفي نفس الوقت فإن النكبات التي تهددنا من الخارج لا تقل خطرا عن ذلك الذي ينهشنا من الداخل . فهل سنستنجد بالفرنسيين ؟ إن ذلك غير ممكن وإن الإستسلام إليهم كذلك ، فما بالك بالإستنجاد بهم ! إن ذلك يعتبر خيانة لواجبنا نحو إلهنا ووطننا وعقيدتنا ."<sup>(1)</sup>

" ولكن الفرنسيين أمة محاربة ، قوية العدد ، واضحة الغنى ، تشتعل حبا في الإحتلال . وماذا لدينا نحن من قوة نصدهم بها ؟ إن القبائل على خلاف مع بعضها ، وزعماء البلاد شروهون يتآمرون ضد بعضهم ولا يصارعون إلا من أجل الثروة الشخصية . أما الدهماء التي رمت عنها كل قناع فبعضها قد أغنى نفسه بالنهب ، وبعضها لا يكاد يجد قوت يومه . فالطرفان غير متعادلين . وامام هذه الحالة فحتى نجاح المعركة مع الكفار يعتبر حماقة ، أما محاولة المعركة نفسها فهو جنون ."

" لا . إن الملك الفرنسي ، قوي كما هو ، لا يمكن أن يواجهه بفعالية إلا ملك مثله على رأس دولة محكمة النظام ، يملك خزانة ضخمة مليئة ، ويقود جيشا تام الانضباط . وليس هناك حاجة إلى أن نذهب بعيدا للبحث عن هذا الملك . إن سلطان المغرب قد عبر عن عاطفته نحونا . ويجب أن يعرف أن الخطر الذي يهددنا نحن اليوم قد يهدده هو غدا . إن حضوره اليوم سيدعم حالا الخير ويصرف الشر . وبفضل ذلك سيقوى النظام وإذا حاربنا تحت لوائه فسنقدم نحو انتصار مؤكد لأن لواءه هو لواء الله ورسوله ."<sup>(2)</sup>

---

<sup>(1)</sup> - شارل هنري ، ص : 51 .

<sup>(2)</sup> - المرجع نفسه ، ص : 53 .

ولا يجدر بنا مرة أخرى أن ينسبنا السياق فنغفل عن ما في هذا الخطاب الذي توجه به محي الدين إلى أعيان المنطقة من تصوف يتمثل في عقيدة الولاء لله و للإسلام وكذلك الإحاطة بالفقه السياسي الشرعي الذي كان يتشبع به مقدم زاوية القيطنة القادرية ، هذا الفقه الذي تظهروه عبارات كثيرة في الخطاب نرصد فيها فقه الخلافة وفقه الموازنات عند حلول النوازل وفقه الأولويات الذي يحتاجه رجل السياسة في تحليل الأوضاع المحلية والإقليمية و العالمية لاتخاذ الموقف المناسب و الرشيد . وتحقيقا لهذه الغاية الصوفية - السياسية أرسل محي الدين وفدا إلى سلطان المغرب يتكون من عشرة سفراء- وجهاء و أعيان - مع حامية من خمسين فارسا مشفوعة بقافلة محملة بالهدايا .<sup>(1)</sup>

واستقبل السلطان الوفد بحفاوة ولكن الرد كان بعد مرور ستة أشهر كاملة . حيث توجه ابن السلطان على<sup>(2)</sup> بجيش قوامه 5000 فارس إلى مدينة تلمسان وعند ذلك توجهت إليه كل القبائل و أعيانها ومنهم محي الدين لمبايعته على الولاء و الطاعة وأصبحت خطبة الجمعة في مساجد البلاد باسم سلطان المغرب .

ولكن العدو الفرنسي هدد ملك المغرب بالإنسحاب من أرض الجزائر. وعلى إثر ذلك انسحب الجيش المغربي من تلمسان فتعقدت الأحوال .وتوجه الناس إلى شيخ زاوية القيطنة يلحون عليه كي يتولى إمارة الجهاد ضد العدو الفرنسي المعتصب.

ولكن محي الدين رفض وقام بمحاولة ثانية مع ملك المغرب لكي يعطي اسمه فقط كتأييد معنوي لحركة المقاومة في الجزائر. فأرسل السلطان في السر نائبا عنه إلى مدينة معسكر غير أن هذه القيادة السرية لم تكن

---

(1)- المرجع نفسه ، ص : 53 .

(2)- ذهب صاحب كتاب تحفة الزائر الأمير محمد إلى أن من عقدت له الإمارة على المغرب الأوسط هو ابن عم السلطان وليس ابنه ، وذلك ما اختاره يحي بوعزيز . بينما يذكر شارل هنري أن من عقدت له البيعة هو ابن السلطان علي .راجع : شارل هنري تشرشل ، ص : 53 . و الأمير محمد ، ج1 ، ص : 91. ويحي بوعزيز : الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري ، طبعة خاصة ومنقحة ، الدار العربية للكتاب ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1983 م ، ص : 44.

لتنفع في إصلاح الأوضاع لأن الناس لا يؤمنون بقيادة لا تجرأ ان تعلن عن نفسها ، فانسحب ممثل السلطان وتوجه الناس مرة أخرى إلى شيخ زاوية القيطنة محي الدين الذي أجابهم " لا إني لأصلح أن أقوم بواجبات هذا المنصب ، ولكنني سأقوم بما يحتمه عليّ الدين و إني سأذهب معكم إلى الجهاد . وكانت زاويته القيطنة مركزا ومنطلقا للمجاهدين الذين خاض بهم عدة معارك عديدة ضد الجنرال الفرنسي بويه وكانت له مع العدو منازلات أخرى سنتعرض لها في المطلب الموالي .

### المطلب الثالث : تجربة الأمير الجهادية تحت إمرة أبيه "شيخ الزاوية" :

ولقد حرصت على توظيف مصطلح التجربة في عبارة " التجربة الجهادية " على اعتبار أن فترة سنوات الجهاد الطويلة التي قضاها الأمير ضد الجيوش الفرنسية هي جزء لا يتجزأ من تجربته الصوفية . وستعرض لبيان ذلك والتدليل عليه في مطلب لاحق بعنوان تصوف الأمير بالفتوة والرباط في جهاد الفرنسيين . و قبل أن نذهب الى السرد التاريخي للوقائع أردت أن ألفت النظر الى مسألتين : الأولى بيان المهارة التنظيمية والقتالية عند الأمير كقيمة فلسفية في التربية المدنية للقادة كما عند الفارابي الذي أشار إليها وهو يعدد شروط رئيس المدينة الفاضلة حيث يقول : " ثم أن يكون قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل ، جسورا عليه ، مقداما غير خائف ، ولا ضعيف النفس " وكذلك " وأن يكون له جودة ثبات ببدنه في مباشرة أعمال الحرب وذلك أن يكون معه الصناعة الحربية الخادمة والرئيسة " <sup>1</sup> والمسألة الثانية وهي منهجية تتعلق بميلتي الى ذكر النقول الطويلة نوعا ما لأنه بغيرها لا نستطيع أن ندلل على المراد والذي هنا على سبيل المثال بيان الدور السياسي الذي لعبته زاوية القيطنة الصوفية لما ارتمت في معركة الأمة الجزائرية الكبرى ضد المحتل الفرنسي لإثبات كيان الدولة الجزائرية الإسلامية. وإلى وقائع هذه المعارك ، كما ذكرها الأمير محمد ابن الأمير عبد القادر في كتابه تحفة الزائر.

---

(1)- أبو نصر الفارابي : أهل المدينة الفاضلة ، تقديم وتعليق ألبير نصري نادر ، ط2 ، دار المشرق ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، لبنان ، 1968م ، ص : 28.



## 1- معركة خنق النطاح الأولى :

" في أواخر ذي الحجة سنة سبع وأربعين ومائتين والتاسع والعشرين من مايو سنة اثنتين و ثلاثين جهز سيدي الجند سرية عقد عليها للسيد عبد القادر بن زيان الزياني. وبعثه لاستكشاف أحوال العدو بوهران ، فلما تراءى له العدو معسكرا في ساحتها بالموضع المعروف بخنق النطاح فأقام يراقب حركاته و طير الخبر الى سيدي الوالد فنهض من القيطننة وخيم بوادي سيق وأرسل في الجهاد ينادي بالجهاد وبعد أن تلاحق الناس به سار بهم إلى ساحة وهران وخيم بالقرب من العدو وبات المسلمون يوقدون النار على التلال المطلة على البلد وزحف كل من الفريقين إلى الآخر ودارت بينهما رحى الحرب و اشتد البأس و كثر القتلى من الفريقين وكان سيدي الوالد بين الصفوف يحرض المسلمين على الثبات ويأمرهم بالتقدم فتحامل عليه أحد فرسان العدو برمح فمرت في خلو الإبط الأيسر. فشد عليها بعضده وهوى بسيفه على العدو ففقدّه نصفين . ولما تولى النهار وقعت الهزيمة في عسكر الفرنسيين - أي الفرنسيين - فولوا مدبرين واتبعهم المسلمون إلى الأبواب و امتلأت الأيدي من أسلابهم ودخائرهم وفي هذا اليوم طعن فرس سيدي الوالد وكان أشقر اللون ثمان طعنات بحربات العدو ثم رماه أحدهم بالرصاص في رأسه فوقع به ولم يبال بذلك بل استقل واقفا وثبت في مركزه إلى أن قدم إليه أتباعه غيره فركبه ، و استمر على القتال إلى أن انتصر المسلمون على عدوهم . وقد أشار الوالد لذلك في مقصوده بقوله :

وأشقرٌ تحتي كلمته رماخهم  
مرارًا ولم يشكُّ الجوى بل ومالتوى"

وفي اليوم الثاني قفل السيد الجند بجيوشه إلى وادي سيق وأقام أياما ثم ارتحل إلى القيطننة وأذن للناس بالرجوع إلى أوطانهم ليستعدوا لمثلها .<sup>(1)</sup>

(1)- الأمير محمد ، ج 1 ، ص : 94.

## 2- معركة خنق النطاح الثانية :

" وبعد أن استراح الناس من الواقعة الأولى أصدر الأمر بالنفير إلى وهران . وعقد سيدي الجدد اللواء لسيدي الوالد . وتخلف هو لانحراف صحته . فنهض الوالد إلى وادي سيق وتلاحقت الجموع به ثم ارتحل إلى عين الكرمة على مسافة قريبة من وهران . وكان الجنرال بويه<sup>(1)</sup> قد وصله المدد من فرنسا وبلغه خبر الوالد فغضب معسكره في خنق النطاح ، وقسم جنده ثلاث فرق : فرقتين للكفاح و فرقة للمحاربة . وأما الوالد فإنه ارتحل من عين الكرمة وعسكر إزاء العدو وقسم جيشه إلى خمس فرق<sup>(2)</sup> : فرقتين للقتال وفرقتين للدفاع و فرقة جعلها كميناً وراء العدو ثم زحف إليه وأظلم الجو بدخان البارود وعثير النقع فلم تطل المدة حتى كانت الدبرة على العدو . فانكسرت ميمنته ووقعت الهزيمة في القلب فولوا مدبرين يطلبون أبواب البلد فلقبهم الكمين واستلحم أكثرهم ودخل الجنرال بويه إلى البلد مغلولاً في شردمة قليلة من جنده . وفي هذا اليوم استشهد السيد أحمد ابن عمنا السيد محمد السعيد وهو ابن خمس عشرة سنة<sup>(3)</sup> بعد أن ظهر من إقدامه وتحامله على صفوف العدو ما أوقف العقول وأدهشها وعندما وقع عن فرسه ميتاً بين الصفوف هجم الوالد في طائفة من وجوه الأبطال جعلهم رداء له فخرق صفوف العدو و احتل ابن أخيه من بينهم

(1)- ولد بيلفور وعمل في مصر ثم عمل تحت الجمهورية والإمبراطورية الفرنسية واشترك في أهم معاركها ، كان عضواً في الجيش سنة 1795م حارب بين صفوف جيش نابليون على ضفاف النيل ، ذهب إلى إسبانيا سنة 1810 م ، كلف بعد ذلك بفرض الأمن بالجهة الغربية للجزائر بعد احتلالها سنة 1830 م . عزل واستبدل بالجنرال ديميشال وعاد إلى باريس إلى أن مات فيها سنة 1864 م . انظر أديب حرب ، التاريخ الإداري والعسكري للأمير عبد القادر ، 1808-1847 ، الشركة الوطنية للتوزيع ، الجزائر ، 1983 م ، ج 1 ، ص ص : 61 60 . إعادة صياغة التعريف .

(2)- تخميس الجيش سنة متبعة في معارك الإسلام وأول من فعل ذلك سيف الله المسلول خالد بن الوليد حيث قسّم الجيش إلى مقدمة ومؤخرة وقلب وميمنة وميسرة . ولذلك سمي الجيش عند العرب بالخميس ومن ذلك قول الشاعر أبو تمام في قصيدة فتح عمورية أيام الخليفة العباسي المعتصم : والعلم في شهب الأرماع لامعة بين الخميسين لا في السبعة الشهب . ومن يدري لعلّ التصوف كان حاضراً في هذا التدبير الحربي عند القائدين : حيث قسم الجنرال الفرنسي جيشه إلى ثلاث فرق تبركا بعقيدة التثليث " الله و الإبن وروح القدس " وأما الأمير فقد رام سنة من سنن الإسلام في القتال .

(3)- يدل سن هذا الشهيد " خمسة عشرة سنة " على نوع التربية الصوفية في زاوية القيطنة التي تغرس في مريديها البعد الروحي والجهادي الذي خطه مؤسس الزاوية الأول جد الأمير مصطفى بن المختار الذي جعله شعاراً لخصه لابنه محي الدين في كلمتي السبحة والسيف .

فعبجب الأعداء لهذه الحملة و اعتقدوا أن القتل أمير فجمعوا حولهم و قوتهم على أن يمنعوا عنه الهاجمين ففشلوا وكان هذا الشهيد من أعز أقارب الوالد إليه لحسن هديه ونجاته و استشهد في هذه الصدمة من

الأعيان نحو المائة ومن الغد قفل الوالد بجيوشه المظفرة إلى حضرة الجد فأعطاهم الدستور - أي الإذن - إلى أوطانهم. " (1)

### 3- ذكر واقعة برج العين

" ولما انهزم الجنرال بويه و استلحم أكثر جنده بعث صريحه إلى حاكم الجزائر فأمدّه بالجند و الذخيرة ثم ضرب معسكره في ما بين البلد و برج راس العين في الجهة الغربية من وهران وبلغ الخبر الى سيدي الجد فأخذ يتأهب للحرب وبعث أوامره الى النواحي من عرب و بربر يدعوهم إلى الجهاد و يخبرهم أن العدو عسكر خارج غابة مما أمكنه من الاستعداد فجاء الناس إلى حضرته أرسالا و انتهى إليه أن العدو عامل على مباغتته فبعث العيون حركاته ثم خرج من حضرته القيطنية إلى وادي سيك حسب عادته و ارتحل منه و عقد اللواء لسيدي الوالد فواصل سيره إلى أن أطل على وهران بجنوده و باتوا ليلتهم تلك يوقدون النار في جميع أنحاء البلد معلنين بالتكبير و التهليل فسقط في يد الجنرال بويه وفاته ما كان أضمره من أخذ المسلمين بغتة و من الغد عبي الوالد كتائبه و جعل كل كتيبة على حدتها و عين عليها قائدا منها و أمر الجيوش بالزحف الى العدو فتقدموا حتى انتهوا إلى البرج فانزل المشاة إلى الخندق المحيط به الممتد إلى البلد ورتب طائفة من الفرسان لحماية المشاة من مهاجمة العدو و باقي الجموع حملت على معسكر الجنرال و انتشبت الحرب واضطربت نارها و أخذ العدو يرسل قنابله على جيوش المسلمين كالمطر فلا يزيدهم ذلك إلا شدة و تقدما و اشتد القتال و جعل الوالد يتردد بين المشاة و الفرسان و سائر صفوف المسلمين يخرضهم على الثبات و

---

(1)- الأمير محمد ، ج 1 ، ص :95.

الصبر في مجال الموت ويذكرهم بأيام الله<sup>(1)</sup> وبينما هو كذلك إذ عدا عليه أحد فرسان العدو بسيفه فحاد عن سرجه فوقعت الضربة على الفرس فوق وقع ميتا لحينه فركب غيره واستمر على ما كان عليه من التحريض وبلغه أن المشاة فرغت أيديهم من الفشك - أي الذخيرة - فأسرع إليهم بما يكفيهم منه يومهم ذلك ولم يبال في ذهابه و إيباه بقنابل العدو المتصلة وصواعقه المتتالية من البرج و البلد وظهر من شجاعته في ذلك اليوم ما اشتهر في أقطار المغرب واتصل القتال بين الفريقين إلى الليل فبات المسلمون في مراكزهم وانسل العدو ليلا فدخل البلد وانحجز فيها ثم أقام سيدي الوالد محاصرا له شهرا كاملا ثم ألقه عنه لأمر عرضت له " (2)

#### المطلب الرابع: مأسسة جهاد الأمة الجزائرية من خلال مبايعة الأمير :

ومما جاء في نص الرسالة التي بعث بها الأمير عبد القادر للخليفة العثماني و التي أثبتناها في صفحات سابقة : " فلما رأى الكافر ذاك زاد في قوته وشؤونه ، واحتاج الناس إذ ذاك إلى من يضبط جهادهم... فاجتمع أعيان الوطن . وطلبوا ذلك من الوالد . فنفر منهم نفور الفقير الشارد مع ما كان فيه من الرحمة على المسلمين و الإشفاق ، لأنه كان أروع أهل الوقت ، فطلبوا منه تعيين بعض أولاده ، وإن كان أمرا إذا لم أعص له مدة عمري أمرا ، وشمرت عن ساعد الجد و الإجتهد ، وبذلت للمسلمين نصحي

(1)- ومن مظاهر التربية الصوفية التي أشربها قلب الأمير ورى عليها أتباعه الإخلاص في كل المواطن ومن أهمها ساعة القتال في الحرب .ولذلك كثرت الآيات في القرآن التي تقيد القتال بروح التصوف المشار إليه بعبارة " في سبيل الله " من ذلك قوله تعالى : ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ سورة التوبة الآية 111. وفي السنة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل للمغنم ، و الرجل يقاتل للذكر ، و الرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ قال : " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، فهو في سبيل الله." انظر ابن حجر العسقلاني : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الجهاد ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، رقم 2810 ، ج 6 ، ص : 27.

(2)- الأمير محمد ، ج 1 ، ص : 97.

في جمع الكلمة ، وإنف للدفع عن المسلمين وقمع الكفار العتاة . فدفع الله عن الإسلام بذلك من الشرِّ بعضه وشيد من أركان الدين ما كان الكفار يحاول نقضه. " (1)

يتبين لنا من نص هذه الرسالة أن أعيان الناس و أشرافهم قد طلبوا من الشيخ محي الدين أن يتولى عليهم وزاد صاحب كتاب التحفة أنهم ألزموه أن يقبل بيعتهم على الإمارة لنفسه أو لولده (2). ولما رأى الأب أنه عاجز عن تحمل مسؤولية الإمارة ولما كان مسموع الكلمة ومفوضا من قبل الأعيان تفرس في ابنه عبد القادر صفات تؤهله لهذا المنصب مثل البصيرة وعلو الهمة وقوة الحواس وكمال الخلق وجمال الصورة وشرف النسب وعزة القوم والقوة و الفتوة و العلم والحلم والسماحة والحزم والعزم و التحفظ والتيقظ والاتقاء والارتقاء إلى غير ذلك من أفراد الفواضل ومكارم الأخلاق ومحاسنها (3) وبعد استخارة الله رشح ابنه لهذا الأمر.

(1)- هنري شرشل ، ص :309.

(2)- الأمير محمد ، ج 1 ، ص : 96.

(3) - ذكر فقهاء السياسة الشرعية الشروط و الصفات التي يجب توفرها في من يتولى منصب الولاية العامة " أي منصب رئاسة الدولة " وهي أربعة : العلم والعدالة و الكفاية وسلامة الحواس " انظر عبد الرحمان بن محمد بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، دت ، الفصل 26 بعنوان اختلاف الأمة في هذا المنصب وشروطه ، ص : 193. ومنهم من ذكر سبعة شروط ، "وأما أهل الإمامة فالشروط المعتبرة فيهم سبعة ، أخذها: العدالة على شروطها الجامعة. والثاني: العلم المؤدي إلى الإجتهد في النوازل و الأحكام والثالث: سلامة الحواس من السمع و البصر و اللسان؛ ليصح معها مباشرة ما يدرك بها. والرابع: سلامة الأعضاء من نقص يمنع عن استيفاء الحركة وسرعة النهوض. والخامس: الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدير المصالح. والسادس: الشجاعة و النجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو. والسابع النسب وهو أن يكون من قريش لورود النص فيه وانعقاد الإجماع عليه " انظر أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، الشهير بالماوردي ، المتوفي 450 هـ : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ضبطه وصححه ، أحمد عبد السلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2014م ، ص: 6 .

## 1- مبايعة الأمير البيعة الخاصة :

انتشر الخبر بين الناس واستبشروا به لأنه طابق مرادهم . فاجتمع الأشراف و الأعيان بوادي فروحة في سهل غريس عند شجرة الدرارة<sup>(1)</sup> وهي شجرة عظيمة تعودوا الاجتماع فيها للتشاور في ما يعرض لهم من قضايا و نوازل . وكان أول المبايعين له على السمع والطاعة أبوه وسماه ناصر الدين ثم عشيرته الأقربون

ثم الأعيان والأشراف والعلماء و الرؤساء . وبعدها سار والده محي الدين إل مدينة معسكر فوجد الناس في بهجة وفرح بسبب سماعهم بأمر البيعة . وبعد ذلك خرج الأمير في أثر أبيه في جمع غفير ولما وصل استقبله الناس في مكان اسمه الخصبية<sup>(2)</sup> التي تبعد عن حاضرة معسكر مسيرة نصف ساعة فتناول فيها من طعام أهلها كرامة له ثم دعا لهم وحثهم على الطاعة و التزام الجماعة . ثم سار إلى مدينة معسكر التي استقبل فيها بطلقات المدافع و نشر الأعلام و الرايات ونزل في دار الحكومة ولما جلس على كرسي دخل عليه الناس وباعه من لم يحضر بيعة غريس . ثم أقام في داره وخير زوجته بين البقاء معه أو اللحاق بأهلها وقال لها " إن أردت أن تبقي معي من غير التفات إلى طلب حق فلك ذلك وإن أبيت إلا أن تطلي حقت فأمرك بيدك لأني تحملت ما يشغلني عنك ثم خرج إلى المسجد الجامع فصلى الظهر بالناس ثم خطب فيهم يعظهم ويحثهم على الجهاد .

---

(1)- ومكان البيعة فيه اقتداء بسنة النبي ص الذي بايع أصحابه بعد صلح الحديبية تحت شجرة تسمى أم غيلان ، وسميت البيعة ببيعة الرضوان التي نوه بها القرآن وذلك في قوله تعالى ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ سورة الفتح الآية 18 . انظر، ابن حجر العسقلاني : فتح الباي شرح صحيح البخاري ، دار ريان للتراث ، سنة النشر 1407 هـ - 1986 م ، كتاب المغازي -باب غزوة الحديبية- رقم 4154 ، ج7 ، ص : 507.

(2)- الأمير محمد ، ج1 ، ص : 98.

## 2- هيئة العلماء تراسل القبائل لمبايعة الأمير:

وبعد أن تمت مراسيم البيعة طلب الأمير من هيئة العلماء أن يكتبوا رؤساء القبائل في أطراف البلاد برسالة يحثونهم على الحضور لأداء البيعة كما أداها غيرهم ، ونص هذه الرسالة كما ذكرها صاحب التحفة هو الآتي : " الحمد لله وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم ، أما بعد : فاعلموا معاشر العرب والبربر<sup>(1)</sup> أن الإمارة الإسلامية والقيام بشعائر الملة المحمدية قد آل أمرهما الآن إلى ناصر الدين السيد عبد القادر بن محي الدين وجرت مبايعته على ذلك من العلماء و الأشراف و الأعيان في معسكر وصار أميراً لنا ومتكفلاً بإقامة الحدود الشرعية وهو لا يقتفي آثار غيره ولا يحذو حذوهم ولا يخصص لذاته مصاريف زائدة على الحاجة كما كان الغير يفعل<sup>(2)</sup> . ولا يكلف الرعية شيئاً لم تأمر به الشريعة المطهرة . ولا يصرف شيئاً إلاّ بوجه الحق ، وقد نشر راية الجهاد وثمر عن ساعد الجدد لنفع العباد وعمران البلاد . فمن سمع النداء فعليه السعي لتقديم الطاعة وأداء البيعة لإمام منكم . فاعملوا ذلك وبادروا لامثاله ولا تشقوا العصا ويذهب بكم الخلاف إلى ما لا خير لكم فيه دنيا و أخرى . حرر في معسكر من مجلس العلماء في الثالث من رجب سنة ثمان وأربعين و مائتين و ألف " .<sup>(3)</sup>

## 3- الأمير يرسل القبائل في أمر مبايعته :

وعلى إثر ذلك كله بعث الأمير عبد القادر بدوره رسالة وجهها إلى كل القبائل جاء فيها :

(1)- وهذه شهادة تاريخية على أن الأمة الجزائرية في ذلك العهد كانت تتكون من العنصرين العربي و البربري والخطاب في هذه الرسالة موجه إليهما بصفتهم من الملة المسلمة ولم يكن بينهما صراع ولا خلاف إلى حين تظن المستدمر الفرنسي إلى إحداث الفتنة الطائفية بين الجنسين .

(2)- وليس من المستبعد أن يكون المقصود بالغير هنا هو النموذج السيئ للحكم التركي وكل حكم لا يقوم على تقوى من الله ورضوان .

(3)- الأمير محمد ، ج 1 ، ص : 101 .

" الحمد لله ، إلى قبيلة ( كذا ، خصوصا أشرفها وعلمائها وأعيانها ) وفقكم الله وسدد أموركم وبعد . فإن أهل معسكر وأهل غريس الشرقي و الغربي ومن جاورهم واتحد بهم قد أجمعوا على مبايعتي وبايعوني على أن أكون أميرا عليهم وعاهدوني على السمع و الطاعة في العسر و اليسر وعلى بذل أنفسهم وأولادهم وأموالهم في إعلاء كلمة الله وقد قبلت بيعتهم وطاعتهم . كما أني قبلت هذا المنصب مع عدم ميلي إليه مؤملا أن يكن واسطة لجمع كلمة المسلمين ورفع النزاع و الخصام من بينهم وتأمين السبل ونفي الأعمال المنافية للشريعة المطهرة وحماية البلاد من العدو وإجراء الحق والعدل نحو القوي والضعيف فلذلك ندعوك لتتحدوا وتتفقوا جميعا واعلموا أن غايي القصوة اتحاد الملة المحمدية والقيام بالشعائر الأحمدية وعلى الله اتكالي في ذلك كله فاحضروا لدينا لتظهروا خضوعكم وتؤدوا بيعتكم وفقكم الله وأرشدكم . حرر عن أمر ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين من معسكر في الثالث من رجب سنة ثمان وأربعين ومائتين وألف وفي السابع و العشرين من نوفمبر سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة وألف ميلادية .

#### 4- مبايعة الأمير البيعة العامة :

بعد انتشار خبر البيعة للأمير، جاءت الوفود من أماكن مختلفة للقيام بواجب المبايعة . ومضى على ذلك شهران ثم دعا الأمير إلى تجمع شعبي كبير حضره جمع غفير من الناس حضره الأشراف و العلماء في محل العموم من قصر الإمارة وهناك عقدت البيعة الثانية العامة وقد حرر نص البيعة أحد العلماء و هو السيد محمود بن حوا المجاهري وقراه على الناس وقد جاء فيه :

" بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الطيب الكريم (...). هذا ولما اقضت الحكومة الجزائرية من سائر المغرب الأوسط . واستولى العدو على مدينتي الجزائر ووهران أعادهما الله دار إسلام و إيمان بجاه النبي العدنان وطمحت نفسه العاتية إلى الإستلاء على السهول والنفادفد والتلال وصار الناس في هرج ومرج وحيص وبيص لا ناهي عن منكر ولا من يعظ ويزجر قام من وفقهم الله للهداية وظهرت عليهم العناية من رؤساء القبائل وكبرائها فتفاوضوا في نصب إمام يبايعونه على الكتاب و السنة



يسمعون لأمره ونهيته ويتابعونه في جميع أحواله وجالوا في ميدان أفكارهم فيمن هو لذلك أهل من ذوي الكمال و الفضل فلم يجدوا لذلك المنصب الجليل إلا ذا النسب الطاهر السيد عبد القادر بن مولانا السيد محي الدين ، إيد الله به الإسلام و المسلمين وأحي به ما اندرس من معالم الدين فبايعوه على كتاب الله العظيم و سنة نبيه الكريم " إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم " . ثم قدمت على حضرته الوفود من سائر الجهات و الحدود فبايعه أولهم وآخرهم وشريفهم و مشروفهم كبيرهم وصغيرهم بيعة تامة كاملة عامة بيعة سمع وطاعة وأفراد وجماعة (...). وقعت هذه البيعة العامة في ثلاثة عشرة رمضان سنة ثمان وأربعين ومائتين وألف وفي الرابع من فبراير سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة كتبها خادماً الشريعة السمحاء محمد الشهير بابن حوا .<sup>(1)</sup>

#### المطلب الخامس: محطات من سياسة الأمير الحربية بعد توليه الإمارة :

يجب أن ننبه إلى أن ما مر معنا من مواطن القتال التي خاضها الأمير مثل خنق النطاح الأولى و الثانية و برج راس العين إنما كان بلاؤه فيها تحت جناح إمرة أبيه محي الدين . وستحدث في ما يلي عن سيرة الأمير الحربية بعد مبايعته قائدا للدولة الجزائرية. وآثرت للتركيز و الإختصار أن أقف على نماذج مختارة من سيرة الأمير الحربية من خلال منهج تحليلي مبرز ما فيها من روح صوفي ونضج سياسي.

المحطة الأولى : الأمير يكرم الأسير العدو ويعدم القاضي المسلم – أحد شيوخه – أو فلسفة

الأنا والآخر.

لا يوجد في قاموس الإسلام السياسي الذي يستمد منهجه من شعار السبحة الصوفية التي ترمز الى أحكام الشريعة القرآنية مكانا للحقد المقدس أو الحرب المقدسة الذي يصنف فيها الآخر على أنه عدو مقدس ما دام كافرا ويعتق غير الإسلام. وها هي محطة من محطات التاريخ الحربي للأمير تبرهن لنا على

(1)- الأمير محمد ، ج 1 ، ص : 103.

بطلان ما يتهم به الإسلام من أنه دين ظلامي لا يعرف التسامح وأن أحكامه في العقيدة والجهاد تحمل في بذورها كل معاني الحقد والتطرف مع غير المسلمين ولا مكان فيها أبدا ولا اعتبار للآخر.

ففي سنة 1249هـ 1833م. بنى الجيش الفرنسي حامية عسكرية في أرزيو بمساعدة أهل القاضي<sup>(1)</sup> المعتقل عند الأمير وتمكن جيش الأمير من مباغته العدو وهو في رحلة صيد واسر بعض ضباط العدو. وسيطر الأمير على المدينة.<sup>(2)</sup>

وبعد رجوع الأمير بالأسرى إلى معسكر أنزلهم في دار الضيافة وأمر بإكرامهم وعقد مجلسا شرعيا مكونا من العلماء للنظر بعمق في شأن القاضي أحمد بن الطاهر البطيوي الذي حكم عليه بالموت بسبب خيانتة العظمى. في هذين الموقفين المتباينين حيث يكرم العدو الأسير ويقتل المسلم القاضي تتجلى لنا مرة أخرى الروح الصوفية في هذه السياسة الشرعية الأميرية لأن إنزال العدو الأسير منزلة الضيف هي سياسة شرعية ثابتة في الإسلام بنص قرآني صريح لا تحتاج إلى إجماع ولا شورى والنص هو قوله تعالى : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۗ ﴾<sup>(3)</sup> ومن القواعد المقررة في علم أصول الفقه الإسلامي " إذا ورد الأثر بطل النظر" و " لا اجتهاد في مورد النص" وقول الشافعي في آخر كتابه الرسالة " لا يحل القياس والخبر موجود"<sup>(4)</sup> ومثل هذه القواعد وغيرها مأخوذ من القرآن الكريم كما في قوله تعالى ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهما خيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا ﴾<sup>(5)</sup>

(1)- المرجع نفسه ، ج1 ، ص : 107.

(2)- بعد تيقن العدو من قوة الأمير وقع خلاف في البرلمان الفرنسي حول إمكانية انسحاب فرنسا كليا من الجزائر ، وبعد التشاور رجح رأي البقاء وتزويد الجنرال ديميشال بالمدد . الأمير محمد ، ج2 ، ص : 108 .

(3)- سورة الإنسان الآية رقم 8.

(4)- الإمام الشافعي : الرسالة ، تحقيق أحمد شاکر ، ط1 ، نشر مصطفى البابي الحلبي ، 1358هـ - 1940 م ، ص : 599.

(5)- سورة الأحزاب الآية رقم 36.

وقوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم﴾<sup>(1)</sup> بينما السياسة الشرعية المتعلقة بالقاضي المسلم والذي لم يشفع له أنه كان في وقت سابق أستاذا ومربيا للأمير في صباه بل عقد له الأمير مجلسا شوريا في ما صدر عنه من أمر الخيانة العظمى وبعد نظر عميق تقرر الحكم عليه بالموت.

وتصدر هذه السياسة الأميرية من مشكاة التصوف الذي عبر عنه الأمير في مراسيم مبايعته حاكما وذلك حينما قال : " إني لن أعمل بقانون غير قانون القرآن ، ولن يكون مرشدي غير تعليم القرآن ، والقرآن وحده ، فلو أن أخي الشقيق قد أحل دمه بمخالفة القرآن لمات " .<sup>(2)</sup>

#### المحطة الثانية : الفكر الصوفي الأميري وأثره في بناء المواقف والعلاقات.

ومما صعب مهمة الأمير الجهادية تمرد النفوس المريضة عليه حيث ظهر رجل من قبيلة بني عامر يسمى سيدي ابراهيم ادعى لقب سلطان المسلمين . فأتجه إليه الأمير حيث لم تمنع قبيلته من تسليمه خوفا من العقاب الأميري الصارم . وفي الحال لم يكن حل آخر أمام الأمير إلا قتل الجاني في الحال قبل أن يستفحل شره . ولو تمنعنا في هذا الموقف السياسي الذي يحمل في طياته حكما قاصيا زهقت فيه نفس بشرية ولكن الروح الصوفي هو الذي حمل الأمير على الإذن بهذه التراجيديا . حيث ورد عن النبي - ص - قوله " ومن بايع إماما أعطاه صفقة يمينه، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فليطعه ما استطاع، فَإِنْ جَاءَ آخَرَ يَنَازِعُهُ، فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ " .<sup>(3)</sup> فالتناغم بين الصوفي والسياسي - أو بين السبحة والسيوف - الذي نقصده ونريد أن نستجليه في رسالة بحثنا هو ما حرص الأمير السياسي على ربطه بالإقبال على الله عن طريق التقيد

(1)- سورة الحجرات الآية رقم 1.

(2)- شارل هنري شرشل ، ص: 59.

(3)- أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني : سنن ابن ماجه ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد و محمد كامل قره بللي وعبد اللطيف حرز الله ، ط 1 ، دار الرسالة العالمية ، 1430 هـ - 2009 م ، باب لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، حديث رقم 3956 ، ج 5 ، ص : 103.

بأحكام الشرع الإسلامي وهذا المعنى الصوفي نجده في تعريفات أهل الإختصاص وهم المتصوفة أنفسهم حيث يقول سيد الطائفة الصوفية الجنيد<sup>(1)</sup> البغدادي رضي الله عنه: "طريقنا هذا مضبوط بالكتاب والسنة ، إذ الطريق إلى الله تعالى مسدود على خلقه إلا على المقتفين آثار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " <sup>(2)</sup> وقال سهل بن عبد الله التستري<sup>(3)</sup>: "أصولنا خمسة أشياء التمسك بكتاب الله والإقتداء بسنة رسول الله -ص- وأكل الحلال، واجتناب الآثام ، وأداء الحقوق " <sup>(4)</sup>. فليس بالضرورة أن يكون معنى الفعل الصوفي أذكار في خلوة سعداء جزيرة ابن طفيل فقط ! أو تكشّف عن معرفة فلسفية غنوصية أو أفلوطينية في سكرة أو نشوة كما يدعي كثير من دكاترة الفلسفة الصورونية! <sup>(5)</sup>

(1)-الجنيد : يلقب بسيد الطائفة وإمامهم . أصله من نهاوند ولد بالعراق ونشأ فيها يلقب بالبغدادي والقواريري لبيع أبيه الزجاج. صحب خاله السري والحارث المحاسبي وصفه ابن عربي في فتوحاته فقال: " هو سيد أهل الطائفة. كان من الفقهاء المتعبدين على مذهب الشافعية وتفقه على أبي ثور . توفي ببغداد سنة 298هـ . وكان الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه ، والفقهاء لتقريره، والفلاسفة لدقة نظره ومعانيه . والمتكلمون لتحقيقه . والمتصوفة لإشاراته وحقائقه . " انظر، الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة والنشر، 1409هـ - 1989م ، ص : 78.

(2)- المرجع نفسه ، ص : 79.

(3) - سهل بن عبد الله التستري : واسمه الكامل أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري ولد بتستر سنة 200 هـ . صحب خاله بن سوار ولقي في الحج ذا النون المصري وصحبه . وله صلة بأهل الحديث وارتبط بهم ارتباطا وثيقا. توفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين للهجرة . من أقواله : " أدنى الأدب أن تقف عند الجهل، وآخر الأدب أن تقف عند الشبهة . " قال عنه ابن تيمية " وكلام سهل بن عبد الله في السنة وأصول الاعتقادات أسد وأصوب من كلام غيره "عبد الرحمان السلمي : طبقات الصوفية ، تحقيق أحمد الشرباصي، ط 2 ، مؤسسة دار الشعب ، 1419 هـ - 1998م، ص: 66. و عبد الله بن صالح البراك : اعتقاد أئمة الهدى من الصوفية الجنيد بن محمد وسهل التستري نموذجا ، مقال منشور بموقع الألوكة الشرعية بتاريخ 2010/04/18 م . الموقع على الأنترنت : <http://www.alukah.net/sharia> . تاريخ الدخول 2017/01/17.

(4)- أبو بكر البيهقي : الزهد الكبير ، تحقيق عامر حيدر ، ط3 ، مؤسسة الكتب الثقافية ، فصل في بيان الزهد وأنواعه ومن هو الجدير باسم الزاهد ، حديث رقم 942 ، بيروت ، 1996م ، ص : 344.

(5)- نسبة الى جامعة الصربون الفرنسية حيث يقول أحد دكاترة الفلسفة فيها : "والتأمل الصوفي عبارة عن تمرين فردي ومستقل عن الشعائر والفرائض التي تؤديها الجماعة (...). ولكن الصوفيين يذهبون في هذا الخط بعيدا في الإنفصال الشعائري عن الأمة " وبنحو منه نقرأ : " فقد كانت الحركة الإنسانية في التصورات الصوفية حركة للخلاص الفردي بمعانقة المطلق والفناء فيه و يتحدد المطلق الصوفي في تحقيق الفوز والفلاح في الآخرة ولا يتم ذلك إلا عبر الزهد في الدنيا والإنقطاع الى الله وطرح ما سواه. " انظر ، نصر حامد أبو زيد : مفهوم النص

**المحطة الثالثة : مكيفيلية السياسة الفرنسية :** فرنسا تضيق ذرعا ببنود المعاهدة- معاهدة ديميشال-<sup>(1)</sup> وتتهم الأمير زورا بأنه على اتصال بأمير مكة الشريف محمد بن عون ويستمد منه التوجيه السياسي والمدد الحربي. وتقرر القيام بعملية جوسسة على الأمير وتكلف بذلك عميلها ليون روش.<sup>(2)</sup> ويتمكن هذا الأخير من مغالطة الأمير حيث أظهر الإسلام وصار من مقربي الأمير حتى اتخذه كاتبه الخاص. ولا جدال في أن السياسة الأميرية وقعت في خطأ وهو عدم الثبت من حقيقة هذا الدخيل وهل يمكن أن يكون سبب ذلك هو ثقة الأمير المفرطة في دولة وحضارة فرنسا أو هو أثر من آثار تلك الروح الصوفية التي ترغب في التبشير بالإسلام فتظهر عاطفة وتساهاها مع معتنقيه الجدد وخاصة إذا كانوا من أجناس أخرى.

ليون روش - وبموافقة دولته - يقوم بمناورة فيقلد خط الأمير ويكتب رسالة عليها ختم الأمير ويرسلها إلى أمير مكة مع هدايا بقصد توريث الأمير في علاقته مع شريف مكة و تتأكد فرنسا من عدم وجود علاقة سياسية بين الأمير وأمير مكة بعد قراءة رسالة هذا الأخير إلى الأمير.

دراسة في علوم القرآن ، ، ط 1 ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود ، الرباط ، المملكة المغربية ، الباب الثالث " تحويل مفهوم النص ووظيفته " ، 2014م ، ص : 245 و 246.

(1)- حرر نص المعاهدة في وهران في السابع عشر من شوال سنة تسع وأربعين ومائتين والثامن والعشرين من شهر فبراير سنة أربع وثلاثين وثمانمائة وألف . انظر ، الأمير محمد ، ج 1 ، ص : 116.

(2)- : ليون روش: ولد في مدينة قرونوبل ( Grenoble ) الفرنسية في 27 سبتمبر 1809م (1224هـ). درس في مدارس قرونوبل وطولون (Toulon) لحق أباه الذي شارك في الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830م . فحل ليون بالجزائر يوم 3 جوان 1832م . شغل منصب كبير المترجمين في الجيش الفرنسي . تعلم اللغة العربية على يد الشيخ عبد الرزاق بن بسيط . أعلن إسلامه و التحق بالأمير عبد القادر بعه هدنة معاهدة التافنة ( نوفمبر 1837م) ولازمه في حروبه وتنقلاته . فر من الأمير سنة 1839م . كلفه المارشال بيجو باستصدار فتوى تحريم مقاومة الأمير لفرنسا المسيحية من علماء الحرمين الشريفين والأزهر والزيتونة؟! تولى مهام قنصلية في كل من تونس وطلنجة بالمغرب واليابان . توفي سنة 1901م (1301هـ) في مسقط رأسه قرونوبل ، انظر ليون روش ( L'éon Roches ) : اثنان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام ، مذكرات ليون روش عن رحلته الى الحجاز ، تعريب وتقديم وتعليق ، محمد خير محمود البقاعي ، ط 1 ، =2001م ، جداول للنشر والتوزيع ، الحمرا ، شارع الكويت ، بناية البركة ، الطابق الأول ، شوران ، بيروت ، ، لبنان ، 2011م ، ص: 12 وما بعدها .

ومع هذا تأمر ديميشال بإرسال جواسيس إلى مدينة معسكر للقيام بدسائس تؤلب الناس على الأمير<sup>(1)</sup>. وتوحي إلى فرنسا مكيفيليتها السياسية بأن يذهب ليون روش إلى مراكز الفتوى الكبرى في العالم الإسلامي: القيروان والقاهرة والحرمين الشريفين لإستصدار فتوى تحرم على الناس الجهاد مع الأمير عبد القادر. و في اجتماع في حرم الزاوية التيجانية بقرية عين ماضي<sup>(2)</sup>! وتحت الرعاية السامية لشيخها محمد الصغير التيجاني<sup>(3)</sup> و بمعية مقدموا الزوايا الطيبية والشيخية يقع التخطيط لسفر ليون روش وتحديد مرافقيه: مقدمين من الزاوية التيجانية وهما: ميلود بن سالم الأغواطي ويحيى البوزيدي وفي تونس الشيخ عبد الله بن محجوب وفي القاهرة حسن ابراهيم التونسي وتصاغ الفتوى في القيروان ويوقعها شريف مكة ويصادق عليها علماء القاهرة! ثم ذيلت بتوقيع مجلس علماء مكة المكرمة!!!<sup>(4)</sup> وهذا هو التصوف الذي يجبه الغرب الإستعماري قديما وحديثا وتفتح له الدوائر السياسية والأكاديمية المجالات والدراسات ولذلك اهتم كثير من المستشرقين بالتراث الصوفي الفلسفي ونذكر في هذا المجال من المستشرقين الإنجليز آربري الذي حقق ونشر كتاب " التعرف لمذهب أهل التصوف " و " رينولد نيكلسون " ( ت 1945م ) الذي حقق ونشر كتاب ( اللمع ) للطوسي و ( كشف المحجوب ) للهجويري و ( تذكرة الأولياء ) لفريد الدين العطار وديوان جلا الدين الرومي و ( اللزوميات ) للمعري . و كتاب ( التصوف الإسلامي ) الذي يقع في ثمانية

- (1)- مثل هذه الممارسات السياسية الصادرة عن دولة فرنسا شاهد قوي على النزعة الميكيفيلية التي تغيب فيها الروح الصوفية - الأخلاقية - في مجال الفعل السياسي. وهذا بخلاف ما عليه الأمير عبد القادر في كل حراكه السياسي المتميز بالشعار الصوفي القادري.
- (2)- عين ماضي : بلدة في جنوب غرب الجزائر ، وهي عاصمة الزاوية التيجانية ومستقط رأس مؤسسها الشيخ أحمد التيجاني . وستعرض لتاريخ هذه الزاوية وبعض تاريخ رجالها في مباحث لاحقة حول تاريخ التصوف في الجزائر.
- (3)- محمد لحبيب : لقب بمحمد الصغير . ولد بفاس المغربية سنة 1803م . بما أخذ مجموعة من العلوم والمعارف وعاد إلى عين ماضي هو وأخوه محمد الكبير سنة 1815م بعد وفاة والدهما الشيخ أحمد التيجاني . تولى مشيخة الزاوية سنة 1844م خلفا لصديق أبيه الحاج محمد التماسيني. حاصره الأمير في حصن عين ماضي سنة 1254هـ - 1838م بغرض فرض الطاعة على التيجانية وقطع صلتها مع الفرنسيين . توفي في عين ماضي سنة 1835م ودفن بها. تاركا ولدا صغيرا ما لبث هو أيضا أن توفي سنة 1857م . انظر ، عبد العزيز شهبي : الزوايا والصوفية والعزابة والإحتلال الفرنسي ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهان ، 2007م ، ص : 144.
- (4)- ليون روش ( Léon Roches ) : اثنان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام ، مذكرات ليون روش عن رحلته إلى الحجاز ، مرجع سابق ، ص : 21 وما بعدها.

مجلدات . أما الفرنسي " لويس ماسينيون " ( ت 1962م ) فقد نشر كتاب الحلاج " الطواسين " وكانت رسالته في الدكتوراه حول الحلاج وترجمت للعربية تحت عنوان ( آلام الحلاج شهيد التصوف الإسلامي ) وقد طبعت ووزعت بدعم من وزارة الخارجية الفرنسية والسفارة الفرنسية ببلنات. (1) أما تصوف السبحة والسيف فمرفوض لأنه ينتج كوادر مثل صلاح الدين الأيوبي وزنكي وقطرز والأمير عبد القادر وعبد الحميد ابن باديس الذين يصنف فكرهم بأنه منظومات شمولية و ظلامية مغلقة ! ولأمر ما حاربت فرنسا الأمير عبد القادر في المبتدأ كما حاربت ابن باديس في المختتم.

"وما زال الإسلام يعاني الى اليوم من تعسف ومكر الدوائر اليهود - مسيحية ، وهي مصدر التأثير الخطير في ثقافة العالم بما يمتلك اتباعها من وسائل الدعاية والتوجيه السيئ في محافل دولية سياسية واقتصادية كثيرة ، الأمر الذي أضر بوجاهة ديننا وألحق به الأذى وجعله يغدو محل ريبة الأمم والأجيال التي لا تعرف حقيقته ، وكل هذا التحامل على الإسلام والإمعان في تشويهه إنما يستمر بسبب تخوف هذه الدوائر من خطورة نفاذ مبادئه واكتساحه الأرض وسحبه السجاد من تحت أقدامهم" (2) بفضل منظومة القيم العالية التي ينظم بها فلسفة الحياة .

وتنتهي أسطورة فرنسا الإستعمارية في الجزائر بفضل ميراث السبحة الذي حمله ابن باديس و ميراث السيف الذي حملته الحركة الوطنية في منطلقها بقيادة الحفيد الأمير خالد الهاشمي ثم كان حزب الشعب الذي مهد لسيمفونية نوفمبر الحمراء :

نوفمبر جلّ جلالك فينا      ألت الذي بث فينا اليقيننا

سبحنا على لجج من دمانا      وللنصر رحنا نقود السفينا

(1)- صالح الحساب الغامدي : إسلام أمريكي ، مقال بموقع " المسلم " على شبكة الإنترنت ، الرابط <http://www.almoslim.net> تاريخ الدخول : 2020/01/12م.

(1)- عشراي سليمان : الأمير عبد القادر العرفاني ، ط1 ، دار القدس العربي للنشر والتوزيع ، وهران ، الجزائر ، 2011 ص : 32.

وثرنا نفجر نارا ونورا ونصنع من صلبنا الثائرين<sup>(1)</sup>

ويتهيئ بنا المطاف في هذا المبحث من خلال هذه المحطات التاريخية التي اخترناها والتي دللنا بها على الملمح الصوفي والسياسي في سيرة الأمير الحربية. وننتقل بعد هذا الى مبحث ثالث وأخير في هذا الفصل وهو المتعلق بالإنتاج الفكري للأمير من خلال استعراض مصادر وروافد هذا الفكر ثم نعرف بمؤلفاته النثرية التي هي أثر من آثار تلك التربية الصوفية والسياسية التي نشأ عليها منذ صغره في زاوية أجداده القادرين.

### المبحث الثالث : ثقافة الأمير عبد القادر

تمهيد :

لقد كان الأمير على قدر عال من العلم والثقافة يشهد على ذلك شاهدان : الأول ما تذكره المصادر التاريخية عن طلبه العلم منذ صباه في زاوية أجداده ثم صلته بأهل العلم والسياسة في رحلته الطويلة في الزمان والمكان في الحجاز والمشرق وفي فرنسا والشاهد الثاني هو ما خطته يده مما حوته مؤلفاته نثرا وشعرا في مختلف فنون العلم الشرعية و الأدبية والسياسية وهذا ما سنوضحه في هذا المبحث :

#### المطلب الأول : أساتذته.

لقد حابى الله الأمير بوعاء واسع من العلم وذلك بفضل أساتذة نهل من علومهم نذكرهم في ما يلي :

1-والده الشيخ محي الدين :مقدم الزاوية القادرية ، ولقد مر معنا بيان في ترجمته وبيان منزلته العلمية وكيف علم ابنه عبد القادر حفظ القرآن الكريم وقواعد اللغة العربية وعلوم الشريعة ومبادئ التصوف

---

(1)- أبيات من قصيدة إلبادة الجزائر للشاعر مفدي زكريا.



والتوعية السياسية. وقد عايش الأمير في شبابه فترات اختلى فيها بأبيه من ذلك سستان في سجن وهران وفي رحلة الحج التي دامت من سنة 1239هـ - 1825م الى سنة 1243هـ - 1828م. ولا شك أن الأمير حصل في هذه الأوقات علما كثيرا.

2- قاضي أرزيو : وفي فترة سجن الولد محي الدين بعريش وهران عهد بابنه الى الشيخ الطاهر الرزيوي وقد تم للأمير من العمر اثنا عشر سنة . فتعلم منه النحو وعلم العروض والرياضيات والفلك والقضاء والفقه المالكي وفلسفة اليونان من خلال أفلاطون وأرسطو . والفلسفة الإسلامية من كتب أبي حامد الغزالي وعلمي التاريخ والجغرافيا من خلال ابن خلدون والمسعودي . وبعض التدريبات العسكرية كما بيناه مفصلا في الحديث عن نشأة الأمير وتعليمه فليرجع إليه.

3- حمدان بن خوجة : وقد تلقى عنه الأمير في مدرسته العمومية بوهران ما زاده فهما وتفصيلا للعلوم التي حصلها في مدرسة أرزيو وبمنهج عصري والعلوم المدرسة هي القرآن والحديث واللغة والحساب والجغرافيا والفلسفة والمنطق ومن أساتذته في هذه المدرسة بن مصطفى بن الهاشمي و محمد بن نقييد.

4- علماء التقى بهم في رحلته الى الحج مع أبيه : ونكتفي هنا بذكر أسمائهم فقط ولمن أراد التوسع فهو موجود في تفاصيل هذه الرحلة (1) :

أ- في تونس ، أحمد المازري سلاله الشيخ طاهر .

ب- في الإسكندرية :

---

(1) - انظر تفصيل رحلة الحج مع أبيه في مبحث التجربة الصوفية من الفصل الثاني .

حيث زار مقام نبي الله دانيال وأبي العباس المرسي وتلميذه ابن عطاء الله السكندري وأبي الحسن البوصيري صاحب المدائح النبوية وولي العباس البدوي . ومعلوم أن زيارة الأولياء تعد في المنهج الصوفي عند كثير من الطرق من أهم الأوراد التي تدخل في منهج التربية الروحية .

ج- في القاهرة :

اتصل بالسيد محمد سعيد وهو أخ الأمير من الأب ومن علماء الأزهر علي الميلي والشيخ فراج وزيارة مقام الإمام الشافعي والحسين ..

د- وفي دمشق :

وفي طريق العودة التقى بالشيخ خالد النقشبندي القادري والمحدث عبد الرحمان الكزبري .

هـ- في بغداد :

تمت له زيارة الزاوية القادرية ومقام عبد القادر الجيلالي ، السيد محمود مقدم الزاوية القادرية ، قاضي بغداد محمد زكريا.

و- في ليبيا :

زيارة مقام الجد مصطفى الغريسي ببرقة ومقام السيد أحمد زروق البرنسي بمصراة.

5- الشيخ محمد الفاسي :

الذي التقى به في رحلة حجه سنة 1279هـ. فأخذ عليه الطريق الصوفي واعتكف في المسجد الحرام وقام بالأوراد والوظائف ووقعت له كرامات وانقطع في غار حراء أياما وكتب من خلوته الى أستاذه يبشره بتحقيق المقصود ونجاح تعليمه إياه .

ونذكر الآن بعضا ممن تتلمذ عليهم بواسطة قراءة كتبهم وهم :

1- ابن عربي الصوفي<sup>(1)</sup> : ويسميه الأمير الشيخ الأكبر ، والوارث المحمدي الكامل . وأثبت معه حوارات كشفية وقد اشتغل الأمير بكتاب الفتوحات المكية لابن عربي وأرسل نسخة منها مع رجلين لمقارنتها بالنسخة الأصلية في قونية بتركيا . وكان كثيرا ما يقتبس الأمير من أقواله في المواقف مؤيدا له ومدافعا عنه من ذلك ، قوله : " ...وما ينسب لسيدنا خاتم الولاية محيي الدين من الكتب المؤلفة في علم التدبير والكيمياء ، ولغيره من الأولياء الداعين الى الله تعالى فزور وافتراء فإنه محال أن يدل ولي من أولياء الله ، عباد الله ، على ما يقطعهم عن الله تعالى . (...) وكذا ما ينسب لسيدنا محيي الدين من الكتب المؤلفة في الملاحم والجفر كالشجرة النعمانية وغيرها . وقد اجتمعت به في واقعة وسألته عن الجفر المنسوب إليه فقال : كذب وزور " (2)

(1)-ابن عربي : هو أبو بكر محمد بن علي محي الدين الملقب بالشيخ الأكبر كاتب ومتصوف عربي إسلامي ولد في 17 رمضان 560هـ - 28 جويلية 1165م في مرسية بالأندلس ، وتوفي في 28 ربيع الثاني 638 هـ - 16 نوفمبر 1240م في دمشق . أصله من قبيلة طي العربية وكان مريدوه ينادونه بمحيي الدين . درس في إشبيلية وقرطبة وارتحل الى المشرق العربي حج عدة حجرات الأولى كانت سنة =1202م . كان كثير التأليف . من كتبه تفسير القرآن ، الفتوحات المكية مجوي 560 فصلا في العلوم الباطنية ، فصوص الحكم وهو دراسة روحية لوصايا الأنبياء . ترجم فصلان منهما للذات يتعلقان بالحكمة الإلهية في فصي آدم وشيت من طرف تيتوس بوكهارت سنة 1955م . رسالة القدس ترجمها الى الإسبانية آسين بلاسيوس كما أثبت ما لكتاب الإسراء لابن عربي من تأثير على الكوميديا الإلهية لدانتي . الرسالة الأحادية ترجمت الى الفرنسية من طرف عبد الهادي سنة 1933م . له ديوان شعري في الحب الصوفي بعنوان ترجمان الأشواق ترجم الى الإنجليزية بقلم أ. نيكلسون . تعرض ابن عربي لهجوم ضاري من طرف الفقهاء السنيون بسبب آرائه وخاصة نظرية وحدة الوجود التي فهمت على أنها مذهبا حلوليا محضا . دافع عنه الأمير عبد القادر ونفى عنه الكثير مما نسب إليه في كتابه المواقف . ، جورج طرابيشي ، ص : 32 .

(2)- الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، الموقف 248 ، ج 2 ، ص : 141

ويعتبر كتاب فصوص الحكم لابن عربي من أشد مؤلفاته رمزية وتعقيدا وقد كان الأمير - لسعة ثقافته - يشرح جلسائه و مريديه من علماء دمشق ما استغلق عليهم من معانيه . يقول الأمير في كتابه المواقف : " فإن أحد إخواني ، بل أعزهم <sup>(1)</sup> ، أخبرني أنه طالع عدة شروح من شراح الفصوص لسيدنا الأكبر في فص إسماعيل عليه الصلاة والسلام ولا أحد منهم أبرأ عليه وأزال غليله . وأراد مني حل ألفاظ هذا الفص بما يفتح الله به ، فأجبتة مستعينا بالله تعالى . ومستمدا مما أفاضه علينا سيدنا وشيخنا محيي الدين في حياته . وبعد موته فإنه بضاعتنا التي منها نير أهلنا ... " <sup>(2)</sup>

2- عبد الكريم الجيلي <sup>(3)</sup> : كان الأمير يقتبس من أقواله الكثير . و من ذلك : " وهذا ما ذكره العارف بالله عبد الكريم الجيلي في باب الأبد حيث قال : إن كل شيء من الممكنات له أبد ، فأبد الدنيا يحول الأمر الى الآخرة ، وأبد الآخرة يحول الأمر الى الحق تعالى ، ولا بد وأن يحكم بانقطاع الآباد ، آباد أهل الجنة وآباد أهل النار . ولو دامت وطال الحكم ببقائها فإن بعدية الحق تلزمننا أن نحكم على ما سواه بالإنقطاع ، فليس للمخلوق أن يسايره في بقاءه " <sup>(4)</sup>

3- أبو حامد الغزالي : قال الأمير " ومن علم هذا علم صحة قول حجة الإسلام الغزالي رضي الله عنه : " ليس في الإمكان أبدع و لا أكمل من هذا العالم ، إذ لو كان وادخره لكان بخلا يناقض الوجود ، وعجزا يناقض القدرة " ثم يقول الأمير معقبا و مشيرا الى بعض معتقدات فرقة المعتزلة الكلامية : فما أنكر

(1)- هو محمد الخاني النقشبندي الدمشقي ، مقال ، بكري علاء الدين : الأمير عبد القادر الجزائري قارئاً لفصوص الحكم لابن عربي ضمن كتاب - نسخة الكترونية - بالفرنسية بعنوان " Abdel-Kader, un spiritual dans la modernité. Ahmed

-Bouyerden , Eric Geoffroy , Setty G. Simon -Khedisp. 223-234  
تاريخ الدخول <http://books.openedition.org/ifpo/1855> 2017/11/07.

(2)- الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، الموقف 355 ، ج 3 ، ص : 112.

(3)- متصوف عربي ولد ببغداد 766هـ - 1365م. من أسرة جيلانية الأصل ولذلك يعرف باسم الجيلاني والكيلاني . عاش في اليمن وسافر الى الهند . وكان من أتباع الطريقة القادرية . من مؤلفاته : الناموس الأعظم ، والإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل وبه اشتهر وفيه يبدو تأثره بالصوفي العرفاني ابن عربي في وحدة الوجود . جورج طرابيشي ، ص : 266.

(4)- المرجع نفسه : الموقف 353 ، ج 3 ، ص : 107.

قولة حجة الإسلام واستغربها منه إلا من كان متكلماً قحاً محجوباً عن الرقائق والدقائق ، ما شم رائحة من " علم القضاء والقدر " ، ولا عرف كيفية نشوء العالم ، ولا أسباب صدوره ، فتوهم أن في هذه المقالة تعجيزاً للقدرة وتناهيًا للمقدورات و إيجاباً على الحق تعالى فعل الأبدع ومشياً على قواعد المعتزلة . "(1)

وسماه في موضع آخر من أكابر أهل الله وذلك في معرض الحديث عن مسألة أصولية قال الأمير " وأهل الله العارفون به ، مجمعون على أن المجتهد في الأصول وهي المسائل التي لا يكفي فيها إلا القطع أعني العقائد العقلية معذور ، كما هو في الفروع وهي المسائل التي لا يكفي فيها غلبة الظن وهي العمليات . ووافق أهل الله حجة الإسلام الغزالي نظراً في كتابه التفرقة بين الإيمان والكفر و الزندقة وإلا فهو من أكابر الله ... " (2)

وذكر في سياق آخر رأي الغزالي في عجب الذنب . قال الأمير " وقد ورد في الصحيح " كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب " (3) (...). وأختلف أهل الطريق في تفسير عجب الذنب الذي تركب عليه النشأة. وهو لغة ما ضمه الوركين من الحيوان وهو العصص . فقال حجة الإسلام الغزالي : هو النفس يعني الجمادية... "(4)

4- الجويني إمام الحرمين وزعيم المتكلمين : هكذا يسميه الأمير وذلك في قوله : " وقد نقل عن إمام الحرمين زعيم المتكلمين أنه قال : قرأت خمسين ألفاً في خمسين ألفاً ، وخلصت أهل الإسلام وإسلامهم وعلومهم وخضت في الذي نهى الشرع عنه ، وركبت البحر الخضم .. كل هذا في طلب الحق وهروباً م التقليد والآن رجعت الى كلمة " عليكم بدين العجائز " فالويل لابن الجويني إن لم يدركه الله بلطفه . "

(1)- المرجع نفسه : الموقف 369 ، ج 3 ، ص: 311 .

(2)- الأمير عبد القادر الجزائري : المواقف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، موقف 228 ، ج 1 ، ص : 432 .

(3)- مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، تحقيق خليل مأمون شيحا ط3 ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ، 1431 هـ -2010 م ، كتاب الفتن وأشراف الساعة ، باب ما بين الفختين ، رقم 7341 ، ص : 1328 .

(4)- الأمير عبد القادر الجزائري : المواقف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، موقف 248 ، ج 2 ، ص : 169 .

5- فخر الدين الرازي : قال الأمير : " ونقل عن فخر الدين الرازي أنه قال عند الموت : اللهم إيماننا كإيمان العجائز . ومن شعره يتأسف على ما فاته :

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال  
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا.

6- محمد الشهرستاني<sup>(1)</sup> : وفي نفس السياق يقول الأمير : وأنشد محمد الشهرستاني في كتابه " نهاية العقول وهو كتاب مما ألف مثله متكلم :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسرحت طرفي بين كل المعالم

فلم أر إلا واضع كف حائر علي ذقنه أو قارعا سنّ نادم<sup>(2)</sup>

-علي بن إسماعيل الأشعري : قال الأمير : " أول من وسّع باب التأويل إمام أهل السنة والجماعة علي بن إسماعيل الأشعري أجهأ الى ذلك كثرة أهل البدع و الأهواء في وقته (...). فإنه قال في كتابه الإبانة في أصول الديانة ، وهو آخر مؤلفاته : " فإن قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية ..... " (3)

(1)- محمد الشهرستاني : متكلم ومؤرخ للأديان ، ولد في شهرستان (خراسان) ومات فيها سنة 548هـ - 1153م . درس في بغداد ونيسابور . اتبع مذاهب الأشعريين الفلسفية واللاهوتية . من مؤلفاته نهاية الإقدام في علم الكلام . ولكنه داع صيته بكتابه الملل والنحل الذي يعتبر من أهم المصادر الرئيسية في علم الأديان عامة كما يجد فيه الباحث معتقدات كل طائفة ذكرها ومنها الفرق العقديّة الإسلاميّة وبيان الغلاة والمبتدعة منها . جورج طرايشي ، ص : 404 .

(2)- حديث الأمير عن الجويني ، الرازي ، الشهرستاني ، الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق بكرى علاء الدين ، مصدر سابق ، ج1 ، الموقف 14 ، ص : 52 .

(3)- المرجع نفسه ، الموقف 336 ، ج3 ، ص : 44 .

8- أبو بكر الباقلائي: قال الأمير: " ومن هذا المعنى ما نقله غير واحد عن إمام المتكلمين القاضي أبو بكر الباقلائي أنه ناظر جماعة من المعتزلة في مجلس الخليفة في مسألة رؤية الله تعالى ، فقال له رئيسهم : ما الدليل أيها القاضي على رؤية الله تعالى ؟ فقال : قوله تعالى ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾<sup>(1)</sup> . فنظر بعض المعتزلة الى بعض وقالوا : جن القاضي ! وذلك أن هذه الآية معظم ما احتجوا به على مذهبهم في منع الرؤية ، وهو ساكت . ثم قال لهم : أتقولون : إن من لسان العرب قولك الحائط لا يبصر ؟ قالوا : لا . أتقولون إن من لسان العرب : الحجر لا وليأكل ؟ قالوا لا . قال : فلا يصح إذا نفي الصفة إلا عمّا من شأنه صحة إثباتها له . فأذعنوا لما قال واستحسنوه.<sup>(2)</sup>

المطلب الثاني : نماذج من كتاباته :

أولا- مؤلفاته :

لقد كان الأمير رجل حرب و قد تولى في مستهل حياته مسؤولية تأسيس دولة في ظروف الكر والفر وأفنى ساعات عمره في تربية وتعليم رعيته في الجزائر. ثم كانت محنة السجن في فرنسا ثم اشتغاله بالتدريس في بلاد الشام ومع ذلك فقد جادت قريحته بتأليف في النثر والشعر بما يتناسب مع هذه الظروف. ولكن من المهم في هذا الصدد أن نعلم أن الموجد من مؤلفاته التي بين أيدينا اليوم هي قليل من كثير ما زال مفقودا ومجهولا. وهذه الحقيقة هي التي أشار إليها أبو القاسم سعد الله في قوله : " وسطر بقلمه الصفحات الفكرية والوقائع التاريخية . وقد عرف بعض ما سطر حتى الآن من هذه وتلك ، ولكن الأغلب منها جميعا ما يزال في طي الكتمان محفوظا في وثائق الدول والأفراد. فإذا أخذنا الجانب الفكري فقط فإننا سنجد أن ما نشر له حتى الآن هو قليل من كثير... "

وسنقتصر في ما يلي على نماذج من مؤلفاته مبرزين منهجه في التأليف الذي حرص فيه الأمير على بيان المناسبة و الإشكالية والمنهج في كل ما يكتب .

(1)- الآية رقم 6 من سورة الأنعام.

(2)- الأمير عبد القادر : الأمير عبد القادر الجزائري : المواقف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق موقف 336 ، ج 3 ، ص :

## 1 : وشاح الكتائب<sup>(1)</sup> وزينة الجيش المحمدي الغالب :

### 1-1: مناسبة التأليف :

وسبب تأليف هذه الرسالة هو رغبة الأمير في تكوين جيش نظامي احترافي لكي يجابه به الجيش الفرنسي حيث وضع له نظاما داخليا جمع مواده في كتاب عنوانه " وشاح الكتائب وزينة العسكر المحمدي الغالب " سنة (1249هـ-1833م)<sup>(2)</sup>

### 1-2 - المضمون والمنهج :

ويشتمل الكتاب على مقدمة وأربع وعشرون قانونا وخاتمة . ويحوي أفكارا وتوجيهات فيها دلالة على نضج الممارسة السياسية عند الأمير في الجانب الحربي حيث تناول بالتفصيل ذكر الرتب العسكرية والمكافآت والمخالفات وما يقابل كل نوع منها من العقوبات والمسؤولية والرخص والأكل واللباس والتعليم والتدريب والمرض والتعويض . وقد أشار أبو القاسم سعد الله أن الذي صاغ وحرر الرسالة هو كاتب الأمير " قدور بن رويلة"<sup>(3)</sup> ولكن واضع مادتها هو الأمير نفسه.<sup>(4)</sup> ويشهد له أيضا قول الأمير محمد : " وضع للجند النظامي قوانين وضوابط جمعها بعض كتاب الجند في رسالة سماها " وشاح الكتائب وزينة العسكر المحمدي الغالب"<sup>(5)</sup> . ولأهمية هذا الكتاب ترجمه الفرنسيون مرات عديدة منها ما قام به روسيتي "Rosettly" في كانون 1848م وطبعه الجنرال ماري تحت عنوان " قوانين الأمير عبد القادر الى جيشه النظامي " ثم

(1)- عنوان هذه الرسالة عند الأمير محمد هو " وشاح الكتائب وزينة العسكر المحمدي الغالب " انظر الأمير محمد: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر ، المطبعة التجارية ، غرزوزي و جاويش ، الإسكندرية ، 1903 م ، ج 1 ، ص : : 120 .

(2)- فؤاد صالح السيد ، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا ، د.ط ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1985م ، ص : 93 .

(3)- قدور بن رويلة : بعد احتلال الفرنسيين لمدينة الجزائر فر الى جيش الأمير بمليانة حيث عمل كاتباً ومادحا للأمير . وبعد معركة طاكين سنة 1843م أسره الفرنسيون ثم نفوه الى المشرق . فرحل الى المدينة المنورة . ثم عاود الإتصال بالأمير . وأقام معه في بروسة وفي طريقهما الى دمشق أدركته المنية ببيروت ودفن بمقبرة السنطية في شهر ربيع الثاني سنة 1272هـ- 1855م . انظر كل من : الأمير محمد ، ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص : 64 . و مصطفى بن التهامي : سيرة الأمير عبد القادر وجهاده ، تحقيق و تقديم و تعليق يحي بو عزيز ، دار البصائر للنشر و التوزيع 2009م ، ص : 153 .

(4)- شارل هنري تشرشل ، مرجع سابق ، ص : 29 .

(5)- الأمير محمد : مرجع سابق ، ج 1 ، ص : 191-192 .



ترجمة مجلة الشرق التي نشرته على حلقتين<sup>(1)</sup> وكان آخرها ما قام به عبد الكريم الجزائري في سبتمبر 1968م<sup>(2)</sup>.

## 2- كتاب المقرض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد . 1-2 : المناسبة :

وسبب تأليف هذا الكتاب أنه في مدة إقامة الأمير بسجن أمبواز "Amboise"<sup>(3)</sup> تكلم أحد كبار رجال الدين المسيحي واتهم الإسلام واصفا إياه بأنه لا ينهى على الغدر وعدم الوفاء وحمل الخبر إلى الأمير ناصح أمين ملحا عليه أن يرد علميا على هذه الفرية فاعتذر الأمير أولا ثم أعيد عليه الطلب في زمن تولي لويس نابليون رئاسة جمهورية فرنسا . فاستجاب الأمير وشرع في كتابة رسالة المقرض الحاد .<sup>(4)</sup>

## 2-2 : الإشكالية والمنهج :

جاء في تحفة الزائر<sup>(5)</sup> تنصيب الأمير على إشكالية مؤلفه المتمثلة في بيان حكم الإسلام في الغدر والوفاء ثم أشار إلى أن منهج التأليف يقتضي بيان حكم الله أولا في القرآن ثم أقوال رسوله الخاتم صلى الله عليه وسلم فافتضى المقام الحديث عن إثبات الألوهية ثم النبوة .

(1)- مجلة الشرق ، سنة 1844م ، الحلقة الأولى ص 255-234 ، والثانية ص 341-355 . نقلا عن أبي القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998م ، ج 4 ، ص : 201 وما بعدها.

(2)- قدور بن رويلة : وشاح الكتائب وزينة الجيش الحمدي الغالب و يليه ديوان العسكر الحمدي للملياني ، تحقيق محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1968 م .

(3)- مدينة امبواز تابعة لمقاطعة أورليان الفرنسية وسجنها عبارة عن سراية كانت تابعة لأحد الملوك ، وهي حصينة وعالية الأسوار تقع في وسط بسائط يشقها نهر عظيم فيه مراكب شرعية . انظر ، الأمير محمد : ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 12 وما بعدها . وتقع أورليان ، في قلب وادي لوار ويمكن الوصول إليها بسهولة من باريس ، حيث تبعد عن باريس 130 كم . بإتجاه الجنوب الغربي . تعتبر أورليان مدينة جامعية ومركز للأسقفية مع كاتدرائية . وهي معروفة بكوتها مدينة جان دارك ، بطلا حرب المائة عام بين الفرنسيين والإنجليز ، والتي انتهت برفع الحصار المفروض على المدينة عام 1429 م انظر شبكة الأنترنت ، موقع العرب اليوم ، <https://www.arabstoday.net> وكذلك موقع كل العرب <http://www.alarab.com/Article/710758> تاريخ الدخول 2018/07/06 .

(4)- الأمير محمد : مرجع سابق ، ج 2 ، ص : 27 .

(5)- المرجع نفسه ، ص : 27 .

## 2-3- فصول رسالة المقراض الحاد :

عدد صفحات الكتاب مئتان وأربعة وخمسين صفحة (254). حسب الطبعة التي نشرتها مكتبة دار الحياة ببيروت وكانت من تحرير محمد بن عبد الله الخالدي.<sup>(1)</sup> وتتكون من مقدمة وثلاثة أبواب أما المقدمة فقد خصصها للحديث عن العقل وما يتعلق به .

و في الباب الأول تناول إثبات الألوهية ويحوي فصولا ثلاثة أولها في خلق الأرض وما يتولد منها والثاني في خلق السماوات وما فيها من بديع الحكم والثالث في خلق الإنسان الذي هو المقصود بالإيجاد. أما الباب الثاني ففيه إثبات النبوة وفيه فصلان أولهما في إثبات الرسالة على الإطلاق والثاني في إثبات رسالة النبي الخاتم.

وخصص الباب الثالث لموضوع الرسالة وهو الحديث عن حكم الشرع الإسلامي في وجوب الوفاء والأمر به وترك الغدر والنهي عنه.<sup>(2)</sup>

وقد كان الأمير بعيد النظر في الترتيب المنهجي لهذه الرسالة حيث بدأ بالعقل لأن إثبات كل شيء بعده - مثل إثبات الألوهية- يقتضيه ، ولا يمكن إثبات النبوة دون المرور على مبحث الألوهية . وبيان احكام الشريعة مرتب على الإيمان بالرسالة .

## 2-4- نموذج من كتابة الأمير الفلسفية في المقراض الحاد :

### أ- دفع شبهة عن شعيرة الجهاد في الإسلام.

يكتب الأمير في الباب الثالث من هذه الرسالة فقرة فيها مناقحة عن رسول الإسلام بطريقة فلسفية عقلية فيقول : " ... فكيف يظن ظان أو يتوهم متوهم فيمن خلقه الله مطبوعا على كل خلق تستحسنه العقول السليمة أن يكون فيما شرعه نقص تنكره العقول الكاملة ولا تسلمه الأراء الفاضلة فهو رحمة أرسلها الله للعباد ولدا قال عليه الصلاة والسلام انما أنا رحمة مهداة الى الخلق وقال تعالى يخاطبه " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " فهو رحمة لمن دخل في دينه ولمن لم يدخل فيه . فإن قلت هذا ينافي ما في شرع الإسلام من الجهاد والقتال فإنه ليس بحسن في وصفه ولا رحمة ظاهرة فيه لأنه تعذيب لعباد الله وتخريب

(1)- عبد الرزاق بن سبع : الأمير عبد القادر وأدبه ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، 2006 ، ص : 204.

(2)- الأمير محمد : مرجع سابق ، ج 2 ، ص : 28..

لبلاده وليس ذلك بحسن قلنا انما صار حسنا بواسطة دفع الضرر عن الإسلام وقمع إداية المحاربين لأن الله تعالى قضى بإرادته وبما سبق في علمه أن تكون أمة الإسلام أكثر من الأمم المخالفة لها حتى تكون نسبة كل أمة إليها نسبة الجزء الى الكل والعقل حاكم من غير تردد بأن رعاية الأكثر مقدمة على رعاية الأقل وبأن حرمة الواحد ليس كحرمة الجماعة فالنفوس الهالكة بالقتال لقلتها ساقطة من الإعتبار فكأنها بالنسبة للنفوس الناجية شر قليل واقع بجنب خير كثير ولا يليق بالصانع الحكيم ترك خير كثير لشر قليل " (1)

### ب - حاجة العقل الإنساني للوحي :

يبين الأمير بأن العقل هو الجسر الموصل الى الإيمان وبدونه لن يهتدي الى إثبات رسالات الأنبياء ولكن العقل نفسه يبقى قاصرا على معرفة مكنونات الغيب وما ينفع الإنسان في أمر دينه وآخرته يقول الأمير : " فالعقل لا يهتدي الى الأفعال المنجية في الآخرة إلا بواسطة الرسل كما لا يهتدي الى الادوية للصحة إلا بواسطة الأطباء فحاجة الخلق للرسل كحاجتهم الى الأطباء " (2).

### ج - الروح الإنساني غيب مطلق :

" الروح التي شغلت التفكير الإنساني ولم يهتد إلى فهم حقيقتها وكنهها وما هيته لأنها من غيبات الله ، والعقل عاجز عن إدراكها يقول تعالى : ﴿يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي و ما أوتيتم من العلم إلا قليلا.﴾ (3)

### 3 ذكرى العاقل وتبنيه الغافل :

#### 3-1 سبب تأليفه:

وسبب تأليف هذا الكتاب أن الأمير اختير مراسلاً لمجمع الخالدين في باريس؛ فكتب نص هذا الكتاب إليهم. وإلى هذا أشار المؤلف في المقدمة حيث قال: "أما بعد، فإنه بلغني: أن علماء باريز - وفقهم العليم الحكيم العزيز - كتبوا اسمي في دفتر العلماء ونظموني في سلك العظماء، فاهتزت لذلك فرحاً

(1)- المرجع نفسه ، ص : 29 وما بعدها.

(2)- الأمير عبد القادر الجزائري : المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد ، تحرير عبد الله الخالدي المغربي ، د ط ، دت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت . ص : 107.

(3)- سورة الإسراء : الآية رقم : 84.

ثم اغتممت ترحاً. فرحت من حيث ستر الله عليّ، حتى نظر عباده بحسن الظنّ إليّ، واهتممت من كون العلماء استسمنوا ذا ورم، ونفخوا في غير ذي ضرم. ثم أشار عليّ بعض المحبين منهم بإرسال بعض الرسائل إليهم. فكتبت هذه العجالة للتشبه بالعلماء الأعلام، ورميت سهمي بين السهام، وسمّيت هذه الرسالة " ذكرى العاقل وتنبيه الغافل." <sup>(1)</sup> وقد كتب الكتاب سنة 1855م أيام اقامته في الشام -سوريا - على نسختين إحداها بالعربية والأخرى بالفرنسية بقلم ترجمان القنصلية الفرنسية بدمشق. <sup>(2)</sup> ويذكر أبو القاسم سعد الله أن كل مؤلفات الأمير قد نشرت بعد وفاته إلا رسالة ذكرى العاقل . ولكن قوله : " وهناك ملاحظة أخرى وهي أن كل ما ألف الأمير قد كتب أثناء سجنه بفرنسا ، خلال أربع سنوات 1848-1854م ، ما عدا المواقف وديوان شعره .." غير مسلم به على الإطلاق لأن بعض المصادر تذكر خلافه <sup>(3)</sup>

### 3-2- الموضوع والإشكالية :

يعالج الأمير عبد القادر الجزائري في هذا الكتاب كما هو مشار إليه في مضمون عنوانه مسألة دور العقل وأنه سبب في المفاضلة بين الناس بالتفكير وعدم التقليد، منبهاً على فضل العلم والعلماء، مقررًا أن العقل هو سبب إدراك العلوم، وتميز العقل عن المدركات الأخرى، وأن العلم الذي يقود إليه العقل منه ما هو مدموم وما هو ممدوح، وأن العقل مهما ترقى، فإنه لا يستطيع إدراك الغيبات إذ لا بد له فيها من الإهداء بوحى لبيائها، فعمل على إثبات النبوة وما يتعلق بها، وأن تثبيت العلوم بالكتابة ساعد على تنميتها لأن عقل الإنسان غير قادر على الإحاطة بجميع الأمور.

### 3-3- مباحث هذه الرسالة:

- (1)- عبد القادر الجزائري : ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، بتحقيق وتقديم د. ممدوح حقي، بيروت 1966.
- (2)- : أحمد درويش : في صحبة الأميرين أبي فراس الحمداني وعبد القادر الجزائري ، طبعة مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، 2000م ، ص: 195.
- (3)- الأمير عبد القادر : مذكرات الأمير عبد القادر ، تحقيق محمد الصغير بناني ومحفوظ سماتي ومحمد الصالح ألجون ، ط 4 ، 2004 م ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، انظر التصدير بقلم أبو القاسم سعد الله ، ص : 7.

تتضمن رسالة ذكرى العاقل مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة ، أما المقدمة ففي الحث على النظر ودم التقليد . وتناول الباب الثاني فضل العلم وفضل سببه وهو العقل والقوى الإنسان الأربع التي بها يبلغ كماله وكذلك المفاضلة بين مدركات العقل على مدركات الحواس وخاتمة في بيان العلم المحمود والمذموم وخصص الباب الثاني الى بيان ضرورة العلم الشرعي الذي يرتبط بمبحث إثبات النبوة وخاتمة في المكذابين بالأنبياء . أما الباب الثالث فقد تعرض فيه إلى فضل الكتابة وبيان كتابات الأمم وواضعيها ومنها حروف اللغة العربية وحاجة الناس الى التصنيف وختم الرسالة بذكر اقسام الناس في العلوم والمعارف والمذاهب.<sup>(1)</sup>

### 3-4 نماذج من كتاباته في ذكرى العاقل :

وسيتبين لنا من بعض ما كتب الأمير في هذه الرسالة غزارة فكره التاريخي والشرعي والفلسفي وهذه بعض الأمثلة على ذلك :

#### أ - قيس من فلسفة العلوم

يتحدث الأمير في رسالة المقرض الحاد عن دراسة مبادئ بعض العلوم وفرضياتها ونتائجها دراسة نقدية وهو ما يسمى في المدرسة الإنجليزية بالإبستمولوجيا أو نظرية المعرفة بينما تحصر المدرسة الفرنسية الإبستمولوجيا في فلسفة العلوم وتاريخها الفلسفي<sup>(2)</sup>

#### ب - في ضرورة التصنيف :

يقول الأمير : " من الناس من ينكر التأليف والتصنيف ، وهذا الإنكار خطأ ، إذ لا وجه لإنكار التصنيف إذا صدر من العلماء الكاملين البالغين مرتبة التصنيف ، وإنما يحمل هذا المنكر على إنكاره التنافس والحسد الجاري بين كل متعاصرين ."<sup>(3)</sup> ولا يخفى ما في هذه العبارات من الإشارة الى ما يجب أن يتوفر من شروط علمية وأكاديمية وأخلاقية يلتزم بها المؤلفون والمصنفون .<sup>(4)</sup>

(1)- الأمير عبد القادر : رسالة الى الفرنسيين ، ذكرى العاقل وتنبئه الغافل : تحقيق الأستاذ عمار طالبي ، مرجع سابق ، ص : 10.

(2)- جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، الشركة العالمية للكتاب طباعة ونشر وتوزيع بيروت ، لبنان ، 1994م ، ج 1 ص : 33.

(3)- الأمير عبد القادر ، ذكرى العاقل ، تحقيق عمار طالبي ، مرجع سابق ، ص : 57.

(4)- لقد أسهب الأمير في ذكر جملة من آداب التصنيف والتأليف في هذه الرسالة . انظر المرجع نفسه ، صفحة 57 وما بعدها . من ذلك قوله : "... والتصنيف على سبعة أقسام لا يصنف عالم إلا فيها وهي : إما شيء لم يسبق إليه فيخترعه ، أو شيء ناقص فيتمه ، أو

### ج- في فضل الكتابة :

يقول الأمير : " ...فما جمعت العلوم ، ولا قيدت الحكمة ، ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة ولولا الكتابة مااستقام للناس دين ولادنيا . فالكتابة عين العيون بما يبصر الشاهد الغائب ."<sup>(1)</sup>

### د- الهواء والنطق والحروف والكتابة :

يتناول الأمير بأسلوب علمي في فقرة واحدة الحديث عن كيفية نشوء الأصوات في مجاري الإنسان الهوائية التي يسميها علماء الصوتيات والتجويد " مخارج الحروف " . كما تضمنت الفقرة شيئاً من علم الطب وإن كان السياق الأصلي هو بيان أن الكتابة فرع عن النطق . يقول الأمير : " والكتابة وإن عظمت منفعتها ، فهي مفرعة عن النطق . ولكن قد يوجد في الفرع ما لا يوجد في الأصل . فيكون في الفرع ما في الأصل وزيادة وبيانه أن بدن الإنسان لا يتم إلا بالقلب الذي هو معدن الحرارة الطبيعية . ولا بدء من وصول النسيم البارد إليه ساعة بعد ساعة حتى يبقى على اعتدال ولا يحترق . فخلقت الآلات في بدنه ، بحيث يقدر الإنسان بما على إدخال النسيم البارد في قلبه ، فإذا مكث ذلك النسيم لحظة تسخن وفسد فلزم إخراجة . فالصانع الحكيم جعل النفس الخارج سبباً لحدوث الصوت . ثم إن الصوت سهل تقطيعه في المحابس مختلفة ، فحصلت هيئات مخصوصة بسبب تقطيع ذلك الصوت في تلك المحابس . وتلك الهيئات المخصوصة هي الحروف ..."<sup>(2)</sup>

### هـ-العقل بين الحقيقة والجهل :

ينتصر الأمير في هذا الكتاب للعقل الذي هو ركن الفلسفة فيقول : " فإن معيار الحقيقة هو العقل، لا سيما وأن لدى البشر استعداداً لإدراك الحقائق. فإذا كان الأمر كذلك فكيف ينشأ الجهل إذاً؟ عن هذا السؤال يجيب الأمير، مبرزاً أسباباً خمسة لنشأة الجهل:

---

=شيء مغلق يشرحه ويبينه أو شيء طويل يختصره دون أن ينقص شيئاً من معانيه أو شيء متفرق يجمعه أو شيء مختلط يرتبه أو شيء أخطأ فيه مؤلفه فيصلحه ."

(1)- المرجع نفسه ، ص : 49.

(2) - الأمير عبد القادر : ذكرى العاقل ، تحقيق عمار طالي ، مرجع سابق ، ص : 50

- 1- نقصان في ذات القلب، كقلب الصبي. ولكلمة "القلب" هنا دلالة عقلية من حيث هو مكان المعرفة.
  - 2 - كُدُورات الأشغال الدنيوية والخبث الذي يتراكم على وجه القلب منها.
  - 3 - العدول بالقلب عن جهة الحقيقة المطلوبة.
  - 4- الحجاب: والحجاب هو أن يكون العقل محجوباً باعتقاد مسبق، نشأ وقت الصبا أو عن طريق التقليد. وهذا، كما يقول الأمير، حجاب عظيم حَجَبَ أكثر الخلق عن الوصول إلى الحق، لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية رسخت في نفوسهم وجمدت عليها قلوبهم.
  - 5- الجهل بالجهة التي يقع فيها العثر على المطلوب.
- 4- مذكرات الأمير :**

وهي مزيج من التحرير والإملاء من شخص الأمير وتولى كتابتها الفقيه مصطفى بن التهامي<sup>(1)</sup>. ولقد صرح أبو القاسم سعد الله أن " النموذج كان بموافقة الأمير وتحت نظره ".<sup>(2)</sup> والدليل على ذلك قول ابن التهامي : " فلما قرأ مولانا أيده الله مكتوبه واستوعب معانيه كلها . كلفني - أعلى الله مقامه وأعاد علينا وعليه عوائد بره بصالح الحال والمآل - بأن أجمع ذلك بحسب ما طلب كاتب المكتوب ، فأجبتة بالموافقة واثقا بإعانة المالك وسالكا صحة المسالك ومرتجيا الصالح الديني بحول الله وقوته " <sup>(3)</sup>

**4-1- سبب تأليفها :**

وقد أفصح الأمير في مقدمة هذه المذكرات عن الباعث عن كتابتها فقال : " ...وبعد فإن بعض أساقفة النصرى طلب كتابا مضمينه تاريخ ما جرى بيننا بالقطر الجزائري من مصالحة ومكافحة ببيان سبب كل واحد من الأمرين... "<sup>(4)</sup> ويتبين لنا مرة أخرى ثقافة الحوار والإتصال التي كان يتمتع بها الأمير التي كانت الباعث الأساس في معظم تأليفه.

(1)- رفيق درب الأمير وصهره وخليفته على معسكر ، سبق التعريف به راجع المبحث الأول من هذا الفصل ، ص : 3.

(2)- الأمير عبد القادر : مذكرات الأمير عبد القادر ، تقدم عبد المجيد أمزيان ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط3 ، 1998 م ، ص : 5

(3)- المرجع نفسه ، ص : 53.

(4)- المرجع نفسه ، ص : 33.

#### 4-2- تاريخ ومكان كتابتها :

لا يوجد بالتحديد في المذكرات ما يشير الى زمن ومكان تأليف هذه المذكرات . ولكن مجموعة من المحققين<sup>(1)</sup> يرجحون أن الأمير شرع في كتابتها في سجنه بقلعة بوا "PEAU" وذلك سنة 1848م.<sup>(2)</sup> ويذكر أن اكتشاف المخطوط الأصلي لهذه المذكرات يعود الى سنة 1967م وذلك كما يذكر وزير المجاهدين - يومها - بوعلام بن حمودة أن أحد أفراد عائلة السيد جاك شوفالييه كان قد عثر بالصدفة على المخطوط في قبو منزل العائلة وهو يبحث عن حطب للتدفئة ولما تأكد رب العائلة من أهميته التاريخية سلمه لوزير المجاهدين الذي سلمه بدوره الى مدير المكتبة الوطنية في حفل رسمي.<sup>(3)</sup>

#### 4-3- فصول ومباحث مذكرات الأمير :

تتكون الخطة المنهجية لمذكرات الأمير من مقدمة وسبعة فصول وخاتمة. ويلاحظ على محتواها التنوع والتداخل بحيث لا نجد فيها التواصل في تناول الموضوع الواحد بحيث موزعة على المباحث الآتية :

أ- المقدمة :

اشتملت المقدمة على ذكر الأسباب والدوافع الشرعية والمنهجية التي دفعته لكتابة هذه المذكرات .

#### ب- الفصل الأول :<sup>(4)</sup>

فيه بيان نسب الأمير عبد القادر ، ونشأته وتعليمه وذكر شيوخه الذين أخذ منهم العلم و الإشادة بمذهبه الفقهي المالكي .<sup>(5)</sup>

#### ج- الفصل الثاني :

(1)- وهم : محمد الصغير بناني ، محفوظ سماتي ، محمد الصالح الجون ، محمد الهادي حساني ، عبد المجيد بيرم .

(2)- الأمير عبد القادر : مذكرات الأمير ، مرجع سابق ، ص : 22.

(3)- الأمير عبد القادر : مذكرات الأمير ، مرجع سابق ، هامش ص : 9.

(4)- قد أذكر محتوى كل فصل بصورة مختصرة وإن توسعت فسأكتفي بذكر مقتطف يسير عن بعض ماورد على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

(5)- المرجع نفسه ، ص 42.



وفيه بين الأمير اتصال نسبه بنسب آل البيت النبوي وبيان شرف هذا الأخير " فنسبه -ص- أفضل الأنساب وسببه أفضل الأسباب ، وبيته في قريش أوسط بيوته المراماة وأعرق معدنهما الكريمة (...).فسؤدد البطحاء عليهم مقصور والعيون إليهم أيا سلكوا أمور"<sup>(1)</sup> وفي نفس السياق بين شرف العرب الذين ينحدر منهم النبي -ص- واستشهد بأحاديث نبوية : " فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم " و " لا يبغض العرب إلا منافق"<sup>(2)</sup> وقد ضعف بعض أهل العلم هذه الأحاديث إلا أن قبول متنها وارد عند البعض الآخر.<sup>(3)</sup> وغير مستبعد أن يكون الأمير على دراية بذلك وإلا لما استشهد بهذه الأحاديث في مذكراته.

### د- الفصل الثالث :

لقد تناول الأمير في هذا الفصل موضوع النبوة والرسالة من حيث الإثبات وماهي أحكامها وشروطها والفرق بين النبوة والرسالة. وخصوصية كل رسول مثل هود وصالح ولوط وداوود وغيرهم عليهم السلام وبيان حكمة معجزة كل واحد منهم . ولقد اعتمد الأمير في كل ذلك على آيات من القرآن الكريم وشروح كثير من العلماء مثل السيوطي وابن حجر والهيثمي . علما أن الأمير قد تعرض لمعاني موجودة في كتابيه ذكرى العاقل والمقراض الحاد.

(1)- المرجع نفسه ، ص : 79.

(2)- المرجع نفسه ، ص : 67.

(3)- وحديث " لا يبغض العرب إلا منافق " أنظر، أحمد بن محمد بن حنبل : المسند ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون ،إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى، رقم الحديث 614 ، 1421 هـ - 2001 م ، ج 2 ، ص 51 .وقد ضعف ابن باز معظم الأحاديث الواردة في فضل العرب في رسالة له بعنوان : (نقد القومية على ضوء الإسلام والواقع) وقال " بعضها ليس بصحيح بالكلية " وبين أن الأصل في المفاضلة بين الأقسام هو قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ سورة الحجرات الآية رقم 13. انظر موقع ابن باز على الرابط <https://binbaz.org.sa/old/109624> تاريخ الدخول : 2018/07/14. ومع ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " وجهور العلماء على أن جنس العرب خير من غيرهم كقريش خير من غيرهم وحنس بني هاشم خير من غيرهم . وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: {النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ خَيْرُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خَيْرُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَهَّمُوا} . لكن تفضيل الجملة على الجملة لا يستلزم أن يكون كل فرد أفضل من كل فرد ، فإن في غير العرب خلقا كثيرا خيرا من العرب . " انظر ، ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، تحقيق عبد الرحمان محمد بن قاسم ، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، السعودية ، 1416هـ - 1995م ، ج 19، ص:29.

#### هـ- الفصل الرابع :

وقد كان موضوعه الحديث عن بعض المواطنين رحلته مع أبيه الى الحجاز لأداء فريضة الحج و بلاؤه في جهاده وبناء دولته وأقصى ما بذله في سبيل الدفاع عن دينه وأمته من حروب ومعاهدات وما لقيه من محن وسجن جراء ذلك.<sup>(1)</sup>

#### و- الفصل الخامس :

فيه بيان ما كانت عليه العرب من حسن الطباع والأخلاق مثل الكرم والوفاء والشجاعة وبراعة الكلام من شجع وحكم وأمثال ونظم وشعر وقصة هبوط آدم وبنائه للكعبة<sup>(2)</sup> وتجديد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام بناء الكعبة<sup>(3)</sup> وغزو ابرهة لمكة وقصة الفيل ص 234. وقصة سيف بن ذي يزن وتحرير اليمن وتبشير ه لعبد المطلب بمولد الرسول ص 241 وما بعدها. وفضل قريش وغير ذلك من المسائل .

#### ز- الفصل السادس :

ويتجسد في هذا الفصل خلق من أخلاق الأمير العالية في التسامح والتواصل الإنساني حيث يتحدث عن نسب الروم القيصرية وما امتازوا به من خصال حميدة مثل مودتهم للمؤمنين وحفظهم لليهود وثناء القرآن عليهم في ذلك حينما نصروا المسيح عليه السلام لما قال لهم ﴿ من أنصاري إلى الله . قال الحواريون نحن أنصار الله آمننا بالله وأشهد بأننا مسلمون ﴾<sup>(4)</sup> وقوله ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا . ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا و أنهم لا يستكبرون ﴾<sup>(5)</sup> . قال الأمير " وهذه - الآية - شاملة لجميع أفراد الجنس . نزلت هذه الآية في النجاشي . بعث إليه رسول الله - ص - بكتابه فقرأه . " كما يبسط الأمير الحديث في ما جاء في الإنجيل من تحبيب المسلمين للنصارى . كما يذكر فضل المسيح وأمه مريم العذراء و

(1)- الأمير عبد القادر : مذكرات الأمير ، مرجع سابق ، ط 4 ، 2004م ، ص : 44 .

(2)- المرجع نفسه ، ص : 211 .

(3)- المرجع نفسه ، ص : 218 .

(4)- سورة آل عمران ، الآية رقم 52 .

(5)- سورة المائدة ، الآية رقم 82 .

يشيد بهرقل ملك الروم. كما ذكر لهم جملة من أخلاق حميدة رآها في من عاصروهم في الجزائر وفي سجنه بفرنسا. (1) وقد سبقت الإشارة الى ذلك في بعض أبيات من قصيدتين كتبهما في فترة سجنه بمدينة طولون "Toulon" (2) وقد ذكرهما في آخر الفصل الرابع من هذه المذكرات ، ومما جاء في الأولى:-  
البيت الأول ثم الرابع -

أطولون أغمرتنا بالبسط والنعم أنلتنا كرما بالفضل منفعم  
سهلت سهلا فجرت أهلا في سمة بأوجه لحسان الوجه في شيم (3)  
وفي الثانية يذكر ما لقيه من حفاوة وإحسان في مدن آش و طارب و بو. (4)  
مجاوزين قصر آش و طارب فأحرق أهلها في زي ناظر  
وكلهم على الإشفاق لبوا وأعلن بالتودد لا مكابر  
ثم يقول أيضا بعد بيتين :  
ولاح لنا به كتاب سهل من الجمهور متضح البشائر  
ويرمز بالصراحة لاقتراب من التسريح والإله قادر  
فكم أبدت لنا من حسن جود مدينة " بو " ونعم ما تظاهر (5)

(1)- الأمير : المذكرات ص 283.

(2)- طولون : (بالفرنسية: Toulon) هي مدينة فرنسية وهي عبارة ميناء بحري في الجنوب الشرقي من الساحل الفرنسي. يبلغ عدد سكانها 170,167 نسمة ويبلغ مجموع عدد سكان حاضرتها 437,553 نسمة. وتتميز بأرصفة المراسي الممتازة التي يمكنها استقبال السفن الضخمة. وتقع في مدينة طولون ثانياً أكبر القواعد البحرية الفرنسية، أما القاعدة البحرية الفرنسية الأولى فتقع في مدينة برست. ومدينة طولون العاصمة الإقليمية لهذه المنطقة. ومن أهم المعالم السياحية في هذه المدينة سوق السمك الذي يعود إلى القرن السادس عشر الميلادي. وأهم الصناعات الموجودة فيها صناعة بناء السفن، وإنتاج الكيمائيات والآلات الكهربائية. انظر موقع المعرفة <https://www.marefa.org>. تاريخ الدخول 2020/05/29م.

(3)- المرجع نفسه ، ص : 206 وما بعدها

(4)- مدينة آش " AUCH " توجد على نهر الجير 680 كم غرب باريس. و طارب " Tarbes " على بعد 771 كم جنوب غرب باريس. ومدينة بو " Pau " توجد على نهر تبعد ب 751 كم جنوب غرب باريس، وهو المعتقل الثاني الذي نقل إليه الأمير بعد طولون. انظر مذكرات الأمير مرجع سابق ، ص : 209 في الهامش .

(5)- المرجع نفسه ، ص : 209.

### ح- الفصل السابع :

وقد تضمن مباحث في الأنتربولوجيا من خلال بيان أصل الجنس البشري وفروعه والعلاقة بين نسب العرب والروم ومثل بالنبي شعيب العربي ومصاهرتة لنبي الله موسى الإسرائيلي و النبي -ص- وهو عربي بماربة القبطية وذكر قصة ياجوجوماجوج وذو القرنين والنبي سليمان وملكه وقصة النمرود مع نبي الله ابراهيم وبخت نصر البابلي وأصحاب الأخدود كما ذكر ما اختص به كل جنس من آداب وعلوم وأقوال وحكم وتجارب .<sup>(1)</sup>

### ط - الخاتمة :

وقد ذكر فيها الشهور القمرية عند العرب وسبب تسمية الأربعة الحرم والتي هي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم وهي المتواليات والرابع رجب الفرد . كما ذكر أسماء الشهور عند العجم وعند الروم وتعريف الوقت والفرق بينه وبين الزمان وحديث عن الشمس وشيء من علم الفلك كما تحدث على نقباء بني إسرائيل الإثنا عشر وأصل أصنام نوح عليه السلام وأصحاب الكهف واسماء بعض أفراد أسر الأنبياء وأولوا العزم منهم . والحديث عن الساعة والدجال.<sup>(2)</sup>

### 4-4- نماذج من كتابات الأمير في مذكراته :

#### أ- في فضل علم الفرنسيين وعلم المنطق :

قال الأمير : " ...وبهذا تعلم أن هذا الجنس الفرنسي فاق على جميع الأجناس الرومية والنصرانية بكونه يستعمل الفائدة وينقلها أينما وجدها ولا يقول هذه ليست لغتي أو ليست عادة بلدي أو وطني ،

(1)- الأمير عبد القادر : المذكرات مرجع سابق ، ص : 297 وما بعدها.

(2)- المرجع نفسه من ص 309 الى ص 316.

فكأنهم سمعوا قول نبينا صلى الله عليه وسلم للمؤمنين : " الحكمة ضالة المؤمن يطلبها حيث يجدها . " (1) وقال المغيلي (2) في الرد على السيوطي حين قال بتحريم المنطق لأنه إنما ابتدعه كافر يشير إلى أفلاطون ودع عقلا أبداه كفور وذمه رجال وإن أثبت صحة نقله خذ العلم حتى من كفور ولا تقم دليلا على شخص بمذهب مثله. (3)

**ب - من علم الفلك وفيه تعريف للوقت :**

يقول الأمير : " .... والوقت أخص من الزمان الذي هو حركة الفلك على أفقنا . فالنهار فوقه أو تحته . فقليل عند الحكماء وعند المتكلمين مقارنة متجدد موهوم لتجدد معلوم إزالة للإبهام من الأول لمقارنة الثاني . والوقت عندهم أخص من الزمان لأنه الجلي المقارن للخفي . فطلوع الشمس للمعلوم وقت مجيئ زيد المجهول. والعكس. (4)

### ج - تعريف الشمس وبعض الأشكال الهندسية :

يقول الأمير : " .... وفي عرف أرباب النجامة كون الشمس ونظيرها بدائرة أفق معين أو بدرجة علم مقرر بعدها منه . فالشمس كوكب نhari معلوم والدائرة سطح مستوي محيط به خط واحد في داخله نقطة ، كل الخطوط الخارجة منها الى المحيطة متساوية . فالنقطة مركزها وهي ما لاجزاء له والخط ماتركب

(1)-الترمذي : سنن الترمذي ، تحقيق وتعليق أحمد محمد شاكر و محمد فؤاد عبد الباقي و إبراهيم عطوة ، ط3 ، كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ، حديث رقم 2687 بلفظ " الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها " وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، 1395هـ - 1975م ، ج5 ، ص : 51.

(2)- المغيلي : محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت909هـ) . من قبيلة مغيلة البربرية ، نشأ بتلمسان - الجزائر - فقيه . مفسر . متكلم . وقع نزاع بينه وبين الإمام السيوطي في علم المنطق . ناوأ اليهود وقتلهم في توات بجنوب الجزائر . صاحب رحلة تعليم وجهاد في بلاد التكرور والسودان . توفي بتوات . له عدة تأليف منها : " البدر المنير في علوم التفسير " و " مصباح الأرواح في أصول الفلاح " و " شرح الجمل في المنطق " عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر ، ط2 ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، 1400هـ - 1980م ، ص : 308 .

(3)- المذكرات ، مرجع سابق ، ص : 198.

(4)- المرجع نفسه ص : 312.

منها .والسطح ما تركب من الخط وله طول وعرض والجسم متركب منه له طول وسمك . والأفق الدائرة التي هي آخر ما يدركه البصر من بسيط الأرض ، الفاصلة بين ظاهرالفلك وخفيه. " (1)

## 5-المواقف في التصوف

وله كتاب في التصوف يسمى "المواقف" وقد أثيرت حوله شكوك في موضوع نسبته إلى الأمير وسنرجى الحديث عنه إلى مباحث لاحقة .

### ثانيا : قبسات من فكره :

ولكي نقف أكثر على المستوى العلمي والفلسفي للأمير نختار جملة من الكتابات التي اقتبسناها من بحر فكره الواسع والمتنوع نبسطها في ما يلي :

### 1-في علم الحديث ومصطلحه :بيان وشرح معاني الحديث النبوي :

قال الأمير : " روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قام رسول الله في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم ذكر الدجال .فقال : إني أنذركموه ، ما من نبي إلا أنذره قومَه ، لقد أنذره نوح قومَه ..... " الحديث . استشكل بعض الناس هذا ، وقال كيف ينذر كل نبي قومه " الدجال " وهو لا يخرج إلا قرب القيامة ... " (2)

وفي الرد على المحدث القسطلاني : قال الأمير : قد سأل بعض الإخوان عن قول القسطلاني عند قول البخاري في غزوة حنين : " قسّم في الناس في المؤلفة قلوبهم ، ولم يعط الأنصار شيئا . وأنه حرم

(1)- المرجع نفسه ، ص : 312.

(2)- الأمير : المواقف ، تحقيق بكرى علاء الدين ، مصدر سابق ، الموقف 317 ، ج 2 ، ص : 85. والحديث أخرجه البخاري ، مرجع سابق، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : " إنا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليم " حديث رقم 3337 ، ج 4 ، ص : 134.

الأنصار من الغنيمة كلها ولم يقسمها فيهم لفرارهم " . فأجبت : وهو بعيد جدا ! وإنما المراد من قول البخاري إنه صلى الله عليه وسلم لم ينفلهم من الخمس كما نفل المؤلفه قلوبهم من طلقاء قريش وغيرهم من قبائل العرب . كيف يتصور أنه صلى الله عليه وسلم ما قسم الغنيمة بين الجيش كله ؟ وفي صحيح مسلم في هذه الغزوة نفسها : وقسم رسول الله غنائمهم بين المسلمين وقال النووي في باب التنفيل من شرح مسلم : " في الباب جواز استيهاب الإمام أهل جيشه بعض ما غنموه ، كما فعل رسول الله - ص - هنا وفي غنائم حنين . فهذا كله صريح في أنه - ص - قسم الغنائم على وجهها . والذي أعطاه للمؤلفة قلوبهم هو من الخمس .

وكذا قول القسطلاني في قوله - ص - في هذه الغزوة : ( رحم الله أخي موسى ، قد أودي بأكثر من هذا فصير ) " إن الذي أودي به موسى هو قول بني إسرائيل فيه إنه آدر . فهذا أبعد وأبعد . فإن إذاية موسى عليه السلام بهذا القول ليست بأكثر من نسبة رسول الله الى الجور والحيث ، وأنه ما أراد بقسمته وجه الله . وإنما المراد بالأكثر هو رمية عليه السلام بالزنى كما هو مذكور في قصة قارون وبقتله أخيه هارون ، ونحو ذلك... فهذا هو الأكثر إذاية ، لا قولهم إنه آدر. <sup>(1)</sup>

ونستنتج من السياق المنهج النقدي والتحليلي الذي يتعامل به الأمير مع نصوص التراث .

2- يكتب عن تأويل صفات الله في المواقف : " وأن نسبة هذه الأشياء من النعوت والصفات إليه ليست كنسبتها الى المحدثات فإن ذاته تعالى مجهولة أيضا . كما قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه وقد سئل عن قوله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ <sup>(2)</sup> : " الإستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة . "

(1)-الأمير : المواقف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، الموقف 307 ، ص: 378 و 379.

(2)- سورة طه الآية رقم 5 .

وكم هو مفيد لنا أن نقف على مثل هذه المسائل العقديّة من كتابات الأمير والتي تبين لنا التزامه بمذهب أهل السنة و لكي لا نذهب بعيدا أيضا في تأويل ما كتبه في تجربته الصوفية وخاصة ما تعلق منها بمسألة وحدة الوجود كما سيأتي في مباحث لاحقة.

### 3- من فقه الملاحم : حكم الهجرة من دار الكفر الى دار الإيمان :

وفي فقه الملاحم يكتب الأمير جوابا رد فيه على من سأله حول حكم الهجرة من دار الكفر الى دار الإيمان والعجيب أن الأمير كتب رسالته التي بين فيها وجوب الهجرة وحرمة الركون للكافر إذا استولى على بلاد المسلمين وأن من فعل ذلك تجري عليه أحكام المرتدين. واستشهد بأدلة شرعية مع مصادرها وهو في أهوال الجهاد والرباط ولم تكن بين يديه مراجع يستعين بها وإنما كان ينسخ رسالته مستعينا بوعاء العلم المخزون في ذاكرته. ولقد استشهد الأمير بأقوال جملة من علماء الإسلام القدامى والمعاصرين من مثل أبو السعود المفسر ، الونشريسي من كتابه المعيار ، ابن عرفه من مختصره ، المازري ، أشهب ، مالك ، البرزلي ، البيضاوي ، النووي ، ابن النحاس في كتابه مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ، خليل المالكي ، القاضي ابن الحاج التحجيني الأندلسي ، المغيلي من كتابه مصابيح الفلاح. وهذا مقتطف من تلك الرسالة :  
"...وقال ابن وهب من المالكية وجمهور الشافعية المرتد يسبى كالكافر الأصلي وهو حكم أبي بكر الصديق رضي الله عنه في أهل الردة فإنه حكم بسبيهم وأعطى عليا بن أبي طالب رضي الله عنه أم محمد ابن الحنفية وكانت سببت يوم حرب أبي حنيفة - أي قبيلة أبي حنيفة - وقتل مسيلمة الكذاب ووطئها علي رضي الله عنه بملك اليمين . قال ابن حجر في شرح الأربعين قول " ابن بطلال الإجماع على أن المرتد لا يسبى منقوض بما ذهب إليه ابن وهب من المالكية وبما ذهب إليه جمهور الشافعية . وخالف عمر ابن الخطاب أبابكر رضي الله عنهما فإنه أطلق سراح المرتدين بعد موت أبي بكر رضي الله عنه وقد كانوا في أسره وقال بعض العلماء كما نقله الشيخ سالم لا خلاف بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في سبي المرتدين إذ الإمام مخير بين الإسترقاق والمن فأبو بكر رضي الله عنه اختار استرقاقهم وعمر رضي الله عنه من عليهم ولا تناقض في



ذلك (...) انتهى المقصود بحمد الله وحسن عونه من جواب سؤال المحبين قطعاً لشبه المرتدين. ونحن في الثغر مرابطون ولا كتب عندنا ولا مواد وذلك في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائتين وألف من هجرة حائز الفخر والشرف صلى الله عليه وسلم<sup>(1)</sup>. وقوله الأخير دليل على أنه كان يكتب من ذاكرته دون الإستعانة بمراجع تحت يده وما كان ذلك ليحصل لولا سعة علمه و حفظه .

#### 4- حول انقلاب سلطان المغرب عبد الرحمان على الأمير ومساندته للفرنسيين :

و في رسالته التي استفتى فيها علماء الأزهر حول انقلاب سلطان المغرب عبد الرحمان عليه ومساندته للفرنسيين وتوقيع الهدنة معهم ، حيث ذكر أقوال العلماء في حكم المكره على فعل المنهيات وهل يمكن إسقاطها على مواقف الملك المغربي . ومما قاله الأمير في ذلك : " فهل يحرم عليه ذلك ويضمن ما غضب ويُقتلُ بنا إن قتلنا حسبما نص عليه المعيار في أول باب الجهاد وزيدته أنه إذا نزل الكافر بساحة المسلمين وقال لهم إن لم تعطوني فلانا أو ماله أو يُقتلُ إستأصلتكم فإنه لا يسعهم ذلك ولا يعطوه شيئاً مما طلب ولو خافوا استئصاله فإن أُعطيَ ماله ضمنه الأمر به ونقل ذلك عن نصوص المالكية والشافعية وكما نص على ذلك ايضا الشيخ ميارة في شرح لامية الزقاق في آخر باب الإمامة الكبرى ونصه : قال ابن رشد : إذا أمر الإمام بعض أعوانه بقتل رجل ظلما ففعل فلا خلاف أنهما يقتلان نقله المواق عند قول خليل في باب الجنائيات كُـمُكِرِه و مُـكِرِه فإن فعل المأمور ذلك خوفا على نفسه فإنه لا يعذر بذلك ..... " (2)

#### 5- أجوبة الأمير على أسئلة الجنرال دوماس<sup>(3)</sup> العشرين حول المرأة:

(1)- الأمير محمد ، ، ص : 276.

(2) - المرجع نفسه ، ص : 308 .

(3)- هو الجنرال أوجين دوماس " Eugène Daumas " سبق التعريف به

ومما يدل على سعة ثقافة الأمير وانفتاحه على الآخر مع محافظته على هويته وأصالته ما نقله ابنه محمد في مقال بعنوان " ذكر ما أجاب به الأمير عن أسئلة أرسلها إليه الجنرال دوماس الفرنسي " وقد تجاوز هذا المقال عشرين صفحة. ولقد تمثلت الأسئلة التي طرحها هذا الجنرال في الآتي :

س1 : عن اختيار الزوجة . س2 : الرجل يدفع المهر وحده. س3 : تعدد الزوجات والحواري . س4 : ضرب النساء وعدم مساعدتهن في الأعمال . س5 : بنات الأكابر وعدم تعليمهن . س6 : حول الرجل المسن يتزوج بالبنات الصغيرة . س7 : حول خصال المرأة . س8 : حول احترام المرأة . س9 : حول الغيرة على المرأة وحجبها على الغريب . س10 : حول زواج المرأة وهي صغيرة . س11 : حول كثرة الطلاق عند العرب . س12 : حول ميراث البنات . س13 : حول تعليم المرأة الكتابة . س14 : حول دخول المرأة الى المساجد . س15 : حول منع الصغيرة والجميلة من الخروج الى المسجد بخلاف الحج . س16 : حول دخول المرأة الى الجنة . س17 : عدم اتباع جنازة المرأة . س18 : حول التزوج بالمومس اذا تابت . س19 : حول التشاؤم بالمرأة . س20 : حول غيرة المرأة على قومها.<sup>(1)</sup>

وللوقوف على غزارة علم وثقافة الأمير نذكر مقتطفات من أجوبته على بعض هذه الأسئلة :

- ردا على السؤال الثالث حول تعدد الزوجات والحواري يقول : " إن الله تعالى خلق النساء لتكثير الأولاد وتفريقهم في أقطار البلاد ومن أراد تكثير الغلة يكثر المزارع ويجعلها أكثر من الحارث والله تعالى ما افترض على الرجل تزويج أربعة نسوة وإنما افترض عليه سلامة الدين والكف عن الزنا . فمن كانت سلامته في واحدة فهو أفضل (...). فالله تعالى لا يأذن لعباده في فعل ما فيه ضرر . فلو كان في فعل ما ذكرته ضرر ما فعله الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . ففي التوراة في الإصحاح التاسع والعشرين أن يعقوب تزوج ليا وراحيل وفي الإصحاح السادس والعشرين أن عيصو اتخذ نساء منهن يهوديات وبسمات . وفي سفر التكوين

(1)-الأمير محمد ، ص : 161.

في الإصحاح الرابع فأخذ له لامك امرأتين اسم أحدهما مادي واسم الأخرى صالي...<sup>(1)</sup> ويلاحظ هنا ثقافة الأمير الدينية التي مكنته من إقتباس الشواهد من كتب أهل الكتاب لكي تكون أقوى في إقناع محاوره المسيحي.

- وعلى السؤال الرابع حول ضرب النساء وعدم مساعدتهن في الأعمال يقول: " لا يضرب النساء إلا أوباش الناس والسفهاء الذين لا دين لهم و لا مروءة . وأما أفاضل العرب وأهل الدين منهم فإنهم لا يفعلون مع النساء إذا فسد حالهن إلا ما يطيب قلوبهن ويرضيهن من حسن الكلام ولين الخطاب والمداراة والتلطف حتى أن الرجل يجوز له أن يكذب على زوجته ويعدها ويمنيها إذا رأى ذلك يكون سببا في طيب قلبها و رضاها . وإذا فسد حال المرأة ولم تنفع فيها المداراة ولين الجانب فإنه يفعل معها ما أذن فيه الشرع من الوعظ والهجر ثم الضرب الخفيف الذي لا يغير جلدا و لا يسيل دما وقد نهي شرع الإسلام عن ضرب النساء وقال رسول الله - ص - : " لا يضرب النساء إلا أشرار الرجال " (...). وأما خدمة النساء وتكليفهن فوق طاقتهن وعدم خدمة الرجال فهذا ما رأيناه ولا نعرفه بل الذي رأيناه وعرفناه هو أن الرجل إذا كان غنيا فزوجته لا تخدم شيئا وإن كان ولا بد فإنها تخدم الخدمة الخفيفة داخل البيت بشرط أن لا يحصل لها بها أدنى ضرر و إن كان الرجل فقيرا فهو يخدم الخدمة التي تناسب الرجل كخدمة الفلاحة والمواشي والتجارة . والمرأة تخدم الخدمة التي تناسب النساء كالغزل والنسيج والخياطة والطبخ في الحاضرة وسقي الماء والاحتطاب في البادية...<sup>(2)</sup> وليس من المبالغ فيه أن يصنف هذا النص الأميري في مباحث الفلسفة واليومي وهو مقياس يدرس في بعض الجامعات حيث يعالج مسائل مرتبطة بإشكالات الواقع الحياتي للإنسان وهذا ما تسعى له دراسات الفلسفة التطبيقية الحديثة من مثل الفلسفة والمجتمع ، والدولة ، والحرب ، والبيوتيقا الى غير ذلك .

---

(1) - المرجع نفسه ، ص : 164.

(2) - المرجع نفسه ، ص : 166 وما بعدها .

-وعلى السؤال العاشر حول زواج المرأة وهي صغيرة يقول " اعلم أن العرب لا يزوجون بناتهم صغارا إلا لفائدة وهي إما أن تكون للزوج أو لولي البنت . فأما فائدة الزوج فإن البنت إذا كانت ابنة أكابر إما بالشرف أو بالمال . فإن الرجال يرغبون في نكاحها ويتسابقون إليها فكل واحد يخاف أن يسبقه إليها غيره (...). أما فائدة ولي البنت فإن الرجل قد يزوج ابنته صغيرة لأحد أمرين أحدهما أن يكون له أولاد غير البنت فيخاف إذا تزوجها غريب أن يضر بأولاده من جهة أن البنت تشاركهم في مال أبيهم (...). فلهذا يبادر الرجل ويزوج ابنته من ابن أخيه أو ابن عمه أو ممن يظن فيه أنه يرفق بأولاده (...). الثاني أن بعض الناس يخاف من الطعن في ابنته وتهمتها بالقبيح فيزوجها ويستريح وتزويج الصغيرة جائز في شرعنا إذا لم تكن يتيمة أما إذا كانت يتيمة فإنها لا تتزوج صغيرة إلا إذا خيف عليها الفساد وتزويج الصغيرة جائز في الشرائع القديمة ففي التوراة إذا بلغت البنت اثنتي عشرة سنة فلم يزوجها أبوها فأثمت البنت فإثم ذلك عليه لأنه هو السبب في تأخير تزويجها ... " (1)

#### 6- المرأة في فكر الأمير الفيلسفي :

أردت أن أعتنم مناسبة حديث الأمير الفيلسفي عن المرأة من خلال أجوبته العشرين المذكورة في كتاب ابنه تحفة الزائر كما أشرنا الى ذلك آنفا لكي أشير الى بيان رمزية المرأة في فكره الفيلسفي الصوفي . وأن الأمر لا يعدو كما أوماً أحد الباحثين بقوله : "وإذا ما أخذنا في الاعتبار أن ثقافة الأمير عبد القادر يغلب عليها ما يتصل بالفقه والحديث و علوم القرآن، فإنّه يمكننا أن نفهم هيمنة الرؤية الفقهية القرآنية الظاهرية على مقارنته لمسألة المرأة (...). لذلك تسكت كتابات الأمير عبدالقادر ورسائله عن عقل المرأة وفكرها وكيونتها الذهنية ، بل إنه ييوح في بعض شقوق رسائله مثلا بعدم ضرورة تعلم المرأة للكتابة وهو في الحقيقة موقف تقليدي محافظ يزيد في تأكيد صورة المرأة

(1) - المرجع نفسه ، ص : 166 وما بعدها .

الجسد والمتاع والشهوة، لا المرأة العقل والوجود المستقل كما تبشر الحداثة وقيمها بذلك.<sup>1</sup> ولكن تكفينا قراءة واعية في بعض ما كتب الأمير لكي ندرك نظرته المتعالية والرمزية للمرأة إذ ليست المرأة في كتابات الأمير وفكره جسدا ومتاعا وشهوة فقط بل هي كائن يتمتع بمواهب ألهمت قلم الأمير الفيلسفي عدة معاني نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر ما يلي :

- أن المرأة بأنوثتها وفي لحظة قضاء الوطر هي مظهر للتجلي الإلهي الذي يسعى العابد والمتصوف الى تحقيقه ويؤكد هذا الحديث الشريف : " وفي بضع أحدكم صدقة ... " والناظر في سياق متن الحديث يتبين له رمزية المرأة التي قصدتها الأمير في قوله : " كنت مع أهلي في لحاف ، وأنا في مشاهدة ، فصعقت

، كلمني الحق تعالى وقال لي ﴿ إني أنا الله لا إله إلا أنا ﴾<sup>(2)</sup> الرب المبارك فحصل لي بعد الرجوع الى الحس فرح ، وعرفت منه بشارة وأي بشارة"<sup>(3)</sup>

- والمرأة الزوج هي اللوح المحفوظ كما في تأويل الأمير لقوله تعالى ﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾<sup>(4)</sup> حيث يقرر الأمير أن كل العالم مخلوق من الحقيقة المحمدية المسماة بالعقل الأول والقلم الأعلى وخلق منها زوجها وهي النفس الكلية

(1) آمال موسى : المرأة في فكر الأمير عبد القادر تمثلات لصورة المرأة الأمموزج " ، شبكة الأنترنت

: <https://ar.leaders.com.tn/article/1119> تاريخ الدخول 20/11/2020.

(2)-سورة طه ، الآية رقم 14.

(3)-الأمير عبد القادر : المواقف الروحية و الفيوضات السبوحية ، تحقيق ، عاصم ابراهيم الكيالي ، مصدر سابق ، ج1، الموقف 84 ،

ص : 147.

(4)-سورة النساء ، الآية رقم1.

المسماة باللوح المحفوظ. ومنها نشر الآباء العلويات أي الأرواح والأمهات السفليات أي النفوس الجسمانية (1).

-وقد نكتفي بنموذج آخر يرقى به الأمير بعنصر المرأة الى أفق كوني يذهل العقول -على حد تعبير الأمير نفسه - ويكشف سر هذا الذهول الذي لم يذكره شيخه ابن عربي مسجلا في نفس الوقت دليلا على تميزه واستقلاله عن فكر أبيه الروحي صاحب الفتوحات . حيث يتأول الأمير حسب مشاهداته الصوفية قوله تعالى : ﴿وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ (2) فيقول : " الخطاب لعائشة و حفصة - رضي الله عنهما - تظاهرا تعاونا على رسول الله - ص - فإن الله هو مولاه وناصره ومؤيده ، وجبريل وصالح المؤمنين وجميع الملائكة بعد ذلك ظهير ، أعوان على نصرة رسول الله - ص - انظر وتأمل أمر هاتين السيدتين تجده أمرا إمرأ ، وتعلم أن لهما المكانة الكبرى ، حيث جعل تعالى نفسه في مقابلتهما نصرة لرسول الله - ص - مع جبريل وصالح المؤمنين وجميع الملائكة - صلى الله عليهم جميعهم - فهل هذا إلا شيء يذهل العقول ، ولا يبقى معه معقول ؟ وكم مرة ذكر سيدنا في الفتوحات هذه الآية مستعظما لها ؟ وما كشف سرها .

ثم يقول الأمير : " وكشف هذا السر وإيضاح هذا الأمر بطريق النذر والإشارة ، لا بطريق الإسهاب وتفصيل العبارة هو أن المرأة من حيث ماهي إمرأة مظهر مرتبة الإنفعال وهي مرتبة الإمكان . ومرتبة الإنفعال لها الشرف الباذخ ، والمجد الراسخ فإنه لولاها ، أي مرتبة الإنفعال وهي مرتبة الإمكان والقبول لتأثير مرتبة الفعل وهي مرتبة الألوهة - مرتبة الأسماء - . ما ظهر لأسماء الألوهة أثر ، ولا عرف لها خبر ، إذ علة التأثير والإيجاد مركبة من الفاعل وهي مرتبة الألوهة والوجوب . ومن القابل وهي مرتبة الإمكان والإنفعال ، فلذا كان الفاعل لا يفعل في المستحيل ، فإنه لا يقبل التأثير ، ولا ينفعل لفعل الفاعل ، مع ما

(1)-الأمير عبد القادر : المواقف الروحية والفيوضات السبوحية ، تحقيق ، عاصم ابراهيم الكيالي ، مصدر سابق ، ج 1 ، الموقف 155 ، ص : 287 .

(2)-سورة التحريم ، الآية رقم 4.

حصلته هاتان السيدتان من الكمال بمظهريتهما لمرتبة أسماء الألوهة والتحقق بها ، فإن الكمال يكون في النساء ، كما شهد بذلك رسول الله - ص - . فليس الكمال خاص بالرجال .... " (1) وتتجلى لنا اللغة الفلسفية للأمير في هذا السياق حيث بين الأثر الذي أحدثته المرأة بطبيعتها الفطرية التي تنزع الى دائما الى نرجسيتها التي فطرت عليها ومن خلال ما ورد في كتب التفسير حول سورة التحريم حيث تشير الآيات الأولى منها الى ماقع للنبي صلى الله عليه وسلم مع بعض نساءه من توتر وانفعال فكانت المناسبة لبيان كثير من الأحكام الشرعية العقديّة والفقهية التي بينها الله من مثل أن التحليل والتحريم حق لله تعالى وأن مقام النبوة لا يرقى إلى مقام الألوهية الى غير ذلك من الأحكام المقررة في السورة والتي كان للمرتبة الإنفعالية للمرأة السبب المباشر في تشريعها.

ومن ما خطت يدا الأمير رسائله التي كتبها في شؤون مختلفة والتي سندكر بعضها منها في مايلي .

### ثالثا :مراسلات الأمير :

تتضمن رسائل الأمير عبد القادر التي كتبها في مناسبات كثيرة أغراضا متنوعة منها رسائل سياسية وتنظيمية وأخرى علمية وأدبية والتي كان يوجهها إلى العدو أو الصديق حسب الضرف الذي كان يعيشه. وقد تضمنت هذه الرسائل في ثناياها أحكاما وأفكارا في ميادين علمية مختلفة يقف قارئها على المستوى الثقافي والعلمي المتميز. ولو جمعت هذه الرسائل - كما يرى أحد الباحثين - لبلغت عدة مجلدات (2). وفي ما يلي عرض لنماذج من هذه الرسائل -ومنها ما ذكرناه سابقا- مع الإشارة إلى الغاية منها :

### أ - رسالة الى بعض القبائل يحثهم فيها على الجهاد :

(1)-الأمير عبد القادر : المواقف الروحية والفيوضات السبوحية ، تحقيق ، عاصم ابراهيم الكيالي ، مصدر سابق ، ج1 ، الموقف 249 ، ص : 590.

(2)- بركات محمد مراد ، ص : 53 .

وقد أرسلها لأهل فحيج في 18 شوال 1251 هـ - 5 فيفري 1836 م . ومما جاء فيها : " أصلحكم الله حالا واستقبالا ، وسدد رأيكم ووفقكم لإمارات العصمة جلالا وجمالا وسلاما على محافلكم السامية ، يعم مرايعكم الناهية ويتحفها بتحفة الكرامة الباهية ورحمة الله وبركاته ما ترقى الطوالع بأضوائها زاهية " ونسجل هنا الجانب الفني والأدبي العالي في أسلوب الأمير . وليبيان غرضه من الرسالة يقول : " أما بعد فإن الغيرة الإسلامية تحق لأمثالكم والإعتيادات الأنفية تجب على أقوالكم وأفعالكم وكيف لا والعدو الكافر - أذله الله - جال في بلاد المسلمين وصال وسعى في خراب مدنهم وقصورهم بمساجدها المعدة بالغدو والأصال ، وحدت شوكتها على القريب والقاصي وتظافت جيوشه على إجلاء المطيع منهم والعاصي " . ثم يبين الأمير ما بذله من جهد ومدافعة للعدو الفرنسي " وكم اشتغلنا بمدافعتهم مرارا وتداولنا معه في الحروب سرا وجهارا إلى ان انكسرت الرماح وتدنست بنادق الرماح . وقضت الصناديد نحوها وتعمدت الفرسان نصبها ولغوبها . ولا زلنا على ذلك التدافع والتناول إلى أن تنفرد السالفة وتنعدم دور المناصب المنيفة . غير أننا خشينا من تفاقم الأمر وتزايد من قطر الى قطر فنؤد من صلاح رأيكم الناجحة وسداد إشارتكم الصالحة أن تزيدوا في إخوانكم القوة السادة باسترسال المادة . " (1)

### ب- من رسائله إلى قادة فرنسا أيام جهاده في الجزائر:

ويبعث رسالة للحاكم العام درلون في صيف سنة 1935م - وهدنة ديميشال قائمة - يستنكر فيها منعه من تولي منطقة التيطري والتي جاء فيها : " قد وصلني تحريككم وتعجبت مما ذكرتموه فيه ثم أقول أن مرمى أفكار حضرتكم بعيد عن الإصابة لأن محافظتي على السلم لا يجهلها أحد ولولا ذلك ما احتجت إلى مذاكرتكم فيما أجره في وطني وقصارى الأمر أنه لا يبعد أن يكون بعض أهل الفساد ألقى في ذهن حضرتكم ما أوجب أن يكون جوابكم على هذا الأسلوب وعلى كل حال فيني عدلت الآن على النهوض

(1)- عبد الرزاق بن سيع ، ص : 241.



إلى تيطري إبقاء للسلم ورعاية له.<sup>(1)</sup> وفي الرسالة مثال على السلوك الدبلوماسي للأمير الذي من خلاله يرفض رأي الخصم بلباقة. وكذلك إثارة للسلم على الحرب .

### ج- من رسائله في فلسفة البناء التنظيمي :

ج1- يبعث الى رؤساء القبائل يخبرهم بأمر مبايعته و منهجه في القيادة والحكم

" الحمد لله ، إلى قبيلة ( كذا ، خصوصا أشرفها وعلمائها وأعيانها ) وفقكم الله وسدد أموركم وبعد . فإن أهل معسكر وأهل غريس الشرقي و الغربي ومن جاورهم واتحد بهم قد أجمعوا على مبايعتي وبايعوني على أن أكون أميرا عليهم وعاهدوني على السمع و الطاعة في العسر و اليسر وعلى بذل أنفسهم وأولادهم وأموالهم في إعلاء كلمة الله وقد قبلت بيعتهم وطاعتهم . كما أني قبلت هذا المنصب مع عدم ميلي إليه مؤملا أن يكون واسطة لجمع كلمة المسلمين ورفع النزاع و الخصام من بينهم وتأمين السبل ونفي الأعمال المنافية للشريعة المطهرة وحماية البلاد من العدو وإجراء الحق والعدل نحو القوي والضعيف فلذلك ندعوكم لتتحدا وتنفقوا جميعا واعلموا أن غايتي القصوة اتحاد الملة المحمدية والقيام بالشعائر الأحمدية وعلى الله اتكالي في ذلك كله فاحضروا لدينا لتظهروا خضوعكم وتؤدوا بيعتكم وفقكم الله وأرشدكم . حرر عن أمر ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين من معسكر في الثالث من رجب سنة ثمان وأربعين ومائتين وألف وفي السابع و العشرين من نوفمبر سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة وألف ميلادية ."<sup>(2)</sup>

ج2- في تقليد المسؤوليات وتنظيم الرعية.

لما أراد تعيين حاكما على منطقة الأغواط بعث برسالة إليهم جاء:

(1)- الأمير محمد ، ج1 ، ص : 144.

(2)- الأمير محمد ، ج1 ، ص : 111.

" هذا ظهير شريف يتضمن الترغيب في جمع كلمة الرعية والترهيب من السعي في تفريق الجماعة والدعاء الى التمسك بأوامرنا المطاعة اصدرناه للمكرم المحترم السيد الحاج العربي الأغواطي وذلك أنه لما تقرر لدينا فضله وعدله. رأينا أنه أحق من نقلده الأمر الأكيد ونرمي به الغرض البعيد ونستفسر به أحوال الرعية حتى أنه لا يغيب عنا شيء من أحوالها ولا يخفى علينا ما يتجشمها من طارق أهوالها وينهى إلينا جميع ما يحدث فيها انهاء يتكفل بجلائلها ودقائقها . وجعلناه نائبا عنا وخليفة لنا في قبائل الأغواط الشراقة والغرابة ومن إليهم من القبائل الصحراوية في الجهات الجنوبية فيجمع سائر وجوهها وأعيانها ويخبرهم بأمرنا هذا ويتلوا عليهم ما قلده به ويقرر لديهم وجوب طاعته ولزوم اتباعه والإذعان لأوامره ونواهييه وقد عينا له من العسكر النظامي ما يتوصل به إلى تقرير الأحكام وحماية الأموال وقهر المظالم والأخذ بيد المظلوم . هذا مع ما نعتمد عليه من انقياد رعيتنا للأحكام الشرعية والأوامر المرعية ولذلك لم نبالغ بالإستكثار من العسكر لخدمة خليفتنا المذكور فكونوا أيها الناس لأمره السالك فيه على جادة الحق والعدل سامعين ولكلمته مطيعين و اعلموا أن من نكث فإنما ينكث عن نفسه والله ولي المتقين . حرر عن إذن مولانا ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين في سنة أربع وخمسين ومائتين وثمان وثلاثين وثمانمائة ."<sup>(1)</sup> . ولا يخفى على دارس ما في هذه الرسالة من مسائل تتعلق بالممارسات السياسية الرشيدة للأمير .

### د-رسالة يستفتي فيها أهل العلم في فقه الجهاد :

وفي فقه السياسة الشرعية والملاحم يكتب الأمير رسالة الى قاضي فاس عبد الهادي العلوي يستفتيه عن بعض قبائل الساحل دخلت في طاعة المارشال بيجو وقد ضمّن رسالته جملة من الأسئلة فيها إشارات كثيرة في فقه الملاحم والجهاد جاء فيها : " ما هو حكم الله في من والى الكافر باختياره ويقا تل معه ؟ و يصرف له مرتب وإن أظهر شجاعة فُلِّد علامة في صدره تسمى لاتور عليها صورة ملك فرنسا . هل هم مرتدون ؟ إن قلتهم بردتهم ، هل يستتابون أم لا ؟ ما حكم نسائهم ؟ وهل يستتابون أو يقتلن أو يسترققن

(1)- الأمير محمد ، ج1، ص : 188.

كما نقل عن ابن الماجشون . ما حكم ذريتهم ؟ هل لنا سببهم أم لا ؟ وهل ما حكاه ابن بطال من الإجماع على أن المرتد لا تسبى ذريته منقوض بما نقل عن ابن وهب وعن جمهور الشافعية أن المرتد كالكافر الأصلي . وهل يسوغ لنا العمل بما ينقل عن أصحاب مالك رضي الله عنه من الأقدمين كابن وهب وأمثاله في طبقته ؟ مما لم يشهره المتأخرون ؟ " <sup>(1)</sup> وفي الرسالة عبارات كثيرة تدلنا على طول الباع في العلوم الشرعية.

### هـ- رسالة الى الوزير خير الدين التونسي<sup>(2)</sup> في شأن التكفل بأتباع الثائر محمد المقراني :

لما هاجر المقرانيون الى تونس فرارا من الجيش الفرنسي بعد ثورتهم سنة 1870م بعث الأمير بهذه الرسالة الى خير الدين التونسي يستوصي بهم خيرا ومما جاء في هذه الرسالة : " وإنه بلغنا وصول الفئة المقرانية و أولاد يلس الى الحاضرة ملتجئين الى سطوتك التي هي أقوى ما يشد به الملتجئ به أزره ويعضده وهم في هذا لاشك مصيبون في اجتهادهم ظافرون بنجاح مرادهم (...). ومع هذا فلا نخلي كتابنا هذا من تقديم الرجا الى مقامها الأسماء والتوصية النافعة الى جنابك الأسنى بأن تشملهم بلحظة تخلصهم من غوائل الدهر وتنقدهم من شرك الكدر والقهر. " <sup>(3)</sup>

وبالرغم من تعهد الأمير للدولة الفرنسية بعد التسليم بعدم الإشتغال بالسياسة والجهاد ضدها إلا أننا نجد - كما هو واضح من نص هذه الرسالة - لا ينفك عن مناصرة بني ملته من المقرانيين ! فهل هذا السلوك يناقض منهجه في التعامل مع الغير الذي حرص فيه الأمير على أن يكون مثالا أعلى في الإلتزام

(1)- الأمير محمد ، ج1 ، ص : 251.

(2)- خير الدين التونسي ( 1237هـ/1822م - 1308هـ - 1890م ) من منطقة إباطة الشركسية بالقوقاز . وقع أسيرا ورحل الى استنبول ثم الى تونس سنة 1255هـ - 1839م وكان عبدا للسيد حسين بك . نال حظوة بقصر باردو وانخرط في سلك العسكرية وتقلد عدة مهام الى أن أصبح وزيرا سنة 1287هـ - 1870م . ثم رقي الى مرتبة الصدر الأعظم من طرف السلطان عبد الحميد . ألف كتاب " أقوم المسالك " سنة 1204هـ - 1867م . وطبع بباريس سنة 1258هـ - 1868م . ناصر الدين سعيدوني : من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب العربي ، ط 1 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1999م ، ص . ص : 550-558.

(3)- يحي بوعزيز : الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري ، مرجع سابق ، ص : 288.

بالصدق والوفاء وعدم الخيانة والغدر؟ أم هو إجتهد و تأويل؟ حيث لا يرى في عقده مع المستعمر الفرنسي على السلم منافيا للقيام بواجب الولاء والنصرة لكل المضطهدين ما لم تقع أحداث فوق أرض الجزائر فيها قتال يكون الأمير مديرها أو طرفا مشاركا فيها .

#### و- رسالة أخرى إلى خير الدين التونسي :

كما لا يفوتنا أن نشير إلى أن الوزير بعث بكتاب ألفه عنوانه " أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك " الى الأمير لإبداء ملاحظات حوله فبعث إليه برسالة إطرأء جاء فيها " ورد علينا من حضرتكم كتاب سني يشتمل على خطاب لذيذ شهبي فاستدعى شكري وحمدي واستخلص من صفاء المودة ما عندي . عرفتمونا فيه من خير سلامتكم وما نرجو له من الدوام وندعو له بالحفظ من حوادث الأيام . وقد اطعننا على أقوم المسالك فرأينا فيه ما سر العقول وأدى الأفكار الى الذهول. من قضايا المعقول والمنقول فاتفتت القلوب عن تفضيله واختلفت الألسنة في تمثيله ..."<sup>(1)</sup> وفي السياق إشارة الى المبلغ الذي وصل إليه الأمير في رتبة التحقيق العلمي والأسلوب النقدي .

#### ز- رسالة إلى شامل الداغستاني<sup>(2)</sup> :

(1)- الأمير محمد ، ج 2 ، ص : 196.

(2)- الإمام شامل الداغستاني : شيشاني من داغستان .انتمى فيها الى الزاوية النقشبندية . أصبح أميراً سنة 1250هـ-1834م .كون تنظيمًا عسكريًا واهتم أيضا بنشر العلم .دخل في مفاوضات مع عدوه الروسي في سنة 1837م وأعادها في سنة 1839م.ولكن عدوه اختطف ابنه الذي قدمه لهم كرهينة . حوضر في قلعة فدنو مع 400 من رجاله مما اضطره الى الإستسلام سنة 1276هـ -1859م.نفي الى جنوب غرب موسكو - kaloga - وفي سنة 1286هـ -1869م أذن له بالمهجرة الى الحجاز فاستقبله السلطان العثماني والحديوي . منح له قصرا في المدينة المنورة وقد عاش فيه الى أن وافته المنية سنة 1288هـ -1877م ، بوعلام بالسايح : الإمام عبد القادر المغربي والإمام شامل الآسيوي رمزان بارزان للدفاع عن الإستقلال الوطني والذود عن الإسلام .من محاضرات المجلس الإسلامي الأعلى ، الجزائر ، 1999م ، ص : 143.

لقد أعجب الإمام شامل -وهو رهن الحصار في روسيا- بصنيع الأمير مع أهل الذمة النصراني سنة 1860م ومما قاله له في رسالة كتبها له : " الى من اشتهر بين الخواص والعوام وامتاز بالمحاسن الكثيرة عن جملة من الأنام ، الذي أطفأ الفتنة قبل الهيجان (...). وقد تعجبت كيف عمي من أراد الخوض في تلك الفتنة العظيمة من الولاة عن حديث رسول الله - ص - : " من ظلم معاهدا أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة وهو حديث حسن ثم لما سمعت أنك خفضت جناح الرحمة والشفقة لهم وضربت على يد من تعدى حدود الله تعالى وأخذت قصب السبق في مضمار الثناء واستحقيت ذلك رضيت عنك والله تعالى يرضيك يوم لا ينفع مال ولا بنون لأنك أحييت ما قال الرسول العظيم الذي أرسله الله رحمة للعالمين ووضعت من يتجرأ على سنته بالمخالفة نعوذ بالله من تجاوز حدود الله ولكوني ممتلاً بالرضى عنك كتبت هذه الرسالة إليك إعلاما بذلك والسلام . " حرر سنة سبع وسبعين ومائتين وألف ، شمویل الغريب .

وفي متن هذه الرسالة شهادة وتنويه بدور الأمير عبد القادر في معالجة المشكلة الطائفية في دمشق سنة 1860م وستعرض الى تفصيل ذلك في مبحث الممارسة السياسية لاحقا .

**فرد عليه الأمير في رسالة جاء فيها :** " الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه من النبيين... " ذكر الصلاة على كل الأنبياء مناسب لغرض الرسالتين الذي هو العطف على المسيحيين ثم يواصل الأمير قائلا " ... إنه من الفقير الى مولاه الغني عبد القادر بن محي الدين الحسيني الى الأخ في الله تعالى والحب من أجله الإمام شمویل كان الله لنا ولكم في المقام والرحيل وسلام الله عليكم ورحمته.... " وهذه إشارة من الأمير يستوعب فيها المحن التي مر بها الإمام الشيشاني وهي مشابهة لمحن لأمير. " ويواصل الأمير " ...وبعد فإنه وصلني الأعز كتابكم وسرني الألد خطابكم<sup>(1)</sup> والذي بلغكم عنا

(1) - نلاحظ في كلام الأمير تقدم الصفة على الموصوف ولعله نوع من البلاغة لجعلها كما يمكن أن يكون تصحيحا في النسخ و المؤلف هو أن يقال " كتابكم الأعز وخطابكم الألد."

ورضيتم به منا من حماية أهل الذمة والعهد والذب عن أنفسهم وأعراضهم بقدر الطاقة هو في كريم علمكم مقتضى أوامر الشريعة السنية والمروءة الإنسانية فإن شريعتنا متممة لمكارم الأخلاق فهي مشتملة على جميع المحامد الموجبة لائتلاف اشتغال الأمواق على الأعناق والبغي في كل الملل مذموم ومرتعه وخيم ومرتكبه ملوم ولكن "يقضي على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن...." فإن الأمير هنا يشيد بأحكام الشريعة الإسلامية السمحة في التعامل مع المخالفين في المعتقد والتي هي المنطلق في ارتباط التصوف بالممارسة السياسية وما التصوف إلا حالة شعورية ونفسية متسامية في اتجاه الإله.

ثم يغتنم الأمير الفرصة لكي يواسي صديقه في محنته ويخبره عن بعض تجربته في الأسر عند فرنسا ويفيده بآراء سديدة تتعلق بالسياسة الدولية فيقول: "فإننا لله و إنا إليه راجعون على فقد أهل الدين وقلة الناصر للحق والمعين حتى صار يظن من لا علم له أن أصل دين الإسلام الغلظة والقسوة والبلادة والجفوة فصبر جميل والله المستعان ومنذ زمان بلغنا وصولكم عند ملك روسيا وأنه فعل معكم ما هو أهله من الإحسان وأنزلكم من الإكرام أرفع منزل ومكان وسمعنا أنكم طلبتم منه تسريحكم نحو الحرمين الشريفين. فنسأل الله أن يجيب مطلوبكم وينيلكم مرغوبكم وامبراطور روسيا من أعظم ملوك الأرض شأننا و أحرصهم على تخليد المفاخر في بطون الدفاتر فرجو لكم من حضرته الفخيمة حصول الإرب بلا نصب ولا تعب كما فعل معنا الإمبراطور نابليون الثالث فإنه فعل معنا من سني الأفعال ما لم يخطر لأحد في بال والمرجو في الحقيقة هو الله المعبود لا معبود سواه . حرر في أول جمادى الأولى سنة سبع وسبعين ومائتين وألف وفي سنة اثنين وثمانين . " والعبارة الأخيرة فيها من مقام التصوف ما فيها لكونها تجعل علاقة الأمير بالله أقوى من كل أسباب السياسة الأرضية حتى ولو كانت في حقيقة عينها مفيدة وواقعية مثل إقرار الأمير نفسه بأن الإمبراطور نابليون هو السبب الأرضي - التكتيكي - لخروجه من السجن ولكن الأمير المتصوف يؤمن بسبب أعلى وأقوى هو الله مقدر الأقدار بالليل والنهار . وبهذا ينصح الأمير صديقه الشيشاني.

ونكتفي بهذا القدر من رسائل الأمير التي ذكرنا منها نماذج على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر راجين أن تكون قد حققت المقصود من الكشف عن جانب من ثقافة الأمير الغنية والواسعة.

و إلى غاية هنا نكون قد أتممنا مباحث الفصل الأول . وسنتقل الى الفصل الثاني الذي خصصناه الى تجربة الأمير الصوفية.

## الفصل الثاني

تجربة الأمير الصوفية في الجزائر وفرنسا والشام.

المبحث الأول : تاريخ التصوف والزوايا في الجزائر

المبحث الثاني : تجربة الأمير الصوفية قبل هجرته من الجزائر ٠

المبحث الثالث : تجربة الأمير الصوفية بعد هجرته من الجزائر



تمهيد :

وستتناول في هذا الفصل تجربة الأمير الصوفية في محطات كثيرة أولها في الجزائر لكي نعالج بذلك إشكالية تحديد بداية تصوف الأمير ، هل كان في الجزائر أم في دمشق؟ . ثم في أيام محنة سجنه في فرنسا ثم في فترة استقراره في دمشق. ومما يتصل بهذه الفترة الزمنية تجربته في رحلته الحجازية الأولى بصحبة أبيه خارج الجزائر بمناسبة أداء فريضة الحج ثم في حجته الثانية بعد استقراره في دمشق وما صاحب هذه الرحلات من زيارات ومشاهد في مناطق أخرى من بلاد الإسلام . ومن الناحية المنهجية يقتضي المقام قبل ذلك أن نتطرق الى تعريف التصوف ثم بيان بعضا من تاريخه في زوايا البلاد الجزائرية من خلال نموذجين اثنين ، القادري والتيجاني.

## المبحث الأول: تاريخ التصوف والزوايا في الجزائر

### المطلب الأول: تعريف التصوف والمنهج الصوفي .

وسندرس في هذا المطلب تعريف التصوف أولا ثم المنهج الصوفي ثانيا.

#### البند الأول : تعريف التصوف :

إن من القواعد المعروفة المقررة عند أهل العلم: الحكمُ على الشيء فرغٌ عن تصوُّره<sup>(1)</sup> حيث أن التصور هو " حصول صورة الشيء في العقل أو هو إدراك الماهية من غير أن يحكم عليها بنفي أو إثبات"<sup>(2)</sup> وأن كل ما يحصل في الدَّهْن لَا يَخْلُو من أن يكون إمَّا صور الماهيات أو الإذعان أو الاعتراف أو الاعتقاد بمطابقة تلك الصور فالأول: هُوَ التَّصَوُّر، والثَّانِي: هُوَ التَّصْدِيق. "والمقصود بالتصور في هذه القاعدة هو العلم و الإحاطة بحقيقة الشيء." والتصور قد يكون علما وقد لا يكون كالتصور الكاذب " والتصور العام: هُوَ حُصُول صُورَةِ الشَّيْءِ فِي الْعَقْلِ"<sup>(3)</sup>.

ولذلك لا يمكننا علميا ولا منهجيا أن نتحدث عن التجربة الصوفية عند الأمير دون تعريف التصوف والمنهج الصوفي في كتب أهل هذا الشأن عامة ثم عند الأمير خاصة.

(1) - محمد بن صالح العثيمين : شرح الأصول من علم الأصول ، تحقيق ، نشأت بن كمال المصري ، ط 1 ، دار البصيرة ، الإسكندرية ، القاهرة ، مصر ، 1422هـ ، ص : 604 .

(2) - علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني : التعريفات ، ط 1 ، ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1403هـ - 1983م ، ص : 59 .

(3) - أيوب بن موسى الكفوي : الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، دت ، ص : 289 وما بعدها .

## القسم الأول : التصوف لغة :

وقد تعددت الأقوال في الأصل الإشتقائي لكلمة التصوف وسنذكرها في الآتي :

1- قيل أصله - التصوف - من الصوف حيث غلب على المتصوفة في المجتمع الإسلامي لبس الصوف ومن كلام العرب في الجاهلية تصوف الرجل إذا لبس الصوفومنيذهب الى هذا القول<sup>(1)</sup> أبو نصر السراج<sup>(2)</sup> وابن خلدون. ولكن الإمام القشيري<sup>(3)</sup> له اعتراض جزئي حيث يقرر أن الصوفية ليسوا مختصين بلبس الصوف وحدهم فيرد ابن خلدون على ذلك مبينا أنه لو استعرضنا طوائف الناس كالصناع والزراع والعمال لانبجذ أن طائفة منهم يغلب على أفرادها لبس الصوف كما غلب في طائفة الصوفية ومن ناحية أخرى أن هذه الطائفة كانت تلبس الصوف زهدا وتورعا عن لبس الفاخر من الثياب على خلاف غيرهم الذين يلبسونه تارة كغيره من اللباس<sup>(4)</sup>. وهو تحقيق جيد من ابن خلدون .

2- هو مشتق من الصفا أي صفاء النفس وإن كان صفاء النفس من مقتضيات وأهداف التربية والتركية في الطريق الصوفي إلا أن استخلاص التصوف من الصفاء هو بعيد في القياس اللغوي . يقول

(1) - أبو القاسم القشيري ، ص : 217.

(2) - أبو نصر السراج الطوسي : تعريفه : .هو عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى الصوفي الزاهد صاحب كتاب اللمع في التصوف .يلقب بطاووس الفقراء . تجول في أرجاء بلاد الإسلام فزار القاهرة وبغداد ودمشق والبصرة ونيسابور وكان يجتمع بأعلام التصوف في عصره . يقول المستشرق نيكلسون : " ليس لدينا إلا القليل عن تاريخ حياة السراج .ومن العجيب أن يغفل مؤلفو التصوف القدام شأنه فلم يؤلفوا عنه أسفارا تحوي لنا تاريخه وترجمته وأحواله مع أنه كان فريد عصره راسخ القدم في علوم القوم وشيخا لمذهبه في الزهادة والتصوف " توفي في رجب سنة 378هـ - أكتوبر 988م.انظر مقدمة كتاب اللمع للطوسي ، مرجع سابق ، ص : 12.

(3) عبدالكريم بن هوازن القشيري النيسابوري شيخ الصوفية برع في العربية والنظم والنثر والتأويل .ولد سنة 508هـ وتوفي سنة 584هـ . سمعمن أبي وأبي عثمان الصابوني وعبد الغافر الفارسي .وحدث عنه سبطه أبو سعد وأبو الفتوح الطائي . الذهبي : سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ، ط7 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1990 م ، ج19 ، ص : 424.

(4) - أبو القاسم القشيري ، ص : 217.

القشيري: " ومن قال أنه من الصفا فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة " (1). من القائلين بهذا الرأي بشر بن الحارث (2) وذلك في قوله: " الصوفي من صفا قلبه لله. " (3)

3- ومن الباحثين من أرجع أصل تسميته إلى أهل الصُّفة وهو مكان في مؤخرة المسجد النبوي يأوي إليه بعض فقراء المهاجرين من الصحابة رضي الله عنهم تميزوا بكثرة العبادة (4) إلا أن الإمام القشيري يعترض على هذه النسبة فيقول: " فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو صوفي. " (5)

4- قيل أصلها يوناني من كلمة " Sophia " ومعناها الحكمة. وقد تأيد هذا القول بما وقع للتصوف الإسلامي في القرن الخامس الهجري من تأثر بالفكر اليوناني .

ومن الطريف أن زكي مبارك يرى أنه من الممكن أن يكون أصل الكلمة اليونانية " صوفيا " هو كلمة صوف العربية خصوصاً أن أفلاطون اليوناني يشير في محاورته كراتيلوس (6) إلى أن كلمة صوفيا ليست يونانية

(1)- المرجع نفسه، ص: 217.

(2)- بشر بن الحارث: هو أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمان بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله الحاني، أصله من مرو - رابع أكبر مدينة في دولة تركمانستان - سكن بغداد ومات بها صحب الفضيل بن عياض وكان عالماً ورعاً. قال يحيى بن أكتم: قال لي المأمون - ومرو هي مسقط رأسه - : " لم يبق في هذه الكورة أحد يستحي منه غير هذا الشيخ: بشر بن الحارث. مات يوم الأربعاء لعشر خلون من المحرم سنة 227 هـ. انظر، عبد الرحمان السلمي: طبقات الصوفية، تحقيق، أحمد الشرباصي، ط2، كتاب الشعب، 1419 هـ - 1998 م، ص: 17.

(3)- أبو بكر محمد الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، قدم له وحققه وعلق عليه محمد أمين النواوي، مكتبة الكليات الأزهرية ط2، 1980 م، ص: 28.

(4)- المرجع نفسه، ص: 29.

(5)- أبو القاسم القشيري، ص: 217.

(6)- كراتيلوس: تذكر بعض المصادر أن من تلاميذ سقراط: كراتيلوس - هرموجينس - فيدون - أكسينوفان - أفلاطون - زينوفون. واشتهر اسمه في مؤلف أفلاطون الذي يحمل اسم " محاورته كراتيلوس " و" لا نعرف عنه أكثر من ذلك الذي ورد في المحاورته عن موقفه من الأسماء وأصلها، وأنها تماثل بصورة طبيعية المسميات التي تشير إليها، وأنها ليست أمر إصطلاحياً، وكذلك أنه كان يميل إلى قول (هراقليطس) في التغير والجريان وعدم ثبات الأشياء على حال واحدة، وهذا الأمر أيضاً أكده أرسطو في كتابه: ما بعد الطبيعة، ويشير = أرسطو إلى أن أفلاطون كان يعرف كراتيلوس، وأنه أخذ منه القول بأن الأشياء المحسوسة لا تكون موضوعات للعلم بسبب تغيرها وعدم

بل هي من أصل أجنبي. (1)

5- من الصف الأول من صفوف الصلاة أو من الصف المقدم بين يدي الله عموماً حيث يحرص عليها أهل الورع والتقوى. ولكن كلمة الصف تنسب إلى صفيّ وليس صوفي. يقول القشيري: "وقول من قال نه مشتق من الصف. فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة مع الله فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضيهذه النسبة إلى الصف." (2)

6- قيل يعود أصل تسميته إلى رجل من اليمن اسمه الغوث بن مرّ بن أدّ. وقد نذرته أمه للكعبة فكان مربوطاً بها. ولما رآته في يوم شديد الحرّ وقد خارت قواه قالت عنه: "ما صار ابني إلاّ صوفة" وقد تسمى أبناؤه من بعده بـ "بنو صوفة" وقد قاموا في الجاهلية على رعاية الحجيج في المناسك. فأصبحوا بذلك شعاراً على العبادة والتصوف. لم يتعرض الإمام القشيري إلى هذه النسبة إلا أن الإمام ابن تيمية بين صحة النسبة اللغوية "صوفة وصوفي" قياساً على كلمة "كوفة وكوفي" ولكنه نفى أن ينسب المتصوفة لقبيلة في الجاهلية ربما كانت تعبد الله على جهل. (3)

7- مشتق من غذاء خاص اعتاده المتصوفة حين ينقطعون سائحين في أقاصي الصحراء وهو عبارة عن بقلة زغباء تسمى "صوفانة" والنسبة من ناحية اللغة صوفاني وليس صوفي وهذا الرأي لا يخلو من ضعف عند أكثر الباحثين. (4)

=ثباتها على حال واحدة، وهذه الفكرة وردت في هذه المحاوره. "انظر، محاوره أفلاطون: محاوره كراتيلوس (في فلسفة اللغة)، ترجمة ودراسة عزمي طه السيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، 1995م، ص: 32.

(1)- انظر للوقوف على كل هذه المعاني، زكي مبارك: التصوف في الأدب والأخلاق، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، د، ج 1، ص: 54. و كامل مصطفى الشبيبي: صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي، دار المناهل، بيروت، 1997م، ص: 9. و عزمي طه السيد أحمد: أفلاطون، محاوره كراتيلوس، وزارة الثقافة، عمان، 1995م، ص: 81-83.

(2)- أبو القاسم القشيري، مرجع سابق، ص: 217.

(3)- ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ط، محمد علي صبيح، القاهرة، ج 11، 1385 هـ، ص: 6.

(4)- عمر فروخ: التصوف في الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، د، ص ص 42 - 43.

### ترجيح أحد الآراء :

يميل القلب والعقل ويتبين بعد هذا العرض أن القول الراجح هو الرأي الأول الذي يرجع أصل كلمة التصوف الى لبس الصوف و الذي تنبناه رجلان لهما القدم الراسخ في البحث والإستقصاء أحدهما سراج الدين الطوسي وهو من المتخصصين في علم التصوف كما بينا والثاني الموسوعي ابن خلدون الذي رد رأي القشيري القائل بعدم وجود أصل لكلمة التصوف لا من جهة القياس ولا من جهة اللغة. وقد اختار ابن تيمية امكانية صدور كلمة التصوف من الصوف.<sup>(1)</sup>

### القسم الثاني : التعريف الإصطلاحي لكلمة التصوف :

إن المتتبع للأقوال الكثيرة في تعريف التصوف يكاد يحار بعقله في كثرتها و في سبب الإختلاف والتباين الموجود بينها حتى قال أحد الباحثين : " هذا وإن لم يكن تعريف التصوف غير ممكن فلا أقل أن نقول إن تعريفه صعب عسير " <sup>(2)</sup>

و قال شهاب الدين السهروردي<sup>(3)</sup> : " وأقوال المشائخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول ويطول نقلها . " <sup>(4)</sup> ويكشف الإمام القشيري عن المنهج الذي قد يوصلنا إلى إدراك حقيقة هذا الإختلاف

---

(1)- مصطفى حلمي : ابن تيمية والتصوف ، ط2 ، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، 1413هـ - 1992م ، ص : 36 . وكذلك ، أحمد محمد بناني : موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية ، ط3 ، دار طيبة الخضراء ، مكة المكرمة ، 1426هـ - 2005م ، ص : 69

(2)- قاسم غني : تاريخ التصوف في الإسلام ، طبعة النهضة ، مصر ، 1970م ، ص : 269.

(3)- شهاب الدين السهروردي : شيخ متصوفة بغداد ، ولد في سهرود سنة 539هـ - 1145م . أخذ العلم والتصوف عن عمه أبي النجيب السهروردي وأسس معه الطريقة السهروردية . له عوارف المعارف وهو من الخلاصات الكبرى في التصوف . وكتابان في الفتوة بالإضافة الى تفسير بعنوان نخبه البيان في تفسير القرآن . ورسالة ضد الفلسفة اليونانية والفلاسفة . وقد كان تأثير عمر السهروردي في التصوف كبيرا وكان من أبرز تلامذته ابنه محمد بن عمر صاحب كتاب زاد المسافر وعز الدين محمود الكاشاني صاحب كتاب مصباح الهداية . انظر جورج طرابيشي ، مرجع سابق ، ص : 373 .

(4)- عمر بن محمد السهروردي : عوارف المعارف تحقيق و ضبط أحمد عبد الرحيم السائح والمستشار توفيق علي وهبة ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1427هـ - 2006م ، ص : 69 .

وذلك حينما يقرر بأن هذا الاضطراب والتعدد في تعريف التصوف إنما سببه الوجدان والحال القلبي الذي يعيشه الصوفي فإذا تغير الوقت والحال تكلم بحكم وقته وحاله الجديد.<sup>(1)</sup>

ومن الباحثين من يرى أن تعريفات التصوف على كثرتها يمكن أن تندرج في جانبين اثنين يتعلقان بحقيقة التصوف . الأول منهما هو الجانب العملي المتعلق بتزكية النفس من خلال عمليتي التخلية والتحلية والثاني هو ما تعلق بالجانب الروحي الباطني الذي يصطلح عليه بالتجلي حيث يصل الصوفي الى مرتبة المكاشفة بحقائق الغيب والاستنارة بالمعرفة القائمة على الشهود لا على البرهان . وهذان الجانبان تضمنتهما الآية في قوله تعالى : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾<sup>(2)</sup> . وفي ما يلي بعض هذه التعاريف مصنفة على وفق ما ذكرناه آنفا :

#### 1- الجانب الأول : التصوف العملي ، أو التخلية والتحلية :

1-1: قول أبو محمد الجريري<sup>(4)</sup> : " هو الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق ديني "<sup>(5)</sup> . وقريب منه من يعرف التصوف بأنه: " اجتناب كل خلق ديني واستعمال كل خلق سني، وأن تعمل لله ثم لا ترى أنك عملت "<sup>(6)</sup> والجانب العملي واضح في هذين التعريفين حيث يجتهد الصوفي في التحلي بمحاسن الأخلاق واجتناب سيئها .

(1)- أبو القاسم القشيري ، ص : 217.

(2)- سورة العنكبوت ، الآية رقم 69.

(3)- حسن الشافعي ، أبو اليزيد العجمي : في التصوف الإسلامي ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ط 1 ، مصر ، القاهرة والإسكندرية ، 1428هـ - 2007م ص : 24.

(4)- أبو محمد الجريري : من كبار الصوفية ، من أصحاب الجنيد وخلفه في مجلسه للتدريس لتمام حاله وصحة علمه كما صحب سهل بن عبد الله التستري . واسند الحديث ، مات سنة إحدى عشرة وثلاثمائة . عبد الرحمان السلمي ، ص : 85.

(5)- أبو نصر السراج الطوسي ، ص : 45.

(6)- تاج العارفين: الجنيد البغدادي، دراسة وجمع وتحقيق ، سعاد الحكيم ، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط3، 2007م. ص 181.

1-2: عمرو بن عثمان المكي<sup>(1)</sup>: " أن يكون العبد في كل وقت مشتغلا بما هو أولى في الوقت " <sup>(2)</sup> وفيه إشارة إلى ما يجب أن يكون عليه الصوفي من تيقظ أثناء الرياضة الصوفية لنفسه وذلك حين يجد نفسه أمام أفعال البر الكثيرة ، حيث يجب عليه أن ينشغل بالأولى وهو ما يسمى بواجب الوقت مثل من يحضره الداعي إلى الجهاد فيفر إلى قراءة القرآن أو كتب العلم؟! .و بمقتضى هذا التعريف اعتبر بعض الباحثين<sup>(3)</sup> أن السنوات التي قضاها الأمير عبد القادر في مقارعة الجيوش الفرنسية هي مرحلة من مراحل تصوفه ، وسنفضل القول في ذلك عند حديثنا عن تصوف الأمير في الجزائر.

1-3: قول الجنيد : " ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ، لكن بالجوع وترك الدنيا وقطع المؤلفات والمستحسنات " <sup>(4)</sup> وواضح من تعريف الجنيد أن التصوف ليس علما نظريا يؤخذ في حلقات الدرس إنما هو معاناة عملية تهدف إلى ترويض النفوس وتحرير الأرواح من شهوات الجسد .

## 2- الجانب الثاني : تصوف التجليات المعرفية :

1-2: قول التستري: " من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر واستوى عنده الذهب والحجر. " <sup>(5)</sup>

ولن يبلغ الصوفي مرحلة الصفاء الخالية من كل الأكدار وهي العلائق والشهوات إلا بالمجاهدة العملية التي توصله إلى درجة القرب من الله فيتولاه بلطفه ويزيل عنه حظ النفس والشيطان ويصبح أهلا للتجلي

---

(1)- عمرو بن عثمان المكي : من مشائخ التصوف ، صحب الجنيد وأبا سعيد الخراز، عالم بأصول الفقه ، روى الحديث ، من كلامه : " اعلم أن العلم قائد والخوف سائق والنفوس حرون بين ذلك جموح جداعة رواغة .. فاحذرهما وراعها بسياسة العلم وسقها بتهديد الخوف يتم لك ما تريد . " مات ببغداد سنة إحدى وتسعين ومائتين . عبد الرحمان السلمي ، ص : 65.

(2)- المرجع نفسه : ص : 45.

(3)- فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا ، د.ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م، ص : 129.

(4)- المرجع نفسه ، ص : 79.

(5)- أبو القاسم القشيري ، ص : 79.



فيتلقى من ربه الفيوضات التي هي أسرار ومعارف والتي تمكنه من اليقين الذي يستوي فيه وبه كل شيء من أحوال الدنيا و أشيائها .

2-2: قول سعيد أحمد الخزار<sup>(1)</sup> : " الصوفي من صفا ربه فامتلاً قلبه نورا ."<sup>(2)</sup> والنور المذكور في هذا التعريف هو منحة ربانية ووسيلة من وسائل المعرفة الكشفية تأتي بعد جولات يقطعها الصوفي في المرحلة الأولى وهي التي اصطلاحنا عليها بالتحلي والتخلي.

2-3 : يقول السراج : " إذا قيل لك : الصوفية من هم في الحقيقة ؟ صفهم لنا ، فقل : هم العلماء بالله ، وبأحكام الله ، العاملون بما علمهم الله - تعالى - المتحققون بما استعملهم الله عز وجل ، الواجدون بما تحققوا ، الفانون بما وجدوا ، لأن كل واحد قد فني بما وجد ."<sup>(3)</sup> ولا يخفى ما في هذا الوصف من ذكر صفة العلم المنسوب الى الله عز وجل والذي يحصل عليه الصوفي ببعد قطع طريق الولاية الموصل إليه سبحانه وتعالى.

### البند الثاني : تعريف المنهج الصوفي :

ولكي يتضح لنا معنى المنهج الصوفي وعلاقته بالمعرفة الفلسفية يلزمنا توضيح العناصر الآتية :

### 1-التصوف والعلم :

(1)- سعيد أحمد الخراز : من أهل بغداد سحب ذا النون المصري وبشر الحافي وغيرهما . وهو من أئمة القوم وجلة مشايخهم . قيلهو أول من تكلم في الفناء والبقاء .أسند حديث عائشة : " سوء الخلق شؤم ، وشرار الخلق أسوؤكم أخلاقا " من أقواله : " إذا كانت العين واحدة فمن أي حال تلونت عليك فاجر فيها ، فإن التغيير من جهتك ، لأن عين الحق تتقلب . " مات سنة تسع وسبعين ومائتين . انظر : عبد الرحمان السلمي ، ص : 73.

(2)- عبد الفتاح الفاوي : التصوف عقيدة وسلوكا ، ط1 ، مكتبة الزهراء ، دار الجيل ، بيروت ، 1995م ، ص : 18 .

(3)- أبو نصر السراج الطوسي ، ص : 47.

يقول الشيخ زروق<sup>(1)</sup>: " واعلم أنه اختلف في حقيقة التصوف على نحو ألف قول، كلها راجعة لصدق التوجه إلى الله سبحانه من حيث يرضى بما يرضى، وإنما تنوعت الأقوال بحسب تنوع الأحوال فافهم، وفائدته أفراد القلب لله سبحانه، فكل علم حي تبع له، ونسبته من الدين، كنسبة الروح من الجسد؛ لأنه مقام الإحسان، إذ مداره على مراقبة بعد مشاهدة، أو مشاهدة بعد مراقبة، وعليه تدور مقاصد الصوفية، وهو المبدأ والمنتهى، وشرف كل علم بحسب متعلقه، وهو دال، فأوله على خشية الله تعالى، وبوسطه على معاملته، وبآخره على معرفته والانقطاع إليه، فهو أشرف العلوم، إذ كلها وسائل إليه " <sup>(2)</sup> وإلى مثل هذه الحقيقة، يشير عبد الحليم محمود فيقول: " ذلك أن تعريفات التصوف - كما يقول مؤرخو التصوف القدماء - أربت على الألف. وكلها تعريفات لها وزنها وقيمتها... " ثم يتحدث - متسائلا عن منهج تفسير الاختلاف بينها فيقول " ... ثم بأي سلطان يتدخل الإنسان بين هؤلاء القوم ذوي المذاقات الرقيقة، والمشاعر الروحية الدقيقة؟ أيسلطان العلم ملاحظة و استقراء؟ أم بسلطان العقل بحثا واستنتاجا؟ أم بسلطان الروح إشراقا وإلهاما؟ " <sup>(3)</sup> ونلاحظ في السياق قوة الحجّة التي ساقها عبد الحليم محمود لكي يدلل على التباين بين المنهجين: العلمي المادي والإشراقي العرفاني ويزيد هذه الحقيقة تأكيدا فيقول " وهل يمكن للعلم الذي حدد مجاله بالعالم المادي المحسوس والذي يعتمد على منهج الملاحظة والإستقراء والتجربة المرئية والملموسة وحتى المشمومة أن يفسر عالم التصوف الروحاني؟

(1)- أحمد زروق: البرنسي، نسبة لقبيلة البرانس التابعة لإقليم تازة (المغرب). فاسي الدار. ولد سنة 846هـ - 1442م. حفظ القرآن في صغره. من شيوخه أبو علي الحسن بن منديل المغيلي ت 864هـ ومحمد سليمان الجزولي ت 870هـ من مؤلفاته زيادة على كتاب قواعد التصوف، كتاب شرح الحكم العطائية حققه عبد الحليم محمود، نظم عيوب النفس، عدة المرید الصادق وغيرها كثير. توفي سنة 899هـ - 1493م ودفن بمسراطة بطرابلس ليبيا. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ - 1993م، ج1، ص: 155.

(2)- أحمد زروق: قواعد التصوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2002م. ص: 23، فما بعدها ورمضان محمد بن علي البدري: شرح الحكم العطائية، تحقيق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2008م. ص: 19.

(3)- عبد الحليم محمود: قضية التصوف المدرسة الشاذلية، ط2، دار المعارف، القاهرة، دت، ص: 417.

إن الدراسات النفسية و الإجتماعية الحديثة تعترف اعترافا صريحا بأن مجالها هو المادة . ولذلك فالعلم الحديث القائم اليوم في أمريكا وأوروبالايعترف بالبحث العلمي إلا إذا قام على التجربة والملاحظة في دائرة عالم المادة . والتصوف روح وإلهام وإشراق وعليه فلا دخل للنظريات العلمية الحديثة فيه من ناحية المنهج . والخلاصة أن التصوف والعلم الحديث منهجان متغايران <sup>(1)</sup> وأوافق الباحث في ما ذهب إليه مع التنبية الى أن المقصود بالنظريات العلمية الحديثة هي التي توظف التجارب المخبرية البحتة على المادة العضوية .

## 2-التصوف والعقل :

و كما باين الباحث بين التصوف والعلم يواصل أيضا إقناعنا بأن العقل بأقيسته المنطقية الصورية وبعلموه الرمزية الرياضية و من خلال رسمه للمقدمات التي توصله الى الإستنتاجات هو الذي جعل الإنسان يكتشف السماء فيبحث بأقمار العقل - لأنه صانعها - وصواريخه في أرجائها الشاسعة . ويغوص في أعماق البحر بسفن العقل وغوصاته فيعرف مكوناته ويستثمرها . وينقب في طبقات الأرض فيستخرج منها معادنها وغازاتها و أغديتها . و العقل هو مكتشف النواميس الكونية الفيزيائية والكيميائية وهو أساس العلم الكسبي : علم التوالد و الإستنتاج و الإستنباط . ثم يؤكد مرة أخرى على مسألة الإختصاص والمجال البحثي للعقل ليقرر أن العقل يقوم بكل هذا وأكثر في حيزه الطبيعي وهو المجال المادي . وليس له دور في مجال الغيبات والإلهيات ولا في الملأ الأعلى حيث معارج الأرواح . ويدعم موقفه حيث يقرر إخفاق منهج أرسطو و من بعده منهج ديكارت وكل منهج عقلي إلى اليوم يحاول كشف حجب الغيب الإلهي بشقيه المادي والروحي ومن هذا الغيب عالم التصوف . (2)

(1)- عبد الحليم محمود : قضية التصوف والمدرسة الشاذلية ، مرجع سابق ، ص : 417 وما بعدها .

(2)- المرجع نفسه ، ص : 418 .

## الفصل الثاني: تجربة الأمير الصوفية في الجزائر وفرنسا والشام.

ونريد أن نستأنس في هذا المقام بما قاله مالك بن نبي في كتابه الظاهرة القرآنية وهو يبرهن فيه على محدودية العقل الإنساني في المجال المادي المتعلق بآفاق الكون (عالم الملك) و التي ما تزال مجهولة عند العلماء الى اليوم ! فما بالك بما غاب عن الإنسان في ماوراء الطبيعة (عالم الملكوت) ؟ ونورده بالنص الفرنسي حفاظا على دقة المعنى :

“ Au dela de la nébuleuse la plus lointaine ,par delà les millions et peut-être les milliards d’années-lumière, s’étend l’abime insondable de l’infini inaccessible et inconcevable pour la pensée scientifique parce qu’elle n’y a plus son objet : la quantité ,le rapport et l’état .Quantité de quoi? Rapport de quoi ? Etat de quoi ? (...)seule la religion dit quelque chose d’intelligible : Dieu sait<sup>(1)</sup>

وترجمة النص الى العربية كالآتي: "وفيما وراء السديميات السحيقة في البعد ، وراء ملايين السنين الضوئية ، وربما ملياراتها ، تمتد الهاوية التي لا قرار لها إلى اللانهاية التي يستحيل الوصول إليها ، أو حتى إدراكها بالنسبة للفكر العلمي، إذ لا يجد هذا التفكير موضوعه الخاص وهو: الكم والعلاقة والحالة. فأبي كم؟ وأي علاقة؟ وأي حالة (...) الفكر الديني وحده يستطيع أن يقول شيئا واضحا بينا : الله يعلم." <sup>(2)</sup>

(1)-MalekBennabi : Le Phenomene Coranique, Preface du cheikh M Drase, 2eme Edition , Dar Al Thuraya. p 31.

(2)- مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، تقديم محمد عبد الله دراز و محمود محمد شاکر ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 2000م ، ص : 81

## الفصل الثاني: تجربة الأمير الصوفية في الجزائر وفرنسا والشام.

وإخفاق العقل في عالم التصوف صرح به كل من فيثاغورث<sup>(1)</sup> وأفلاطون وأفلوطين<sup>(2)</sup> والكندي<sup>(3)</sup> والفارابي وابن سينا<sup>(4)</sup> والغزالي .

(1)- فيثاغورث : فيلسوف يوناني ولد بين 580 و570 ق م . أسس مدرسة الفلسفة التي تعرف بالمدرسة الإيطالية القديمة والتي مارست تأثيرا على المذاهب الفلسفية اللاحقة مثل الأفلاطونية والأفلاطونية المحدثة تعلم من فراقدس وانكسماندرس . قام بأسفار دراسية الى فارس وغاليا وكريت ومصر ثم رجع الى ساموس موطنه الأصلي ولكنه تركه بسبب حاكمها بوليقرطس المستبد . فتركه وهو في الأربعين الى إيطاليا . أسس في اقروطونا باليونان الكبرى مدرسة صوفية أكثر منها فلسفية من صيغ المدرسة الفيثاغورية : " هناك نوع من حيوان عاقل هو الله . ونوع آخر هو الإنسان . وفيثاغورس على النوع الثالث. " ثم تحولت الى جمعية سياسية تعرضت الى هجوم من طرف خصومها الديمقراطيين فمات جميع أفرادها بما فيهم المؤسس . نسجت عدة روايات حول شخصيته الخرافية لم يصل من كتبه شيئا . من أفكاره أن العدد هو أصل الأشياء والعالم تساوق وعدد والنفس الخالدة حيصة الجسد وقد تتقمص في الحيوان والنبات . وغاية الإنسان هو التوافق مع الإله . من صيغ المدرسة الفيثاغورية : " هناك نوع من حيوان عاقل هو الله . ونوع آخر هو الإنسان . وفيثاغورس على النوع الثالث. " انظر ، جورج طرابيشي ، ص : 480 .

(2)- أفلوطين : فيلسوف يوناني ولد سنة 203م في ليقيوبوليس ماغنا ومات سنة 269م في كامبانيا يعتبر المفكر الأكثر تمثيلا للقرن الثالث فقد كان مصريا بدمه ، إسكندريا بتربيته الفلسفية ، رومانيا بمدرسه التي ازدهرت حسب رأي القديس أوغسطين . له فلسفة صوفية جاء في الناسوعات " طيران الروح وحده إليه تعالى وحده " لما بلغ 28 سنة تعرف على أستاذه أمونيوس ساكاس قال فيه : " هوذا الرجل الذي كنت أبحث عنه . " تتلمذ عليه 11 عاما بالفرس ثم رحل الساميين النهيرين ثم الى انطاكية ثم روما وفي مدرسته الرومانية تتلمذ عليه فوفوريوس و أماليوس و أوطيخس وبعد مرض أفلوطين ومغادرته روما الى منتورنا تفرق تلاميذه . قال في فراش موته : " إنني أحاول أن أرجع الإلهي الذي فينا إلى الإلهي الذي في الكون . " ومن أقواله : " على الآلهة أن تأتي إلي وليس علي أنا أن أضعد إليها. " لأنه كان حلوليا يرى الآلهة مبثوثة في كل شيء . يرى هيجل أن مؤلفاته من أعظم ما أبدعه الفكر الإنساني . كايسيرز يقول فيه : " أعظم فيلسوف تصوفي في الغرب . " ، جورج طرابيشي ، ص 76 .

(3)- الكندي : أبو يوسف يعقوب ابن اسحاق الكندي ولد بالكوفة 185هـ - 796م وتوفي ببغداد سنة 260هـ - 873م . اصله من قبيلة كنده العربية ولقب بفيلسوف العرب . عاصر المأمون والمعتمد . شغل بترجمة كتب اليونان . مدار فلسفته الرياضيات والفلسفة الطبيعية . من مؤلفاته رسالة في العقل و الجواهر الخمسة وكمية كتب أرسطو طاليس وما يحتاج إليه . ومن أشهر تلاميذه أحمد بن الطيب السرخسي و أبو زيد البلخي قيل فيه : " أول المشائين العرب " إميل بھييه - " أول وآخر فيلسوف أنجبه العرب " الفريد هيوم - " نموذج للفيلسوف ذي الذهن الكلي " هنري كوربان ، المرجع نفسه ، ص : 528 .

(4)- ابن سينا : هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا ولد بقرية أفشنة قرب بخارى في شهر صفر سنة 370هـ - 980م . وتوفي في همدان - إيران - 428هـ - 1037م . حفظ القرآن والأدب العربي في سن العاشرة في بخارى . تعلم مبادئ الفلسفة اليونانية والهندسة والحساب على يد دعاة اسماعيليين قدموا من مصر . وتعلم الرياضيات والفقهاء القرآني على يد ابراهيم الناسك . كما أخذ أيضا الفلسفة والمنطق والهندسة على يد إبراهيم بن حسين الناطلي . وتاقت نفسه الى دراسة الطب فبرع فيه وداوى المرضى وذاع صيته وأصبح مدرسا فيه . وهو لم يتجاوز السادسة عشرة . واستغل على كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو ولم يفهم مقاصده حتى قرأ كتابا للفارابي . من مؤلفاته : الحكمة العروضية . الحاصل والمحصل . القانون في الطب . الشفاء الذي تضمن مسائل سوسولوجية مثل العمل والتعطل وحرية الرأي وتصنيف

ويشير عبد الحليم محمود أن غيرهم كثير.<sup>(1)</sup>

والخلاصة لا يمكن للمنهج العقلي أن يحيط بعالم التصوف لأنه من عالم الروح الغيبي .

### 3- المنهج الصوفي :

إن الفلاسفة جميعا منذ فيثاغورث إلى الآن يتبنون منهجا واحدا وهو الذي يعرف عند المتصوفة بالمنهج القلبي أو الروحي أو منهج البصيرة وهو مباين للمنهج العلمي العقلي كما بينا آنفا . وهو منهج أقرته الأديان ومذاهب الحكمة . وعليه شواهد من كتاب الله وسنة رسوله

### 3-1- من أدلة القرآن الكريم على المنهج الصوفي :

لقد أجمعت أقوال العارفين على أن حقيقة التصوف هي " العكوف على العبادة و الإنقطاع لله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور ولقد كان ذلك عاما في الصحابة والسلف<sup>(2)</sup> فلا يستغرب عقلا ومنطقا أن يجد التصوف سنده ودليله في كثير من آيات القرآن ، ونكتفي بذكر بعض منها :

﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر بينكم في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله

---

=الموجودات البشرية الى ثلاث فئات : أهل الفكر أو التدبير وأهل الإرادة أو حراس المدينة وأهل العمل اليدوية وتأمين عمل الفرد. وكذلك حبي بن يقطان ( ولابن طفيل رسالة بنفس العنوان ) والحكمة المشرقية. هاجمه الشهرستاني والغزالي والسهوردي الحلبي لإساءة فهمه لأصول أرسطو . ودافع عنه ابن رشد ونصير الدين الطوسي . كان يستعين بالصلاة في المسجد لفتح ما استغلق عليه في المنطق. جورج طرابيشي ، ص 26-30.

(1)- عبد الحليم محمود : قضية التصوف المدرسة الشاذلية ، مرجع سابق ، ص : 419.

(2)-عبد الرحمان بن خلدون : مقدمة بن خلدون ، ضبط خليل شحادة ، ومراجعة سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 1421هـ - 2001م ، الفصل السابع عشر ، التصوف ، ص : 600

ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴿١﴾ وارتباط منهج التصوف بهدي القرآن تشير له تصريحات بعض أقطاب التصوف يقول الجنيد : " من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة . " (2)

كما نجد في القرآن تنويهاً للقلب - الذي هو ركن أساسي في التربية الروحية - وأنه مسؤول مثله في ذلك مثل السمع والبصر كل في محيطه قال تعالى : ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كلٌ أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾ (3)

وفي قوله تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ (4) حديث عن المجاهدة - التي هي تزكية النفس - وسنينفي العنصر الموالي بيان لمعانيها التي تعتبر عند بعض المفكرين منهجا مستقلا في المعرفة الإشرافية والإلهية . ونكتفي بنموذجين اثنين من كبار علماء الإسلام وهما أبو حامد الغزالي وابن خلدون على اعتبار أن الأول اختص في الكتابة الصوفية بعد تذوق وممارسة والثاني تفرس في الدراسات المنهجية التي صنف فيها العلوم والمعارف مبينا حدودها ومجالاتها كما فعل في مؤلفه الذي ملأ الآفاق صيتا وهو المقدمة .

### 3-1-1 - المجاهدة أو منهج التصوف عند أبي حامد الغزالي :

يقول أبو حامد الغزالي : " إن الطريق إلى ذلك إنما هو تقديم المجاهدة ، ومحو الصفات المذمومة ، وقطع العلائق كلها ، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى ، ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده . المتكفل له بتنويره بأنوار العلم . " ثم يزيد الأمر تأكيدا فيقول : " وإذا تولى الله أمر القلب فاضت

(1) - سورة الحديد ، الآية رقم 20.

(2) - أبو القاسم القشيري ، ص : 431.

(3) - سورة الإسراء الآية رقم 36 .

(4) - سورة العنكبوت . الآية رقم 69.

عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر ، وانكشف له سر الملكوت ، وانقشع عن القلب حجاب الغرّة بلطف الرحمة ، وتلاّأت فيه حقائق الأمور الإلهية . " ثم يبين أن الشرط الوحيد لتحقيق هذا المدد الإلهي هو المجاهدة الصوفية " فليس على العبد إلا الإستعداد بالتصفية المجردة ، وإحضار المهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام ، والترصد بدوام الإنتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة " (1)

ومن الممكن أن نستنتج من نص الغزالي الآداب - الشروط - المصاحبة لعملية المجاهدة والتي هي : الإخلاص ، المهمة ، قوة العزم ، الرغبة ( التعطش التام ) ، اليقظة ( الترصد ) ، الصبر ( دوام الإنتظار ) وهي كما نرى صفات تنتمي من حيث الحقل الدلالي أيضا الى دائرة أخلاقيات الأكاديمية العلمية . وعليه فالصوفي في خلوته وكأنه في حرم علمي غاب فيه الرسم (المدارس والجامعات والتجهيز ) وتحقق مضمونه ( العلم ومناهج التعليم ) .

### 3-1-2 - المجاهدة أو منهج التصوف عند ابن خلدون :

يقول ابن خلدون : " ثم إن هذه المجاهدة ، والخلوة ، والذكر ، يتبعها غالبا كشف حجاب الحس والإطلاع على عوالم من أمر الله ، ليس لصاحب الحس إدراك شيء منها والروح من تلك العوالم " وفيه تعريض بالمنهج المعرفي الحسي العقلي وأنه لن يرقى الى المنهج الصوفي الذي وسيلته الوحيدة هي المجاهدة . ثم يقول مفصلا خطوات هذا المنهج : " وسبب هذا الكشف أن الروح إذا رجعت عن هذا الحس الظاهر إلى الباطن : ضعفت أحوال الحس وقوي الروح وغلب سلطانه وتجدد نشوه وأعان على ذلك الذكر ، فإنه كالغذاء لتنمية الروح ولا يزال في نمو وتزيد إلى أن يصير شهودا بعد أن كان علما (...). وهذا الكشف كثيرا ما يعرض لأهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم " (2)

(1)- أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، خرج أحاديثه الحافظ العراقي ، ط1 ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، بئر مراد رايس ، الجزائر ، 1411هـ - 1991م ، ج3 ، ص 132 وما بعدها.

(2)- عبد الرحمان بن خلدون : مقدمة بن خلدون ، ضبط خليل شحادة ، ومراجعة سهيل زكار ، مرجع سابق ، ص : 613 .



وتستوفيني في هذا النص الخلدوني إشارتان الأولى عبارة " حقائق الوجود " التي وردت على إطلاقها حيث تشمل الحقائق العلمية في كل المجالات الفيزيائية والكيميائية والطبية والنفسية وحتى الغيبية ولما لا . والثانية عبارة " سواهم " والمقصود بهم أصحاب المنهج العلمي والعقلي . وعليه فيمكننا أن نستنتج أن الوعاء العلمي الذي يملكه المتصوف هو أوسع وأشمل من الذي يملكه العقليون لأنهم محدودون بهيكل المادة ومحبوبون عن الغيب . وهذا ما يقرره ابن خلدون وهو يتابع قوله " وكذلك يدركون كثيرا من الوقائع قبل وقوعها ويتصرفون بهمهم وقوى نفوسهم في الموجودات السفلية " ثم يبين ابن خلدون مشروعية هذا المنهج فيقول " ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم على مثل هذه المجاهدة . وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر ولكنهم لم يقع لهم بها عناية وفي فضائل أبي بكر وعمر و عثمان وعلي - رضي الله عنهم - كثير منها ، وتبعهم في ذلك أهل الطريقة ، ممن اشتملت رسالة القشيري على ذكرهم ومن تبع طريقتهم من بعدهم. " (1)

### 3- 2 : من أدلة السنة على المنهج الصوفي :

والأدلة على مشروعية التصوف من السنة كثيرة ، وهي في مجموعها تشير الى استقلال التصوف بمنهج في المعرفة متميز ومباين للمنهج العقلي الديكارتي ومن هذه الأدلة نذكر مايلي :

أ- قوله - ص - : " من عمل بما علم ، ورثه الله علم ما لم يعلم . " (2) وفي الحديث إشارة بأن من نتائج العمل الصالح أنه يورث صاحبه التقوى والقرب من الله الذي يكون سببا في الوصول إلى كثير من المعارف . ويقول أبو حامد الغزالي في توضيح هذا المعنى : " الحكمة الخارجة عن الحصر والعد

(1)- المرجع نفسه ، ص : 613.

(2)- أورده أبو نعيم فقال : " ثم ذكر أحمد بن حنبل عن يزيد بن هارون عن حميد الطويل عن أنس بن مالك أن النبي - ص - قال : " من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم " ثم قال أبو نعيم : " ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم عليه السلام فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي - ص - فوضع هذا الإسناد عليه لسهولته وقربه ، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد بن حنبل . " ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1416هـ - 1996م ، ج 10 ، ص : 15.

إنما تتفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة . والانقطاع إلى الله تعالى عما سواه مفتاح ذلك الإلهام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم في التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله لهم بلطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي الألباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم .<sup>(1)</sup>

ب-قوله - ص - في الحديث القدسي : " من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه . فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألتني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيدهنه " <sup>(2)</sup> وفي الحديث وصف لطريق الولاية التي تجعل صاحبها يفوز بمحبة الله فيأتيه المدد الإلهي بعد ذلك في صور شتى بحيث يسمع بعلم الله ويبصر ببصر الله فيعلم من العلوم التي لا يصل إليها إلا من سلك طريق التصوف الذي يتلخص كما ورد في هذا الحديث القدسي في أداء فرائض العبادات والإجتهد في نوافلها.

---

(1)- أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، تحقيق الحافظ العراقي ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص : 93.

(2)- أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، ط: 7 ، 1323 هـ ، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ، رقم 6502 ، ج 9 ، ص : 289.

المطلب الثاني: الطرق الصوفية ودورها السياسي في الجزائر.

البند الأول : تعريف الزاوية والرباط والطريقة :

### 1- تعريف الزاوية :

لفظ الزاوية مأخوذ من الإنزواء بقصد العكوف والتفرغ للعبادة وطلب العلم بعيدا عن شواغل الدنيا و الزاويا لغة جمع زاوية وهي مأخوذة من فعل زوى وانزوى بمعنى ابتعد وانعزل وسميت بذلك لأن الذين بنوها من المتصوفة والمرابطين أرادوا الإنزواء بها. لأن ذلك هو الأنسب للتأمل والرياضة الروحية . أما اصطلاحا فهي تطلق على مأوى المتصوفين والفقراء و المسجد غير الجامع<sup>(1)</sup> كما تطلق قديما على رباطات الجهاد وثغوره ومع مرور الوقت اتسع مفهومها لتشمل مركز تحفيظ القرآن والعلوم الشرعية.<sup>(2)</sup>

وقد يكون أصل التسمية هو ركن البناء ليراد بها المكان الصغير والضيق الذي يتخذ مسجدا للصلاة . كما هو الحال في المشرق الإسلامي أما في المغرب فيتسع لكي يلحق به طائفة من الأبنية ذات الطابع الديني . وهو الموافق لما ذكره DUMAS حيث قال : " إن الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة " <sup>(3)</sup>

ويذكر سعدالله أن " لكل طريقة زاوية ، والزاوية بالمعنى الصوفي هي خلوة للعبادة . وقد كانت أساسا للجهاد كما سبق وقد كثر استعمال كلمة الزاوية ( وهي الخانقاه في المشرق ) حتى أسئ استعمالها أحيانا " <sup>(4)</sup> ثم يذكر عن أحد الباحثين أن الزوايا في الجزائر ثلاثة أنواع أولها وأفضلها الزاوية المطلقة ولا تنسب إلى شخص معين وتقوم بنشر العلم وفعل الخير والثانية وهي المنسوبة الى شخص ميث تقده العامة وتزور قبره

(1) - صلاح مؤيد العقي : الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها ، دار الوراق ، بيروت ، لبنان ، 2002 ، ص : 301 .

(2) - عبد العزيز شهبي : الزوايا والصوفية والعزابة و الإحتلال الفرنسي في الجزائر ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، 2007 ، ص : 13 .

(3) - ليفي بروفنسال " الزوايا " دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة أحمد الشتاوي وآخرين ، المجلد العاشر ، القاهرة ، 1933م ، ص : 332 .

(4) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ص : 25 .

المدفون بما طلبا للبركة لا للعلم ولا للإحسان والنوع الثالث هي الزوايا المنسوبة للطرق الصوفية سواء الأصلية أو الفرعية وهي التي تتبنى فيالأغلب حركات المقاومة والجهاد<sup>(1)</sup>.

## 2- تعريف الرباط :

لغة : قيل هو مشتق من الفعل ربط يربطه ربطا أي شده وأوثقه ضد حلّه .والرباط ما شدّ به .ربطت الرماح رباطا محكما إذا شددتها شدا وثيقا<sup>(2)</sup> ومنهم من ذكر أنه يطلق على معينين الأول كل مايشد به من الأشياء والثاني المواظبة على العبادة وملازمة الثغر للجهاد<sup>(3)</sup>.

اصطلاحا : ويراد به كل موضع حصين ينشأ على الحدود يقيم فيه المجاهدون في سبيل الله لرد غارات الأعداء .وأصله مايربط فيه الخيول ثم قيل لكل ثغر يدفع أهله عمن وراءهم رباط<sup>(4)</sup>.وهو في إطلاق الصوفية المكان الذي يتخذ للعبادة والذكر والخلوة الروحية والتفقه في أمور الدين وله أصل من سنة المصطفى في شأنه مع أهل الصفة الذين خصص لهم موضعا في مؤخرة مسجده<sup>(5)</sup> وفي الحديث : " وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط. وفي رواية: فذلكم الرباط مرتين ."<sup>(6)</sup>

(1)- المرجع نفسه ، ص : 26.

(2)- ابن فارس أبو الحسين أحمد : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، القاهرة ، 1979 ، مادة (ربط) ، ج2 ، ص : 478.

(3)-الزيدي محمد مرتضى : تاج العروس من جواهر القاموس ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، دت ، مادة ربط، مجلد 5 ، ص : 141.

(4)-السهروردي : عبد القاهر بن عبد الله : عوارف المعارف ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1966م ، ص : 104.

(5)- المقرئ تقي الدين : كتاب المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية ، ط2 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1987م ، ج2 ، ص : 427.

(6)-مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ، مرجع سابق ، رقم 635 ، ج 1 ، ص : 440.

وقال النووي في شرح مسلم نقلاً عن القاضي: " فذالكم الرباط " أي الرباط المرغوب فيه، وأصل الرباط الحبس على الشيء كأنه حبس نفسه على هذه الطاعة ، قيل: و يحتمل أنه أفضل الرباط كما قيل: الجهاد جهاد النفس ، ويحتمل أنه الرباط المتيسر الممكن أي أنه من أنواع الرباط. " (1)

وقد يتسع لفظ المرابط -عند عامة الناس- ليشمل الدراويش ورجال الشعوذة. ولعبت السياسة قديماً وحديثاً دوراً في الذهاب بهذه الكلمة إلى دائرة التخلف والخرافة. والحقيقة أن لفظ المرابط في التاريخ الديني والسياسي يقصد به المجاهد لأنه جاء أصلاً من كلمة رباط وليس بالضرورة أن تكون للمرابطين طريقة أو زاوية (2) وقد يكون لهم دور آخر مثل إطعام الطعام للفقراء والغرباء وإطفاء الفتن بين الناس وتأمين الطرق للسابلة. (3)

من خلال ما تقدم نلاحظ تداخل السياسي والصوفي في معنى الرباط حيث يقصد به لزوم المكان والمواظبة على الأمر للقيام بوظيفتين في آن واحد وهما الجهاد في سبيل الله والعبادة ، وقد استبدلت كلمة الرباط فيما بعد بكلمة "نغر" الذي يشكل الحدود الفاصلة بين دار الإسلام ودار الحرب. وقد يكون الهدف من الاعتزال فيه محاربة المذاهب الضالة المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة. (4)

### 3-تعريف الطريقة :

لغة : الطرق جمع مفرد لها طريق . أما الطريقة فجمعها طرائق .وقد بين الجرجاني الفرق بين الطريق والطريقة

(1)- المرجع نفسه والصفحة نفسها .

(2)- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، الجزء 4 ، ص : 13.

(3)- حمدان بن عثمان خوجة : المرأة ، تقديم وتعريب وتحقيق : محمد العربي الزبيدي منشورات ANEP ، 2005 ، ص : 18 وما بعدها.

(4) محمد ضريف: مؤسسة الزوايا بالمغرب الإسلامي . المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي . سنة 1. العدد الأول ، ديسمبر ، 1986 م ، ص : 27.

اصطلاحا : الطريقة هي " السيرة المختصة بالسالكين الى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات " أما الطريق فهو : " هو ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى المطلوب وعند اصطلاح أهل الحقيقة عبارة عن مراسم الله تعالى وأحكامه التكليفية المشروعة التي لا رخصة فيها "<sup>(1)</sup> وقيل هي " التي تأسست على صفتين هما انقطاع القلب عن الأغيار وخلو اليد من الدنيا الغادرة وهي حلقة الوصل بين الشريعة الإسلامية والحقيقة الإلهية ".<sup>(2)</sup> وفي جانبها التنظيمي هي نظام إداري ولاسيما فيما يتصل بالمناصب وجباية المال وتسخير الأتباع ولها أسرار لا يعرفها إلا القائمين على شؤونها.<sup>(3)</sup>

### البند الثاني : الدور السياسي والإجتماعي للزاوية في الجزائر :

لقد عرفت الأمة الجزائرية الطرق الصوفية قبل مجيء الإستعمار الفرنسي .وقد وصل عدد الطرق الصوفية الفاعلة الستة وعشرين زاوية ، القليل منها نشأ في العهد الفرنسي مثل السنوسية والعلوية ومنها ما هو مؤسس في الجزائر كالرحمانية والتيجانية .ومنها الذي تأسس في المغرب كالطيبية والعيوسية والدراوية ولقد مر معنا أن الزاوية الأم للطريقة القادرية تأسست ببغداد.<sup>(4)</sup>

وقد بينت إحصاءات أخرى أنه في سنة 1884م كان عدد الجزائريين قد بلغ 2,846, 757 وكان عدد الزوايا فيهو قد وصل الى 355 زاوية يشرف عليها 955 , 1 مقدا و تحوي 167 , 019

(1)- علي بن محمد الجرجاني ، ص : 141.

(2) - عميرواي حميدة : رسالة الطريقة القادرية في الجزائر ، د ت ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة ، الجزائر ، ص : 14.

(3) - العيد مسعود : المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني ، مجلة سيرتا ، عدد 10 ، إصدار معهد العلوم الإجتماعية ، جامعة قسنطينة ، الجزائر ، 1988 م ، ص : 19.

(4) - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ج4 ، ص : 28.

مريدا.و وصل عدد الشيوخ الى 20 شيخا.<sup>(1)</sup> ولقد كانت معظم الزوايا في الجزائر هي الوجه السياسي لجهاد الأمة الجزائرية ولقد شهد على ذلك الفرنسيون أنفسهم والحق ما شهدت به الأعداء. يقول المؤرخ الفرنسي مارسيل إيميري : " إن معظم الثورات التي وقعت خلال القرن التاسع عشر في الجزائر كانت أعدت ونظمت ونفذت بوحى من الطرق الصوفية ، فالأمير عبد القادر كان رئيسا لواحدة منها وهي الجمعية القادرية ، ومن بين الجمعيات المشهورة التي أدت دورا أساسيا في هذه الثورات : الرحمانية - السنوسية - الدقاوية-الطيبية ."

ويقول السيد أوكتاف ديون المفتش العام للبلديات الممتزجة بالجزائر ومن مؤلفي كتاب " الطرق الدينية في الجزائر 1897م " في تقرير بعث به الى لجنة مجلس الشيوخ المكلفة بالجيش والتي كان يرأسها "كليمانصو"<sup>(2)</sup> : "إننا سلفا نجد يدا مرابطية وراء كل هذه الثورات التي يقوم بها الأهالي ضدنا."<sup>(3)</sup> وسنقتصر في بيان دور الزوايا وأثرها في الحياة السياسية والإجتماعية في الجزائر على زاويتين اثنتين وذلك لما لهما من تجدر في حياة الأمة الجزائرية وهما الزاوية القادرية والتيحانية .

## 1-الزاوية القادرية :

ولقد سبق التعريف بتاريخ هذه الزاوية في الفصل الأول بمناسبة حديثنا عن تربية الأمير وتعليمه في رحاب هذه الزاوية بسهل غريس بالجزائر وكيف كانت رافدا أساسيا في تكوينه الصوفي والسياسي وبيننا بالتفصيل تاريخ الزاوية الأم في بغداد وعرفنا بمؤسسها عبد القادر الجيلالي والدور العالمي الذي لعبته زاويته

(1) - المرجع نفسه ، ص : 29.

(2) - جورج بنجامين كليمنصو : 1841- 1929م .رجل دولة فرنسي، وطبيب وصحفي. أنتخب مرتين لرئاسة الحكومة الفرنسية رئيسا للوزراء الثاني والسبعين للمرة الأولى في الفترة بين 1906 - 1909 والرئيس الخامس والثمانين للمرة الثانية في الفترة الحرجة بين 1917 - 1920، إذ قاد فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى. وكان يلقب بنمر السياسة ، يستطيع أن يتحدث الى عشرين شخصا في عشرين موضوعا في وقت واحد كانت له ثمانمائة عشيقة و أربعون ابنا غير شرعيين. انظر ، محمد الغزالي: فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء ، طبعة دار الشروق ، 2006 ص : 39.

(3)- صلاح مؤيد عقي : مرجع سابق ، ص : 78.

في ترشيد العمل الصوفي والسياسي حتى لا يبقى منعزلاً في جزيرة السعداء التي نسجتها فلسفة ابن طفيل .  
وذكرنا من أقوال ابن كثير الحافظ وابن تيمية وتلميذه ابن القيم والذهبي الناقد والمحقق ما يعتبر شهادة تأهيل  
وتزكية لمنهج هذه الزاوية.

. وأول من أسس لها فرعاً في الجزائر هو جد الأمير عبد القادر مصطفى بن المختار الغريسي .

### 1-1: كيف دخلت الزاوية القادرية الى الجزائر؟ :

يعود الفضل في تأسيس التصوف القادري في الجزائر الى أبي مدين شعيب بن الحسين<sup>(1)</sup> الذي تعرف  
على عبد القادر الجيلاني في عرفة وعاد الى بجاية وشرع في نشر الفكر القادري في ربوع المغرب  
العربي<sup>(2)</sup> وكان يلقي على أتباعه دروساً في التصوف من كتب الأعلام مثل الرسالة القشيرية لمؤلفها عبد  
الكريم القشيري وكتاب " المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى " لصاحبه أبي حامد الغزالي . وتعلم  
على أبي مدين أعلام كثر من مثل محي الدين بن عربي الأندلسي دفين دمشق والذي وفد على بجاية سنة  
( 597هـ - 1200م ) وعبد السلام بن مشيش<sup>(3)</sup> شيخ الطريقة القادرية التي ورثها الى تلميذه أبي الحسن

---

(1)- أبو مدين شعيب : قيل هو ابن الحسين أو الحسن . ولد بخصن قنطنية من أحواز إشبيلية ( سنة 509هـ - 1115م . وتوفي سنة  
594هـ - نشأ بالأندلس يرعى غنم إخوته. ثم رغب في طلب العلم فركب البحر الى طنجة ثم ذهب الى سبتة وبعدها الى فاس وطلب العلم  
بها ثم توجه الى المشرق لأداء فريضة الحج 45. ولازم الشيخ عبد القادر الجيلاني حتى وفاته. ثم توجه الى بجاية وكانت مركز إشعاع معرفي =  
= وروحي فدرّس بها كتابي إحياء علوم الدين والرسالة القشيرية . توفي بالعباد بتلمسان سنة 594هـ وهو في طريقه الى مقابلة سلطان مراكش  
يعقوب المنصور . ومن تلاميذه بالأندلس ابن عربي وأحمد بن جعفر سيد بونة الداني وأبو يعقوب بن يوسف البلبلي وبالمغرب الأقصى  
عبد السلام مشيش و أبو محمد عبد الرواق الجزولي وأبو داود المزاحم . عبد الخليم محمود : أبو مدين الغوث حياته ومعاجزه الى الله ، دار  
المعارف ، مصر ، دط ، 1985م ، ص: 29. و عبد الله بن عبد القادر التليدي : المطرب بمشاهير أولياء المغرب ، دار الأمان للنشر والتوزيع  
، ط 4 ، 2004 ، ص : 64 .

(2)- عميرواي حميدة : رسالة الطريقة القادرية في الجزائر ، مرجع سابق ، ص : 24.

(3)- عبد السلام بن مشيش : ( ت 622هـ - 1225م ) ، بن أبي بكر بن علي الإدريسي ، فقيه صوفي مغربي ، منزله في المغرب  
كمنزلة الشافعي في مصر . تتلمذ على أبي مدين الغوث وهو أستاذ أبي الحسن الشاذلي ، له رسالة الصلاة المشيشية " إغاثة الراغبين في  
الصلاة " تناولها الكثيرون بالشرح والتحليل . قتله أحد الجهال يدعى ابن أبي الطواحين الكتامي على يد جماعة بعث بهم وكان ذلك في سنة



الشاذلي التونسي مولدا والمتوفي بمصر وعن هذا الأخير انتقلت الطريقة القادرية الى الشيخ مصطفى بن مختار جد الأمير عبد القادر.<sup>(1)</sup>

## 2-1: الزاوية القادرية في الجزائر ونشاطها التعليمي والسياسي والإجتماعي.

زاوية القيطنة - القادرية - التي بناها جد الأمير مصطفى بن محمد في سنة 1206هـ الموافق لـ 1791-1792م . كانت هذه الزاوية قبلة للمريدين وطلبة العلم من مراكش وسوسة و شنقيط وبرقة والإسكندرية . بها مسجد بناه أحد ولاة وهران وبه سبعة مجالس للتدريس. وورث محي الدين -والد الأمير - عن أبيه مهمة الإشراف على الزاوية التي تقوم بأنشطة علمية وتربوية وإجتماعية من رعاية الفقراء وابن السبيل والقيام بالوساطات مع الولاة لقضاء مصالح المسلمين.<sup>(2)</sup> و زاوية القيطنة ليست مكانا واحدا مهجورا فهي تقع في وسط خمسمائة عائلة في مساكن من حجر يطلق على مجموعهم كلمة دوار وهو أحد الدواوير السبعة الموجودة بسهل غريس .

ولقد ورثت الزاوية القادرية في الجزائر في عهد الأمير عبد القادر هذه الحقيقة الصوفية التي تجمع بين روحانية الزاوية وجهاد السياسة فلقد كان من ذلك أن بويح الأمير بيعة شرعية بعد ترشيح من مقدم الزاوية<sup>(3)</sup> الذي كان يومها والده محي الدين الذي ذكرنا ترجمته من قبل.<sup>(4)</sup> وفي ما ذكرناه في الفصل المتعلق بجهاد الأمير للفرنسيين دلالة كبرى على ما وقع للأمة الجزائرية من بعث لكيانها ونهضتها السياسية والإجتماعية . ولقد كانت الإجتماعات تتم في الزاوية عادة بين صلاتي المغرب و العشاء وفي أحيان كثيرة إلى ساعة متأخرة من الليل ، وكان مدار الحديث هو البحث عن حلول لاختلالات كبيرة في حياتهم أهمها

=622 هـ . ودفن بجبل العلم بتطوان . عبد المنعم القاسمي الحسني : أعلام التصوف في الجزائر ، ط1 ، دار الخليل القاسمي ، 1425هـ - 2005 ، ص : 158 .

(1) - عميراي حميدة : رسالة الطريقة القادرية في الجزائر ، مرجع سابق ، ص : 26 .

(2) - مصطفى بن التهامي ، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده ، مرجع سابق ، ص: 49 .

(3) - مقدم الزاوية عبارة معناها قيم الزاوية و رئيسها .

(4) - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ج 4 ، ص ، 44 .

التصرفات السيئة لإدارة البايلك وضباطها المرتشين والخلافات القبلية الحاصلة بسبب ولاء بعضها لإدارة البايلك. و الوضع البائس لغالبي سكان البوادي (1).

وكان محي الدين في غير ما مرة يجد نفسه يشرح لابنه عبد القادر ضرورة الكفاح من أجل التحرر من نير الأتراك . ويبين له أن هذا الكفاح فريضة شرعية و ضرورة واقعية ، حيث لا يوجد حق و عدل ، فمن جهة توجد حياة الإقطاعيين الأتراك الذين يعيشون حياة غزاة على أرض الجزائر وفي المقابل يثقلون كاهل سكان البوادي بالضرائب الباهضة. ويزداد الأمر شدة بسبب جماعات المخزن<sup>(2)</sup> التي تزرع اليأس و لاتصلح و تدفع بالناس إلى أحد الخيارين و كلاهما مرّ إمّا الخضوع التام للنظام الإقطاعي أو العيش في الخفاء وسط المطاردة و الخوف .

ولقد كانت زاوية محي الدين هي مهد الوعي الإجتماعي و السياسي المستمدين من ميراث السبحة و السيف كما أشرنا سابقا، هذا الميراث الذي يسمى بالرباط . و تحت إدارة محي الدين بصفته شيخ بني هاشم ، تحولت القيطنة إلى مركز اتصال دائم لرواد الزاوية على اختلاف مقاصدهم حيث نجد منهم الوجهاء و الأعيان و المرابطون<sup>(3)</sup> و منهم طلبة العلم الذين يستفيدون من ثلاثة أشياء مجانا : العلم والغذاء و المأوى ويقصد الزاوية أيضا علماء زائرون وكذلك معوزون يطلبون الطعام لهم ولعائلاتهم . و مسافرون يحطون الرحال للراحة و زوّار يبحثون عن كلّ ما هو روعي في مكان يوصلهم بضريح مؤسس الزاوية القادرية

(1)- المرجع نفسه ، ص : 48.

(2)- جماعات المخزن : تتكون من أصول وأنساب مختلفة وهي عبارة عن جهاز إداري تعينه السلطة العثمانية في الجزائر ، يقوم بمهام عسكرية وجبائية تخص سكان الأرياف الخاضعة و القبائل البدوية الممتنعة في الجبال ، كما تستعمل لإخماد حركات التمرد وإقماع العصاة. ولقد ارتكبت كثيرا من المظالم . وحققت كثيرا من الإمتيازات ولذلك أعطت ولاءها لفرنسا في حربها ضد الأمير عبد القادر. ناصر الدين سعيدوني ، عصر الأمير عبد القادر الجزائري ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، طباعة وتنفيذ أحمد متولي و أحمد جاسم ، 2001 م ، ص : 111 وما بعدها .

(3)- المرابطون : هم نبلاء الدين والعلم والنسب والجهاد ، لهم نفوذ مستقل عن الطرق الصوفية ، اوقف الناس عليهم أحباس كثيرة . وكانت السلطة الروحية في الريف الجزائري موزعة على ثلاث قوى رئيسية هي: المرابطون ، الأجواد ، الأشراف . أنظر أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق ، ج 4 ، ص : 14.

الأم في بغداد . وكان محي الدين الرجل الذي يحمل شعار السبحة و السيف يرفض هيمنة الأتراك على أرضه وشعبه ، فكان كثيراً ما يعقد جلسات مع وطنيين للبحث عن سبل و كيفية المطالبة بحقوق الفئات المظلومة والمتابعة من طرف إدارة الباي ومليشياته. وكان هؤلاء المظلومون الفارزون يجدون المأوى و الذكر و العلم والفكر في زاوية القيطنة. وكان محي الدين يبذل الكثير من الجهد والمال لإعالة و ضيافة كل هذه الأصناف من الواردين على زاويته. أما الجهد فقد كان يساعده في ذلك أفراد عائلته ، ولأمر ما تزوج محي الدين بأربعة نسوة أنجن له خمس ذكور و بنت واحدة . فمن زوجته وريدة بنت الميلود رزق بمحمد السعيد ومصطفى ، ومن زهرة بنت عمر بن دوحه وهبه الله الأمير عبد القادر وخديجة ومن فاطمة ابنة دحو جاء الحسين و الرابعة هي خيرة بنت العويدات التي أنجبت له المرتضى (1).

ومن غير المستبعد أن يكون الهدف من زواج محي الدين بأكثر من امرأة هو عقد تحالفات سياسية و قبلية رشيدة في زمن خطير و مضطرب من جهة وللقيام بالأعمال المنزلية والتي من أهمها خدمة وحسن ضيافة رواد الزاوية على اختلاف أصنافهم وكثرة عددهم كما أشرنا سابقا. أما المال الذي يصرف في هذه الضيافة الواسعة و المستمرة للزاوية فكان مصدره كرم محي الدين الذي كان يملك أراضي زراعية واسعة ورثها عن آباءه و أجداده . ولا يخفى على دارس أن الإحسان إلى الناس بكل أنواعه يوئد رابطة ولاء قويّة للمحسن ومن أقوال العرب قديما :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فلطالما استعبد الناس إحسان

ويشهد لذلك قول رسول الله - ص - : " أحب الناس إلى الله أنفعهم ، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربة ، أو تقضي عنه ديناً ، أو تطرد عنه جوعاً ، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً ، ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظاً ، ولو شاء أن يمضيه أمضاه ، ملأ الله قلبه رضی يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه المسلم في

(1)- محمد محصاجي ، ص : 47.

## الفصل الثاني: تجربة الأمير الصوفية في الجزائر وفرنسا والشام.

حاجته حتى يشتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل، كما يفسد الخل العسل. (1)

وهكذا يشاء القدر مع مرور الزمن أن يتشكّل في قرية القيطننة وطن صغير متميز في تضاريسه وفي طبقة رواده عن باقي أرض البايك الوهراني، حيث بدأ الشعور بالإنتماء إلى مصير واحد مشترك يجمع قبائل المنطقة التي تربطها بزواية محي الدين رابطة الحب و الولاء .وأصبح الجميع يدرك أطماع العنصر التركي في خيرات هذا الوطن وكذلك سرّ تعرض الوطن باستمرار إلى حملات غزو أجنبية من طرف إنجلترا و فرنسا على الخصوص .

ومّا يشهد على ذلك أن داي الجزائر المستأجر من قبل إنجلترا اتّفق مع سلطان المغرب مولاي سليمان<sup>(2)</sup> لكي يرسل فرقا عسكرية لإخماد بعض الثورات الداخلية وأيضا لتأييد باي وهران محمد بن محمد المقلش<sup>(3)</sup> لقمع الفلاحين الثائرين في درقاوة<sup>(1)</sup>. كما حاول السلطان مولاي سليمان على إثر تقلب السياسة الأوروبية أن يستولي على واحات السّاوره. وتوات وقورارة.<sup>(2)</sup>

(1)- سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دط ، الناشر، دار الحرمين - القاهرة ، ، دت ، ج6 ، رقم 6026 ، ص : 139.

(2)- ولد في 20 محرم 1180هـ - 1760م و توفي يوم 13 ربيع الأول 1238هـ - 28 نوفمبر 1822م. من سلاطين المغرب ، من سلالة العلويين. وهو ابن السلطان محمد الثالث. حكم بين 1797 - 1822م. اعتمد على سياسة الانغلاق أو ما يسمى سياسة الاحتراز وهذه السياسة الاحترازية تعني الانغلاق على العالم الخارجي فقد قطع جميع الصلات التي بين المغرب و أوروبا وقلل من المعاهدات التي أبرمها الحاكم السابق حيث انتقلت من 11 إلى 3 معاهدات وأغلق جميع المراسي ومنع العلاقات التجارية الدبلوماسية... وذلك كله =خوفا من انتشار وباء الطاعون بالإضافة إلى الخوف من أوروبا حيث عاصر عهد الثورة وعصر الحروب التوسعية للإمبراطور الفرنسي نابليون، بايعه أهالي تلمسان وفضلوه على البقاء تحت سلطة الأتراك. ويكيبيديا. تاريخ الدخول : 2016/02/02 م . وجاء في ترجمته أيضا " ثم أبو الربيع سليمان بن عبد الله أخو أبي ثابت فجدد الصلح مع آل زيان وتوفي في ليلته بصحن مسجد تازة وقد ترفهت الناس في أيامه . أنظر ، الآغا بن عودة المزاري ، ص: 175.

(3)- هو خامس بايات وهران ، انتقل مع أخيه عثمان إلى مدينة البليدة ، وأقام بها إلى أن قام ابن الشريف الدرقاوي على مصطفى بن عبد الله المارّ وحاصره بوهران ولما رآ أهل الجزائر عجزه عن دفاع العدو ، عزلوه وخليفته حسن وولّوه في مكانه لرياسته وشجاعته. تولى سنة

وهكذا علم محي كل رواد زاويته الوعي بكلّ هذه الأخطار التي تهدد أمن ومستقبل الوطن الجزائري ، وان السبيل الوحيد لتفادي هذه المصائب هو توحيد جميع قبائل المنطقة لتحقيق وحدة شعبية وتنظيم جيش وطني موحد يحمي الأرض و الأمة من كل أطماع الغزاة.<sup>(3)</sup>

ومّا يشهد أيضا للدور السياسي لزاوية القيطنة وأنها لم تكن عن معزل عنهموم الأمة مشاركة مقدمالزاوية الشيخ محي الدين - كما أشرنا سابقا عند الحديث عن ترجمته - في ثورة الفلاحين بالغرب الجزائري سنة 1818م دعما لإخوانهم المظلومين في بلاد المغرب وقد تمكن باي وهران بالتحالف مع باي الجزائر من إخماد هذه الثورة وقبض على الشيخ محي الدين وحكم عليه بالسجن لمدة سنتين في سجن العريش بوهران .

عشرين ومائتين وألف وهو ابن ثمانية عشر سنة على ما قد قيل ، وقيل غير ذلك . وبقي في الملك ثلاثة أعوام غير . وقعت بينه وبين الناصر الدرقاوي حروب كثيرة . عزله أهل الجزائر بالقوة والشدة ، وأمروا بقتله بوهران فقتل شرّاً قتله بعد أن ذاق أنواعا من العذاب خارجة عن الحد . المرجع نفسه ، ص : 308 و 325.

(1)- وقد وقعت هذه الثورة بين محمد بن عثمان الملقب بالملقش (1805-1807م) وبين الحشم بمعسكر ، وأشار الحاج الخضير المهاجي على الباي أن يصاهر كبير الحشم الشيخ قدور بن الصحراوي ، ويخطب بنته إلى ابنه فوافق على ذلك ، وأعطى له توكيلا بخط يده يحمل تاريخ 1220هـ (1805-1806م) لينوبه في الخطبة . أنظر المرجع نفسه ، ص: 104. وعن الطريقة الدرقاوية يقول سعد الله : " وفي أعقاب العهد العثماني انتشرت الطريقة الدرقاوية في غرب الجزائر . وهي تنسب إلى الشيخ محمد العربي الدرقاوي. ويبدو أن عددا من علماء الجزائر قد انجذبوا نحو هذه الطريقة وأصبحوا من مريديها في ذلك العهد . ولما كانت الدرقاوية قد انتشرت في الوقت الذي تفاقم فيه الضعف السياسي للحكم العثماني في الجزائر فإن رد فعل هذا الحكم ضدها كان عنيفا. " أنظر ، أبو القاسم سعد الله ، المرجع سابق ، ج 1 ، ص : 517 .

(2)- الساورة وتوات وقورارة: إقليم الساورة أحد أقاليم الصحراء الجزائرية يقع ناحية الجنوب الغربي الجزائري عاصمته بشار ، يحده من الشمال ولايتي البيض والنعاما، ومن الجنوب ولاية تندوف، ومن الشرق ولاية أدرار ومن الغرب المملكة المغربية، و تقع توات في أقصى الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية وعلى مسافة 1500 كم . وهي واقعة في امتداد أدرار وتيميمون وعين صالح . وقورارة هي مجموعة من الواحات وهي أحد الأقاليم التي تتكون منها ولاية أدرار في الجنوب الجزائري انظر ، فرج محمود : إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد ، ط1 ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص:1. وأيضا قورارة لإهليل ، مديرية الثقافة لولاية أدرار ، محافظة المهرجان الثقافي الوطني لإهليل ، ط4 ، 2010م ، ص :4.

(3)- محمد محمصاحي ، ص : 45.

## الفصل الثاني: تجربة الأمير الصوفية في الجزائر وفرنسا والشام.

وفي سنة 1825م أصبح الوعي تاما بخطورة الوضع الإقليمي و الدولي عند كل القبائل<sup>(1)</sup> الموالية لزاوية القيطننة والواقعة في قبيلة بني هاشم . و أصبحت القناعة حاصلة بضرورة الإستعداد لأداء شعيرة الجهاد . ولقد كانت الحماسة القتالية عالية . وكان هذا الشعور الشعبي يشغل الباي حسن الذي كان يتوجس خيفة من قبيلة بني هاشم وزاويتها التي كانت الأخبار ترد إليه عن تزايد أتباعها الدينيين و السياسيين .

وفي سنة 1827م تعرضت مدينة معسكر لهجوم من طرف الطريقة التيجانية في عين ماضي بزعامة شيخها أحمد التيجاني وشاركت الزاوية القادرية بزعامة علي أبو طالب شقيق عم الأمير عبدالقادر ، ولكن الباي تمكن من القضاء على هذه الثورة وقتل أحمد التيجاني بينما تمكن أبوطالب من الفرار . واتهم الباي محي الدين شيخ زاوية القيطننة بالتحريض على الإدارة التركية ..

ويذكر أحد الباحثين<sup>(2)</sup> أن " كل سكان الجزائر ينتمون الى الطرق الصوفية . وهم بذلك يشكلون جيشا صلبا متديرا بمهارة ، مستعدا دائما للدفاع عن البلاد ضد الأروبيين وهذا ما يفسر صعوبة تغلب الجيش الفرنسي عليهم إذ بقي مدة ثلاثين سنة (1827م- 1857م)<sup>(3)</sup> في حرب متواصلة معهم ، قبل إيقاع الهزيمة بهم." <sup>(4)</sup> وفي الجانب الإجتماعيفقد كانت زاوية القيطننة تطعم الأعداد الكبيرة من الزائرين

---

(1)- قبيلة بني هاشم تقع في غرب مدينة معسكر وهي قسمان : غرابة في جهة الشرق وهي تحتل سهل غريس وجزء من البرج وتصل حتى القلعة وغرابة جهة الغرب وتتمركز في غرب معسكر وفروحة وعين فكان وكذلك قبائل بني عامر وهي 26 قبيلة تنقسم هي أيضا إلى شراقة في شرق مدينة بلعباس والغرابة في غربها . أما قبائل المخزن فتنقسم جنوب غرب وهران حيث الدواوير في المنطقة الساحلية و الزمالات في المنطقة الداخلية . انظر : محمد محمصاحي ، مرجع سابق ، ص : 246.

(2)- هو أشيل روبري الباحث المختص في شؤون الجزائر وهو إداري رئيسي بالبلدية المختلطة بالجزائر العاصمة ورئيس شرفي ومراسل وزارة التعليم . أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، جزء 4 ، ص : 29.

(3)- سنة 1827م هي سنة بداية الحصار الفرنسي البحري على مدينة الجزائر ، و 1857م هي سقوط زاوية زواوة .

(4)- أشيل روبري : الدين الإسلامي ، في مجلة روكاي ، 1918م ، ص 282 ، نقلا عن أبي القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع نفسه ، ص 29.

## الفصل الثاني: تجربة الأمير الصوفية في الجزائر وفرنسا والشام.

وتؤويهم وتعلمهم. وكان محي الدين مقدم الطريقة القادرية بزاوية القيطنة يصف زاويته بأنها كمقام إبراهيم الخليل من دخلها كان آمنا. ومما زاد من تعلق الناس بالزوايا هو اعتقادهم في صلاح الأولياء وقدرتهم على تسليط غضبهم على من يهينهم أو من يهين من يلجأ إليهم طالبا الحمى والأمان.<sup>(1)</sup>

ولقد ورث محي الدين في تسيير شؤون الزاوية الروحية والعلمية ابنه الأكبر محمد السعيد<sup>(2)</sup> الذي أصيب بفقد ابنه أحمد الذي استشهد صغيرا دفاعا عن مدينة وهران سنة 1832م. ولقد انتقل محمد السعيد مع أخيه الأمير عبد القادر الى فرنسا وسجن معه ورحلا معا الى المشرق ولكن ابن محمد السعيد واسمه محمد المرتضى<sup>(3)</sup> هو الذي ورث خلافة الطريقة في بيروت وكان دائم الاتصال بالجزائر عن طريق مرديه وتصل إليه الزيارات والأموال. ولكن مع مرور الوقت تفرقت القادرية الى قيادات صغيرة استطاعت فرنسا أن تحرف معظمها عن طريق الجادة.

### \* ومن بقايا المقدمين و الزوايا القادرية :

أ- محمد بن عودة بنواحي زمورة ولاية تلمسان .

ب- ابن النحال بزاوية الفجوج بقالملة ووادي الزناتي.

(1)- المرجع نفسه ، ص : 271.

(2)- محمد سعيد بن محي الدين بن مصطفى الجزائري الحسني : الأخ الأكبر للأمير عبد القادر وقد شهد مع أخيه الأمير مواقع كثيرة في الجهاد تخرج على علماء عصره في بلاده واختص بالتصوف وتولى مشيخة الطريقة القادرية في المغرب هاجر مع أخيه الأمير الى دمشق وتوفي فيها ودفن في جبل قاسيون من آثاره " اتقان الصنع في شرح رسالة الوضع " للإيجي طبعت في بيروت توفي بدمشق سنة 1278هـ- 1861م. عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر ، ط2 ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1400هـ- 1980م. ، ج 1 ، ص : 220.

(3)- ولد محمد المرتضى بالقيطنة بمعسكر سنة 1245هـ - 1829م. وقرأ على عمه الأمير عبد القادر وعلى أبيه محمد السعيد وغيرهما. وتزوج من إحدى بنات الأمير. انتقل بعد وفاة والده سنة 1278هـ الى بيروت للإشراف على الطريقة. زار اسطنبول بنصيحة من عمه عبد القادر. ورتب له السلطان راتبا ماليا. حج مع عمه الأمير عبد القادر سنة 1281هـ. وبعد رجوعه عكف على نشر العلم والأوراد = القادرية. له نظم في المديح النبوي ودروس في الوعظ والإرشاد . توفي ببيروت سنة 1316هـ - 1902م. انظر ، أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ج4 ، ص : 57 وما بعدها..

ج- بوتليليس بوادي الشحم بنواحي وهران وقد جاءه التعيين من المشرق من عند محمد المرتضى .

د-الأحول عبد القادر بزواوية شلافة سنة 1897م بمنطقة وادي الخير بين مستغانم وغلزيان وأحد أولاد الشيخ الأحول هو الذي دعا الجزائريين في سنة 1939م الى مساندة فرنسا في حربها ضد ألمانيا.(1) ويمكننا أن نسجل هنا بأن هذا الموقف القادري من الناحية الأخلاقية والدينية يعتبر سلوكا سلبيا و مرفوضا ولكنه يبقى موقفا سياسيا ارتبط بالتاريخ الصوفي لهذه الزاوية .

هـ- بلعربي عبد القادر بن قدور بنواحي تيارت - سنة 1844.وقد أسسها جده قدور بن مسعوده .وفي تلك النواحي مرابطون بارزون من أمثال آل تروش وآل سيدي علي وآل سيدي خالد وهؤلاء موسم سنوي فيه الرقص والفروسية والإطعام .(2) ويختلط الصوفي والسياسي ولكن في جانبه السليبي حيث توجه دعوة لبعض الإداريين الفرنسيين للحضور في هذه المواسم الصوفية .وتجمع الأموال ( الزيارة ) عن طريق المنادين ( البراحين في اللغة الشعبية الجزائرية ) في الشوارع والأسواق .

و-ومن فروع القادرية زاويتي نفطة والكاف وكتاهما موجودتان في تونس ولكن لهما نفوذ كبير في الجهات الشرقية الجزائرية .ومؤسس زاوية نفطة هو أبو بكر بن أحمد الشريف تلميذ الشيخ المنزلي (نسبة الى منزل بوزلفة بتونس ) .وامتد نفوذها في عهد الشيخ ابراهيم بن أحمد النفطي في سنة 1897م حتى وصلت الى غدامس وغات والجزائر وعين صالح وتوات وتيديكلت وبلاد التوارق حيث تلميذه الشيخ عابدين مقدم زاوية الشيخ محمد بن ابراهيم.

ز-زاوية عميش بوادي سوف وهي فرع للزاوية الأم بنفطة بزعامة محمد بن ابراهيم .ومؤسس زاوية عميش و أخوه الهاشمي بن إبراهيم الذي جند العديد من الأتباع ووصل نفوذه الى السودان وغات .ومن

(1)- وفي المقابل نجد عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين في الجزائر بصفته رئيس جريدة الشهاب - الأسبوعية ثم الشهرية - يرفض كتابة رسالة تأييد لفرنسا في حربها ضد ألمانيا وأوقف مجلته الشهاب عن الصدور بإرادته وذلك سنة 1939م .

(2)- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ص : 46 .



## الفصل الثاني : تجربة الأمير الصوفية في الجزائر وفرنسا والشام.

صور الحراك السياسي لهذه الزاوية ما دونه التاريخ عن تأييد الشيخ الهاشمي لفرنسا في بداية الحرب العالمية الأولى وفي المقابل قام بمظاهرة ضدها في شهر نوفمبر 2018م يقودها مقدم القادرية بزاوية عميش الشيخ الهاشمي وسببها رفضه لبعث الجزائريين للعمل في فرنسا ثم تجنيدهم بعد ذلك. واعتقل الشيخ على إثر ذلك ونفي الى تونس التي توفي بها سنة 1823م. وتولى بعده ابنه عبد العزيز مشيخة الزاوية الذي انظم في سنة 1937م الى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفتح لها مدرسة في زاويته واستقبل وفدا على رأسه عبد الحميد بن باديس فنقمت فرنسا على عبد العزيز بن الهاشمي ومساعديه عبد القادر الياجوري وعلي بن سعد وحبستهم في سجن الكدية بقسنطينة واتهمتهم بالثورة على فرنسا بتحريض من ألمانيا وإيطاليا وأعلنت حالة الطوارئ.<sup>(1)</sup>

ح- محمد الطيب بن إبراهيم ( الأخ الثالث لمحمد والهاشمي ) مؤسس زاوية الرويسات بورقلة وله أتباع في الأغواط وغرداية والشعابنة .ولقوة نفوذ هذه الزاوية فقد اعتمدت عليها المخبرات العسكرية الفرنسية في سنة 1895م حيث قدمت مساعدات للحاكم العام جول كامبون لتدليل منطقة تيديكيكت ونجح في اعتقال قتلة الماركيز دي موريل. كما اعتمدت بعثة المستكشف الفرنسي فلانمان-Fluamand - على الشيخ محمد الطيب الذي قاد بنفسه عشرين مسلحا من أتباعه لحماية البعثة الفرنسية.<sup>(2)</sup> وقد مات محمد الطيب في توات وهو يقاتل في صفوف الجنود الفرنسيين بقيادة الضابطان- Pein - .<sup>(3)</sup>

(1)- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ج 4 ، ص : 55.

(2)-مجلة جمعية الجزائر وشمال افريقيا ، SGAAN (1899-1900م ) رقم 5-5 ص 5 ، 12 وكان فلانمان أستاذا في مدرسة العلوم بكلية الجزائر ، ومتخصص في الجغرافيا وقد صحبه في بعثته المستشرق الإسكندر جولي . نقلا عن أبي القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ج 4 ، ص : 49.

(3)- المرجع نفسه ، ص : 51.

## الفصل الثاني : تجربة الأمير الصوفية في الجزائر وفرنسا والشام.

وقد كتب الجنرال الفرنسي لاروك<sup>(1)</sup> -Laroque- سنة 1879م تقريرا الى قيادته يطلب فيه التقرب الى مشيخة الزاوايا القادرية وخاصة منها زاويتي عميش و الرويسات وذلك لما قدمته من خدمات للجيش الفرنسي في إخماد الثائرين من السنوسيين .<sup>(2)</sup>

وهناك شخصية فرنسية أخرى لعبت دورا بارزا بين الزوايا في الجزائر يشبه دور فلورنس البريطاني في صحراء الحجاز ونقصد به الضابط الإستخباراتي ديورتر-Deporter- وهو ابن أحد المستوطنين الفرنسيين بقسنطينة ولكنه ولد بفرنسا . تطوع في فرقة الرماة وعمره 17 سنة و عمل في صحراء الجزائر وفرنسا . وشارك في الحملات ضد الجزائريين في زاوية وفي الجنوب . دخل مصلحة الشؤون الأهلية وتولى إدارة المكتب العربي في برج بوعريج ثم في بسكرة ثم في الوادي سنة 1881م ومنها شارك في حملة احتلال تونس وعمل في جهاز مخابراتها و تعلم اللغة العربية في الوادي وتوزر فأتقنها .وهناك تقرب من شيخ زاوية نفطة محمد الكبير بن ابراهيم وحصل منه على شهادة مقدم واستطاع مخادعة العامة حتى حسبه مسلما قادريا وفي مقابل شهادة المقدم التي منحت له رخص لشيخ زاوية نفطة في فتح فروع أخرى لها فكانت زاوية عميش والرويسات اللتان ذكرناهما آنفا.وقد انتشرت القادرية في ربوع الوطن الجزائري كما تفيد الإحصائيات الآتية :<sup>(3)</sup>

### \*عدد الزوايا القادرية

السنة	عدد الزوايا	عدد المقدمين	عدد لإخوان	من النساء
-------	-------------	--------------	------------	-----------

(1)- هو المسؤول العسكري على إقليم قسنطينة والصحراء الشرقية. أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ج4 ، ص : 50 .

(2)- المرجع نفسه ، ص 29.

(3)- المرجع نفسه ، ص 58.

## الفصل الثاني: تجربة الأمير الصوفية في الجزائر وفرنسا والشام.

/	14574	268	29	1882م
2695	24587	558	33	1897م
2800	25000		33	1906م

ومن خلال كل ما ذكرناه حول الزاوية القادرية فإنه يتبين لنا الدور السياسي الذي لعبته سلبا أو إيجابا ومشاركتها في الشأن الاجتماعي والسياسي في تلك الفترة . وفي حرص الإدارة الإستعمارية على كسب ود مشيخة الزوايا وطلب المساعدة منها تارة ومحاربتها أو اختراق صفوفها تارة أخرى فيه دلالة كبرى على أن التصوف في الجزائر لم يكن بمنأى عن الشأن السياسي والديني وأنه لم يكن حركة للخلاص الفردي والفناء الديني كما أشرنا الى ذلك في تحديدنا لبعض إشكاليات البحث الفرعية في المقدمة ونتقل الى نموذج آخر من الزوايا في الجزائر التي اتصل التصوف من خلالها أيضا بالسياسة وهي الزاوية التيجانية .

### 2-الزاوية التيجانية:

#### 2-1: مؤسسها :

هو أبو العباس أحمد بن المختار بن أحمد التيجاني نسبة الى قبيلة بني توجين التي استقرت قديما بعين ماضي التي تبعد عن مدينة الأغواط بحوالي 60 كلم . وقد ولد أبو العباس أحمد سنة 1150هـ - 1737م. وفيها حفظ القرآن وتعلم الفقه والعربية . وبسبب وفاة والديه في يوم واحد بسبب وباء الطاعون

هاجر الى كل من بومسغول وتوات<sup>(1)</sup> والأبيض سيدي الشيخ وتلمسان ثم الى فاس المغربية<sup>(2)</sup> وأخذ العلم والأوراد والأذكار الصوفية من عدة طرق منها القادرية على يد مقدمها محمد بن حسن والناصرية عن محمد بن عبد الله التزاني بالريف الغربي والطيبية على يد الطيب الوزاني<sup>(3)</sup>. ثم عاد الى تلمسان ومنها توجه الى مكة حاجا وفي طريقه اتصل بالصوفي الكبير محمد بن عبد الرحمان الأزهري وفي تونس اتصل بعلمائها.

## 2-2 : كيف تأسست الطريقة التيجانية؟ :

وفي القاهرة نزل ضيفا على المرابي الكبير محمد الكردي العراقي الذي أذن له بتأسيس الطريقة وبعد فريضة الحج وفي المدينة المنورة أخذ عن محمد بن عبد الكريم السمان أوراد الشاذلية والوظيفة الزروقية ودلائل الخيرات والدور الأعلى . ثم عاد الى تلمسان ولكنه غادرها سنة 1782م بسبب مضايقة باي وهران محمد بن عثمان واستمرت هذه المضايقة حتى بعد استقراره في بومسغول وتأسيسه للطريقة التيجانية فاضطر للهجرة الى المغرب وقصد مدينة فاس ودرس بجامع القرويين الذي توجد به الى اليوم سارية تعرف بسارية الشيخ أحمد أبي العباس المازوي التيجاني<sup>(4)</sup> وقد بنى بفاس زاوية . وقد منحه السلطان مولاي سليمان قصيرا وراتبا .

## 3-2 : وفاة المؤسس وآثاره :

(1)- توات : توات هي اسم بربري أُطلق على الواحات، وهي منطقة عريقة تقع في الجنوب الغربي للجزائر ، ويُعرف عنها أنها " أرض ذات سباح . كثيرة الرمال والرياح ، لا تحيط بها جبال ولا أشجار . لُقبت بهذا الاسم من حوالي سنة 518هـ حتى بداية القرن الرابع عشر الهجري لتأخذ الاسم المعروف حالياً بأدرار ، كما أن عدد قصورها يناهز المائتي قصر موزعة في ثلاث مناطق هي قورارة وتوات الوسطى وتيديكلت . يرجع تاريخ عمارتها قبل الإسلام وكانت تسمى بالصحراء الغربية . وقد قوي عمرانها في القرن الرابع الهجري . وقد ذكرها كثير من المؤرخين مثل ابن بطوطة وابن خلدون . أحمد أبا الصافي الجعفري : من تاريخ توات أبحاث في التراث ، ط 1 ، منشورات الحضارة ، بئر التوتة ، الجزائر ، 2011م ، ص : 360 وما بعدها .

(2)- صلاح مؤيد العقبي ، ص : 157 .

(3)- عبد العزيز شهبي ، ص 137 وما بعدها .

(4)- صلاح مؤيد عقبي ، ص : 177 .

وتوفي بمدينة فاس يوم الخميس 17 شوال سنة 1230هـ - 22 سبتمبر 1815م ودفن بزوايته التي تحمل اسمه<sup>(1)</sup>. وترك ولدان محمد الكبير ومحمد الصغير<sup>(2)</sup> وله مؤلفات منها الإرشادات الربانية بالفتوحات الإلهية من فيض الحضرة الأحمديّة التيجانية و جواهر الحقائق في شرح الصلاة المسماة بياقوتة الحقائق والتعريف بسيد الخلائق و ترجم له أصحابه في كتاب اسمه جواهر المعاني وبلوغ الأماني عن فيض الشيخ التيجاني يعرف بالكناش وقيل أنه من تأليف الشيخ نفسه ويتحدث عن تاريخ الطريقة ومبادئها.<sup>(3)</sup>

## 2-4: انتشارها وروادها :

لقد لعبت الطريقة التيجانية دورا كبيرا في نشر الإسلام في الجزائر كل من بلاد المغرب و السودان والسنغال والتي ظهر بها الشيخ الحاج عمر وهو متخرج من جامع الأزهر وكان من أبرز أعلام هذه الطريقة الذين آزرها مؤسسها أحمد التيجاني مؤازرة كبيرة. ومن أتباع الشيخ أحمد التيجاني والموالين له في بلاد كثيرة نذكر منهم مايلي<sup>(4)</sup>:

### أ- في الجزائر :

1- بنواحي الجنوب<sup>(5)</sup>: محمد المشري السائحي (1224)<sup>(6)</sup> - الحاج علي التماسيني (1260) - (1260) - محمد الحبيب بن أحمد التيجاني (1269) بعين ماضي. - محمد بن الساسي من قمار بالوادي. - محمد بن الفضيل التواتي من أهل تكرارين من توات الغربية - المقدم محمد بن عباس بأبي

(1) - المرجع نفسه : ص 179.

(2) - أوصى الشيخ أحمد التيجاني قبل وفاته خليفته على الطريقة الحاج علي الينبوعي التماسيني ( 1180هـ - 1766م / ) بالقيام على الطريقة ورعاية ولديه فحاء بهما من مدينة فاس المغربية الى عين ماضي بالجزائر.

(3) - المرجع نفسه : ص : 179.

(4) - عبد الباقي مفتاح : أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه ، دار الكتب العلمية بيروت ، ، لبنان ، 2009م ، ص : 174 وما بعدها.

(5) - نؤكد على أننا نذكر من كل ناحية عينة أو اثنان فقط على سبيل التمثيل لا الحصر

(6) - التاريخ بين قوسين هو سنة الوفاة بالتاريخ الهجري.

سمغون - محمد بن المسقم بأولاد سيدي الشيخ - سليمان بن ساعد الأغواطي - الحسين بن دحمان من تاجموت - خليفة بن هبور من قصر الشلالة - حسونة القصري من القصر.

أ-2: بالغرب الجزائري : الطاهر أبوطيبة التلمساني(1292)بتلمسان- محمد المازوني بmazونة.

أ-3: بقسنطينة: أبو حفص عمر بن الكشكاش<sup>(1)</sup> - مصطفى بن أودينة - محمد بن المظمية .

أ-4: بالوسط الجزائري : عبد القادر المشرفي - المختار بن الطالب وأخواه أبو مدين وأبو عبد الله زعنون - عبد الرحمان بن ناجي - أحمد بن عساكر الجزائري.

ب- بتونس : محمود التونسي (1230) - الطاهر بن عبد الصادق القماري بتوزر(1266) - إبراهيم الرياحي - محمد الزيتوني -

ج- في بلاد المغرب الأقصى<sup>(2)</sup>: (عدد الأتباع 50.000 في القرن الماضي )

ج1: بمدينة فاس :

ملك المغرب المولى سليمان وبعض أمرائه - الحاج علي حرازم - الطيب السفياي - العلامة سكيرج قاضي سطات وصاحب التأليف الكثيرة - علي أملاس الكيماوي صانع الأدوية بزواوية الشيخ بفاس - الفقيه الزكي المدغري - المحدث أحمد ديبزة - القاضي عباس بن كيران - حمدون بن عبد الرحمان له نظم لحكم ابن عطاء الله السكندري وهمزية في 313 بيتا وميمية شرحها في نفحة المسك الداري لقاري صحيح البخاري . وغيرهم .<sup>(3)</sup>

---

(1) - وهو تركي الأصل ترجم له محمود بن محمد بن محمود بن المظمية في كتاب له مخطوط عنوانه " الدرّة الخضراء الثمينة في تراجم خواص الغوث التيجاني " عبد الباقي مفتاح : أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه ، مرجع سابق ، ص : 181 .  
(2) - عبد الباقي مفتاح : أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه ، مرجع سابق : ص : 213 وما بعدها.  
(3) - المرجع نفسه : ص 232.

ج2: بمدينة مكناس :

محمد بلقاسم بصري (1202هـ - 1294هـ) إمام الجامع العتيق وباني الزاوية - الطاهر بن بوطالب الجوطي ووالده المقدم محمد الغالي ونجله ابراهيم.

ج3: من تازة : عبد الغني التازي - عبد الوهاب التازي وأولاده السبعة .

ج4: من سلا : الفقيه عبد القادر بن محمد السلاوي.

د- في مصر والسودان<sup>(1)</sup>:

-عبد الواحد البناي بالقاهرة - أبو محمد هاشم العلوي (1315) بالقاهرة - حمو أبو مدين العقباني التلمساني (1335) - الطاهر أبو طيبة التلمساني (1292)- الفضل السقاط (1280) أصله من فاس واستقر في قنا وابنته خديجة من بعده عرفت بالفقه والأدب-

-محمد السقاف (1299) وقد صحب الشيخ أكثر من عشرين سنة . ومن تلاميذه الحسن بن عبد القادر الذي ألف كتابا ترجم فيه لشيخه عنوانه : " الفيض الداني في نزر من أطوار وارث التيجاني " ذكر فيه أن ممن تتلمذوا على شيخه - السقاف - محمد بن المختار الشنقيطي .

-العلامة الشريف عبد العزيز السملالي ، كان يقرئ أولاد الشيخ بعين ماضي . استقر في مصر وكان يدرس بالأزهر توفي سنة 1330هـ ودفن بقرافة المجاورين بمصر .-

-أحمد الأمين الشنقيطي وهو حجة في اللغة والأدب و من أعلام التيجانية تواضعا و غزارة علم . قدم مصر سنة 1318هـ وبها انتشر صيته . من مؤلفاته : الوسيط في ترجمة أدباء شنقيط والدرر اللوامع في شرح

---

(1)-عبد الباقي مفتاح : أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه ، مرجع سابق ، ص : 175 .

همع الهوامع في النحو للسيوطي .له رسالة في الرد على من أنكر لفظة " الأسمم " الواردة في صلاة جوهرة الكمال للشيخ أحمد التيجاني. ولم يتجاوز الثالثة والأربعون . توفي 1337هـ ودفن بقرافة المجاورين.

-البشير بن محمد الزيتوني التونسي (1323) - عبد المنعم بن أحمد بن سلامة بالسودان المصري (1354) - عثمان الفلاحي الأكراني بالسودان - محمد السالك الوداني بالسودان.

#### ه- في موريتانيا وإفريقيا الغربية: (1)

-محمد الحافظ العلوي الشنقيطي(1254) ومن أشهر خلفائه مولود فال (1267) - محمد عبد الله العلوي (1269) - محمد الغالي المغربي (1244) بواسطة خليفته عمر بن سعيد الفوتي (1282) مؤلف كتاب الرماح - الطاهر بوطيبة التلمساني (1265) بواسطة خليفته الشريف محمد الأخضر.

#### و- في الشرق الأوسط والشرق الأقصى (2):

1- المدينة المنورة : محمد عبد المالك العلمي -ألفا هاشم من لبيريا ومتخصص في علم الحديث (1349)- مصطفى العلوي مؤلف كتاب " عنوان النجاة في من دفن بالمدينة المنورة من الصحابة " و2- بالشام : أحمد الدادسي بالقدس ثم انتقل الى الأردن -أفندي محمد بجيفا -علي الدقر الذي برز في مقاومة الإستعمار الفرنسي بسوريا .

وفي الشرق الأقصى وصلت الطريقة التيجانية الى أندونيسيا حيث عد أتباعها بالملايين وأنشؤوا بها زوايا كثيرة. وقد نستفيد من هذا البسط التاريخي الكشف عن البعد العالمي الذي بلغه التصوف التيجاني وهو حري بأن يكون أفقا بحثيا يتعلق بالتاريخ الوطني الجزائري في شقيه الصوفي والسياسي.

---

(1)- المرجع نفسه ، ص : 175.

(2)- عبد الباقي مفتاح : أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه ، مرجع سابق ، ص : 243 وما بعدها.



## 2-5 الدور السياسي للطريقة التيجانية :

لقد كان تاريخ الزاوية التيجانية منذ نشأتها حافلا بالحراك السياسي حيث اصطدمت كغيرها من الزوايا مع الإدارة العثمانية التي كانت ترى بأن نفوذ الزوايا المتزايد يشكل خطرا على سلطتها في الجزائر.<sup>(1)</sup> ولقد كان حصن عين ماضي بثرواته الهائلة مصدرا رئيسيا للضريبة العثمانية و قد تزايدت ثروة الحصن بسبب الولاء الديني للطريقة التيجانية من جهة والتحكم في قوافل التجارة الصحراوية من جهة ثانية.<sup>(2)</sup> ولذلك شن الباي محمد الكبير<sup>(3)</sup> حملة على الحصن يوم 09 ربيع الأول 1199هـ - 1784م لإرغام أهله على دفع الضريبة. وكان عمر شيخ الطريقة أحمد التيجاني يومها تسع وثلاثون سنة كان مقيما بتلمسان بعد رجوعه من حجه<sup>(4)</sup> قد نصح أصحابه بعدم المقاومة من خلال رسالة كتبها إليهم<sup>(5)</sup>. وأرغم الباي أهل الحصن بعد تفاوض معهم على دفع ضريبة سنوية .

وفي سنة 1220هـ - 1785م تعرضت الطريقة بمدينة الأغواط لغارة من طرف الباي الملقب بصالح باي نتج عنها إخضاع المدينة عنوة للسلطة العثمانية .

- (1) - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص : 127 .
- (2) - المرجع نفسه ، ج 4 ، ص : 193 .
- (3) - الباي محمد بن عثمان : من أصل كردي ، ولد بمليانة بالجزائر ما بين سنتي 1734 و1739م . دام حكمه بصفته بايا من سنة 1193هـ - 1779م الى سنة 1212هـ - 1797م. كان يسمى الباي محمد لكحل ثم لقب بمحمد الكبير لعظم إنجازاته والتي منها فتح وهران والمرسى الكبير وانتزعهما من يد الإسبان في 1 محرم 1206هـ - 28 فيفري 1791م . كما غزا الأغواط والشلالة و حصن عين ماضي وبني مزاب . كان محبا لأهل العلم والصلاح . وقام بعدة إصلاحات في الإدارة والجيش والعمران . توفي ببلاد صبيح حال إقباله من الجزائر سنة 1213هـ - 1797م. وأوصى بدفنه بمدرسة التي بنى النطاح بوهران . انظر ، الأغا بن عودة المازري ، ج 1 ، ص ، 289 وما بعدها.
- (4) - عبد الباقي مفتاح : أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه ، مرجع سابق ، ص : 27 .
- (5) - وُجد نص هذه الرسالة مكتوبا في كناش بالزاوية التيجانية بتاغزوت التي تبعد عن وادي سوف - في الجنوب الشرقي الجزائري - بنحو 14 كيلومترا شمالا. انظر، المرجع نفسه ، ص : 27 .

## الفصل الثاني : تجربة الأمير الصوفية في الجزائر وفرنسا والشام.

وبسبب تمرد أهل حصن عين ماضي ورفضهم دفع الضريبة خرج إليهم الباي عثمان<sup>(1)</sup> بن محمد الكبير في حملة عسكرية وذلك سنة 1213هـ-1797م وانتصر وفتح الحصن دون مقاومة وفرض عليهم غرامة مالية قدرت ب 17 ألف ريال وأجبرهم على دفع كمية كبيرة من البرانس والحياك<sup>(2)</sup>. وبسبب تهديدات الباي لأهل سمغون فقد اضطر زعيم الطريقة أحمد التيجاني الى الخروج الى مدينة فاس المغربية كما سبقت الإشارة إلى ذلك في ترجمتنا لمؤسس الطريقة .

كما شهدت الطريقة بعد وفاة زعيمها سنة 1230هـ-1815م أحداثا سياسية منها حملة الباي حسن<sup>(3)</sup> على عين ماضي و محاولته القبض على ولدي أحمد التيجاني محمد الكبير<sup>(4)</sup> ومحمد الصغير<sup>(5)</sup> ولكنهما تمكنا من الهرب الأول الى تماسين والثاني الى بوسمغون . وقد حاصر الباي الحصن لمدة شهر ثم عدل الى التفاوض الذي أفضى الى أخذه ضريبة تتكون من مال وآثاث كما أخذ معه مخطوطات

- (1)- عثمان بن محمد : أبوه - عثمان - هو الذي ضيق على الشيخ أحمد التيجاني في تلمسان حتى رحل الى الشلالة وأبي سمغون . نصب بايا على مدينة وهران بعد وفاة أبيه سنة 1213هـ-1799م. وبقي في منصبه 18 شهرا . ولفساد أخلاقه عزله الباشا وأمر بجسسه في البلدة ثم عين بعدها بايا على قسنطينة ومات في معركة الثائر أحمد بن الأحرش الدرقاوي
- (2)- عبد الباقي مفتاح : أضواء على أحمد التيجاني وأتباعه ، مرجع سابق ، ص : 29.
- (3)- الباي حسن : هو الباي بن موسى الباهي المعروف بأهج حسن . ثامن بايات وهران وآخرهم في أرجح الأفعال . تولى منصب الباي بعد موت الباي علي وذلك في منتصف شهر ذي الحجة 1232هـ- 26 أكتوبر 1718م . وهو الذي منع الشيخ محي الدين وابنه عبد القادر من الحج وسجنهما عنده . وقتل الشيخ بلقندوز التيجاني . وبقي في منصبه الى أن احتلها الفرنسيون 1246هـ - 4 جانفي 1831م. ثم رحل الى المشرق ومات هناك. الأغا بن عودة المازري ، ج 1 ، ص : 374 وما بعدها .
- (4)- محمد الكبير : الإبن الأكبر لأحمد التيجاني ، ولد بعين ماضي سنة 1796م . عمل بعد وفاة أبيه على نشر الطريقة والتمكين لها تعرض الى مضايقه السلطة العثمانية . خاض تمردا ضد مدينة معسكر ومات في تلك الحرب في مواجهة الباي حسن سنة 1827م وترك خلفه بنتا واحدة.
- (5)- محمد الحبيب : لقب بمحمد الصغير . ولد بمدينة فاس المغربية سنة 1801م بما أخذ مجموعة من العلوم والمعارف و عاد الى عين ماضي هو وأخوه محمد الكبير سنة 1815م بعد وفاة والدهما . وتولى مشيخة الطريق سنة 1844م خلفا لصديق أبيه الحاج علي التماسيني . وفي عهده تعرض حصن عين ماضي الى حصار الأمير عبد القادر سنة 1254هـ - 1838م بغرض فرض الطاعة على التيجانية وقطع =صلتها مع الفرنسيين. توفي في عين ماضي سنة 1853م ودفن بما تاركا ولدا صغيرا مالبث هو أيضا وتوفي سنة 1857م . ، عبد العزيز شهبي ، ص : 144.

## الفصل الثاني :تجربة الأمير الصوفية في الجزائر وفرنسا والشام.

ثمينة. ثم حاول قصف الحصن لمدة ساعات بنية اقتحامه ولكنه لم يتمكن من ذلك بسبب استماتة أهله. وقد انصرف الباي بعد تكبد جيشه العديد من القتلى والجرحى (1).

وفي سنة 1240هـ - 1825م وبهدف الحد من نفوذ التيجانيين المتزايد ، قام الباي حسن بمهاجمة الحصن للمرة الثانية حيث حاصره لمدة شهر مما اضطر أهله الى طلب الصلح ودفع ضريبة فورية قدرت ب 2000 ريال وأخرى سنوية قدرها 500 ريال. وبقيت جهود العثمانيين متواصلة للقبض على زعيم الطريقة محمد التيجاني.

ونظرا لكل هذه المضايقات المتلاحقة على أهل عين ماضي قرر محمد الكبير القيام بهجوم على مدينة معسكر ولكن الباي حسن اعترض سبيله وتمكن من القضاء على محمد التيجاني وعلى جميع جيشه وكان ذلك في خريف سنة 1242هـ - 1827م (2).

ومن الأحداث الهامة التي وقعت للطريقة التيجانية هو هجوم الأمير عبد القادر على حصنها بعين ماضي في 18 ربيع الأول 1254هـ - 12 جوان 1838م وذلك بسبب رفض محمد الحبيب التيجاني الدخول في طاعة الأمير وتوحيد الصف لقتال الفرنسيين. وبعد مناوشات و حصار دام ستة أشهر اضطر شيخ الزاوية الى تسليم الحصن في التاسع من شهر نوفمبر على شروط اشترطها الأمير منها السماح لكل أهل الحصن بالمغادرة ودفع كل مصاريف الحصار. وقد خرب الأمير الحصن وسوى أسواره بالأرض (3).

وبعد موت محمد التيجاني(الصغير ) سنة 1853م خلفه على الزاوية في عين ماضي محمد العيد ابن علي التماسيني الذي قدم خدمات كبيرة للسلطة الفرنسية مكنتها من بسط نفوذها على نواحي كثيرة منها

(1)- عبد الباقي مفتاح : أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه ، مرجع سابق ، ص : 201.

(2)- الآغا بن عودة المازري ، ج 1 ، ص : 352 وما بعدها. مع التنبيه على أن المؤلف ترجم لهذه المعركة بعنوان " ثورة أحمد التيجاني " والأصح " ثورة محمد التيجاني " فأحمد هو الأب مؤسس الطريقة توفي بمدينة فاس المغربية سنة 1815م ومحمد هو الإبن الأكبر الناصر على الباي حسن والمقتول سنة 1827م.

(3)- الأمير محمد ، ج 1 ، ص : 196.

## الفصل الثاني: تجربة الأمير الصوفية في الجزائر وفرنسا والشام.

واد سوف و بلاد الطوارق وأولاد سيدي الشيخ سنة 1864م<sup>(1)</sup> كما تم القبض على الثائر التونسي علي بن غداهم<sup>(2)</sup> من طرف الفرنسيين بمساعدة الزاوية التيجانية.

كما سجلت الطريقة التيجانية حضورا في بلاد الغابون والكونغو وغينيا والصحراء الكبرى ومصر وبلاد العرب وبعض أجزاء آسيا وقد كانت بعض زواياها رافدا سياسيا لقيام بعض الدول مثل دولة الشيخو أحمد ودولة الحاج عمر الذي جاهد العدو الفرنسي من خلال رباط الجهاد في منطقة فوتاجالون<sup>(3)</sup> وأسس امبراطورية واسعة تمتد من تمبكتو<sup>(4)</sup> الى المحيط الأطلسي وكانت الطريقة التيجانية هي الطريقة الرسمية في كل هذه الإمبراطورية<sup>(5)</sup>

وقد نكتفي بهذا القدر في هذا المبحث للتدليل مرة أخرى على ما يتصل ببعض بإشكاليات بحثنا على أن التصوف بزواياه لم يكن عديميا ولا هو روحانية طاهرة و يجب أن يبقى عن رعونات السياسة و المعترك السياسي، والقول بأن التصوف كان دعوى للخلاص الفردي والفناء في معاني الآخرة وغير مهتم بالشأن الدنيوي غير صحيح ويتناقض مع حقائق تاريخ الزوايا الصوفية في الجزائر وخارجها على النحو الذي ذكرناه.

(1)- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ج 4 ، ص : 220 وما بعدها.

(2) - علي بن غداهم : أصله من قبيلة ماجر بالقصرين بتونس . تلقى تعليمه بالزيتونة ، في سن الخمسين قاد ثورة ضد حكومة الباي بسبب مضاعفة الضرائب من 36 ريال الى 72 ريال . قبض عليه ومات بالسجن في أكتوبر 1866م . جان غانياج : ثورة علي بن غداهم ، ترجمة لجنة من كتابة الدولة الثقافية ، الدار التونسية للنشر 1965م ، ص : 20

(3)- تقع فوتاجالون في وسط جمهورية غينيا - كوناكري - انظر حول دولة الحاج عمر، محمد فاضل علي باري و سعيد ابراهيم كريدية : المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، دت ، ص : 200 وما بعدها . وأيضا ، عبد الله عبد الرزاق ابراهيم : انتشار الإسلام في غرب إفريقيا ، طبع ونشر دار الفكر العربي ، مدينة نصر ، القاهرة ، 2006م ، ص : 8.

(4)- تمبكتو : وقيل تنبكتو Timbukto: هي بلدة غرب مالي، و تقع على بعد 15 كم شمال نهر النيجر على الحافة الجنوبية لمنطقة الصحراء. والبلدة عاصمة منطقة تمبكتو، احدى مناطق مالي الثمانية. وتبكتو من أهم العواصم الإسلامية في شمال أفريقيا ، وجوهرة الصحراء المترتبة على الرمال ، وهي بوابة العلم في أقصى المغرب الإسلامي، وهي ملتقى القوافل البرية للقادمين من النيجر و ليبيا. شبكة إنترنت. <https://www.marefa.org> تاريخ الدخول 2020/06/12 .

(5) - محمد فاضل علي باري ومحمد ابراهيم كريدية ، ص : 200.

وينتهي بنا الحديث هنا عن الزوايا في الجزائر لكي ننتقل الى المبحث الثاني الذي نخصه لتجربة الأمير الصوفية قبل خروجه من الجزائر. والتي تتشكل من محطتين : تجرنتة في زاوية القيطنة ثم تجرنتة في رحلة الحج بمعية أبيه.

### المبحث الثاني: تجربة الأمير الصوفية في الجزائر \*

#### المطلب الأول: تجربة الأمير الصوفية في زاوية القيطنة القادرية :

لقد كانت زاوية القيطنة هي المهد الأول لتجربة الأمير الصوفية بتوجيه من شيخه الأول في التصوف - أبوه - محي الدين . وسنرصد هذه التجربة من خلال محطات ثلاث : تعليم المهد و تعليم الشريعة والتصوف السياسي.

#### أ-تعليم المهد

وفي زاوية جده بدأ الأمير تعليمه . حيث علمه أبوه مبادئ القراءة و الكتابة مع حفظ القرآن الكريم وعلوم الشريعة في سن مبكرة<sup>(1)</sup> و كان الأب يكثر من مجالسة ابنه ويقاسمه طعامه ويعلمه مبادئ التعامل وحسن الهيئة والمجالسة وقد شمل التأديب التدرج على الأعمال الصغيرة في الحقول و التمييز بين الأراضي الصالحة و غير الصالحة والجلوس مع رعاة الحيوانات وتعلم الصيد وركوب الخيل و حسن الرمي والتسديد<sup>(2)</sup> وكان من مظاهر التربية وحسن الرعاية على معاني القيادة و الريادة للأمير الفتى اختلاء أبيه به لمدة ساعات يحدثه على سيرة الرجال العظام و أفكارهم . وكان الفتى ميّالا للمحادثة ويطرح الأسئلة باستمرار.

---

(1)- هنري شرشل ، ص : 39.

(2)- قدور محمصاجي ، ص : 65 .

(1) و"لقد كانت قدرات الطفل العقلية تتميز بنضج مبكر غير عادي . وكان بمقدوره القراءة و الكتابة و هو في سن الخامسة (2).

### ب- العلم الشرعي في زاوية القيطنة :

وبعد عودة الأمير من مدرسة أرزيو وقبل ذهابه الى المدرسة العمومية بوهران ، يفضل والده أن يمسكه في زاوية القيطنة ويخصص له جناحا في الجامع العائلي يلقي فيه دروسا في تفسير القرآن وأحكام التلاوة وبعد عامين تحصل على لقب حافظ ولا يمنح هذا اللقب إلا لمن تمكن من حفظ القرآن كله عن ظهر قلب مع التمكن من تفسيره و الإحاطة بأقوال العلماء<sup>(3)</sup> ولا يخفى على دارس أن من اشتغل بتدريس تفسير القرآن فإنه سيحيط بكل علوم الدين لأن القرآن هو مصدر كل العلوم العقديّة و الشرعية التي جاء بها الإسلام. ولقد كانت هذه المنزلة العلمية و التعليمية مهمة في مستقبل الأمير الصوفي و السياسي فلقد أصبح في أعين مريدي الزاوية الأب الروحي لهم بعد محي الدين وهذا - وربما أكثر منه - ما سيشعر به الأمير في قرارة نفسه ولقد ذكر هنري شرشل " وكان الهدف من طموحه الشبابي هو أن يصبح مرابطا عظيما ، كما كان والده الذي كان يكن له حبا و إعجابا حماسيا يكاد يكون عبادة ."<sup>(4)</sup> ولا يخفى علينا أن كتاب شرشل هو في مجمله إمالات نفتها الأمير عبد القادر نفسه على هذا الضابط البريطاني<sup>(5)</sup> فلا غرابة في أن يحوي حياة الأمير بكل دقائقها و أسرارها.

### ج- التربية الصوفية وبداية الوعي السياسي في زاوية القيطنة:

(1)- قدور محمصاجي ، ص : 66.

(2)- هنري شرشل ، ص : 47.

(3)- المرجع نفسه ، ص : 47.

(4)- المرجع نفسه ، ص : 48.

(5)- استغرق وقت اللقاء المتكرر بين الأمير وشارل هنري خمسة أشهر بمعدل ساعة يوميا .أي أن المدة الزمنية لإملاء المذكرات كانت حوالي 150 ساعة. المرجع نفسه ، ص : 59.

ج1- حلقة الأوراد وتأصيل علم التصوف :

لقد بلغ عبد القادر سن الرشد حيث أصبح يصوم شهر رمضان وبلغ سنه الأربعة عشر عاما وكان يتشوق إلى ما كان يدور في حلقة الأوراد الصوفية أو كما يسميها برونو إيتين في كتابه عن الأمير بالاحتفالات<sup>(1)</sup> والتي كان يشرف عليها محي الدين شيخ الزاوية . ولقد مضى على الأمير وقت وهو يستمع من سطح الزاوية مع رفقاء له إلى هذه الأوراد.

وذات يوم دخل الأمير إلى حضرة أبيه الصوفية و التي كانت على يسار القبلة وكان ذلك قبيل صلاة المغرب حيث شع على المكان ضوء قنديل زيت واحد وضع في النجفة الكبيرة من الزجاج المزخرف التي أحضرها جدّه - مصطفى - من بغداد . وأجلس محي الدين ابنه وبدأ معه الحديث عن التصوف بذكر حديث أبي هريرة الذي قال فيه " حفظت من رسول الله وعاءين : فأما أحدهما فبثته ، وأما الآخر لو بثته قطع هذا الحلقةوم"<sup>(2)</sup> ولقد أراد الشيخ محي الدين أن يؤصل لابنه عبد القادر مشروعية علم التصوف من خلال حديث أبي هريرة ، حيث بيّن له أنّ هناك طريقان للوصول إلى الله و كلاهما مشروع ، ثمّ أخبره أنّ مكان الزاوية خاص يختلف عن مكان المسجد الذي يرده كلّ الناس والذي تقام فيه الصلاة و تلقى فيه خطبة الجمعة وتدرّس فيه علوم الشريعة ، أمّا مكان الزاوية " فستعلّم فيه ما هو خفي نسبة إلى ما هو ظاهر. "

ويقودنا المنهج التحليلي لعبارة محي الدين الأخيرة لكي نقف على مدلول كلمتي الخفي والظاهر فهما في علم اللغة يشكّلان طباقا أما في مصطلح الطريق الصوفي فإنهما يدلان على أن زاوية محي الدين القادرية تحوي في منهجها العلم الكشفي العرفاني الباطني وغير بعيد أن تملك هذه الزاوية كتب القوم التي قرأ منها الأمير في مشواره الصوفي في صباه ولم يفهم كل إشاراتها لكونه مبتدئا . وسيقع على عاتق أبيه تعليمه

(1)- برونو إيتين ، ص : 56.

(2)-ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ، تحقيق عبد العزيز بن عبدالله بن باز و محمد فؤاد عبد الباقي ومحج الدين الخطيب ، مرجع سابق ، كتاب العلم ، باب حفظ العلم ، رقم 120 ، ج 1 ، ص : 216.

وتوجيهه. ومن كل هذا يتأكد الرأي بأن الأمير نهل من التصوف في بلده الجزائر بنسب توافق سنه واستعداده.

وأردت قبل مواصلة ما جرى بين محي الدين و ابنه الأمير حول مشروعية علم التصوف أن أشير إلى ما ذكره كل من الحافظ ابن كثير و الحافظ الذهبي حول حديث الوعاءين الذي أورده أبو هريرة رضي الله عنه ، حيث ذكر الأول فقال " وهذا الوعاء الذي كان لا يتظاهر به هو الفتن و الملاحم وما وقع بين الناس من الحروب و القتال ، وما سيقع مع معرفة أبي هريرة لها ، التي لو أخبر بها قبل كونها لبادر كثير من الناس إلى تكذيبه وردوا ما أخبر به من الحق ، كما قال : " لو أخبرتكم أنكم تقتلون إمامكم ، وتقتلون فيما بينكم بالسيوف لما صدقتموني ".<sup>(1)</sup> وقال الحافظ الذهبي في تأويل الحديث " هذا دال على كتمان بعض الأحاديث التي تحرك فتنة في الأصول ، أو الفروع ، أو المدح أو الذم ، أمّا حديث يتعلّق بحلّ أو حرام فلا يحلّ كتمانها فإنّه من البيّنات و الهدى ".<sup>(2)</sup>

و الملاحظ أن قول الذهبي أقرب لأن يكون أشمل لبعض ما رآه شيخ زاوية القيطنة من اشتغال علوم الإسلام على أصول أو فروع قد يخفى أمرها على بعض الناس ، بينما حصر ابن كثير الأمر في وقائع الملاحم و أحداث الفتن .

## ج2- توضيح المنهج الصوفي السياسي القادري :

ونعود إلى الأمير في زاوية أبيه الذي بدأ يسأل أباه عن أشياء كثيرة منها معنى الورد والذكر في الزاوية فأجابه أبوه بكلام كثير لم يفهم الفتى الأمير بعضها منه ، ومما قاله محي الدين لابنه : " في البدء هذه تذكرة الله لك ، دون أن تعلم ، يجب أن تعود إليها بإحيائها بدءاً بطريق الأسلاف و المعلمين و الأجلّاء الذين أورثوها لنا . إنّ أبي مصطفى تلقى السلسلة من المعلّم الشهير السيّد مرتضى الزبيدي في العام 1791م

(1)- ابن كثير: البداية و النهاية ، دار التقوى ، مرجع سابق ، ص : 590.

(2)-الذهبي، سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ، ج1 ، ص : 262.





## الفصل الثاني: تجربة الأمير الصوفية في الجزائر وفرنسا والشام.

ونستفيد من هذا أن زاوية القيطنة كانت تمارس نوعا من التربية السياسية لمريديها . واستمر الذكر الصوفي من خلال مدائح نبوية ورقص صوفي حتى طلوع الفجر. (1)

### ج3- شعار الزاوية واستيعاب التجربة :

ولاحظ محي الدين في وجه ابنه الحيرة و الرعب بسبب كل ما رأى و سمع .والذي أخذ يسأل شيخه - الذي هو أبوه - عن أشياء كثيرة . و تبسّم الشيخ وقال لابنه : " لا تتسرع يا بني فالطريقة أمامك ، و ستحمل يوما وردة سيدي عبد القادر<sup>(2)</sup>، أما بالنسبة لما شاهدته فإنّ الحقيقة بالنسبة لك في هذه المرحلة من حياتك هي ترتيل القرآن و هو دلالة الإيمان اللفظي لكلّ المؤمنين أمّا الورد الذي سمعته هذا المساء إنّما هو اختيار بينما الآخر فريضة (...). يا بني إنّنا ننتمي إلى سلسلة طويلة خاصة ، بفضل أسلافك ، سيدي مصطفى الذي تلقى التولية من سيدي مرتضى الزبيدي في مصر وكان شعاره حمل سبخته وسيفه وهو شعار بيتنا منذ أن جاء جدّك القروي من الرّيف ليقود جماعتنا هنا بمشيئة الله " (3). و لا يفوتني أن أشير أن شعار السبحة و السيف الذي ذكره محي الدين هو ما قصدته في مقدمة هذا البحث في عبارة تتكون من كلمتين هما : الزاوية(التصوف) والمعركة (السياسة).وفي قول محي الدين "...وكان شعاره حمل سبخته و سيفه وهو شعار بيتنا . " هو تأكيد على الدور الديني و السياسي و الإجتماعي العريق لزاوية القيطنة التي ورثته عن العارف القدوة -وهي عبارة ابن القيم -الشيخ عبد القادر الجيلاني<sup>(4)</sup> . وهي معاني فيها مافيها من التربية السياسية للفتى الأمير الذي شاء له القدر أن يرث من زاوية أبيه السبحة ومعها السيف .ومن الأمانة العلمية و الأخلاقية أن نحافظ على ميراث الناس غير منقوص.

كانت سببا في بناء موقف سلمي تجاه العاصي . فالعقيدة ( التصوف ) هي أصل الموقف ( العلاقات = السياسة ) . وهذا وجه من أوجه التلازم بين التصوف والسياسة الذي أنكرته طوائف كثيرة من العلمانيين والمتأثرين بفلسفة الأنوار المعادية للأديان في البلدان الغربية.

(1)- برونو إيتين ، ص : 60.

(2) - المقصود به عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة الأم في بغداد وقد سبق التعريف به وبمنهج الصوفي.

(3)- برونو إيتين ، ص : 61.

(4)- راجع ما قاله ابن تيمية و ابن القيم في مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني في ص : 31 من الفصل الأول .

لقد كانت حياة عبد القادر نموذجاً ترجم فيه تجربته الصوفية الأولى في زاوية القيطنة والتي شعارها السبحة والسيف . وليس المقصود بمصطلح التجربة الصوفية هنا تلك التجربة العامة الطويلة التي تشمل جميع مراحل السلوك الصوفي عند الفرد وإنما هي جزء يسير يأتي في بداية الطريق الصوفي كله ، وعادة ما تكون البداية واقعة معينة تكون بمثابة الشرارة التي تشعل الحطب القابل للاشتعال النفسي الذي يتخذ فيه السالك قرار بداية الطريق ، وقد يسميها البعض بالتجربة الشخصية<sup>(1)</sup>. وأحسن ما يمثل به في التجربة الشخصية - أو الصوفية مادامت هي حلقة البداية في الطريق كله - حادثة وقعت للفضيل بن عياض كانت سبباً في بداية طريقه الصوفي حيث " كان في أول أمره - أو عمره - شاطراً - أي سارقاً - يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس ، وكان سبب توبته أن عشق جارية ، وبينما هو يرتقي الجدار إليها سمع تالياً يتلو ﴿ ألم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾<sup>(2)</sup> فقال : يا رب قد آن ، فرجع ، وآواه الليل إلى خربة ، فإذا فيها رفقة ، فقال بعضهم : نرتحل ، وقال بعضهم : حتى نصبح فإن فضيلاً في الطريق يقطع علينا ، فتاب الفضيل و أمنهم ، وكان من كبار السادات ."<sup>(3)</sup>

وإذا عدنا إلى الأمير عبد القادر فإن تجربته الصوفية الأولى كانت في صباه و في زاوية القيطنة وبين يديه أبيه الذي حدثه - كما مر معنا - عن شعار الزاوية الذي يتداخل فيه الذكر والجهاد أو السبحة و السيف . ولذلك لا نكون مجانبين للصواب إذا قلنا أن الجهاد بمعناه الواسع السيفي و السياسي و التعليمي و الإداري في منهج الأمير عبد القادر هو أحد الركنتين اللذين يكونان تجربته الصوفية في نشأتها الأولى . وقد يندهش البعض من اعتبار الجهاد تصوفاً كما أشرنا في مقدمة بحثنا ولكن من الباحثين من جعل هذا الاندهاش مظهر عظمة للأمير وتنويرها بتجربته الصوفية حيث يقول : " إن ما يذهلني في حياة هذا الرجل

(1) - التجربة الشخصية : هي أول شرارة صوفية في طريق السالك وقد تكون عبارة عن قول سمعه السالك من شخص إما شيخاً أو أباً أو أستاذاً أو غير ذلك أو ربما يكون لصاً أو معنوياً أو ربما سطراً في كتاب قرأه أو رؤياً في منام أو موقفاً أشرف فيه على الهلاك إلى غير ذلك. عزمي طه السيد : التصوف الإسلامي حقيقته وتاريخه ودوره الحضاري ، مرجع سابق ، ص : 31.

(2) - سورة الحديد الآية رقم : 16 .

(3) - محمد بن بكر بن خلكان: وفيث الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، مرجع سابق ، المجلد الرابع ، ص : 47.

المتميّزة أنه كان برزخ البرازخ فهو في دعوته إلى شق قناة السويس يعد جسرا بين الشرق و الحداثة ، وهو في تعاليمه و شخصيته القدوة يبين أن الشرق هو خط الشاقول المتجذر بين الأرض و السماء . ما يذهلني إذا في حياة هذا الرجل الجسر هو أنه لم يكن ذلك الصوفي الغريب المنقطع عن العالم ، بل بالعكس كان مقبلا عليه ومع تطبيقه أحكام القرآن الكريم بشكل دقيق لأن الله ﴿ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾<sup>(1)</sup> . الإنسان الكامل لا يهرب من واقعه ، ويمكن للخلو والانعزال أن يتمّ في الساحات العامة ووسط الجماهير .... " <sup>(2)</sup>

#### ج4- عبد القادر الجيلالي وابن عربي الحاتمي وتعميق المنهج :

ولكنّ الفتى سأل قائلا : أبت ، ما لا أدركه : أيّ فرق بين مبدأ هذه الرابطة الأخوية التي تديرها وذلك المسلك الذي تتحدّث عنه ؟ وأعجب محي الدين بسؤال و نباهة ابنه فردّ قائلا : سؤال جيّد يا بني ! فلنقل وهذا يكفيك حاليا ، إنّ درب التدرّب ضروري لبعض الناس الذين لا يذهبون بعيدا جدّا ، و الواقع أنّي أنا بالذات وضعت مؤلّفاًتي لإرشاد المتدرّبين المتعلّمين و أنت تعرفه <sup>(3)</sup> لأنك وجدته كما قلت لي غير كاف (... ) وفيما بعد سندهب لزيارة مؤسس طريقتنا ، عبد القادر الجيلالي ، وقد عاش في القرن السادس الهجري وضريحه قائم في بغداد . ثمّ سندهب لزيارة معلّمنا الأكبر ، معلّمنا الحقيقي ، الشيخ الأكبر ابن عربي في دمشق ، كان يحمل اسمي نفسه : محي الدين وقد ولد في مرقية <sup>(4)</sup> وكانت الأندلس إحدى ممالك المسلمين وعرف علماء تلك البلاد التي ضاعت ومنهم ابن رشد الذي تناظر معه ، ثمّ رحل كما قدّر له

(1)- سورة الحديد ، الآية رقم : 4.

(2)- برونو إتيين ، ص ، 19.

(3)- لعله كان يقصد كتابه الذي وضعه لأتباع الطريقة وهو المسمّى : إرشاد المريدين الذي شرع في تأليفه وأتمّه بعد عودته من الحجّ ، أو ربما يقصد كتابا آخر .

(4)- يقصد بها مرسية ( بالإسبانية : Murcia ) هي مدينة أندلسية تقع في جنوب شرق إسبانيا على ضفاف نهر سيجورا ، تطل على البحر المتوسط ، أسسها عبد الرحمان الداخل سنة 825 م . ومن أهم شخصياتها في التاريخ الإسلامي ابن عربي . موقع المعرفة <http://www.marefa.org/index.php> . شبكة الأنترنت ، تاريخ الدخول : 2015/12/30 م . الساعة 22.09 .

وعلم في المغرب و حتى في المشرق حيث توفي عام 638 هـ ونحمد الله على أن ترك لنا مؤلفات عديدة<sup>(1)</sup> يمكنك من الآن أن تتذوق بجمتها . " (2)

من خلال كل ما تقدم من الحديث عن التصوف في زاوية القيطنة نؤكد مرة أخرى أن الأمير عبد القادر منذ أن كان يافعاً قد تربى تربية صوفية سواء من ناحية الممارسة أو من ناحية التصور في زاوية القيطنة في الجزائر ولم تكن بداية تصوفه في دمشق التي هاجر إليها بعد ذلك . كيف لا وشيخه هو محي الدين كان ضليعاً في علم التصوف وأنه كان متأثراً بمحيي الدين بن عربي الأندلسي حيث كان على دراية بمؤلفاته في هذا الشأن.

### المطلب الثاني: تجربة التصوف عند الأمير في رحلة حجه مع أبيه

وستعرض إلى هذه الرحلة على اعتبار أنها مرحلة هامة في نشأة الأمير وتعليمه . و معلوم ليس غرضنا الأساسي مما سيذكر من أحداث هو التأريخ لها بالتفصيل وإنما الغاية التي نرومها هي الكشف عن ما تحقق للفتى عبد القادر من تربية شرعية و صوفية و سياسية، عمقت في نفسه الروح الصوفي لشعار زاوية القيطنة - السبحة و السيف - الذي لطالما حدثه عليه أبوه وشيخه الأول محي الدين وستعرض الى هذه الرحلة من خلال محطات أساسية ومتميزة .

### أولاً : الخلوة الصوفية في سجن العريش الوهراني :

---

(1) - يفيد السياق أن زاوية القيطنة كانت تحوي بعضاً من مؤلفات ابن عربي خصوصاً ما تعلق منها بالتصوف ومن غير المستبعد أن يكون الأمير قد نهل منها في صباه . وبقدر ما تحتاج هذه المسألة إلى عميق بحث إلا أنها تبين أن الأمير عرف التصوف وقد قرأ لابن عربي قبل أن يتحول إلى الشام.

(2) - برونو إتيين ، ص : 62.

في شهر أكتوبر من سنة 1823 م رغب شيخ الزاوية في التوجه إلى مكة لأداء مناسك الحج .ولكن أتباعه رغبوا في الذهاب معه إلا أنه رفض دعوتهم باستثناء ابنه عبد القادر<sup>(1)</sup>. وبعد خروجه من القيطننة ، وفي نهاية أول يوم من المسير تجمع حوله مئات من العرب ليصبح عددهم في اليوم الموالي يعدّ بالآلاف وكلهم يطالبه بشرف المشاركة في الحج. وفي اليوم السادس ازداد عددهم حتى أصبح مع الشيخ محي الدين جيشا كبيرا على ضفة نهر جديوة في سهل الشلف.<sup>(2)</sup>

ونستطيع ان نلاحظ ممّا سبق المكانة الدينية و السياسية التي كان يحظى بها والد الأمير عبد القادر.ولا يجب أن نغفل في وسط هذا السرد التاريخي عن نفسية الأمير عبد القادر وما يرتسم فيها من معاني ومشاعر الإحساس و الإدراك للمسؤولية الإجتماعية و السياسية التي تتصل مباشرة بوالده الذي يمثل رمز الزاوية التي هو أحد مرديها في تلك السن المبكرة .وممّا يتصل بهذا المعنى ويؤكد أن هذه الحركة -السفر إلى الحج- لشيخ الزاوية القادرية مع محبيه ما كان لتخفى أبعادها على أقرب ممثل للسلطة العثمانية وهو باي وهران<sup>(3)</sup> إذ أرسل من قبله فارسا وصل إلى خيمة محي الدين ليلا وسلّم إليه رسالة يستدعيه فيها للمثول أمامه.وبعد معارضة و توسّل من قبل أنصاره بعدم الذهاب قرر محي الدين الاستجابة لأمر الباي. وبعد اللقاء يقول الباي لوالد الأمير - ومما لا شك فيه أن الإين كان يسمع ويستوعب- : " إنك يا صديقي كم أنت تتمتع باحترامي و حظوتي. وقد أحزني ما سمعته عنك من الأنباء السيئة .إنّ أعداءك كثيرون .وقد خفتُ أن تقع في يدي داي الجزائر<sup>4</sup> الذي دخلت ترابه بطريقة أعرف أنّها أثارت شكوكه .لذلك أرسلت من ورائك لكي أنقذك من خطر محقق ..... " ودامت إقامتهما -الأب وابنه - سنتان<sup>(5)</sup> لم يغادرها

(1)- ومن الطبيعي و الضروري أن يستثنى الفتى الأمير لما تكتسبه هذه الرحلة - الى الحج ، ذهابا وإيابا - في تقدير المرابي محي الدين من أهمية حيث يعتبرها رافدا من روافد التربية الصوفية والسياسية لابنه عبد القادر.

(2)- شارل هنري شرشل ، ص : 66 .

(3) - هو الباي حسن ، آخر بايات وهران وقد سبق التعريف به .

(4)- هو حسين باشا : داي الجزائر الذي بقي حتى احتلال الفرنسيون الجزائر .

(5)- هذا ما ذكره شارل هنري شرشل أ ما يحي بوعزيز يذكر ثلاث سنوات من (1821م/1236هـ - 1825م/1241هـ) ، يحي بو عزيز : موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب ، مرجع سابق ، ص :471.

الحرس التركي لحظة واحدة<sup>(1)</sup> وتعتبر هذه الإقامة في قاموس الدبلوماسية السياسية سجنا ولكني أعتبرها أول الحج السياسي للأمير الشاب الذي سوف يفكر ويحلل ويتساءل في قرارة نفسه قبل أن يسأل أحدا من الناس عن سرّ هذا الحبس ولا يعيننا هل وصل الأمير إلى الجواب عن تساؤلاته الكثيرة بقدر ما يعيننا في هذا المقام أنه من الراجح أن الأمير بدأ يفكر الآن تفكيرا سياسيا .

ولا يحسن بنا أن نغفل عن الإشارة إلى تلك القصيدة الشعرية التي تشتمل على إحدى وعشرين بيتا أرسلها أحد المريدين إلى الشيخ محي الدين تسلية له على مصابه وهي تتضمن إشارات إلى بعض أخلاق التصوف كالذكر وقراءة القرآن والصيام و نكتفي بذكر بعض أبياتها مرقمة حتى نعرف المحذوف منها :

- 1- عوّل على الصبر لا تفرعنك أشجان ولا ترعك بما فاجأتك وهران
- 8- لم يثقفوك أحمي الدين عن زلل رأوا ولكن أغوى القوم شيطان
- 13- وأنما زلت تهدينا إلى سنن تهدي إلى الحق لا يثنيك شيطان
- 14- تقري الضيوف وتسعى في حوائجهم و تحمل الكل لا غش و لا ران
- 16- جفيت ليلك لم تألف مضاجعه ويومك الدهر جوعان وعطشان
- 17- تبيت جنح الدجى تتلو المفصل عن قلب و تصبح مثل البدر تزدان
- 18- تدرس العلم أحيانا و آونة تلقن الذكر فالظمان ريان<sup>(2)</sup>

(1)- شارل هنري شرشل ، ص : 67.

(2)- الأمير محمد ، ص : 302.

وواضح من هذه الآيات أن التلميذ الشيخ السنوسي بن عبد القادر الحسني يشهد لشيخه محي الدين بجملة من الصفات منها نصره الحق و مساعدة الفقراء و المحتاجين و الاجتهاد في العبادة كقيام الليل والصيام وكثرة الذكر وقراءة القرآن والمطالعة و نشر العلم .

"وقد استفاد محي الدين و ولده عبد القادر من هذه العزلة المفروضة عليهما ، وعلى عادة الصوفية وأهل العلم قد خصصا أوقاتها للدراسة والتحصيل وإعمال الفكر وتحلية الخلوة وتعميق العبادة." (1)

ونطرح على كل ذي عقل حصيف سؤالا : ألا تعد هذه العزلة الطويلة التي تعد بمئات الأيام دورة روحية وحلقة مهمة في تاريخ الأمير الصوفي ؟ ما الذي يمنع أن تكون هذه الإقامة الجبرية مملوءة بالأوراد الصوفية ؟ وما الذي يمنع شيخا عالما مثل محي الدين أن يحدث ابنه على كتب التصوف مثل فتوح الغيب للجيلاني أو الفتوحات المكية لابن عربي الحاتمي أو عن خواطر كتابه إرشاد المريدين الذي سينتهي من تأليفه بعد رحلة الحج التي ستكون بعد هذه المحنة ؟ أوليست هذه العزلة فرصة مواتية لتعميق فهم الأمير عن طريق المساءلة لأبيه عن التجربة الصوفية والممارسة السياسية للزاوية القادرية التي امتدت قرونا من الزمن ، تبدأ من عبد القادر الجيلاني ببغداد وتنتهي بأحد مقدميها - الشيخ محي الدين - في زاوية القيطننة ، الذي جر عليه تصوفه عقوبة سجن دامت سنتين أو ثلاث حسب الروايات كما بينا ؟

إن التفكير الموضوعي والمنهجي للبحث عن جواب لهذه الأسئلة يجعلنا نتوقف عند بعض الطروحات التي تزعم أن الأمير لم يعرف التصوف إلا بعد خروجه من الجزائر ! وأن جهاد الأمير للدولة الفرنسية قرابة عقدين من الزمن لم يكن منطلقه الزاوية القادرية !

ثمّ بدا للباي أن يخلي سبيلهما ! وهل كان سبب هذا الحبس وشاية من حاسد ؟ أم بسبب السياسة ؟ أم رعونة في النفس و الطبع ؟ والأهم من هذا و ذاك أن المحبوسين استغلا وقتهما في الدراسة

---

(1)- بركات محمد مراد ، ص : 11.



والعلم وتجلدا بالصبر. ومدة سنتين يقضيهما الأمير عبد القادر في هذه الإقامة الجبرية مع شيخ طريقة ومقدم زاوية أليست جديدة بأن تكون تأسيسا للطريق الصوفي خصوصا إذا كان الشيخ هو أبوه محي الدين صاحب كتاب في التصوف اسمه " إرشاد المريدين " .

وبعد ذلك قرّر محي الدين الذهاب مباشرة إلى الحج دون الرجوع إلى القيطنة حتى لا تتكرر تجمعات من أتباعه ومحبيه قد تسبب له متاعبا أخرى هو في غنى عنها (1).

ومرة أخرى يجب أن لا ينسينا السياق التاريخي التمعن في أثر هذه الأحداث في التربية الصوفية و السياسية للإبن عبد القادر الذي هو موضوع هذا البحث.

### ثانيا : الخروج من وهران إلى تونس وبداية السفر الصوفي :

كان الخروج من وهران يوم السبت 2 شعبان 1239هـ - 22 مارس 1825 م .وبدأت المرحلة الأولى من السفر برا وقد دامت حوالي شهرا . جاوزا فيها الأماكن الآتية : وادي سيق- وادي سيدي المقداد - جديوة - مجاجة - العطاف - جندل - المدية - أربعاء بني سليمان - برج حمزة - قرية بني منصور- مبتدأ البيبان -سيدي مبارك الصديق -وكلت الدار - قسنطينة - الصومعة- واد شارف - مرجة كحيل- ورغة بوادي سراط - الكاف (مدينة تونسية) - تستور- سيدي الحطاب - مدينة تونس الخضراء .ولا يخفى على الدارس ما في السفر المادي من آثار تنطبع في النفس والروح والعقل و تتعلق بالتربية على الشدائد واكتشاف الآفاق وهي مسائل دقيقة تتصل بالتربية الصوفية .

### \*علاقة السفر بالتصوف في فلسفة أبي حامد الغزالي :

وها هو ذا فيلسوف الإسلام وحجته أبو حامد الغزالي يشير الى علاقة السفر بالتصوف وبيان أن من أهم فوائد الأسفار فائدتان :

(1)- هنري شرشل ص : 68.

الأولى كونية : تتحقق من خلال الوقوف على آيات الله في الأكوان وفي ذلك يقول أبو حامد الغزالي في كتاب آداب السفر وهو الكتاب السابع من ربح العادات : " والسفر سفران : سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن ، وسفر بسير القلب عن أسفل السافلين إلى ملكوت السماوات . وأشرف السفيرين السفر الباطن (...) وأما آيات الله في أرضه ففي مشاهدتها آيات للمستبصر ، ففيها قطع متجاورات ، وفيها الجبال والبراري والبحار وأنواع الحيوان والنبات وما من شيء منها <sup>(1)</sup> إلا وهو شاهد لله بالوحدانية ... " <sup>(2)</sup>

والفائدة الثانية : أنفسية - ببيكولوجية - تتعلق بمعرفة أخلاق النفس ومداواتها : " ومن لا يطلع على أسرار باطنه وخبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها. وإنما السفر هو الذي يسفر - أي يكشف - عن أخلاق الرجال وبه يخرج الله الخبء في السماوات والأرض . وإنما سمي السفر سفرا لأنه يسفر عن الأخلاق ، ولذلك قال عمر رضي الله عنه للذي زكى عنده بعض الشهود : هل صحبتته في السفر - الذي يستدل به على مكارم أخلاقه - ؟ فقال لا . فقال : ما أراك تعرفه . " <sup>(3)</sup>

### ثالثا : في مجلس علماء تونس :

وكان الوصول إلى مدينة تونس في أول يوم من رمضان الموافق لـ 19 أبريل 1825م بعد سبعة و عشرين يوما من المسير . ولا يخفى على عاقل ما تتركه هذه الرحلة البرية الطويلة من تربية على أخلاق عالية

(1) وأنا أكتب عبارة أبي حامد الغزالي هذه ولما وصلت الى كلمة " شيء " تذكرت آية من القرآن الكريم فيها الدلالة على أثر التفكير الصوفي التأملي في شئية المخلوقات وملكوت الله وأثر ذلك في الصراع الديني والعقدي - السياسي - بين النبي محمد - ص - وقومه من قريش . قال تعالى : ﴿ والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأملئهم إن كيدي متين . أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ؟ إن هو إلا نذير مبين . أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء ؟ وأن عسى أن يكون قد اقترب أحلهم . فبأي حديث بعده يؤمنون ؟ ﴾ سورة الأعراف الآيات 172-175 .

(2) - أبو حامد الغزالي : إحياء علو الدين ، ط1 ، دار ابن حزم للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان، 1426هـ - 2005 م ، ص : 712 وما بعدها .

(3) - نفس المرجع ، ص : 714 .

يكتسبها الفتى عبد القادر من صبر و جلد وشجاعة ومعرفة لأرض وطنه وخصائص تضاريسه وطبائع عمرانه .

ودامت الإقامة بتونس أحد عشر يوماً كانت لهما فيها فرصة للجلوس مع علمائها من مثل أحمد المازري سلالة الشيخ الطاهر حائز رئاسة العلم و العمل بإفريقيا<sup>(1)</sup> وعند المغادرة أكرمهما وكيل رفاق المغاربة ويسمى الحرشي واشترى منهم بغالهم و خيلهم وجمالهم بأثمان مضاعفة ليمكنهم من ركوب البحر ولربما تكون هذه شدة من شدائد السفر و محنة إذ لم يكن مع الشيخ محي الدين و رفقته المال الكافي لدفعه لربان السفينة ولكنها رعاية الله إذ خصّ الشيخ بقامرة المركب . وتأتي شدة أخرى وهي العاصفة البحرية التي واجهتهم وهم على ظهر السفينة بعد ستة أيام بلياليها فاضطروا للرجوع إلى المرسى .

#### رابعا : السياحة الصوفية في القاهرة و الإسكندرية :

وبعد استبدال المركب أبحروا من جديد وبعد اثنا عشر يوماً وصلوا إلى الإسكندرية في آخر يوم من رمضان وكانت الفرحة فرحتان ، الأولى بسبب عيد الفطر و الثانية فرحا بسبب النجاة من هول البحر. والسفر قطعة من عذاب وخاصة إذا كان في البحر و هي شدة تصقل الرجالومن لطائف الله بالأمير في هذه الرحلة أنها جمعت بين معاني السياحة الشرعية الواردة في بعض النصوص القرآنية و النبوية منها قوله تعالى ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(2)</sup>. فالسيد قطب في تفسيره لكلمة السائحون ينقل ما يلي : " وتختلف الروايات فيهم . فمنها ما يقول إنهم المهاجرون . ومنها ما يقول إنهم المجاهدون . ومنها ما يقول إنهم المتنقلون في طلب العلم . ومنها ما يقول إنهم الصائمون." <sup>(3)</sup> . وفي السنة أخرج أبو داود في سننه في

(1)- الأمير عبد القادر : مذكرات الأمير عبد القادر ، تحقيق محمد الصغير بناني ومحفوظ سماتي ومحمد الصالح ألقون ، التصدير بقلم أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق ، ص : 107.

(2)- سورة التوبة ، الآية رقم : 112.

(3)- سيد قطب : تفسير الضلال ، ط 2 ، دار الشروق ، سنة النشر 1423هـ - 2003م ، ج 3 ، ص : 1719.

## الفصل الثاني: تجربة الأمير الصوفية في الجزائر وفرنسا والشام.

كتاب الجهاد باب في النهي عن السياحة بإسناد صحيح من حديث أبي أمامة رضي الله تعالى عنه أن رجلاً قال: يارسول الله ائذن لي في السياحة؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله تعالى" (1). فإن لأمير عبد القادر في رحلته هذه مع أبيه كان مهاجراً للحج والعمرة وطالبا للعلم وكانت أيام رحلتها في شهر رمضان. ومما يرحح أنه كان صائماً هو قوله عند وصولهما إلى الإسكندرية في آخر يوم من رمضان: "وكانت الفرحة بعيدين، عيد الفطر و عيد الوصول إلى البر."

وفي الإسكندرية زارا بعض أماكن الصالحين من مثل ضريح الله دانيال وأبي العباس المرسي وتلميذه تاج الدين بن عطاء الله وأبي الحسن البوصيري صاحب المدائح النبوية. وركبا واد النيل وقام الوالد بزيارة ولي الله العباس أحمد البدوي وقد ينقصنا التدقيق و التفصيل في ما يمكن أن يقع في مثل هذه الزيارات من أنشطة وأوراد صوفية لم تتعرض إليها المصادر التاريخية إلا أن المؤكد أن الأمير قد أشرب قلبه طريق التصوف وتعلم منه الشيء الكثير.

وفي اليوم السادس وصلوا القاهرة ونصبا خيمتهما (2) بالقرب منها و يشاء القدر أن يرى " عبد القادر لأول وآخر مرة محمد علي (3). ولم يكد الحاج الشاب يتصور، بينما كان يتأمل في ذلك الجندي

---

(1) - صحيح، أبو داود سليمان: سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، د ت، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، كتاب الجهاد، باب النهي عن السياحة، حديث رقم: 2486، ج3، ص: 5. و الحاكم النيسابوري: المستدرک على الصحيحين، دار المعرفة، كتاب الجهاد، باب سياحة أمتي الجهاد، حديث رقم: 2445، سنة النشر، 1418هـ - 1998م، ج 2، ص: 391. وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(2) - نصب الخيمة يدل على مرتبة من مراتب العيش و هي أقرب إلى حياة المجاهدة و الزهد. انظر شارل هنري شرشل، مرجع سابق، ص: 68.

(3) - محمد علي: ولد سنة 1182هـ - 1769م في مدينة قولة بلدة قديمة بمقدونية. توفي أبوه وهو صغير فرباه عمه حتى بلغ أشده. اشتغل بتجارة الدخان وأغنى منها. وهو قائد عسكري ألباني في الجيش العثماني. أرسل إلى مصر مع الجيش العثماني للدفاع عن مصر ضد الغزو الفرنسي. تدرج في مسؤوليات كثيرة إلى أن أصدر الباب العالي سنة 1220هـ - 1805م قرارا بتوليته على مصر. ولكنه بعد سنوات استقل عن الدولة العثمانية وأعلن نفسه خديوي لمصر والسودان يعتبر محمد علي مؤسس مصر الحديثة وحكمها في الفترة م 1805م إلى 1848م. بداية حكمه كانت مرحلة حرجة في تاريخ مصر في القرن التاسع عشر حيث نقلها من عصور الظلام إلى أن أصبحت دولة قوية

## الفصل الثاني : تجربة الأمير الصوفية في الجزائر وفرنسا والشام.

الناجح ، أنه هو نفسه كان مقدرًا له أن يفوقه ، قبل مرور وقت طويل ، في المهارة العسكرية و القدرة الإدارية ، وفي أعمال طبقت شهرتها الآفاق. " (1) وفي قول الكولونيل شرشل هذا دليل على مستقبل الأمير عبد القادر في الممارسة السياسية .

ويستقبلهم أيضا في القاهرة ولي صالح هو السيد محمد سعيد القاندي الذي أخذهم إلى بيته ومكثا عنده اثنا عشره يوما تخللتها جلسات و زيارات إلى الحسين و الإمام الشافعي وجامع الأزهر ولقاء بعض علمائه المحققين مثل الشيخ علي الميلي و محمد بن الأمير و الشيخ فراج .

وبعد ذلك كان السفر لمدة يومين و ليلة إلى مرسى بحر السويس ومنه ركبا البحر مع رفقتهما بعد صلاة الجمعة ومن غريب هذه الرحلة البحرية التي دامت عشرة أيام لم يكن السير فيها إلا نخارا خوفا من النوبات الحجرية التي لاترى ليلا فتحطم السفن. (2)

### خامسا : ثلاثة أشهر من التصوف في رحاب الحرمين :

وبعد الوصول إلى جدّة وبعد ضيافة عند رئيسها الذي أكرمها سارا ليلتين ويوما بالتلبية و التهليل إلى مكة ودامت مدّة المناسك كلها ستة وأربعين يوما ثمّ اتّجها إلى الروضة النبوية ولازمها مدّة جمعتان -أي أسبوعان -وقد لانبعد عن الحقيقة إذا قلنا أن قرابة أشهر ثلاثة يقضيها الأمير الذي يبلغ من العمر ثمانية عشرة سنة مع أبيه في الحرمين الشريفين في سنة 1825م حيث لا توجد مروحيات و لا مكيفات ولا مظلات وغيرها من أسباب الرّاحة التي يحظى بها الحجاج اليوم هي في الحقيقة رحلة وتجربة صوفية كبرى فيها من الذكر والصبر و التنسك و الجلد و البعد عن الأهل و الوطن وما سبقها من مشقة السفر و أهواله

---

يعتد بما. توفي بالقاهرة في 13 رمضان 1365هـ - 2 أوت 1849م . محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق

إحسان حقي ، ط 1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1981م ، ص : 12-15.

(1)- شارل هنري شرشل ، ص : 68.

(2)- مصطفى بن التهامي : سيرة الأمير عبد القادر و جهاده ، مرجع سابق ، ص : 99.

## الفصل الثاني : تجربة الأمير الصوفية في الجزائر وفرنسا والشام.

وما تحلل هذه الرحلة من زيارات وجلسات لأهل العلم و الصلاح ما يجعلها رصيذا صوفيا لأمير مرتقب يبايعه المسلمون على تولى سياسة شؤونهم في دينهم و دنياهم.

### سادسا : دمشق، وشهر من التصوف في رحاب الزاوية النقشبندية :

وبعد توديع المدينة المنورة في آخر شهر محرم فاتح السنة الثانية من ابتداء سفر الحج<sup>(1)</sup> تستمر هذه الرحلة الصوفية إلى بغداد حيث سارا عن طريق الشام مجتنبين طريق الدروف لكثرة اللصوص و قطاع الطرق فيها . وفي ربيع الأول وصلا إلى دمشق ومكثا بها شهرا. وكانت لهما فيها مجالس مع بعض علمائها من مثل الشيخ خالد النقشبندي<sup>(2)</sup> و مجموعة أخرى من أشرافه ودخلا إلى حضرته أكثر من مرة<sup>(3)</sup>. وسمعا من المحدث عبد الرحمان الكزبري بعضا من صحيح البخاري بمسجد بني أمية .

### سابعا : شهران في زاوية عبد القادر الجيلالي- الزاوية الأم- ببغداد وتجديد بيعة الطريق

#### الصوفي ( البيعة التنظيمية ) :

- (1)- من سنة 1241هـ الموافق ل 14 سبتمبر 1825م . المرجع نفسه ، ص : 115.
- (2)- نسبة للطريقة النقشبندية التي تنسب لمحمد بهاء الدين النقشبندي البخاري ، المعروف بشاه نقشبند والذي توفي سنة 791هـ . ،وتنسب لأبي يزيد البسطامي ، وكانت قبله تنسب إلى عبد الخالق العجدواني ، وسميت كذلك بالمجددية أو الفاروقية نسبة إلى الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي ،وبالخالدية نسبة إلى خالد النقشبندي الملقب بالطيار ذي الجناحين ، وهو الذي نشر الطريقة في بلاد الشام بعد أن تلقاها من الشيخ عبد الله الدهلوي. ولعبد المجيد بن محمد الخاني كتاب وضعه في التعريف بهذه الطريقة بعنوانه " الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية ومن أهم أصول طريقتهم اعتقادهم في العلوم اللدنية - الغيبية - والتي هي إشراق روحاني وعرفان وجداني يفيض على قلب السالك من عند الله عن طريق الإلهام وهو منهج تتحقق به المعرفة الصحيحة التي تؤدي الى معرفة الحقيقة الخفية من وراء الطبيعة . محمد بن أمين فتح الله زاده الكردي : تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب ، تحقيق نجم الدين أمين الكردي ، مطبعة الصباح ، دمشق =1991م ، ص539. و عبد المجيد بن محمد الخاني : الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية، تنضيد وتصحيح ، عبد الرزاق عبدالله، ط2 ، مطبعة وزارة التربية ، دار نارس للطباعة والنشر، حي خازندار، أربيل، كردستان العراق، 2002م. ص : 181 و 310.
- (3)- تذكر بعض المصادر أن الأمير أخذ الطريقة النقشبندية في دمشق عن العارف بالله الشيخ خالد النقشبندي السهروردي ، وسمع منه علوما شتى في التوحيد و التصوف .انظر : بركات محمد مراد ، ص: 12.

## الفصل الثاني: تجربة الأمير الصوفية في الجزائر وفرنسا والشام.

وبعد شهرين وصلا إلى بغداد فوجدا أنّ الناس يعرفونهما ويعرفون عن جدّ الأمير الشيخ مصطفى الغريسي أكثر ما يعرفه عنه أهله<sup>(1)</sup>. وزارا ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني . ومكثا بزوايته حوالي شهرين. ونستوقف التاريخ مرة أخرى عملا بفلسفة ابن خلدون الذي يعلمنا أن في باطن التاريخ " نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق و علم بكيفيات الوقائع و أسبابها عميق."<sup>(2)</sup> فنطرح سؤالاً يتعلق بتصوف الأمير عبد القادر ؟

ألا يمكن لشهرين متتابعين - أو ثلاثة -<sup>(3)</sup> في الزاوية الأم للطريقة القادرية أن تكون مدّة كافية للأمير عبد القادر لكي يتعلم مبادئ التصوف ؟ وما المانع في ذلك وهو يرى أباه محي الدين يجدد عهد جده مصطفى سلوك هذا النهج الصوفي ويلبس الخرقه القادرية على يد نقيب الأشراف والخليفة على الزاوية السيد محمود ويجيزه مشافهة و كتابة . كما يجب أن نتذكر أن هذه السياحة الطويلة للإبن بصحبة أبيه شيخ الزاوية القادرية في الجزائر قد تخللتها زيارات وجلسات تمهيدية قبل الوصول إلى الزاوية الأم في بغداد ، والتي كان آخرها الزاوية النقشبندية في دمشق-وهي فرع للزاوية القادرية- وقد تربص بها الأمير مع أبيه مدة شهر كامل ! ومن يدري لعل الشيخ محي الدين كان يحضر ابنه فكريا ونفسيا لسلوك الطريق الصوفي القادري من خلال كل محطات هذه الرحلة الحجازية .

(1)- فالجد مصطفى الغريسي كان قد زار بغداد ثلاث مرات ، وحصلت له بها كرامات. انظر هنري شرشل : حياة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص: 69.

(2) - ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، تحقيق عبد السلام الشدادى ، بيت الفنون والعلوم و الآداب ، 2005 م ، ج 1 ، ص: 6.

(3)- مدة الإقامة في بغداد كانت ثلاثة أشهر حسب هنري شرشل ، ص: 70.

وقد قدمت زاوية القيطنة من قبل هدايا ثمينة للزاوية الأم في بغداد وها هو الشيخ محي الدين في هذه الزيارة يساهم بكيس ملئ ذهباً<sup>(1)</sup>. وقد لقي هو وابنه تكريماً خاصاً من طرف قاضي المدينة محمد الزكريا الذي ينحدر هو بدوره من نسل الشيخ عبد القادر الجيلالي.<sup>(2)</sup>

### ثامناً : وفي طريق العودة : الشام والحرمين والقاهرة وليبيا .

وعادا أدراجهما إلى الشام واستغرق الطريق إليها شهراً. ومكثا بدمشق شهران<sup>3</sup> ومنها إلى مكة و المدينة لأداء مناسك الحج والعمرة وهنا نفذ ماك ان معهما من مال و زاد فاستعانا في ذلك برفقة حجاج كانت معهما<sup>(4)</sup> وقد تمّ للشيخ محي الدين بذلك ثلاث حجّات .<sup>(5)</sup> وبعدها توجهها إلى مصر حيث وصلا إلى القاهرة في أيام المولد النبوي الشريف ، ولما وصلا إلى ليبيا مروا ببرقة حيث زار محي الدين قبر أبيه . و في هذه اللحظة يمكن لنا أن نتصور رمزيتها عند الزائرّين ، فهي عند الأب بذل ما في الوسع للوفاء بالعهد لأبيه المؤسس الأول لزاوية القيطنة في سهل غريس حتى ساق ابنه و فلدة كبده لكي يشد الوثاق الصوفي بين الحفيد و جده. وهي عند الابن تكليف و التزام بحمل أمانة المؤسس (الجد) و خليفته (الأب ) التي تتمثل في المحافظة على الطريق الصوفي القادري. فكيف يقال بعد ذلك أن الأمير عبد القادر لم تكن له علاقة بالتصوف إلا بعد استقراره في المشرق؟! وبعد الفراغ من زيارة قبر الجد اتجها في طريقهما إلى مصراتة لزيارة

(1) - الصدقات و العطايا وتسمى الزيارة وتعطى لشيخ الزاوية أو خليفته أو مقدمه وهي عنوان على الطاعة والإخلاص للطريقة كما يدفع المواطن الضريبة للدولة علامة على خضوعه لقوانينها وأداء لواجباته المدنية و السياسية . انظر أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ج 4 ، ص: 20.

(2) - شارل هنري شرشل ، ص: 45.

(3) - العقل الحصيف وإن أعوزته المصادر البحثية لكي يفصل أكثر في مدة شهرين كاملين قضاها الشيخ والمريد ( محي الدين وابنه عبد القادر ) في دمشق فإنه من غير المنطقي أن يتصور خلو هذه المدة الطويلة ( 60 يوماً ) من محطات صوفية : أذكار وأوراد وقيام ليل وزيارات الى غير ذلك من مفردات التصوف السني العملي .

(4) - شارل هنري شرشل ، ص: 70.

(5) - ثلاث حجّات على ما ذكر صاحب تحفة الزائر أما محي بو عزيز يذكر أن رحلته الحجازية استغرقت عامين حج فيهما مرتين ، انظر : الأمير محمد ، ج 2 ، ص : 303 . ومحي بو عزيز موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و العرب ، مرجع سابق ، ص : 472.



## الفصل الثاني : تجربة الأمير الصوفية في الجزائر وفرنسا والشام.

ضريح الولي السيد أحمد زروق البرنسي ثم إلى طرابلس التي أكرمتها بالماء و الزاد ثم إلى قابس في مدة عشرين يوما ثم القيروان ثم مدينة الكاف قرب الحدود الشرقية للجزائر ثم سلوك الطريق نفسه عند الخروج حتى الوصول إلى القيطننة .<sup>(1)</sup> سنة 1243 هـ (1828م)<sup>(2)</sup>. ويحسن بنا أن نذكر مرة أخرى بعد هذه الرحلة الطويلة وما تركه من آثار في نشأة الأمير ما ذكره الإمام النيسابوري " السائحون طلاب العلم؛ ينتقلون من بلد إلى بلد في طلب العلم في مظانه. وكانت السياحة في بني إسرائيل. قال عكرمة عن وهب بن منبه: لا ريب أن للسياحة أثرا عظيما في تكميل النفس؛ لأنه يلقي أنواعا من الضر والبؤس فيصبر عليها، وقد ينقطع زاده فيتوكل على الله فيصير ذلك ملكة له، وقد ينتفع بالمشاهد، والزيارات للأحياء وللأموات، ويستفيد ممن هو فوقه، ويُفيد من هو دونه، ويكتسب التجارب ومعرفة الأحوال والأخلاق والسير والآثار " (3).

وقد أتاحت هذه الرحلة المباركة للأمير الفتى فرصة الإطلاع على أنظمة البلدان العربية ، وسير حياتها في الحكم و الإدارة ، ومختلف الميادين : السياسية و الإجتماعية و غيرها . فرجع مملوء الوطاب .. موفور الزاد ، بما يصلح أن يسوس به دولة المغرب الأوسط ( الجزائر ) التي يحتفظ بها له القدر ، ويخبئها له المستقبل . " (4)

(1)- مصطفى بن التهامي، ص : 124.

(2)- يحي بوعزيز :موضوعات من تاريخ الجزائر و العرب ، مرجع سابق ، ص : 472.

(3)- نظام الدين النيسابوري : تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ،تحقيق زكريا عميرات ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج 4 ، سورة التوبة ، الآية 112 ، 1416 هـ - 1996 م ، ص : 536.

(4)- يحي بوعزيز : الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري ، مرجع سابق ، ص : 42.

### تاسعا : تصوف الأمير في الجزائر بين النفي والإثبات

أما عبد القادر وبعد رجوعه من هذه الرحلة الصوفية الطويلة فقد أقام مع التصوف حلقة أخرى - وكم سبقتها من حلقات وخلوات سواء في تعليم الزاوية الأول للأمير في صباه أو في رحلته الطويلة مع أبيه كما بينا سابقا - حيث دخل في عزلة دينية وقطع كل صلة بينه وبين الناس واتخذ من بيته معتكفا من طلوع الشمس إلى غروبها ولا يقطع خلوته إلا لصلاة مفروضة أو تناول وجبة طعام<sup>(1)</sup> .

و قول شرشل هذا يجعلنا لا نسلم بقول من قال أن علاقة الأمير بالتصوف فيها شيء من المبالغة<sup>(2)</sup> ولا بمن ادعى أنه لم تكن للأمير في زاوية أبيه وجده أي صلة بالتصوف ولا بعلومه وذهب يقول : " لا يبدو أن الأمير عبد القادر أخذ بالتصوف في بداية أمره ، ففي عهد الصبا و الشباب الأول اشتغل بالدراسة و التحصيل . ثم ما ان اشتد ساعده حتى وجد نفسه في خضم المعارك التي كان يخوضها الشعب الجزائري ضد جيوش الاحتلال وقد ظهرت شجاعته وثباته في الوعي منذ معركة خنق النطاح التي هزم المجاهدون فيها جيش الاحتلال ، وقعت هذه المعركة أواخر شهر ذي الحجة سنة 1247 هـ الموافق 29 ماي 1832م وكان عمر الأمير إذ ذاك أربع وعشرون سنة .

وقد نظم الأمير عبد القادر قصيدة إثر هذه المعركة افتخر فيها بالأصالة وبالأصول وذكر بأنه هو وأهله مراجع العلوم ، ولم يذكر من بين هذه العلوم " علم القوم " أو علم التصوف .

فمما جاء في هذه القصيدة :

ونحن لنا دين ودينا تجمعنا ولا فخر إلا مالنا يرفع اللواء

(1) - شارل هنري تشرشل ، ص : 47.

(2) - أشار الى ذلك أبو القاسم سعد الله . المرجع نفسه ، في المقدمة ، ص : 16.

مناقب مختارية قادريّة      تسامت وعباسية مجدها احتوى  
فإن شئت علما تلقى خير عالم      وفي الروع أخباري غدت توهم القوى<sup>(1)</sup>  
لنا سفن بحر الحديث به جرت      وخاضت فطاب الورد ممن به ارتوى  
وإن رمت فقه الأصبحي فعج      على مجالسنا تشهد لداء العنا دوا  
وان شئت نحوًا فأنحنا تلق ماله      غدا يدعن البصري زهدا بما روى

ثم ذكر العلوم المعروفة لديهم ولم يشر إلى التصوف ليس لأنه لم يكن شائعا إذ يكاد يكون التصوف هو الثقافة السائدة في عصره ، سواء في الجزائر أو في غيرها من أقطار العالم الإسلامي ، وإنما لم يذكره الأمير عبد القادر لأنه لم يكن من موضوعات اهتمامه.

غير أن الأمير عبد القادر يذكر في كتاب المواقف الذي كتبه بعد ثلاثين سنة بعد نظم هذه القصيدة ما نصه "كنت مغرما بمطالعة كتب القوم -رضي الله عنهم - من الصبا غير سالك طريقهم فكنت أعثر أثناء المطالعة على كلمات تصدر من سادات القوم وأكابرهم ، يقف لها شعري وتنقبض منها نفسي ، مع إيماني بكلامهم على مرادهم ، لأنني على يقين من آدابهم الكاملة ، وأخلاقهم الفاضلة، وذلك كقول عبد القادر الجيلي رضي الله عنه : معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب .وأوتينا ما لم تؤتوه " . و قول أبي الغيث بن جميل رضي الله عنه " خضنا بحرا وقفنا الأنبياء بساحله " (2) " والذي يبدو لي أن المقصود بكتب القوم - رضي الله عنهم - هي ما تعلق بأقوالهم في الكشف الصوفي العرفاني. أما تصوف الأوراد والمجاهدة أظن أن

(1)- ذكر صاحب المقال أبياتا ثلاثة فقط والبقية نقلتها من كتاب تحفة الزائر ، ج 1 ، ص : 93 .

(2) بوعبد الله غلام الله : وقفة على كتاب المواقف للأمير عبد القادر ، مجلة جامعة الجزائر و مؤسسة الأمير عبد القادر ، الملتقى الدولي حول " الأمير عبد القادر و القيم الإنسانية ، مجلة جامعة الجزائر - مؤسسة الأمير عبد القادر ، ، عدد خاص ، طباعة دار الحكمة ، شارع أملكار بلكار ، ساحة الشهداء ، الجزائر ، 2001م، ص 142 وما بعدها .

في ما قدمناه من حديث عن تصوفه في زاوية أبيه وفي فترات العزلة في سجن العريش وفي رحلته الى الحج مع أبيه فيه ما يكفي . وما يجدر ذكره ونحن نثبت علاقة الأمير بالتصوف قبل خروجه من الجزائر ما أشار إليه الأمير نفسه من اعتبار الجهاد ومقارعة المعتدين على بيضة الإسلام هو نوع من الفتوة وحال من الأحوال الصوفية التي ينال بها المجاهد مقام القرب والحب من الله . حيث سمى الجهاد ديناً والردة عنه تكون بترك الجهاد<sup>(1)</sup> وذلك في معرض تفسير قوله تعالى ﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدِدُ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(2)</sup> وعلى هذا يمكن أن تكون سنوات الجهاد التي أمضاها الأمير في الجزائر قبل أن يتجه الى المشرق مرحلة من أهم مراحل الطريق الصوفي للأمير عبد القادر . وهذا ما سنتناوله في المطلب الموالي .

### المطلب الثالث : تصوف الأمير عبد القادر بالفتوة والرباط في جهاد الفرنسيين .

انطلاقاً من تعريف التصوف عند عمرو بن عثمان المكي والذي مر معنا في المبحث الأول من هذا الفصل والذي يعرفه - أي التصوف - بقوله : " أن يكون العبد في كل وقت مشغولاً بما هو أولى في الوقت " <sup>(3)</sup> وفيه تنبيه إلى ما يجب أن يكون عليه الصوفي حين يجد نفسه أمام أفعال البر الكثيرة ، حيث يجب عليه أن ينشغل بالأولى وهو ما يسمى بواجب الوقت مثل من يحضره الداعي إلى الجهاد فيفر الى قراءة القرآن أو كتب العلم !! فيقع بذلك في حبال الشيطان .

كما أشرنا من قبل أنه بمقتضى ذلك فإن الأمير عبد القادر وهو يربط في ثغور الجهاد طيلة سنوات طويلة دفاعاً عن دينه ووطنه وشرف أمته قد كان على شعبة من شعب التصوف . وهي المرحلة الثالثة من

(1) - الأمير عبد القادر : المواقف . تحقيق عاصم ابراهيم ، مصدر سابق ، الموقف 324 ، ج 2 ، ص : 238 .

(2) - سورة المائدة ، الآية رقم : 54 .

(3) - أبو القاسم القشيري ، ص : 365 .

مراحل تصوفه و التي تأتي بعد مرحلتين : تجربة زاوية القيطنة وتجربة حجه مع أبيه كما مر معنا .وبفضل ما حازه الأمير من تربية صوفية عميقة ومركزة في هاتين المرحلتين فقد اكتسب في مرحلة الجهاد خصلتان من خصال التصوف وهما الفتوة والمرابطة اللتان تحلى بهما أهل الرباط - الجهاد - من المتصوفة . وهو مشتق من المرابطة في الثغور والصبر على مشاق الجهاد وتعريض النفس للموت. وأما الفتوة فهي مستوى من النبل يرسخ في النفس بعد تركيتها تجعل صاحبها لا يقاتل إلا من يقاتله حيث يعفو عن الضعيف والعاجز والأعزل و لا يوجه سلاحه إلا لدفع الأعداء المغيرين .ويترفع عن الغدر والخيانة في الحرب ويتخلق مع المخالف -وإن جار - باللين والموعظة والنصح والعفو أولاً ويعتبر ما يصدر من المعتدين ظلال وفساد في الطبع قد يعالج بالموعظة والحوار. وهذه صفات امتلكها الأمير في كل مسيرته الجهادية سلماً وحرماً .وقد عرف بعدم نقذه للعهود وحسن معاملته للأسرى<sup>(1)</sup>. وقد يشهد أيضاً للعلاقة بين المرابطة والفتوة والتصوف قول سهل بن عبد الله التستري لما سئل عن التصوف : " التصوف هو الفتوة والشجاعة والصدق ."<sup>(2)</sup> وينقل الإمام القشيري تعاريف كثيرة للفتوة ولكنها تدل كلها على ما في النفس من مروءة ونبل وقد وجدت ما يدل عليها في مسيرة الأمير الحربية .

ومما ورد في تعريف الفتوة : - "كف الأذى وبدل الندى . " و " أن لا يميز بين أن يأكل عنده ولي أو كافر . " و " الوفاء والحفاظ " و " فضيلة تأتيها ولا ترى نفسك فيها " و " اتباع السنة "<sup>(3)</sup> ثم إذا تصفحنا السيرة الذاتية للأمير التي كتبها ابنه محمد فإننا نجد فيها ما يترجم كل معاني الفتوة عند الصوفيين وهذا نموذج من سيرة الأمير : " ...قال بعض مؤرخي الفرنسيين - هكذا وردت - أن الأمير لما تعين الكرونيل دوماس لمرافقته - في سجنه بفرنسا - أنس به لأنه كان أيام معاهدة تافنا بين الأمير وفرنسا وكيلا عنده في عاصمته معسكر وكان الأمير يحسن السلوك مع رفقائه ويسليهم ويتلطف معهم في سائر الأمور

(1) بركات محمد مراد ، ص : 60.

(2) - فؤاد صالح ، ص : 129.

(3) - أبو القاسم القشيري ، ص : 391

ويخالطهم بنفسه ويؤثرهم عليها بكل ما كان يخص به من لذائذ الأطعمة ونفائس الألبسة فقيل له في ذلك فقال الحال التي نحن فيها تقضي علي بذلك وعلى هذا كان أسلافي مع من كان يساكنهم ويصاحبهم فلا يقول أحدهم حصاني وبرنسي ومالي بل يقول حصاننا وبرنسنا ومالنا ولا أريد أن أخالف أسلافي في شيء وقد دخل عليه الكرونيبل دوماس في يوم شديد البرد فلم يجد عنده نارا فسأله عن ذلك فأجابته أن ما كان عندنا من حطب قد نفذ من أمس ولا أريد أن أضيق على رفقائي بأخذ ما عندهم منه فقال الكرونيبل : " الذي أراه أنك لا تشبه رؤساء أهل ملتك الذين اجتهدوا في هدم أحوال الأمم. " (1)

ومما يدل على عمق الروح الصوفي للأمير هو انشغاله بالذكر وقراءة القرآن في معمعة المعارك وما يقع له من كرامات كالتى تروى عن المتصوفة ومن ذلك أنه كان منهمكا في قراءة القرآن في خيمته في إحدى المعارك فدخل عليه رجل دون ان يراه الحراس وعندما سمع الأمير صوت الأقدام رفع رأسه رأى زنجيا طويل القامة يريد قتله ولكن فجأة رمى الرجل الخنجر من يده وراح مرتميا على أقدام الأمير وهو يقول: " لقد جئت لأطعنك ولكن منظرك قد جردني من سلاحي ، فقد رأيت هالة النبي فوق رأسك . " فوقف الأمير ببطء ووضع يده على رأس الزنجي وقال له : " لقد دخلت خيمتي قاتلا وإن الله الذي قادك الى التوبة عن عملك الشرير قد حكم أن تخرج منها بريئا ، فاذهب إذن وتذكر أن خادم الله قد عفا عنك . " (2) ولأمر ما كان عدوه اللذوذ المارشال بيجو يصفه بأنه في شكله يشبه المسيح . كما يشهد الجاسوس ليون روش الضابط الفرنسي الذي تظاهر بالإسلام وعيش الأمير عن قرب يقول : " يحمل بيده اليمنى دائما سبحة سوداء يسبح بها بسرعة ولا يتوقف عن التسبيح عندما يخاطبه مخاطب ، و إن بحث فان على صورة لعابد من عباد القرون الوسطى يضعها على لوحته ، فإنه لن يجد حسب رأبي نموذجا أفضل من الأمير . إن مزيجا من مضاء العزيمة على الجهاد ومن الزهد يضيئ محياه بفتنة رائعة . " ويروي روش أيضا أنه كان في ليلة من ليالي الشتاء أثناء حصار نائما في خيمة الأمير وبينما هو نائم عاد الأمير منهوكا من عمليات الحصار ،

(1)- الأمير محمد ، ج 2 ، ص : 7.

(2)- هنري شرشل ، ص : 238.

وظن أن روش مستغرق في نوم عميق ، فأدى فريضة الصلاة ثم استغرق في التضرع الى الله والإبتهاال ، وكانت عيناه متطلعتين الى السماء وشفثاه مفتوحتين كأنه مازال يتلو الآيات ، وبلغ حالة من الدهول والتشوف الى الله توحى الى من ينظر إليه بأنه فارق العالم الدنيوي وتسامى الى العالم العلوي .<sup>(1)</sup>

وقد ترسخت معاني الفتوة الصوفية في شخص الأمير المجاهد وها هو ذا في أوج قوته وفي عنفوان شبابه حيث كان عمره اثنان وثلاثون سنة يكتب رسالة يعترف فيها بخطئه بعد التبين ولا ينتصر لنفسه ويطلب العفو من محمد التيجاني ( ت 1269 هـ ) ابن مؤسس الطريقة أحمد التيجاني ( ت 1230 هـ ) - الذي حاصره في حصنه بعين ماضي بنواحي الأعواط بهدف استسلامه ودخوله في طاعة ودولة الأمير وذلك بعد إبرام معاهدة التافنة مع الجيش الفرنسي . ونص الرسالة : " الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وبعد الى السيد الحبيب ابن العلامة السيد أحمد التيجاني لقد وصلني جوابك الذي لا إيماء بعده ، وبعد أن عجزت عن الولوج داخل حصنكم وبعد أن أدركت حقيقتكم وعلمت أن ما دار بيننا إنما هو وشاية فقط وتدخل الفتانين بيننا ، ولهذا فإني أرجو عفوكم عنا وهذه هدية متواضعة تصلكم مع ابنكم أحمد عساها تجدد الروابط الأخوية بيننا . من الفقير إلى مولاه الغني . الفاني كثير الذنوب والأماي . عبد القادر بن محي الدين المصطفى بن المختار عامله الله بلطفه في الدنيا ودار القرار . ثلاث وعشرون من ذي القعدة عام أربعة وخمسين وألف ومأتين والسلام . " <sup>(2)</sup>

وبهذا نكون قد انهينا حديثنا عن تجربة الأمير الصوفية بالجزائر ، وفي المبحث الموالي سنتعرض الى تجربته في التصوف بعد خروجه من الجزائر.

(1) - محمود عياد : عبد القادر الإنسان ، الجزائر ، ط ، مجلة الثقافة ، عدد 75 ، رجب - شعبان 1403 هـ ، ص : 277.

(2) - عبد الباقي مفتاح ، أضواء على أحمد التيجاني وأتباعه ، مرجع سابق ، ص : 207.

المبحث الثالث : تجربة الأمير الصوفية بعد هجرته من الجزائر.

تمهيد :

وسندرس في هذا المبحث محطتان من محطات التجربة الصوفية للأمير بعد خروجه من الجزائر . حيث كانت الأولى في سجون فرنسا والثانية بعد ذهابه الى الشام وهي بدورها تشتمل على تجربته في الحرمين الشريفين أثناء أدائه لمناسك الحج ثم بعد استقراره بأرض الشام في سنوات حياته الأخيرة . وعليه فإن هذا المبحث يتكون من مطلبين هما :

المطلب الأول : تجربة الأمير الصوفية في سجون فرنسا.

المطلب الثاني : تجربة الأمير الصوفية بعد هجرته الى بلاد الشام.



### المطلب الأول : تجربة الأمير الصوفية في سجون فرنسا :

تعتبر المدة التي قضاها الأمير في سجون فرنسا في كل من مدن طولون وبو ثم أمبواز مرحلة متميزة في مراحل الترقى الصوفي التي مارس من خلالها كما سنبين المقامات والأحوال والمجاهدات ممارسة عملية تطبيقية. فكل موقف وحدث من مواقف هذه المرحلة هو سلوك على طريق الوصول الى الحق. وسنتعرض الى الجانب التاريخي الذي يجعلنا نقف على ظروف سجن الأمير وذلك بهدف الوقوف على كل ما له علاقة بالسلوك الصوفي. وسنرصد هذه المرحلة من خلال جملة من الفقرات حتى يسهل علينا متابعتها .

#### أولا : النزول في طولون ونقض عهد الإستسلام :

وخلافا لما اتفق عليه بين الأمير وحاكم الجزائر ، ابن الملك الدوك دومال<sup>(1)</sup> من إرسال الأمير الى عكا أو الإسكندرية أرسلت الباخرة التي تقل الأمير ومن معه في ميناء طولون " Toulon " <sup>(2)</sup> بفرنسا وأرسل معه ابن الملك الكولونيل لورو والسيد لاسو ترجمانا وقد أخبره حاكم طولون أنه ملزم بالإقامة في برج لاملاك<sup>(3)</sup> حتى تأتي الأوامر من باريس .ولما أحس الأمير بمرارة الخديعة واساء الحاكم بأن هذا الإجراء ضروري حتى يتم التفاوض مع الدولة العثمانية وحاكم مصر<sup>(4)</sup> . ولكن مستقبل الأيام كشف لنا عن صورة من صور الإنفصام بين السياسة والأخلاق في الغرب المتحضر ! حيث مكث الأمير أربعة سنوات في السجون الفرنسية.

(1)- سبق التعريف به .

(2)- ميناء طولون : مرفأ عسكري يمتاز بموقع إستراتيجي و ترسانة عسكرية قوية . وقد أرسلت فيه البارحة الحربية التي تحمل الأمير وعائلته وثمانين نفسا مع أتباعه في أول جانفي 1848 الموافق ل 24 محرم 1264هـ ، بعد رحلة تخللتها عاصفة بحرية شديدة .انظر ، بوعلام بسايح : الأمير عبد القادر مغلوبا لكن مظفرا من لويس فيليب إلى نابليون الثالث ، ت، خليل أحمد خليل ،2007م ،الطبعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، ص : 151.

(3)- ورد باسم حصن لامالغ ، المرجع نفسه ، ص : 151.

(4)- الأمير محمد ، ج 2 ، ص : 6 .

### ثانيا : تصوف الأمير وأثره في رفض إغراء الكلونيل دوماس:

ويرسل الدوك دومال الكولونيل دوماس<sup>(1)</sup> لمرافقة الأمير في سجنه وبأمرهبتسليته و أن يقدم له اعتذار الملك عن عدم اتمام العهد بنقله الى المشرق ويعرض عليه الإقامة نهائيا هو وأتباعه في فرنسا وأن يختاروا إقامة فاخرة والسماح لمن تخلف من أتباعه باللحاق به والعيش معه . وهنا يرد عليه الأمير رد من زكت نفسه وتسامت عن مغريات الحياة وقال له : " لا أقبل هذا ولو فرشت لي سهول فرنسا ومسالكها بالدجاج وها أنا بين أيديكم فافعلوا ما بدا لكم ولا يمكن أن أترك طلب الوفاء بالعهد ما دمت حيا."<sup>(2)</sup>

ثم عرض عليه الكولونيل مرة أخرى الذهاب الى باريس كما قصدها ابراهيم باشا<sup>(3)</sup> خديوي مصر. فقال له الأمير : " إن إبراهيم يريد باريس وغيرها من أمصار فرنسا متنزها له يرح فيه كيف يشاء وأما أنا فلا أرى فرنسا إلا سجنا لي ولمن معي فلا فرق عندي بين طولون وباريس ."<sup>(4)</sup> ولو رجعنا الى بعض ما ذكرناه في تعريف التصوف لوجدنا قول التستري<sup>(5)</sup> : " من صفا من الكدر وامتلاء من الفكر واستوى عنده الذهب والحجر . " إن من يرفض العيش الرغيد في باريس في تلك الأثناء ومن رجل عاش في الفيافي والقفار

(1)- الكولونيل دوماس :سبق التعريف به .

(2)- الأمير محمد ، ج 2 ، ص : 6.

(3)- ولد إبراهيم باشا عام 1789م في قولة - اقليم روملي على حدود مقدونية وترافية في اليونان ، ويقال ان محمد علي تبناه. كان عضد ابيه القوي وساعده الأشد في جميع مشروعاته، كان باسلا مقداما في الحرب، تعلم إبراهيم في مصر، وقرأ تاريخ العرب وثقافتهم، لم يكن إبراهيم قد أتم السابعة عشرة من عمره حينما عينه والده على قلعة القاهرة . ثم واليا على مصري 2 سبتمبر 1848 م . عينه والده قائدا للحملة المصرية ضد الوهابيين سنة 1816م بزعامة الأمير عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد، فآخذه ثورتهم وقضى على حكمهم، وأسر أميرهم وأرسله لأبيه في القاهرة، فأرسله محمد علي إلى الأستانة، فطافوا به في أسواقها ثلاثة أيام ثم قتله، وعني بتنظيم التموين في مكة والمدينة، وحرص على توفير الأمن على طريق الحج، وعلى توزيع مرتبات من الغلال على فقراء الحرمين والمجاورين، ونال في أثناء ذلك لقب الباشوية من السلطان العثماني. توفي بالقاهرة مسموما في 10 نوفمبر 1848 م . انظر ، موقع المعرفة <https://www.marefa.org> التاريخ الدخول 2018/11/25م.

(4)- الأمير محمد ، ج 2 ، ص : 6.

(5)- سبق التعريف به .

والبادية والصحراء طيلة سنوات من الكر والفر ، ثم لا تتوق نفسه الى تلك الدعة والإنبساط والرفاه لدليل على ترقى نفسه في مقامات وأحوال صوفية عميقة.

### ثالثا : الأمير بين مقامي الرضا والصبر :

وكتب الأمير الى ابن ملك فرنسا رسالة يعاتبه فيها على إخلاف الوعد بشأنه . فرد عليه الملك برسالة<sup>(1)</sup> يطمئنه فيها . ويرسل له الكولونيل بوفورت لتفقد أحواله ويؤكد على الوفاء بعهد ترحيله الى المشرق.

وبعد أيام ناقش أعضاء مجلس الأمة الفرنسي قضية الأمير<sup>(2)</sup> وقرروا عدم إرساله الى عكا لأن الدولة العثمانية لا تعترف باستيلاء فرنسا على الجزائر واقترحوا إرساله الى الإسكندرية وبرت بارقة أمل في نفس الأمير ولكن محمد علي باشا رفض استقباله. ويحق في وصف حال الأمير ما قاله فيه الطيب بن المختار مادحا ومتحسرا : بكم السماحة والمروءة ألبست وثوب البها يا بضعة المختار

وتشرفت وتورت وتزخرفت أحوالكم يا نخبة الأخيار الى أن يقول :

كم بالزمان أصبتم وأوذيتهم فصبرتم لتلاعب الأقدار<sup>(3)</sup>

و يعد الصبر من المقامات البارزة في الطريق الصوفي فهو الذي يروض النفس على تحمل المعاناة وكل المصائب على اعتبار أنها مقدرة من عند الله.

والصبر هو انتظار الفرج من الله تعالى، وهو أفضل الأعمال وأعلاها، وقيل لكل شيء جوهراً، وجوهر الإنسان العقل و جوهر العقل الصبر<sup>(4)</sup> ويكمله مقام الرضا: فإنه "باب الله الأعظم وجنة الدنيا، وهو أن

(1)- مؤرخة في يوم السبت أواسط سفر الخير 1264 هـ. الأمير محمد ، ج 2 ، ص : 7.

(2)- المرجع نفسه ، ص : 8

(3)- المرجع نفسه : ص : 8.

(4)- محمد علي أبوريان ، الحركة الصوفية في الإسلام ، دار المعرفة الجامعية ، ط 1 ، تاريخ النشر، 2013 م ، ص : 119.

يكون قلب العبد ساكنا تحت حكم الله عز وجل " (1) أي أن يغتبط ويفرح بكل ما يأتي به القضاء والقدر سواء كان بلاء أو نعمة. وهذه هي حال الأمير في أيام سجنه .

وتسقط ملكية لويس فيليب في 24 فيفري 1848 م . وكان من أنصار الجمهورية الجديدة الصحافي والسياسي الطموح تيار " Thiers " والشاعر لامارتين " Lamartine " والكاتب الإشتراكي لويس بلان " Louis Blanc "، وتبنت الحكومة المؤقتة إصلاحات تحريرية واجتماعية وأقرت الإقتراع العام وألغت الرق وضمنت حق الشغل الى غير ذلك (2)، مما يبعث الأمل على إرساء روح العدل التي يحق للأمير أن يكون له فيها نصيب من الإنصاف.

ولكن الذي حدث هو العكس فقد عومل الأمير ومن معه معاملة سيئة ، ووسوس الشيطان للجمهوريين إن هم أطلقوا سراح الأمير أن تستغله الحكومة الملكية السابقة وترسل به الى الجزائر فيعلن الحرب من جديد على فرنسا. ولذلك حمل الأمير ومن معه بوحشية من البرج الى القلعة فاغتم الأمير وأمر أصحابه بالتجلد والصبر (3)

#### رابعا: اعتبار الأمير جهاده للفرنسيين من أعلى درجات العبادة :

يقرر الأمير وهو في أسره بأن الفترة التي قضاها في سنوات الجهاد هي عبادة وقربة ينال بها رضا ربه عليه وقد ذكر ذلك في مناسبتين الأولى وهي أنه لما ورد عليه الكولونيل دوماس يسليه بعد ترحيله الى سجن القلعة فقال له الأمير : " ...ونحن ما بذلنا أنفسنا وأموالنا طلبا للدنيا وحرصا عليها و إنما كان ذلك امتثالا لأمر الله تعالى لنا بالجهاد لحماية الدين والوطن . " والمناسبة الثانية هي الحوار الذي دار بينه وبين موفد

(1)- الطوسي ، ص : 80.

(2)- ناصر الدين سعيدوني : عصر الأمير عبد القادر الجزائري ، إشراف ومراجعة ماجد الحكواتي ، طباعة أحمد جاسم وأحمد متولي ، 2000 م ، ص : 20.

(3)- الأمير محمد ، ج 2 ، ص : 9.

الحكومة الجديدة الكولونيل أوليفيه<sup>(1)</sup> الذي أشار عليه بكتابة رسالة الى الحكومة الجديدة يتعهد لهم فيها بعدم محاربة فرنسا إن هم أطلقوا سراحه. فكتب لهم الأمير نصا جاء فيه : " ... وإن نقمتم على ما جرى بيني وبينكم من الحروب التي اتصلت عدة سنين فما أظن أن أحدا ممن على وجه الأرض من البشر ينكره عليّ أو يذمني به لأني رجل أوجب علي ديني أن أدافع عنه وعن أرض أهله المتمسكين بعروقتها الوثقى. فقمتم بذلك وبذلت وسعي فيه ما استطعت . ولما ظهر لي انتهاء أجل قيامي بهذه العبادة التي حزت بها والله الحمد شرف الدنيا والآخرة وتلاشت الهمم وتقاعدت العزائم ونفذ ما كان عندي من المواد والأسباب التي كان القيام بها سلمت وقلت إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده . فهو أقامني حيث شاء وأقعدني حيث شاء . كتب هذا عبد القادر بن محي الدين في أول ربيع الأول سنة أربع وستين وستة من شهر فبراير سنة ثمان وأربعين ."<sup>(2)</sup> ويتبين لنا من خلال هذه الرسالة كيف عبر الأمير عن الجهاد بكلمة العبادة التي تدور مدلولاتها في اللغة على معاني الخضوع والإنقياد لله تعالى أما في المصطلح فإن معناها يستغرق كل معاني التصوف حتى قال ابن تيمية : " العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار (...) وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾<sup>(3)</sup> " (4)

(1) - ذكر في بعض المراجع باسم إميل أوليفيه " Emile Olivier " المحافظ العام للحكومة المؤقتة بعد إسقاط عرش الملك لويس فيليب . بوعلام بسايح : الأمير عبد القادر مغلوبا لكن مظفرا ، مرجع سابق ، ص : 156 .

(2) - الأمير محمد ، ج 2 ، ص : 10 .

(3) - سورة الذاريات ، الآية رقم 56 .

(4) - ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، تحقيق عبد الرحمان محمد بن قاسم ، مرجع سابق ، ج 10 ، ص : 149 .

#### خامسا : المحنة في سجون فرنسا :

وبداية محنته في سجنه هو نكث عهد الحصول على حريته بالذهاب به الى الشرق وفي هذه المرحلة يصله الرد السلبي على رسالته الذي وصله من الحكومة الفرنسية فأطفأ بارقة الأمل في إطلاق سراحه حيث تضمن البيان الحكومي أن فرنسا تعتبر الأمير أسيرا كما اعتبرته الحكومة الملكية السابقة . وزاره الكولونيل دوماس مرة أخرى لملاطفته . ويزداد حال الأمير سوءا لما عُزل مائة وخمسون من أتباعه عنه وأرسلوا الى سجن سانت ماكريت. ثم أخذ الأمير بعد ذلك في قلة بقيت معه فيها إخوته وخليفته مصطفى بن التهامي وقذور بن علال إلى قلعة بو " Pau " <sup>(1)</sup> المتاخمة لبلاد اسبانيا وكان الرحيل الى هذه القلعة في 17 جمادى الأولى 1264هـ - 21 أبريل 1848م كما استبدل المرافق الكولونيل دوماس بالكولونيل بواسوني وبعد ستة أشهر تقرر نقل الأمير وصحبه الى سراية أمبواز " Amboise " <sup>(2)</sup>. ويذكر الأمير محمد أن سبب الترحيل الى أمبواز هو زعم السلطات الفرنسية أنه بلغهم أن رجالا من الإنجليز يريدون الفرار بالأمير من قلعة بو ورؤيتهم للأمير أكثر من مرة في إحدى نوافذ قلعة بو يشير الى رجال مجهولين وهم يشيرون إليه والحقيقة أن الأمير كان منشغلا أمام النافذة بقراءة وردده من القرآن <sup>(3)</sup> وهي دلالة - بالمناسبة - قوية على الممارسة الصوفية للأمير في قلعة بو .

#### سادسا : التصوف في سراية أمبواز :

وبعد المحنة عادة ما تأتي المنحة وهذا الذي وقع للأمير عبد القادر . فقد وهبه الله الصبر طيلة سنوات السجن الخمس حيث فقد حريته ومات من أصحابه نحو خمس وعشرين شخصا ولم ييأس الأمير وجعل من سجنه مدرسة ومسجدا للعلم والتدريس فقد درس هو وأصحابه كتب الشريعة والتصوف والأدب والتاريخ ولقد أُلّف في سنة 1850م في سجنه - كما مر معنا - رسالة المقرض الحاد ردا عن انتقادات أحد

(1) - قلعة بو " Pau " سبق التعريف بها .

(2) - سراية أمبواز : سبق التعريف بها .

(3) - الأمير محمد ، ص : 12 .

القساوسة المسيحيين . كما جعل من أفنية السجون زاوية للخلوة والذكر والصلاة وقراءة القرآن وكان الأذان يرفع في السرايا الى درجة أن مطران أمبواز عند اجتماعه بأتباعه في الكنيسة يقول لهم ألا تنظرون إلى الأمير عبد القادر وجماعته في بلدتكم متمسكين بدينهم مواظبين على صلواتهم ألا تسمعون نداء قوة محمد في كل أوقات صلواتهم ليلا ونهارا<sup>(1)</sup> فوقعت له بذلك وقائع روحانية ومراقية صوفية نترك الأمير يحدثنا عنها بنفسه : " دخلت مرة خلوة<sup>(2)</sup> ، فعندما دخلتها انكسرت نفسي وضاعت علي الأرجاء وفقدت قلبي . وإذا المعرفة نكرة والأنس وحشة ، والمطايبة مشاغبة والمسامرة منكرة ، فكان نهار ليلا ، وليلي ويحا وويلا ، ويمكن الشيطان بالتمريج والتخليط . وأي قرية أردتها أبعدت منها ، فلم يبق معي من أنواع الصلوات إلا الصلاة وفي هذا الإبتلاء رأيت رسول الله في المنام ، دخلت عليه بيتا كان جالسا فيه مع جماعة فبنفس ما رأي أخذ بطرفي مسبحة كانت في يده ، ورفعها إلي : " والدعاء " فعرفت أنه يريد أني مشغول بالذكر والدعاء فأنشده :

أتضحك بالدعاء وتزدرية وما يدريك ما فعل الدعاء

سهام الليل لا تخطئ لكن لها أمد وللأمد انقضاء

فسر - ص - بإنشاد البيتين . والتفت الى الحاضرين معه يمدحني لهم . ففهمت من إشارته - ص - بالدعاء أن الخطب جسيم والأمر عظيم . فكان بعد ذلك شغلي الدعاء والتضرع وكشف الرأس . فكنت أدعو بقوله - ص - : " اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك<sup>(3)</sup> . "

(1)- المرجع نفسه ، ص : 17 .

(2)- هذه الخلوة وقعت له في سجنه بسرماية أمبواز . الأمير عبد القادر: المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف ، تحقيق عبد الباقي مفتاح ط 1 ، مؤسسة الأمير عبد القادر ، ج 1 ، 1426هـ - 2005 م ، ص : 16 .

(3)-مسلم عن عائشة رضي الله عنها ، مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، تحقيق خليل مأمون شيحا ، مرجع سابق ، كتاب الصلاة ، باب ما يقال في السجود والركوع ، رقم الحديث 1090 ، ص : 244 .

ويقوله : " اللهم أنت ربي خلقتني و أنا على عهدك ووعدك ما استطعت . أعوذ بك من شر ما صنعت . أبوء لك بنعمتك علي ، وأبوء بذنبي فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (1) " . ثم يقول الأمير : " وكانت ترد علي الواردات في الوقائع مشيرة وأمرة بالصبر ورأيت في المنام جارية بارعة الجمال ، فلما أفقت تمنيت أني سألتها عن إسمها ولمن هي؟ فلما عاودت النوم رجعت إلي فسألتها لمن هي ؟ فقالت لك ، وعن اسمها ، فقالت : الناجية ، فتفاءلت بالنجاة من هذه المحنة . فطالت هذه الأعوام كأنها أعوام :

أرى ساعة الهجران يوما ويومهُ يُحْيِي لي شهرا وشهرهُ عاما. (2)

ويذكر الأمير ما ورد عليه من مبشرات في هذه التجربة الصوفية حيث يقول : " وفي آخر أيام هذه الخلوة بُشرت ، فورد علي في الواقعة قوله تعالى : ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها﴾ (3)

ثم بعده قوله تعالى : ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (4) ثم بعده قوله تعالى : ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ (5) والحمد لله رب العالمين . " (6)

### المطلب الثاني : تجربة الأمير الصوفية بعد هجرته الى بلاد الشام :

وفي هذا المطلب سنرصد تجربتين تتعلقان بالسير الصوفي للأمير أولاهما ما وقع في الحرمين الشريفين خلال آداء مناسك الحج ، والثانية بعد استقراره في آخر مشوار حياته في بلاد الشام.

(1)-ابن حجر العسقلاني ، تحقيق فؤاد عبد الباقي ، مرجع سابق ، كتاب الدعوات ، باب أفضل الإستغفار ، ج11 ، رقم الحديث : 6306

(2)- الأمير عبد القادر : المواقف الروحية و الفيوضات السوحية ، تحقيق عاصم ابراهيم الكيالي ، مصدر سابق ، ص : 379.

(3)- سورة البقرة ، الآية رقم 144.

(4)- سورة البقرة ، الآية رقم 30.

(5)- سورة البقرة ، الآية 45.

(6)- الأمير عبد القادر : المواقف الروحية والفيوضات السوحية ، تحقيق عاصم الكيالي ، مصدر سابق ، الموقف 211 ، ص : 380.



أولاً : تصوف الأمير في الحرمين الشريفين :

وقد كان الأمير وهو في أرض الشام يتشوق الى تلك الرحلة الروحية من خلال الحج الى بيت الله الحرام ولم يكن يمنعه من ذلك إلا القيام على خدمة والدته المسنة<sup>(1)</sup> التي كان يربها بنفسه آناء الليل وأطراف النهار ولم يفارقها الى أن توفيت سنة 1278هـ عن ثمانين عاماً وهي عنه راضية. و في سنة 1279 هـ- 1863م وقد كان عمره 57 سنة توجه الأمير الى بلاد الحجاز قاصدا الحرمين الشريفين<sup>(2)</sup> لأداء فريضة الحج وفي مدة قاربت سنة و نصف أقبل فيها على العبادة و الخلوة و الحج و الاعتمار، ولا يغادر حجرتة إلا للذهاب للحرم ولا ينام في اليوم إلا أربع ساعات ولا يأكل إلا مرة واحدة.<sup>(3)</sup> و حصلت له هناك فتوحات صوفية كثيرة<sup>(4)</sup>.

حيث جاور شيخه<sup>(5)</sup> محمد بن مسعود الفاسي<sup>(6)</sup> وأخذ عنه الطريقة الدرقاوية<sup>(1)</sup>. وقد اختلى في غار حراء الذي نزل فيه الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم بعد ذلك خرج الى الطائف

(1)- رعاية الأمير لوالدته خلق من أخلاق السلوك الصوفي لأنه قرية محقة لرضوان الله وموصلة الى جنان الخلد . يشهد على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لمن جاءه يستأذنه في الجهاد : " إزمها- يعني أمه -فإن الجنة تحت قدميها " رواه النسائي في صحيحه.  
(2)- وعند وصوله الى مدينة جدة أراد شريف مكة وأميرها السيد عبد الله باشا أن يستقبله في وفد وأهبة خارج مكة ولكن الأمير رفض ذلك و أعتذر له بأنه يريد أن يأتي الى بيت الله وهو عبد منكسر وفي هذا دلالة على الروح الصوفي الذي أشربه قلب الأمير . ، الأمير محمد ، ج 2 ، ص : 122 .

(3)- الأمير عبد القادر : المواقف الروحية والفيوضات السبوحية ، اعتنى به عاصم ابراهيم الكيالي ، مصدر سابق ، ص : 18 .  
(4)- الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف ، تحقيق عبد الباقي مفتاح ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص : 18 وما بعدها .

(5)- وجود الشيخ المرشد في الطريق الصوفي ضرورة كضرورة الإمام في صلاة المأمومين . يقول عنه أبو حامد : " فإذا قدم هذه الشروط الأربعة وتجرد عن المال والجاه وكان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحا للصلاة فيحتاج الى إمام يقتدى به . فكذلك المرشد يحتاج الى شيخ وأستاذ يقتدي به لاجمالة ليهديه الى سواء السبيل . فإن سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ، فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان الى طرقه لاجمالة " . أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، ط 1 ، دار ابن حزم للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 2005م ، ربع المهلكات ، كتاب رياضة النفس وتهديب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب ، ص : 959 .

(6)- محمد الفاسي : تكاد تكون ترجمته منعدمة في المراجع . قرأ القرآن في بدايته بالمغرب وتفقه على مذهب مالك حيث قرأ " الخليل " وشارحه " الخرشني " على يد القاضي العباس أبو سودة . والتفسير والحديث والمصطلح على يد عبد السلام البرعي والنحو والأدب والمعقول

واعتكف بها مدة ثلاث أشهر . وفي أواخر شهر رجب من سنة 1280هـ أقام في المدينة المنورة ليدخل بها في خلوة صوفية دامت شهرين . ويفصل ابن الأمير محمد تجربة أبيه الصوفية بصحبة شيخه محمد الفاسي في هذه المرحلة فيقول : " ثم أقبل الأمير على عبادة الله تعالى عند بيته الحرام في مسجده الحرام . وتفرغ لها من كل شيء يتعلق بالدنيا وأهلها . وأختار الشيخ محمد الفاسي المجاور في مكة المكرمة أستاذا له وأخذ عنه الطريق . وتلقى شؤونها عنه ولازم الرياضة والخلوة والإجتهاد وعكف على ما في تلك الطريقة الميمونة من الوظائف والأوراد إلى أن رقي معارج الأسرار إلى حظائر القدس ذات الأنوار ووقعت له كرامات وحوارق وأحرز بقوة سعده أحوالا سنية وأنفاسا محمدية وما تم له الإرتقاء إلا وهو في غار حراء لأنه انقطع فيه أياما عديدة إلى أن جاءته البشرية بالرتبة الكبرى ووقع له الفتح النوراني وتفجرت ينابيع الحكم على لسانه وفاضت عيون الحقائق بين أدواح جنانه وانفتح له باب الواردات واستظهر من القرآن العظيم آيات ومن الحديث النبوي احاديث صحيحة ..... " (2)

=على يد عبد السلام بن موسى وقرأ " الرسالة " للقيصري وغيرها من كتب التصوف على يد التهامي بن حمادي . أخذ الطريقة الدرقاوية الشاذلية عن الشيخ محمد حسن بن حمزة ظافر المدني (ت : 1268م) وهو أحد تلاميذ مجدد الطريقة الشاذلية في القرن الثالث عشر الشيخ العربي الدرقاوي المغربي (1151هـ - 1239م) . ألف كتبا كثيرة منها " الكنز المطلسم " و " الفتوحات الربانية والإجازة المدنية " و " مراتب الدين ونهاية العارفين " . توفي ودفن بالمعلى بمكة سنة 1298هـ . الموافق الروحية والفيوضات السبوحية ، اعتنى به عاصم ابراهيم الكيالي ، مرجع سابق ، ص : 18 . وكذلك ، محمد بن قاسم الكوهن : جامع الكرامات العلية في طبقات السادة الشاذلية " ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1426هـ - 2005م ، ص : 180 .

(1)-الدرقاوية : وتنسب هذه الطريقة عادة إلى الشيخ العربي بن أحمد الدرقاوي الذي توفي في سنة 1239هـ / 1823م بزواوية بوبريج بشمال مدينة فاس المغربية ، لكن المفهوم من المصادر أنه لم يكن واضع أسسها، وإنما ورث أسرارها عن شيخه أبي الحسن علي بن عبد الرحمن العمراني الشهير بالجميل (ت 1195هـ / 1780م)، الذي يمكن أن تؤكد أيضا - من خلال المصادر التي ترجمت له - أنه لم يكن مبدعها الأول، وإنما تلقى أسرار هذه الطريقة عن شيخه أبي حامد العربي بن أحمد ابن عبد الله معن الأندلسي، حيث اختاره من بين مريديه وقال له: " أتحيي طريقا اندرست من زمن الجنيد إلى وقتنا؟ فقال نعم، فليس المرقعة وصار يسأل. " . محمد الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني، حمزة بن محمد الكتاني، محمد حمزة الكتاني، دار الثقافة، البيضاء 1425هـ / 2004م، ج2، ص335. ولمعرفة المزيد عن فروع هذه الزاوية وأعلامها في الجزائر وليبيا ، انظر عبد العزيز الشهيبي ، ص 151 وما بعدها.

(2)- الأمير محمد ، ج 2 ، ص : 137.

## الفصل الثاني : تجربة الأمير الصوفية في الجزائر وفرنسا والشام.

ويشير الأمير الى ما حصل له من ترقى صوفي في هذه التجربة في قصيدة طويلة كتبها الى شيخه محمد الفاسي تتألف من 111 بيتا مطلعها :

أمسعود جاء السعد والخير واليسر      وولت جيوش النحاس ليس لها ذكر

وفي القصيدة بيان للأساس المتين الذي لا تتم تجربة التصوف إلا به وهو الشيخ المربي الحي ولذلك لم يكتف الأمير بشيخة الأكبرى ابن عربي في تحقيق تجربته الروحية الكاملة. فاتخذ الشيخ مسعود الفاسي الدرقاوي دليلا ومرشدا<sup>(1)</sup>. وقد بالغ الأمير في الحديث عن شيخه محمد الفاسي وأضفى عليه ألقابا كثيرة فهو الملاذ والعمدة والعدة وكهفه الأمين وهو الحي للنفس والمحدد للعمر يقول الأمير :

عيادي ، ملاذي ، عمدتي ثم عدتي      وكهفي إذا أبدى نواجذه الدهر

غياثي من أيدي العداة ومنقذي      منيري مجيري عندما غمني الغمر

ومحيي رفاقي بعد أن كنت رمة      واكسبني عُمرًا لعمرى هو العمر<sup>(2)</sup>

ومما يذكره الأمير أيضا في هذه القصيدة أن في الحج كعبتان واحدة للعامّة الذين يكتفون بأداء المناسك والثانية للخاصة وهم المتصوفة الذين يحصل لهم المعراج الروحي الصوفي . يقول الأمير

فمكة ذي خير البلاد فديتها      فما طاولتها الشمس يوما ولا النسر

بها كعبتان كعبة طاف حولها      حجيج الملا بل ذاك عندهم الظفر

وكعبة حجاج الجناب الذي سما      وجل فلا ركن لديه ولا حجر

(1) - الأمير عبد القادر : المواقف في بعض أسرار القرآن الى الأسرار والمعارف ، تحقيق عبد الباقي مفتاح ، مصدر سابق ، ص 20.

(2) - الأمير محمد ، ج 2 ، ص : 137.

وشتان ما بين الحجيج عندنا فهذا له ملك وهذا له أجر. (1)

وبعد الإنتهاء من مناسك الحج توجه الى مدينة الطائف ومكث بها ثلاثة أشهر رجع الى مكة .وتفرغ فيها للعبادة. - التحفة 141- وفي أول رجب سنة 1280هـ توجه الى جدة ومنها الى مرسى اليريس ثم الى بدر ثم بئر عباس وقد حصلت له ضيافات وتشريفات من الأعيان ثم كان دخوله للمدينة في يوم 26 رجباً أعطي له بيت سيدنا أبي بكر الصديق في زمانه واحتل في مدة شهرين يقرأ الأوراد والوظائف التعبدية حتى اكتشفت له فيها الأنوار القدسية والحقائق القرآنية و الأحاديث النبوية (2) وفق المنهج العرفاني الصوفي الذي بينه كل من أبي حامد الغزالي وابن خلدون كما أشرنا آنفاً. وكان يكثر من الزيارة لجبل أحد وقبور الشهداء والصلاة في مسجد قباء. (3) وفي السابع و العشرين من ذي القعدة. رجع الى مكة قاصداً النسك فأحرم بالحج من ذو الحليفة وبعد الإنتهاء من المناسك توجه الى جدة في الرابع عشر من ذي الحجة . ثم الى السويس ومنها الى مصر حيث دعاه الخديوي اسماعيل باشا الى ضيافته. وكذلك فعلت شركة السويس ورأى أرضه في أبي بلح ثم رجع الى مصر ثم الإسكندرية ثم بيروت وفي التاسع عشر من محرم سنة اثنين وثمانين دخل الى دمشق. (4)

ثانياً : تجربة الأمير الصوفية بعد استقراره في دمشق :

من الضروري أن أشير بأن تجربة الأمير الصوفية في دمشق تشمل السنوات الأولى من استقراره في دمشق وهي تمتد من سنة 1270هـ-1852م الى 1279هـ-1862م وهي السنة التي قصد فيها الحرمين الشريفين ثم بعد ذلك من بعد رجوعه من حجه الى دمشق سنة 1282هـ .

(1)- المرجع نفسه ، ص : 139.

(2)- المرجع نفسه ، ص : 142.

(3)- المرجع نفسه ، ص : 144.

(4)- المرجع نفسه ، ص : 145.

ولقد كان وصول الأمير الى دمشق في 6 ربيع الثاني 1272هـ - 24 تشرين الثاني 1856م . وأول ما قام به هو زيارة مسجد الشيخ محي الدين بن عربي . وأخذ الطريقة المولوية عن الشيخ صبري شيخ الطريقة بدمشق وكان عاكفا على صلاة الجماعة ملازما لصلاة الفجر في مسجده بحي العمارة وكان يكثر من التهجد والخلوات<sup>(1)</sup> وقد واصل الأمير سيره الصوفي حيث كان يدخل في خلوته التي تدوم في بعض الأحيان أربعين يوما كما حدث له في قصره بقرية أشرفية صحنايا<sup>(2)</sup> وفي سنة 1273هـ زار أولى القبليتين وثالث الحرمين بيت المقدس وقرأ خلال شهر رمضان بدار الحديث صحيح البخاري وفي مدينة الحقمية قرأ الإتيقان والإبريز<sup>(3)</sup> . وكان يكثر من الإعتكاف في شهر رمضان لكي يتفرغ للعبادة و الذكر ولا يزيد طعام إفطاره على الكعك والزبيب<sup>(4)</sup> ومعلوم أن العزلة والجوع هما ركنان مهمان في أركان المجاهدة الصوفية<sup>(5)</sup> وقد أشار الأمير في ما كتبه الى ما وقع له من فتح وكشف صوفي في هذه المرحلة الدمشقية التي أهلته لكي يقول في إحدى تجاربه الصوفية : " هذه الآية<sup>(6)</sup> الكريمة تلقيتها تلقيا غيبيا روحانيا . إن الله تعالى قد عودني أنه مهما أراد أن يأمرني أو ينهاني أو يبشرني أو يحذرنني أو يعلمني علما أو يفتيني في أمر أستفتيته فيه ، إلا ويأخذني مني مع بقاء الرسم ثم يلقي إلي ما أراد بإشارة آية كريمة من القرآن ، ثم يردني إلي ، فأرجع بالآية قرير العين (... ) وقد تلقيت والمنة لله ، نحو النصف من القرآن بهذا الطريق . " <sup>(7)</sup>

- (1)- الأمير عبد القادر : المواقف الروحية والفيوضات السبوحية ، اعتنى به عاصم ابراهيم الكيالي ، مصدر سابق ، ص : 24.
- (2)- الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف ، تحقيق ، عبد الباقي مفتاح ، مصدر سابق ، ص : 21.
- (3)- كتاب الإبريز : كتاب في علوم التصوف أرخ فيه أحمد بن المبارك السجلماسي لشيخه عبد العزيز الدباغ ونقل أقواله في المعارف الإلهية والعلوم الأزلية والحكم الصوفية كما يحتوي على شرح وتأويل للآيات القرآنية والأحاديث النبوية .
- (4)- أحمد تيمور باشا : أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، 2003-1423م ، ص : 364.
- (5)- أركان المجاهدة في الطريق الصوفي أربعة هي الجوع والسهر والصمت والعزلة انظر ، أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ، ريع المهلكات ، كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب ، ص : 959.
- (6)- يقصد قوله تعالى ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ سورة الأحزاب ، الآية رقم 21
- (7)- الأمير عبد القادر: المواقف الروحية والفيوضات السبوحية : اعتنى به عاصم ابراهيم الكيالي ، مصدر سابق ، الموقف رقم 1 ، ص

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نسجل ما وقع له في هذه المرحلة الدمشقية من جلسات صوفية وقعت له في بعض وقائعه ومشاهده الروحية مع شيخه محي الدين ابن عربي دفين دمشق . وفي كتابه المواقف إشارات كثيرة على هذه التجارب الصوفية منها قوله : ".....وقد كنت رأيته - رضي الله عنه - في مبشرة من المبشرات فذاكرته في مسائل من فصوص الحكم فقال لي : إن الشراح كلهم ما فهموا مراده ، ولا ابن شاهنشاه ، فجعلت أتفكر في نفسي ، لما قال " مراده " بضمير الغائب ، ثم ظهر لي في الحال أنه يريد بذلك رسول الله ص - ...."<sup>(1)</sup> وقريب من هذا ما ورد من قول الأمير في موقف آخر حيث قال : " وكنت قبل هذا رأيت سيدنا الشيخ رضي الله عنه في مبشرة ، فكان يأمرني أن أقرأ معه درساً ، ويحثني عليه ويستعجلني فيه ، فلما ألهمني الله تعالى زيادة توضيح وتسهيل لما كتبه في هذه المسألة أولت الرؤيا بأنه رضي الله عنه المدرس والعبد الفقير المعيد."<sup>(2)</sup> ومن حالات الكشف الصوفي للأمير قوله : " رأيت شيخنا وسيدنا محيي الدين في المنام في صورة أسد ، الصورة صورة أسد ، ولا أشك أنه الشيخ محي الدين رضي الله عنه . وفي يد ذلك الأسد سلسلة عظيمة كالسلاسل التي تجعل في رقاب الأسود تمنعها التعدي . فكلمني الأسد وقال لي : أدخل يدك في فمي ، فخفت ! فإن العادة والطبيعة قاضية بخوف الإنسان من الأسد. فقال لي لا تخف . فأدخلت يدي في فمه وأخرجتها سالمة ، ثم تحول من صورة أسد الى صورة إنسان ، وهي الصورة التي رأيته فيها غير مرة ... " ويؤول الأمير الأسد ببلوغ شيخه محي الدين مكانة عالية بين أولياء الله كعلو مكانة الأسد بين سائر الحيوانات ، أما السلسلة فهي الشريعة . كما أول الأمر بإدخال اليد في فم الأسد بأنها يمينه الكاتبة لما يمليه عليه ابن عربي .<sup>(3)</sup> ويحكى الأمير عن نفسه أنه كان يسلم على بعض النصاري مواراة لهم ، ويزيد على عبارة السلام : " يا ملائكة ربي " ونيته السلام على الملكين الملازمين لبني آدم تم

(1) - الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف ، تحقيق وتقديم ، بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، ج2 الموقف 294 ، ص 315.

(2) - المرجع نفسه ، ج2 ، الموقف 298 ، ص : 340.

(3) - المرجع نفسه ، ج3 ، الموقف 346 ، ص : 68.

قال: " فرأيت سيدنا الشيخ محي الدين فقال لي : " إنك تسلم على فلان ، وسمي لي واحدا منهم كالكاره لذلك ، فأردت أن أقول له : إن بعض الأئمة رخص في ذلك ، ثم تأدبت وسكت .. " (1)

وبهذه الأسطر الأخيرة نكون قد أتينا على كامل تجربة الأمير الصوفية التي ختم بها مشوار حياته بقصر دمر في ضواحي دمشق في " يوم السبت التاسع عشر من رجب سنة ثلاثمائة وألف والرابع والعشرين من أيار -ماي - سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة " (2) و دفن بجوار الشيخ محي الدين بن عربي بالصاحية . وفي سنة 1388هـ - 1968م رغبت حكومة الجزائر بنقل رفاتة الى أرض مسقط رأسه الجزائر (3) ودفن بمقبرة العالية.

ولن يكتمل البحث حول تصوف الأمير إلا بالوقوف على كتابه المواقف الذي ضمنه مباحث عرفانية كثيرة وهو ما سنفصل فيه القول في الفصل الموالي.

---

(1)- المرجع نفسه ، ج3 ، الموقف 370 ، ص : 328.

(2)- الأمير محمد ، ج2 ، ص : 247.

(3)- الأمير عبد القادر : المواقف الروحية و الفيوضات السوحية ، تحقيق ابراهيم الكيالي ، مصدر سابق ، ص : 25.

### الفصل الثالث

الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

المبحث الأول : التعريف بكتاب المواقف والتحقيق في نسبه للأمير.

المبحث الثاني : نماذج من الكتابات الصوفية للأمير في كتاب المواقف.



تمهيد:

وكما أشرنا سابقا في ثنايا بحثنا وبالضبط في مبحث مؤلفات الأمير أننا سنخصص لكتاب المواقف -الذي ينسبه له ابنه محمد في كتابه تحفة الزائر - مبحثا مستقلا نتعرض فيه أولا الى مدى صحة نسبة هذا الكتاب الى الأمير ونعرج بمقتضى ذلك على ما أثارته الأميرة بديعة الحسني حول عدم نسبته للأمير وما يتبع ذلك من ردود عند المثبتين من الباحثين . وماهي خصائص منهج الكتابة الصوفية التي تميز بها الأمير في كتاب المواقف مع عرض لنماذج من كتاباته الصوفية فيه .

### المبحث الأول : التعريف بكتاب المواقف والتحقيق في نسبته للأمير .

كتاب المواقف هو نار على علم في فكر الأمير عبد القادر وقد أثرت حوله في سنوات مضت إشكالية ثبوت نسبته للأمير ولذلك خصصنا هذا المبحث للتعريف به ثم قمنا بدراسة مستفيضة حول مسألة النسبة مستعرضين الآراء المختلفة في ذلك مع الترجيح و الموازنة بينها.

### المطلب الأول : التعريف بكتاب المواقف :

وهو كتاب في علم التصوف يشتمل على مسائل في التصوف العرفاني وتفسير آيات قرآنية وأحاديث نبوية كما اشتمل على أقوال علماء الإسلام في العقيدة وعلم الكلام و شرح لمذهب محي الدين ابن عربي في كتابيه الفتوحات والفصوص . ويعتبر الكتاب تدوينا للدروس التي كان يلقها الأمير في مساجد مدينة دمشق بين سنوات 1272هـ - 1300هـ/1856 - 1883م وقد مر معنا بعض الفقرات من هذه المواقف . يشتمل على اثنين وسبعين وثلاثمائة موقفا طبعت في ثلاثة مجلدات<sup>(1)</sup> . قال فيه ابنه الأمير محمد : "وله تأليف عديدة وحسبك منها كتاب المواقف في علم الحقيقة وهو لعقد تأليفه واسطة النظام

(1) - فؤاد صالح السيد ، ص : 99.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

ولمطلع مجده بيت القصيد وحسن الختام " (1) وقال فيه شكيب أرسلان " : وله في التصوف كتاب سماه ( المواقف ) فهو في هذا المشرب من الأفراد الأفاضل وربما لا يوجد نظيره في المتأخرين " (2). وقد أفردنا هذا الكتاب بدراسة خاصة حول ما اثير من عدم نسبته للأمير كما سيأتي .

ونظرا للإنتشار الواسع لهذا الكتاب فإننا سنحيطه بنوع من التوصيف الدقيق من خلال العناصر الآتية :

### 1- وصف عام لكتاب المواقف:

وحرصا مني على الوصف الدقيق وقع اختياري على طبعة المواقف الصادرة بدار نينوى- دمشق ، سوريا ، 2014م - والتي قام بتحقيقها الباحث بكري أمين (3) ويتألف الكتاب من أجزاء ثلاثة وفي ما يلي بيان لشكل كل واحد منها أما مضمونها العرفاني فسنرجئه الى مبحث لاحق :

#### الجزء الأول :

عدد صفحاته 628 صفحة صدرها المحقق بمقدمات منهجية مهمة بلغت 120 صفحة . ويشتمل هذا الجزء على 247 موقفا ، أولها في ص 31 ويبدأ بقوله تعالى : ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ (4) وآخرها في ص 480 ويعالج فيه الأمير بفقهاء العرفاني آيات من سورة ص وهي قوله تعالى ﴿ وهل آتاك نبأ الخصم... وحسن مآب ﴾ (5) وتختلف المواقف في هذا الجزء من حيث الطول والقصر حيث لا يتعدى الموقف 6 و 7 الموجودان في صفحتي 42 و 43 سبعة أسطر . كما لا يتجاوز الموقف 84 الموجود في ص 184 ثلاثة أسطر. وفي المقابل نجد الموقف 86 في ص 150 يتكون من حوالي سبعة صفحات. كما يصل الموقف 89 الموجود في ص 161 الى حوالي عشر صفحات. وقريب منه الموقف 209 في ص 391. (6)

(1)- الأمير محمد ، ج 2 ، ص : 304 .

(2)- شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامي ، ط 4 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع المجلد الأول ، 1394هـ - 1973م ج 2 ، ص 173.

(3)- سبق التعريف به.

(4)- الآية رقم 21 من سورة الأحزاب .

(5)- الآيات من رقم 21 الى 25 من سورة ص.

(6)- عبد الرزاق بن سيع ، ص : 227 .

الجزء الثاني :

وعدد صفحاته 436 صفحة . ويشتمل على 72 موقفا . أولها الموقف رقم 248 ويبدأ بآيات ثلاث هي قوله تعالى ﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾ و﴿وإن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها﴾ و﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾<sup>(1)</sup> و آخر المواقف رقمه 319 ويبدأ بقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿قال ربي أنظر إليك قال لن تراني﴾<sup>(2)</sup> وأطول المواقف في هذا الجزء هو أولها " 248 " حيث بلغت صفحاته 161 صفحة وهو حري بأن يكون كتابا بمفرده ولذلك ختمه الأمير بقوله : " ومن شاء فليجعل هذا الموقف رسالة مستقلة ، يسميها : (بغية الطالب على ترتيب التجلي بكليات المراتب ) وقد رتبته الأمير في فصول بلغت الثلاثون وخاتمة. وأقصر المواقف هو الموقف 301 الذي لا يزيد عن سبعة أسطر.

الجزء الثالث :

ويشتمل على 584 صفحة ويتضمن ثلاثة وخمسين موقفا أولها الموقف رقم 320 ويبدأ بقوله تعالى ﴿فإذا برق البصر و خسف القمر... كلا لا وزر﴾<sup>(3)</sup> و آخرها الموقف رقم 372 ويبدأ بقول الأمير : " سأل بعضهم عن مسألة الرؤيا ، وأنها أشكلت عليه ... " ومن أطول المواقف في هذا الجزء الموقف رقم 366 الذي يشتمل على 48 صفحة وكذلك الموقف رقم 355 الذي يشتمل على 30 صفحة ، وفي المقابل لا يزيد الموقف رقم 326 عن 11 صفحة . والموقف رقم 323 يحتوي على 15 صفحة .

2- الأمير يسمي كتابه بواسطة وارد إلهي :

لقد صرح الأمير بأنه أمر في إحدى مرائيه العرفانية بأن يسمي كتابه بالمواقف حيث قال في مطلع الموقف الستون بعد الثلاثئة : " قال تعالى ﴿ألم تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾<sup>(4)</sup> قيل لي زد في

(1) - الآيات الثلاث : الأولى من سورة إبراهيم ورقمها 25 ، الثانية من سورة البقرة رقم 26 ، الثالثة العنكبوت 43.

(2) - سورة الأعراف، الآية رقم : 143.

(3) - سورة القيامة الآيات من 7-11

(4) - سورة الحجر ، الآية رقم 1.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

تسمية كتابك ب المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف ، إذ القرآن من القرء وهو الجمع . ولما كان جامعا تجاذبته الحقائق الإلهية والكونية ...<sup>(1)</sup> وقد كتبه الأمير في فترات زمنية متقطعة على امتداد عقدين أو ثلاثة وهو في مجمله تعبير عن تجربة صوفية شخصية عميقة ومتميزة .<sup>(2)</sup>

### 3- معنى كلمة المواقف :

المواقف لغة جمع موقف وفي اصطلاح الصوفية هو الفاصل بين مقامين أو حالين وفي هذا الفاصل يتعرف الصوفي السالك على الآداب التي يجب أن يتحلى بها قبل ترقيه للمقام الأعلى . ويحدد الأمير معنى الموقف بأنه تلك اللحظة التي يخرج فيها من زمن الحاضر الى الحضرة القدسية الإلهية التي يتوقف فيها الزمان ويتلقى فيها من العلوم والمعارف والحقائق ما يمن به المولى على عبده . والى ذلك يشير الأمير معلقا على قوله تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾<sup>(3)</sup> " هذه الآية تلقيتها تلقيا غيبيا روحانيا ، فإن الله عودني أنه مهما أراد أن يأمرني أو ينهاني أو يبشرنني أو يحذرنني أو يعلمني علما أو يفتيني في أمر استفتيته فيه إلّا ويأخذني مني مع بقاء الرسم ، ثم يلقي إلي ما أراد بإشارة آية كريمة من القرآن ، ثم يرديني إلي ، فأرجع بالآية قرير العين ملآن اليدين ، ثم يلهمني ما أراد بالآية ، وأتلقى الآية من غير حرف ولا صوت ولا جهة . وقد تلقيت - والمنة لله تعالى - نحو النصف من القرآن بهذا الطريق ، وأرجو من كرم الله تعالى أن لا أموت حتى أستظهر القرآن كله ، فأنا بفضل الله محفوظ الوارد في المصادر والموارد ، ليس للشيطان علي سلطان إذ كلام الله تعالى لا يأتي به شيطان ، ما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون ، وكل آية تكلمت عليها ، إنما تلقيتها بهذا الطريق ، إلا ما ندر...<sup>(4)</sup>

- 
- (1)- الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف ، تحقيق وتقديم ، بكرى علاء الدين ، مصدر سابق ، ج3 ، الموقف 360 ، ص : 217 .  
(2)- المرجع نفسه ، ج1 ، ص : 6 .  
(3)- سورة الأحزاب الآية رقم 21 .  
(4)- الأمير عبد القادر : المواقف الروحية والفيوضات السبوحية ، اعتنى به عاصم ابراهيم الكيالي ، مصدر سابق ، الموقف 1 ، ص : 43 .

### 4- متى بدأ الأمير تأليف كتابه المواقف :

من الباحثين من يذهب الى أن الأمير بدأ تأليف كتابه الشهير بالمواقف في مكة على الأرجح بداية من سنة 1279هـ / 1862م . وتابع كتابته في دمشق حتى أواخر حياته<sup>(1)</sup> ومنهم من يذكر بأن بداية التأليف كانت في دمشق وتحديدًا في سنة 1272هـ - 1856م واستمرت الى سنة وفاته 1300هـ - 1883م . علما أن مضمون وارداته وأفكاره قد عايشها الأمير قبل ذلك في أزمنة وأمكنة مختلفة كما ذكر في مواقف كثيرة من كتابه.<sup>(2)</sup> وكان سبب بداية التدوين أنه لما كان الأمير يلقي درسا في معنى المعية الإلهية طلب منه بعض الخالص من مريديه المداومين على حلقاته أن يدونوا كل ما يقوله في مجالسه<sup>(3)</sup> وهؤلاء هم الشيخ عبد الرزاق البيطار<sup>(4)</sup> لشيخ محمد الخاني<sup>(5)</sup>

(1) - بكري علاء الدين : الأمير عبد القادر الجزائري قارئنا لفصوص الحكم لابن عربي ، مقال في كتاب إلكتروني بعنوان **ABD EL-Ahmed KADER, UN SPIRITUEL DANS LA MODERNITÉ** من تأليف " Ahmed Bouyerdene Éric Geoffroy Setty G. Simon-Khedis " ، مطبوعات المعهد الفرنسي للشرق الأوسط ، 2012 ، ص ص : 223-234 .

(2) - فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا ، مرجع سابق ، ص : 172 .

(3) - الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف ، تحقيق وتقديم بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص : 74 .

(4) - عبد الرزاق البيطار : (1253- 1335هـ ) ، من علماء الشام ، فقيه وأديب ومتصوف ومؤرخ وله علم بالألحان والموسيقى . تعلم على والده ثم شقيقه عبد الغني ولازم دروس محمد الطنطاوي ولد بدمشق اشتهر بكتابه : " حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر " من =ثلاثة أجزاء وفيه من تاريخ الأمير الشيء الكثير من ذلك فتنة دمشق سنة 1860م ودور الأمير فيها . كما ألف أيضا " المنة في العمل بالكتاب والسنة " و " المباحث الغرر في حكم الصور " . وكان صديقا مقربا للأمير وقرأ عليه الفتوحات المكية . توفي بدمشق في 10 ربيع الأول 1335هـ - 1916م ودفن بترية باب الله بالميدان . عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص : 139 .

(5) - محمد الخاني : من فضلاء علماء الشام . ولد بدمشق في شهر رجب سنة 1247هـ . قرأ القرآن وأتمه على يد الشيخين نجم الدين وعلي الجزوري وأحازه في العلم المحدث عبد الرحمان الكزبري وحضر دروس أبيه - محمد بن عبد الله الخاني - في النحو والفقه والحديث والتصوف والتفسير والفرائض وعنه أخذ الطريقة النقشبندية ولما حضر الأمير الى الشام لازم دروسه ملازمة تامة . وهو الذي أمّ صلاة الجنازة على الأمير وكتب له الأمير - قبل وفاته - في يوم 4 ربيع الأول 1296هـ صكا شرعيا يحمل رقم 258 من السجل رقم 756 ، يوصيه فيه بكفالة أولاده بعد وفاته . توفي سنة 1316هـ . عبد الرزاق البيطار : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، تحقيق محمد بحجة البيطار ، ط 2 ، دار صادر للنشر ، بيروت ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ج 2 ، ص : 1216 . وأيضا ، يوسف ابن اسماعيل النبهاني : البشائر الإيمانية في المبشرات المنامية ، اعتنى به بلال بن مصطفى ، د ت ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ص 77 . وكذلك الأمير عبد القادر : كتاب المواقف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، ج 3 ، ص : 163 .

والشيخ محمد الطنطاوي<sup>(1)</sup>

### 5- غاية الأمير من تأليف كتابه المواقف:

يشير الأمير في أكثر من موقف على أن منهجة ومصدر إلهامه في هذا الكتاب هو شيخه الأكبر محي الدين بن العربي الذي كان يجله و صرح بأنه "ختم الوراثة المحمدية"<sup>(2)</sup> و " قال إمام العلمين بالله تعالى ورسله - عليهم الصلاة والسلام - شيخ الشيخ محي الدين الحاتمي. " و " إمام العلماء بالله سيدنا محي الدين " <sup>(3)</sup> و " إمام المكاشفين من الأولياء " <sup>(4)</sup> و " سيد المحققين " <sup>(5)</sup> و " إمام أهل الله " <sup>(6)</sup> ويؤكد على ذلك بأوضح عبارة فيقول : " فإنه خزانتنا التي منها نستفيد ، ما نكتب إما من روحانيته وإما مما كتبه في الكتب " <sup>(7)</sup> ويشهد على هذه الغاية إقتباسات الأمير الكثيرة من أبواب كتاب الفتوحات المكية لابن عربي مثل ما ورد في الباب السادس والسبعين في المقارنة بين النفوس الناطقة والنفوس الحيوانية <sup>(8)</sup> والباب الثالث والعشرين بعد المائة الخامسة في معرفة حال القطب <sup>(9)</sup> والباب السادس والأربعين وثلاثمائة في الحديث الحديث عن تجلي الحق في الثلث الأخير من الليل <sup>(10)</sup> وكذلك فعل الأمير مع كتاب شيخه فصوص الحكم حيث كان يتعقب أبوابه بالشرح والتعلق بقوا الأمير : " قول سيدنا - أي محي الدين بن عربي - (فص

(1)- الشيخ محمد الطنطاوي : ولد بمصر سنة 120هـ . درس بالأزهر الشريف . انتقل الى دمشق وصار من أبرز علمائها و المنشغلين بتدريس علوم الشريعة في مساجدها. وكان من أبرز تلامذته الشيخ أحمد أخو الأمير عبد القادر الذي أخذ عنه النحو والكلام والبيان والمنطق والوضع والأصول. وكان من شيوخ النقشبندية . كلفه الأمير بتعليم أبنائه . توفي سنة 1306هـ . عبد الرزاق البيطار ، ج 3 ، ص : 1284 .

(2)- الأمير عبد القادر : المواقف الروحية و الفيوضات السبّوحية ، اعتنى به عاصم ابراهيم الكيالي ، مصدر سابق ، ج 2 ، الموقف 250 ، ص : 3.

(3)- المرجع نفسه ، ج 1 ، الموقف 242 ، ص : 435 .

(4)- المرجع نفسه ، ج 1 ، الموقف 248 ، ص : 466 .

(5)- المرجع نفسه ، ج 1 ، الموقف 187 ، ص : 334 .

(6)- المرجع نفسه ، ج 1 ، الموقف 248 ، ص : 522 .

(7)- المرجع نفسه ، ج 2 ، الموقف 367 ، ص : 475 .

(8)- المرجع نفسه ، ج 2 ، الموقف 313 ، ص : 218 .

(9)- المرجع نفسه ، ج 2 ، الموقف 308 ، ص : 197 .

(10)- المرجع نفسه ، ج 2 ، الموقف 295 ، ص : 139 .

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

حكمة إلهية في كلمة آدمية) الفص لغة ، كل ملتقى عظمين ، والفص فصل الأمر ، أراد رضي الله عنه بالفص هنا أنه وفي كل حكمة حقها و أعطائها مستحقها . "(1).

### 6- سبب التسمية بالمواقف:

على أن بعض الباحثين يرجع تسمية الكتاب بالمواقف الى أن الأمير أراد أن يتشبهه بغيره من أعلام التصوف الذين ألفوا كتباً بهذا العنوان ومنهم محمد عبد الجبار النفري<sup>(2)</sup> المتوفي سنة 354هـ - 965م في كتابه " المواقف والمخاطبات " وهو عبارة عن سلسلة من الإنكشافات تلقى فيها الخطاب مباشرة من الله من ذلك مثلاً قوله : " قال لي الدنيا لمن صرفته عنها والآخرة لمن أقبلت بها إليه وأقبلت به علي " و ابن قضيبة البان<sup>(3)</sup> عبد القادر بن محمد المتوفي 1040هـ - 1630م صاحب كتاب " المواقف الإلهية على نسق الفتوحات المكية "<sup>(4)</sup> وقد شرحه أحد عمالقة المشرب الأكبر وهو الشاعر العرفاني عفيف الدين التلمساني التلمساني (ت 690هـ)<sup>(5)</sup> و الثالث هو عبد الله البوسناوي (ت 1054هـ ) الذي ألف كتاباً بعنوان " مواقف مواقف الفقراء " وله شرح على فصوص الحكم وشرح التائية الكبرى لابن الفارض (ت 632هـ)<sup>(6)</sup>

(1) - فؤاد صالح السيد ، ص : 175.

(2) - ذكره ابن العربي في الفتوحات فقال فيه : " وقد بين ذلك محمد بن عبد الجبار النفري في كتابه الذي سماه ب- «المواقف والقول» والقول» وفتت على أكثره. وهو كتاب شريف يحوي على علوم آداب المقامات . ابن عربي : الفتوحات المكية ، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1، ص486.

(3) - عبد القادر بن محمد أبي الفيض، المعروف بابن قضيبة البان، ولد في مدينة حماة من بلاد الشام سنة 971هـ، هاجر به أبوه إلى مدينة حلب وتوطن بها إلى سنة ألف هجرية، ثم توطن بمكة إلى حدود سنة اثني عشرة بعد الألف، ومنها إلى القاهرة، وفيها تتلمذه عليه القاضي يحيى بن زكريا وأخذ عنه الطريقة النقشبندية والقادرية والخلوتية. ثم عاد إلى حلب إلى أن مات فيها سنة 1040هـ. من مؤلفاته "الفتوحات المدنية" و"نصح السعادة" و"ناقوس الطبع في أسرار السماع، ورسالة في أسرار الحروف، و " المواقف الإلهية"، وله من الشعر تائية مشى فيها على وتيرة تائية ابن الفارض. انظر ، [فرحان ضيفور جهري](#) : أعلام التصوف ابن قضيبة البان ، موقع مداد . شبكة الإنترنت /midad.com/article/199340 تاريخ الدخول 2019/01/20 م و موسوعة التراجم والأعلام ، ابن قضيبة البان ، ط15 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ج4 ، ص : 44.

(4) - عبد الرزاق بن سبع ، ص : 224.

(5) - الأمير عبد القادر: المواقف ، تحقيق عبد الباقي مفتاح ، مصدر سابق ، ج1 ، ص : 29.

(6) - المرجع نفسه ، ج1 ، ص : 29.

7-مخطوطات المواقف في المكتبات العالمية:

لقد بلغ عدد نسخ مخطوطات المواقف عشرون مخطوطاً<sup>(1)</sup> موزعة على مكتبات عالمية مختلفة. وهو عدد معتبر يفيدنا في مسألة النسبة والإثبات والسند الى مؤلفه . وسنذكر بعضاً منها في جدول ترتبي حتى يسهل مراجعتها والعودة إليها .

أولاً : مخطوطات المواقف في دمشق.

وهي سبع مخطوطات نذكرها في الآتي :

المخطوطة الأولى :

الرقم والمكان	الناسخ والخط	تاريخ النسخ	عدد المجلدات	عدد المجلدات وأرقامها	عدد الأوراق	حجم الورقة	متن البداية <sup>(2)</sup>	متن النهاية
---------------	--------------	-------------	--------------	-----------------------	-------------	------------	----------------------------	-------------

(1) - الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق ، بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، ج1 ، ص : 52.

(2) - نقتصر في متن البداية والنهاية على كلمات قليلة لضيق مساحة الجدول.



## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

آخره : " أو ما يضاهيه ويحاكيه وإلا فإنكار الرؤيا إنكار للضرورة الطبيعية فإن كل إنسان من مؤمن وكافر ومطيع وعاصي جده من نفسه ..."	أوله: " الحمد لله حمدا يوازي نعمه ويكافئ مزيده اللهم صل وسلم على رحمة العالمين ...هذه نفثات روحية وإلقاءات سبوحية بعلوم وهبية وأسرار غيبية ."	6.33	250	الأول	3		الخط نسخي جميل الحبر أسود معنونة بالأحمر .	النسخة المخطوطة الأولى (1) المكتبة الظاهرية بدمشق
متن النهاية	متن البداية	حجم الورقة	عدد الأوراق	رقم المجلد	عدد المجلدات	أرنج النسخ	النسخ والخط	الرقم والمكان
مثل الأولى	مثل الأولى		263	الأول 9266			الخط نسخي	النسخة المخطوطة الثانية (4)

(1)- الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق ، بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، ج1 ، ص : 55.

(2)- مش معناها الهامش

(3)- س معناها عدد الأسطر.

(4)- الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، ج1 ، ص : 56.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

المكتبة الظاهرية بدمشق	فارسي ، الحبر أسود وبعض كلماته فارسية	الثاني 9267	193	" ظاهر الحكم والحكمة هنا هو ألا يطلب أحد من الخلفاء لكاملين بعد داوود عليه السلام ". " إذا ما أذعنت للنفس..."				
		الثالث 9268	217 22 على 16 سم س 25 مش 4.5					
المخطوطة الثالثة								
الرقم و المكان	الناسخ والخط	تاريخ النسخ	عدد المجلدات	رقم المجلد	عدد لأوراق	حجم الورقة	متن البداية	متن النهاية
النسخة المخطوطة الثالثة <sup>(1)</sup> المكتبة الظاهرية دمشق	يحيى بن محمد الزناتي الخط نسخي جميل الحبر أسود وبعض الكلمات مجدولة بالأحمر	؟	3	الأول	266	س 23 ، 26 على	كالسابقة	
				الثاني	215	كلمات السطر 11.		
				الثالث	207	هامش 6.5 سم.		
المخطوطة الرابعة								
الرقم و المكان	الناسخ والخط	تاريخ النسخ	عدد المجلدات	رقم المجلد	عدد لأوراق	حجم الورقة	متن البداية	متن النهاية

(1)- المرجع نفسه ، ص : 56.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

آخرها الموقف السابع والأربعون ومائتان "....وبعد كتابتي لهذا الموقف بقليل ورد علي في الواقعة قوله : وجوه يومئذ ناعمة "	كالسابقة	س. 23 ، 21.5 على 14.5 سم كلمات السطر 10 هـ . 3 سم .	426	5323	01 الجزء الأول فقط .	الجمعة 4 ذي الحجة 1308	محمد سعيد الحلاق جمال الدين لقاسمي فارسي جميل الحبر أسود كلماته بالأحمر	المكتبة الظاهرية دمشق النسخة المخطوطة الرابعة (1)
---	----------	--	-----	------	----------------------	------------------------	---	--

### المخطوطة الخامسة والسادسة

الرقم والمكان.	الناسخ والخط	تاريخ النسخ	عدد لمجلدات	رقم المجلد	عدد لأوراق	حجم الورقة	متن البداية	متن النهاية
المخطوطة الخامسة (2)	النسخة أسود وبعض كلماته	الخط نسخ معناد يخطوط مختلفة. الحبر	الجمعة 4 ذي الحجة 1308 هـ	01.	11424	191	أوله الموقف العشرون وثلاثمائة قال الله تعالى : فإذا برق البصر "	كالأولي.

المخطوطة السادسة (3) المكتبة الظاهرية دمشق	الخط نسخ معناد. الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر	الجمعة 4 ذي الحجة 1308 هـ	قطعة من الجزء الثالث فقط .	6995	100	س. 27 - 23.5 على 16.5 سم كلمات. س. -14 مش 5.5 سم	أوله كالسابقة	آخره مخروم وينتهي بالموقف الثامن والستين وثلاثمائة : سألني بعض الإخوان توضيح رسالة الغيب للعارف الشيخ صدر الدين القونوي ربيب الشيخ الأكبر رضي الله عنهما- ملاحظة : كتب على الورقة الأولى أنه كتب بحياة المؤلف.
---	--	---------------------------	----------------------------	------	-----	---	------------------	--

المخطوطة السابعة (4) من مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق :

لم أخصصها بجدول لقلة المعلومات الواردة حولها والتي تتمثل في ما يلي :

- (1)- الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق ، بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص : 57 .
- (2)- المرجع نفسه ، ص : 57 .
- (3)- المرجع نفسه ، ص : 57 وما بعدها .
- (4)- المرجع نفسه : ص : 58

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

الرقم العام 11424 ، وتشتمل على الجزء الثالث والأخير فقط ، ميكروفيلم 3528 ، عدد اللقطات 193 ، خط نسخي مختلف ، فيها ترقيمان : بالأوراق 191 ورقة وبالصفحات 382 صفحة .  
21 سطر ، قياس 25.5 على 17 سم .

ثانيا : مخطوطا انجلترا :

المخطوط الأول

رقم المجلد	عدد لمجلدات	تاريخ النسخ	الناسخ والخط	الرقم والمكان
رقمها (480) : 1950-1948 913 .	جزء واحد فقط وهو الأول	21 محرم 1301 هـ ويفيد هذا أن النسخ تم بعد وفاة الأمير بسته أشهر .	بكري بن عبد الغني المشهور بالبغال <sup>(2)</sup> .	<b>Library</b> <b>Selly Oak</b> <b>Colleges</b> مدينة بير منغهام-انجلترا- <sup>(1)</sup> <sup>(1)</sup>

المخطوط الثاني :

- (1)- توجد منه نسخة محفوظة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق. المرجع نفسه ، ص : 58 .  
(2)- البغال : ولد بالشام 1250 هـ حفظ القرآن الكريم وجوده . درس على الشيخ قاسم الشهير بالحلاق الشيخ محمد بن عبد الله الخاني الخاني . أخذ الطريقة الخلوتية على الشيخ المهدي ، وكان ملازما للشيخ محمد الطنطاوي بحضور الشيخ عبد الرزاق البيطار وهذان من أخص أقرباء الأمير في المحالسة والصحبة . توفي سنة 1311 هـ ودفن في تربة باب الصغير بأرض الشام . عبد الرزاق البيطار : ، ج 1 ، ص : 377 .

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

الرقم والمكان	الناسخ والنخط	تاريخ النسخ	عدد لمجلدات	رقم المجلد	بداية ونهاية المتن والأوراق والحجم
Library Selly Oak Colleges مدينة بير منغهام-انجلترا- المنشور سنة 1950-1948م. ويوجد منهما صورة بالميكروفيش في مكتبة الأسد الوطنية. (1)	مجهول	21 محرم 1301هـ ويفيد هذا أن النسخ تم بعد وفاة الأمير بستة أشهر.	جزآن	رقمهما (339,940) و (915,914)	الجزء 1 : يبدأ بفهرس المواقف 14 ورقة غير مرقمة ، بقية النص يقع في 156 ق. 27 س ، 9.5 على 15 سم. الجزأ 2 : فهرس 6 أوراق بدون رقم ثم النص في 140 ورقة ، نفس مقاس الجزء الأول.

### ثالثا :مخطوطات تركيا : وهي ثلاث مجموعات

الرقم والمكان	الناسخ والنخط	تاريخ النسخ	عدد لمجلدات	رقم المجلد وعدد الأوراق	بداية ونهاية المتن
الأولى : مجموعة حاجي محمود أفندي - المكتبة السلمانية - اسطنبول تركيا (2)	أحمد صدقي	الأول: محرم 1318هـ 17 نيسان ؟ ( لم تذكر السنة الميلادية ) الثالث : 11 ذو القعدة 1318هـ.	3	لأول والثاني والثالث برقم واحد وهو 2269. الأول : 501 ورقة (15س*8 كلمات ) الثاني : 477 ورقة (15س*8) الثالث : 390 (15*8)	الجزء 1 : البداية : " هذا كتاب المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف أي المواقف الروحية والإلقاءات السبوحية لمولانا عبد القادر بن محي الدين الجزائري."

(1)- الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص : 92.

(2)- المرجع نفسه ، ص : 59.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

الرقم والمكان	الناسخ والخط	تاريخ النسخ	عدد لمجلدات	رقم المجلد وعدد الأوراق	من المتن
الثانية : مجموعة إزميرلي إسماعيل حقي.المكتبة السلامية تركيا- (1)	المجلد الأول :نسخه محمد أديب السوقية ، ونسخ ابناه :حميل الثاني و محمد توفيق الثالث ، العناوين بالحمرة	الأول : ختم سوقية زاده في رمضان المبارك سنة 1350هـ- (2) الثالث : فيه توقيع محمد توفيق السوقية بن محمد أديب السوقية الدمشقي في 16 شعبان 1317هـ .	3	رقم الأول : 3780 عدد أوراقه 240.رقم الثاني : 3781.أوراقه 180 .ورقم الثالث : 3782.أوراقه 175 . (21س*14 كلمة ) لكل الأجزاء .	ورد في المجلد 3 في صفحة 346 و 347 ترجمة عن الأمير كتبها محمد الخاني جاء فيها : " يقول العبد محمد بن محمد بن عبد الله بن مصطفى الخاني الخالدي ...قد تشرفت ولله الحمد بصحبة وخدمة صاحب هذه المواقف فوجدت ما كتبه في كتابه مع بعض فوائد أخرى ومبشرات له من جملتها بعض ما قيدهت هنا ... " (3)

المجموعة الثالثة : مجموعة إسماعيل صائب بأنقرة.

لا نذكرها في جدول لقلة المعلومات حولها . وهي قطعة من مخطوط المواقف الموجودة في أنقرة وهي

عبارة عن الموقف 366 الذي هو عبارة عن شرح الأمير لمقدمة الفتوحات المكية لشيخه ابن عربي . (4)

(1)- المرجع نفسه ، ص 59 وما بعدها . وقد وفقني الله لزيارة المكتبة السلمانية بإسطنبول في إطار منحة علمية في السنة الدراسية 2017-2018م وقمت بنقل صفحات من أجزاء هذا المخطوط على شريط مخطوط- تم ذلك بالتنسيق مع إدارة المكتبة .

(2)- من الممكن أن يكون وضع الختم في هذا التاريخ متأخر عن الوقت الحقيقي للنسخ لأنه يلاحظ أن تاريخ نسخ الأب ورد متأخرا عن عن نسخ الإبن .

(3)- لقد وردت هذه الترجمة في هذا الموضوع في نهاية الموقف رقم 372 كما وردت أيضا في مخطوطتي الجزائر - اللتان سنذكرهما لاحقا - ولكن في نهاية الموقف 336. من المفيد أن نعلم أنه يوجد تشابه كبير بين نسخة المجلد الثالث ونسخة محمد الخاني التي اصطحبها ابنه عبد المجيد الخاني الى استنبول سنة 1317هـ - وذلك بعد وفاة ابيه الناسخ سنة 1316هـ- حيث تم نسخها من قبل محمد أديب السوقية وولديه محمد جميل ومحمد توفيق كما مر معنا . ثم عاد عبد المجيد بنسخة والده الى دمشق ووفاه الأجل سنة 1319هـ . ويشاء القدر أن تنتشر هذه النسخة ويتملكها حفيد الأمير زين العابدين ابن محمد وذلك بدليل ختم حفيد الأمير عليها الموثق بتاريخ سنة 1321هـ. انظر الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق بكري علاء الدين ، ، مصدر سابق ، ج 1، ص : 61.

(4)- المرجع نفسه، ص : 61.

الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

رابعا: مخطوطا المغرب :

المخطوط الأول :

ملاحظة	رقم المجلد وعدد الأوراق	عدد لمجلدات	تاريخ النسخ	الناسخ والخط	الرقم والمكان
استغرق نسخ الكتاب بأجزائه الثلاثة عشر سنوات .	رقم 57/جك .س : 21 مقاس: 5.19*5.26 وهو نفسه للأجزاء الثلاثة أما الأوراق ج 1 فيه 499 وج 2 : 483 وج 3 : 616.	3	ج 1 : 1331 هـ وج 2 : 1328 هـ وج 3 : 1338 هـ بالمكتبة الظاهرية بدمشق لكل الأجزاء.	محمد صادق المالح كما ورد اسم محمد صادق فهمي في الأجزاء الثلاثة .	الأولى : نسخة المواقف في الخزانة العامة بالرباط توجد نسخة ورقية في مركز جمعة الماجد - دبي - الإمارات العربية المتحدة (1)_

(1)- الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق بكري أمين ، مصدر سابق ، ص : 61.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

### المخطوط الثاني :

ملاحظة	رقم المجلد وعدد الأوراق	عدد لمجلدات	تاريخ النسخ	الناسخ والخط	الرقم والمكان
ملاحظة تحتوي على 52 موقفا من أصل 247. كتب الناسخ على الصفحة الأولى اسم نبيهة هانم حرم محمود باشا الأرنأؤوطي لأنها هي التي طبعت طبعة القاهرة على نفقتها ووزعتها مجانا. <sup>(1)</sup>	قطعة من الجزء الأول رقمها د 2321. أوراقها مرقمة كالتالي : (ق1- ق3 أ)	1	؟	الناسخ مجهول. كُتبت بقلم مغربي متأخر. منسوخة عن الطبعة الأولى للمواقف في القاهرة سنة 1344هـ - 1926م.	الثانية: قطعة من مخطوط - المكتبة الوطنية بالرباط - المملكة المغربية - القاهرة سنة 1344هـ - 1926م.

(1)- المرجع نفسه، ص: 62 وما بعدها.



## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

خامسا :مخطوطا الجزائر :

المخطوط الأول :

الرقم والمكان	الناسخ والخط	تاريخ النسخ	عدد المجلدات	رقم المجلد وعدد الأوراق	المتن
الأول : مخطوط المكتبة الوطنية بالجزائر وقد تم تصويره عن الأصل في دار " موفم للنشر " سنة 1966 <sup>(1)</sup> 1966 <sup>(1)</sup>	ج1: ناسخين أحدهما عبد الرزاق البيطار ،الخط سخي.	يتبين من خلال بعض حواشي الجزء 3 أن هذا المخطوط كتب في حياة الأمير وأنه توقف فور وفاته .	3	ج 1 : 2593 ، ق 169 ، 25س * 14 كلمة - ج 2 : 2594 ، ق 185 ، ج 3 : 2595 ، ق 130 ، ج 25*14كلم	ج 2 يبدأ بالموقف 248 الذي عنوانه الأمير ب " بغية الطالب " وينتهي بالموقف 319. ..... ج 3 ينتهي بالموقف 368. ويستفاد من بعض حواشيه في أوراق 101ب ، 102أ ، 130أ أنه منقول عن نسخة الأمير التي بخطه . ملاحظة : الأجزاء الثلاثة تحمل توقيعاً -في نفس المكان وفي الهامش - يحمل اسم مكي بن زهار قد يكون مالك المخطوط كما يحتمل أن يكون من عائلة الأمير . في آخر الموقف 363 من ج 3 توجد ترجمة للأمير - كما هو الحال في مخطوط متحف الجيش بالجزائر - <sup>(2)</sup> . توجد في هذا المخطوط حواشي بخط محمد الخاني <sup>(3)</sup> من ذلك الهامش الأيمن للصفحة 121 من ج 1 .

(1)-الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق بكري أمين ، مصدر سابق ، ج 1 ص 80 وما بعدها.

(2)- وجود ترجمة الأمير في بعض مواقف الكتاب دليل قوي في مسألة النزاع حول نسبة كتاب المواقف للأمير عبد القادر.

(3)- محمد الخاني هو من أقرب أصدقاء الأمير وهو ناسخ مخطوط متحف الجيش الجزائري . والملفت للنظر أن نفس التصحيحات - في الخط والمضمون - من الجزء الثالث في المخطوطين بالجزائر : مخطوط المكتبة الوطنية ومخطوط متحف الجيش مع وجود خط عبد الرزاق البيطار مما يؤكد أن عملية التنقيح والمراجعة في نسخ هذين المخطوطين قد تمتا في حياة الأمير و بعد وفاته بقليل.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

### المخطوط الثاني :

الرقم والمكان	لناسخ والخط	تاريخ النسخ	عدد لمجلدات	رقم المجلد وعدد الأوراق	المتن
الثاني : مخطوط المتحف المركزي للجيش بعاصمة الجزائر، أهدته الأميرة أمل <sup>(1)</sup> مع <sup>(1)</sup> مع مجموعة من الوثائق الأخرى الى الحكومة الجزائرية عن طريق سفارة دمشق.	محمد الخاني صديق الأمير عبد القادر محمد الخاني بعد وفاة الأمير. <sup>(2)</sup>	في حياة الأمير وقبل وفاته سنة 1300هـ - ماعدنا المواقف الأربعة الأخيرة في الجزء 3 فقد أضافها محمد الخاني بعد وفاة الأمير. <sup>(2)</sup>		ج 1 : ق 303 ، 28س * 15كلمة ، قياسه 17.5على 24.3سم ج 2 : ق 265 ، 27س * 15 كلمة ، قياسه 17.5 على 24.3سم ج 3 : ق 253 ، 27س * 15 كلمة قياسه : 29.31 على 20.7.	ج 1 : عدد المواقف : 1-248. ج 2 : عدد المواقف : 248-319. ج 3 : تزيد عدد مواقفه على نسخة المكتبة الوطنية بأربعة مواقف حيث تصل الى 372موقفا <sup>(3)</sup> وهذه الأربعة أضافها محمد الخاني من كناشة <sup>(4)</sup> الأمير وهي موجودة في طبعة القاهرة <sup>(5)</sup>

- (1)- الأميرة أمل ابنة أحمد المختار ابن الأمير زين العابدين ابن الأمير محمد ابن عبد القادر صاحب المواقف. وقد توفيت يوم الجمعة 18 محرم 1424هـ / 21 مارس 2003م . المرجع نفسه ص : 83. وفي هذا العدد من الأبناء والأحفاد الذين لا ينكرون كتاب المواقف لجدهم دليل قوي في إثبات النسبة .
- (2)- الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق بكري أمين ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص : 84.
- (3)- المرجع نفسه ص " : 83.
- (4)- كناشة الأمير معناها دفتر مسوداته الذي يحتفظ به الأمير لنفسه.
- (5)- الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق بكري أمين ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص : 81.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

سادسا :مخطوطا باريس :

المخطوط الأول :

الرقم والمكان	الناسخ والخط	تاريخ النسخ	عدد المجلدات	رقم المجلد وعدد الأوراق	المتن
الأول : مخطوط موجود بالزاوية العلوية بباريس كان قد أهدها ورثة الأمير الى شيخ الزاوية خالد بن تونس <sup>(1)</sup>	يحيى بن محمد الزناتي الجزائري وتحوي نصوص علماء المشرب الأكبري ( ابن عربي ، الجيلي ، القونوي ، النابلسي ) وقد كتبت بالأحمر	بين سنتي 1315 و 1316 هـ بدمشق.	3	ج 1: 1528- ق 507 ، ج 2: 1529 - ق 461 ، ج 3: 1530-ق 397./ في كل المخطوط : 23س* 12كلمة./	نهاية الموقف 363 : " وهذا معنى دقيق...والله يختص برحمته من يشاء." في ص 376 وقبل بداية الموقف 371 نقرأ : " وهنا مسألان قد أجاب عنهما الأمير ، اساحسن بعض أصحابه ( المقصوده محمد بن محمد الخاني ) إلحاقهما بالمواقف "

المخطوط الثاني :

الرقم والمكان	الناسخ والخط	تاريخ النسخ	عدد لمجلدات	رقم المجلد وعدد الأوراق	المتن
الثاني : مخطوط موجود أيضا بالزاوية العلوية بباريس. <sup>(2)</sup>	خط مغربي أصيل.	قبل وفاة الأمير بأربع سنوات .وهو 10 صفر 1296 هـ - 2 فيفري 1879 م	1	ج 2 وبداية ج 3 فقط ضمن مجلد واحد./ يبدأ بالورقة 282 ب وينتهي بالورقة 602 أ ، 21س* 8 كلمات .	ينتهي هذا المخطوط بالموقف 330 في تاريخ النسخ الذي ذكرناه ( صفر 1296 هـ ) ولكن النسخة الأصلية تحوي 368 موقفا مذيلة بأربعة مواقف التي أضافها محمد الخاني كما مر معنا . ومعنى ذلك أن السؤال والمناظرة استمرت في حلقة الأمير مدة 4 سنوات أخرى أنتجت 38 موقفا وأن النسخ لم يتوقف في التاريخ الأول المذكور في هذا المخطوط.

(1)- الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق بكري أمين ، المصدر نفسه ، ص : 63 وما بعدها.

(2)- المرجع نفسه ، ، ص : 64 وما بعدها.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

سابعا : مخطوط عبد الرزاق البيطار : ستأتي الإشارة إليه في عنصر طبعات المواقف.

ثامنا : مخطوطات المواقف المفردة :

وهي التي تحوي عددا قليلا من المواقف ومنها :

المخطوط الأول :

الرقم والمكان	الناسخ والخط	تاريخ النسخ	عدد لمجلدات	رقم المجلد وعدد الأوراق	المتن
الأول : مخطوط الموقف 290 محفوظ في المكتبة الظاهرية بدمشق .	الأولى : بخط صديق الأمير الطنبدتائي ( الطنطاوي ) الثانية : بخط محمد بن عبد القادر المجدوب	الأولى 1281هـ الثانية 1312هـ	نسختان	الأولى : 4820 - ق 65 - 65ب. الثانية مجموع 245 - ق 54 - 55ب.	

المخطوط الثاني

الرقم والمكان	الناسخ والخط	تاريخ النسخ	عدد لمجلدات	رقم المجلد وعدد الأوراق	المتن
الثاني : مخطوط الموقف 291 نسخة بالمكتبة الوطنية بالرباط - المغرب - وأخرى بالمكتبة الظاهرية بدمشق <sup>(1)</sup>	الأولى : عبد الرزاق البيطار صديق الأمير عبد القادر . الثانية : محمد بن عبد القادر المجدوب	الأولى والثانية : 5 جمادى 2 سنة 1283هـ	1	الأولى : 277/ك ، ص 108-103. الثانية : مجموع رقم : 245	

(1)-الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق بكري أمين ، مصدر سابق ، ج1، ص 67 و ما بعدها.

المخطوط الثالث: في تحفة الزائر للأمير محمد : الموقفان 369 و 372

كما تجدر الإشارة إلى أنه توجد بعض الكتب نقلت مواقف قليلة في طياتها من ذلك ما كتبه الأمير محمد الإبن الأكبر لعبد القادر في كتابه " تحفة الزائر " حيث أورد موقفان هما الموقف 369 والموقف 372. (1)

المخطوط الرابع : في الحدائق الوردية للخاني : الموقف 365 .

وكذلك فعل عبد المجيد الخاني<sup>(2)</sup> في كتابه الحدائق الوردية لما ترجم لأبيه محمد الخاني الذي هو من أعز أصدقاء الأمير - كما مر معنا- حيث ذكر صاحب الحدائق ترجمة للأمير نوه فيها بكتاب المواقف فقال : " فمن أعظم آثاره الدالة على جلالته مقداره كتاب " المواقف العرفانية " الجدير بأن يكتب بالنور على نحور الحور وهو كتاب جليل من توفيقاته توفيقاته الإلاهية وواردات مشاهداته الربانية وتفسير الآيات الكريمة والأحاديث النبوية (... ) وقد ديل الوالد بعد وفاته - أي الأمير - الجزء الثالث بما وجدته في كناشه بخطه من مبشرات وإلقاءات روحية عالية المنزغ غالبية المطلع . وها أنا أثبت ههنا من كلامه قدس الله سره ما تطبق وما لا تطبق عنه حوصله الدرّة مما ثبت علو مقاماته . قال نفعنا الله ببركاته في بيان الروح . الموقف الخامس و الستون وثلاثمائة ... " (3)

## 8-طبعت المواقف.

### أ-طبعة القاهرة :

حسب رأي علاء الدين بكري فإن تاريخ هذه الطبعة هو يوم الأحد 15 شعبان 1344هـ - 28 فبراير 1926م . وهو مخالف للتاريخ الشائع عند الباحثين وأول من أشاعه المحامي ممدوح حقي حين نشر الطبعة الثانية في دمشق سنة 1966م وذكر في الصفحة الثانية من الجزء الأول منها أن طبعة القاهرة الأولى كانت في

(1)- الأمير محمد ، ج2 ، ص 306.

(2)- عبد المجيد بن محمد الخاني (1263-1318هـ / 1847-1900م ) ، ولد بدمشق ونشأ بها . من أتباع المشرب الصوفي النقشبندي . كان فقيها على المذهب الشافعي له باع في الأدب والشعر والتاريخ ، من كتبه : الحدائق الوردية في أجلاء النقشبندية وبه اشتهر وسبع مقامات و" وجه الحل من جهد المقل " و ديوان شعر " . رحل الى القسطنطينية وتوفي بها . عمر رضا كحالة ، جزء6 ، ص : 170 . وخير الدين الزركلي : الأعلام قاموس تراجم ، ط15 ، دار العلم للملايين ، 2002م ، ج4 ، ص : 294.

(3)- عبد المجيد بن محمد الخاني ، ص : 371.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

سنة 1911م. وقد ذكر صاحب مطبعة الشباب السيد محمد عبد العزيز الصدر أن هذا الكتاب طبع تحقيقا لوصية محمد باشا الأرنؤوطي حيث قامت زوجته من بعده نبهة هاتم - شقيقة فؤاد وعزت من آل عزت باشا- بطبعه وتوزيعه مجانا على أهل العلم. وقد ورد في بداية الجزء الثالث من هذه الطبعة - ص 28- ما نصه : " وتم طبع هذا الكتاب بمعونته تعالى في يوم الأحد 15 شعبان سنة 1344هـ ( 1926 / 2/29 م ) والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين " (1)

### ب - طبعة دمشق :

وهي من تحقيق ممدوح حقي الذي أورد أنهذه الطبعة مبوبة على ترتيب النسخة الأصلية المكتوبة بخط مؤلفها الأمير عبد القادر وقد قوبلت على نسختين الأولى لعالم الشام جمال الدين القاسمي المحفوظة بدار الكتب الظاهرية بدمشق والثاني هي نسخة عبد الرزاق البيطار التي يوجد على هوامشها تقييدات كثيرة بخط الأمير عبد القادر . وحسب المحقق دائما فإن دار اليقظة العربية قامت من خلال من انتخبتهم بمراجعة وتنقيح هذه الطبعة ولكن المحقق بكري علاء الدين قدم نقدا لمحققها وأشار بأن هذه الطبعة ليست سوى تكرار حرفي لما جاء في الطبعة الأولى (2) ولكن الملفت للإنتباه أن الناقد لم يفصل في هذا الشأن كأن قدم أمثلة وهل نقده موجه للمحقق في المنهج أم هو متعلق بكل الطبعة فعندئذ قد يشمل بالأولى هيئة دار اليقظة العربية التي أشرفت على هذه الطبعة كما سبقت الإشارة الى ذلك.(3)

### ج- طبعات الجزائر :

وقد جرى تصوير مخطوط المكتبة الوطنية في عاصمة الجزائر وتمت طباعته بالأوفست نقلا عن هذه المخطوطة وصدرت مصورة في دار موفم للنشر سنة 1996م. وقد طبع الأستاذ عبد الباقي مفتاح كتاب

(1)- الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص : 69.

(2)- المرجع نفسه ، ص : 70.

(3)- المرجع نفسه ، ص : 70.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

المواقف مرتان : الأولى في جزأين وذلك سنة 2005م والثانية في ثلاثة أجزاء سنة 2007م. وقد قوبلت هذه الأخيرة مع المخطوط السابق وبذل فيها جهدا معتبرا. (1)

د- طبعة بيروت : وقد طبعتها دار الكتب العلمية في جزأين سنة 2005م . وقد اعتنى بهذه الطبعة وتحقيقها ابراهيم الكيالي الذي قام في نفس السنة بطبع الموقف 248 الذي كان الأمير عبد القادر نفسه يرغب في تأليفه منفردا على بقية المواقف. وذلك في قوله في نهاية الموقف : " ومن شاء فليجعل هذا الموقف رسالة مستقلة يسميها بغية الطالب على ترتيب التحلي بكليات المراتب . " (2).

وأظن أن ما قدمناه في هذا المطلب قد حقق قدرا كافيا في التعريف بكتاب المواقف للأمير ويبين دائرة انتشاره العالمية التي قد يجهلها الكثير من غير المنشغل بالبحث الأكاديمي المتعمق . ومضيا في هذه الغاية سنتعرض في المطلب الموالي الى ما أثارته الأميرة بديعة الحسيني في دعواها التي مفادها عدم صحة نسبة كتاب المواقف للأمير عبد القادر .

### المطلب الثاني : الأميرة بديعة الحسيني ونفي نسبة كتاب المواقف للأمير.

#### أ- التعريف بالأميرة بديعة الحسيني : (3)

في مستهل العقد الثالث من القرن العشرين ولدت الأميرة " بديعة " حفيدة الأمير عبد القادر في مدينة تطوان المغربية . أبوها هو الأمير مصطفى بن محي الدين بن الأمير عبد القادر وأمها هي الأميرة شفيقة بنت الأمير عبد المالك بن الأمير عبد القادر . وهي أرملة العميد المرحوم عدنان محمد راغب العجلاني . انتقلت مع عائلتها الى دمشق و بها درست في دار اللغات المرخصة من جامعة كمبريدج

(1)- المرجع نفسه ، ص : 70.

(2)- الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف ، تحقيق بكرى علاء الدين ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص : 71.

(3)- الأميرة بديعة الحسيني : فكر الأمير عبد القادر الجزائري حقائق ووثائق ، ط 1 ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، دمشق ، 2000م ، ص : 355 . وكذلك قاصري محمد السعيد : الأمير عبد المالك الجزائري و ثورته في المغرب الأقصى 1868-1924م ، طبع ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، السداسي الأول 2017 ، ص : 11

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

بانكلترا. وفي معهد دوحة الأدب الذي تشاء الأقدار أن يكون من تأسيس الأميرة " عديلة " حفيدة الأمير عبد القادر .

كان لها الفضل في تأسيس كثير من الجمعيات النسائية منها المبيرة ، والرعاية ، وجمعية مكافحة الأمية للسيدات .

ومن عقب روح جدها الجهادي أخذت ، فكانت قائدة لوحدة فدائية ضد العدوان الثلاثي الذي وقع على مصر سنة 1956م. رشحت من قبل أنصار الوحدة القومية سنة 1956م لمجلس الأمة ( الإتحاد القومي)

تعتبر ناقدة في مجالي الأدب والتاريخ من خلال قلمها الحاضر في مجلات دمشقية وعربية كثيرة، مثل جريدة الشعب الجزائرية التي نشرت لها مقالا بعنوان " أعلام وطنية " في سنة 1994م ، ، الثورة السورية التي كتبت فيها مقالا بعنوان " اللغة العربية التي يراد استبدال العامية بها " في العدد 9596 الصادر في 20 رجب 1415هـ ومقالات أخرى من ثلاثة أقسام بمناسبة الأيام الثقافية الجزائرية سنة 1995م في العدد رقم 9675 تحت عنوان " صفحات من التاريخ المشترك " .و في مجلة الشرق الأوسط ( جريدة العرب الدولية ) العدد 6012 بتاريخ 1995/5/15 كتبت مقالا بعنوان " الأمير عبد القادر لم يكن ماسونيا. " كما كان لها كتابات في مجلات الشرق الأوسط ، الحياة والرئيس .

تحمل بطاقة اشتراك في مركز المعلومات القومي في دمشق منذ عام 1998م .ولها بطاقة عضوية في اتحاد المؤرخين الجزائريين برقم 16410 أ.م .ج. وهي رئيسة شرفية في مؤسسة الأمير عبد القادر في الجزائر.

شاركت في مؤتمرات دولية عديدة منها ندوة الحوار الإسلامي المسيحي التي انعقدت في طرابلس الغرب. وكان لها رأي مميز نشر في الصفحة الرابعة من مجلة الحوار في العدد 12 بتاريخ 12/7/1976م والملتقى العالمي الذي نظمته جامعة الجزائر ومؤسسة الأمير في 23 نوفمبر 1997م وكان عنوانه " العلاقات الخارجية لدولة الأمير عبد القادر".

تحمل الجنسيتين السورية والجزائرية .سخرت قلمها لتصحيح ورد شبهات حامت حول تاريخ وفكر جدها عبد القادر الجزائري.



ب- من تأليفها :

- ناصر الدين الأمير عبد القادر بن محي الدين في حقبة من تاريخ الجزائر، طبعة ثانية منقحة ومزودة ، دار سلام ، دمشق 1993 م .
- الجذور الخضراء ، دار سلام ، دمشق 1994 م .
- الأسس الاقتصادية في الإسلام ، ردود على مغالطات تاريخية ، دار الفكر ، دمشق 1993 م
- أصحاب الميمنة ، دار سلام ، دمشق ، 1997 م .
- فكر الأمير عبد القادر حقائق ووثائق ، دار الفكر ، دمشق 2000 م ، الأمير عبد القادر حياته وفكره وما بدلوا تبديلا ، دار الوعي روية الجزائر 2012 م .
- طائر في سماء المجد الأمير عز الدين الحسيني الجزائري ، دمشق 1997 م ، سيرة ذاتية بعنوان " قطوف باسقة " (1).

ج- استقالة الأميرة بديعة الحسيني من مؤسسة الأمير عبد القادر بالجزائر :

ومن مقتطف تسجيل صوتي سئلت فيه الأميرة بديعة عن سبب استقالتها من مؤسسة الأمير عبد القادر بالجزائر ، فأجابت بما نصه :

" أنا انتسبت لمؤسسة الأمير عبد القادر لكي يتكلموا عن تاريخه المشرف لكن لاحظت أنهم خرجوا عن الذي وعدونا به- بالعكس - أقاموا منتديات دولية واشتركت فيها وزارة الثقافة وأنا دُعيت الى إلقاء محاضرة فيها كما أُلقيت محاضرات أخرى لم تحك الحقيقة بل محاضرتي الوحيدة هي التي ذكرت الحقيقة أما البقية فقد قدم فيها الأمير على غير صورته الحقيقية - الصورة التي ترضي فرنسا - وفرنسا هدفها الإنتقام من الأمير عبد القادر، لأنه حاربها و أهانها ومدة ستة عشر سنة لا يمكن أن تنسى ، ولم يكن يوما - أي الأمير - صديقا لفرنسا ولأنه ما تحررت الجزائر ب.....- كلمة غير واضحة - : بنيابو بمعنى نوابه أو بغياؤه -والأمير عبد القادر كما أكد كثير من المؤرخين أنه لما استقر في إقامته في سوريا - بعد فترة سجنه في فرنسا- كان يساعد المقاومة في الجزائر وعلى

(1)-قاصري محمد السعيد ، ص : 11

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

اتصال معها ويقدم لها العون المادي والفكري . وهذا الذي أريد من مؤسسة الأمير أن تذكره وتنشره حول عبد القادر المسلم ودولته الإسلامية. ولذلك أنسحبت منها لأني وجدتها لا تستخدم الفكر والعنوان الذي تحمله ...." (1)

### د- الأميرة بديعة الحسيني تنفي نسبة كتاب المواقف للأمير عبد القادر :

لقد أثارت الأميرة بديعة الحسيني في كتابها المذكور آنفا والذي يحمل عنوان " فكر الأمير عبد القادر الجزائري ، حقائق ووثائق " (2) جملة من القضايا لها علاقة بحياة الأمير خاصة في جانبها الفكري والتاريخي والتي من بينها نفي أن يكون كتاب المواقف من تأليف الأمير عبد القادر . ولقد استهلت كتابها الآنف الذكر وفي صفحته الثانية وضعت عنوانا فرعيا آخر للعنوان الأول وصاغته كالآتي " فكر الأمير عبد القادر الجزائري ، وكتابه وشاح الكتائب ، والمقراض الحاد ، وأما كتاب المواقف فنسبته إليه غير صحيحة " (3) ولعله من غير المحبذ أن تقرر الأحكام في مسائل البحث الأكاديمي في عنوان الكتاب بل الواجب إرجاء ذلك بعد الدراسة المعمقة وتسجيله في الخاتمة.

### 1د : وصف نسخة كتاب المواقف التي أقامت عليها الأميرة دراستها النقدية(4):

-تحتوي هذه النسخة 1064 صفحة من الحجم المتوسط ، عدد الأجزاء ثلاثة ، الغلاف كرتون عادي لا كتابة عليه.

-في الصفحة رقم 1 : اسم الكتاب المواقف وتحت عبارة : " للسيد عبد القادر الجزائري رضي الله عنه " وتحتها بعض أبيات شعرية للإمام الخليل أحمد الفراهيدي.

(1)- من تسجيل صوتي - يتوب - للأميرة بديعة أضيف على شبكة الأنترنت كما هو مثبت أسفل الفيديو بتاريخ 16 أبريل 2010م من طرف فريق الجلفة أنفو .شبكة الإنترنت موقع : [https://www.youtube.com/watch?v=JRl8\\_ZW8eCU](https://www.youtube.com/watch?v=JRl8_ZW8eCU) بتاريخ 2019/03/05م

(2)- الأميرة بديعة الحسيني : فكر الأمير عبد القادر الجزائري حقائق ووثائق ، ط 1 ، ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، دمشق ، 1421هـ - 2000م .

(3) - ولقد صرح علي محمد محمد صلابي بنفي نسبة كتاب المواقف للأمير ولكنه اكتفى بقول : " ولكنه باطل من حيث الحقيقة وأمام الدليل العقلي والحجة التوثيقية العلمية . " ولم يقدم دراسة وافية كما فعلت الأميرة بديعة . راجع ، علي محمد محمد صلابي : الأمير عبد القادر محي الدين الجزائري ، مركز الكتاب الأكاديمي ، دت ، ص 510.

(4)- الأميرة بديعة الحسيني : الأمير عبد القادر الجزائري ، حياته وفكره ، ترجمة أبو القاسم سعد الله ، ط 1 ، دار الوعي للنشر والتوزيع ، ج 3 ، 1433هـ - 2012م ، ص : 163 .

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

- طبع سنة 1229هـ<sup>(1)</sup> على نفقة السيدة نبيهة غانم تنفيذاً لوصية زوجها محمود باشا الأرناؤوطي .  
- الكتاب لا يحمل اسم المؤلف على شكل مثلث كما هي العادة وإنما أضيف حرف اللام لإسمه " للسيد عبد القادر الجزائري " قد تقصد الأميرة أن الإضافة تفيد معنى التمليك لا التأليف.  
- وصف الأجزاء الثلاثة في المكتبة الظاهرية : رقمها 8946 س 663 . عدد مواقفها 371 موقفاً ، عدد صفحات الجزء الأول 475 صفحة . والجزء الثاني 464 صفحة وورد في صفحته الأخيرة : " تم الجزء الثاني ويليه الموقف الأحد والعشرون وثلاثمائة والحمد لله وحده تمّ بقلم الفقير الى ربه القدير فراج بخيت السيد . وانتهأؤه في يوم السبت 27 جمادى أول سنة 1328 هجرية .<sup>(2)</sup> وفي الصفحة الأخيرة من الجزء الثالث كتب : " ثم الجزء الأول ويليه الثاني وعلى يسارها كتب قد تم مقابلة هذا الجزء على أصله قدر الإمكان في يوم الثلاثاء الموافق أول شهر صفر الخير لسنة 1329هـ الموافق 31 يناير سنة 1911م وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . ونقل من نسخة بخط الشيخ عبد الرزاق البيطار، وكتب أيضاً : كان على هامش الأصل تصحيح بخط المؤلف رضي الله عنه ونفعنا به أمين " ; وبخط صغير جدا كتب " مكتبة الشباب " في آخر الصفحة .<sup>(3)</sup>

- نسخة ثانية تحت رقم 9266 مجهول ما حولها وهي بخط نسختي جميل .  
- نسخة مطبوعة في مصر موجودة بمكتبة الأسد تحت رقم 1974/2522م .

### د2 : مضامين المنهج النقدي للأميرة بديعة في نفي نسبة المواقف لجدها عبد القادر :

لقد تنوعت الأسئلة والملاحظات المنهجية التي اعتمدت عليها الأميرة في إقامة دعواها السالفة الذكر وسندكرها على النحو الذي أوردته في كتابها : الأمير عبد القادر ، حياته وفكره . " مع اختصار بعضها أحيانا .

(1) - هذا التاريخ خاطئ وهو المكتوب في ص 163 من المرجع السابق في الهامش وأظنه خطأ مطبعياً والأصح هو 1329هـ .  
(2) - ذكرت الأميرة بديعة في الهامش ما نصه : " من المعروف أن الأمير عبد القادر انتقل الر رحمة ربه ليلة يوم السبت التاسع عشر من شهر رجب عام 1300 هجرية والرابع والعشرين من شهر أيار - ماي - عام 1883م وخطه مغربي يمتاز بخصوصيات فريدة كما أكد خبراء الخطوط . راجع ، الأميرة بديعة الحسيني : فكر الأمير عبد القادر الجزائري حقائق ووثائق ، مرجع سابق ، الهامش رقم 1 ، ص : 164 .

(3) - الأميرة بديعة الحسيني : الأمير عبد القادر حياته وفكره ، ترجمة أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص : 164 .

المضمون النقدي الأول: أسئلة وملاحظات على نسخ المخطوط

ويستوقف الأميرة عبارة: " قد تم مقابلة هذا الجزء على أصله قدر الإمكان " لتطرح بعد ذلك جملة من الأسئلة النقدية نوردها في مايلي:

س1: ما صفة هذا الأصل؟ وهل نسخة البيطار المخطوطة بيده هي الأصل أم نسخة فراج بجيت السيد؟

س2: من أين جاء الشيخ عبد الرزاق البيطار بكل هذه الأقوال والتعليق الموجودة في صفحات نسخته؟ هل سمعها من الأمير مباشرة؟ أم من شخص آخر كان مداوما على دروس الأمير؟ وهل هو متأكد من سلامة العقيدة الدينية لهذا الآخر؟

س3 - من خلال الصفحة الأولى حكمت الأميرة بأنه ليس الأمير ولا أحد من عائلته من أوصى بطباعته. وقد طبع بعد وفاته بثمانية وعشرين سنة!؟ ولو كان الأمير هو مؤلفه، لماذا لم يطبعه في حياته؟ وأنه لا توجد وثيقة بخط الأمير يصرح فيها الأمير بأنه ألف كتابا اسمه المواقف<sup>(1)</sup>

س4- المخطوطة الأولى كتب عليها بخط الفقير الى ربه فراج بجيت السيد و " الثانية بخط عبد الرزاق البيطار كما زعموا. "

س5 - لماذا لم يصرح الخياط باسمه واسم من كلفه بالكتابة؟ وما هو خط المادة التي نقل عنها؟ وكيف وصلت إليه؟ هل عن طريق السماع أم التدوين في حياة الأمير؟ ومن قسمها الى مواقف؟ وكيف عرف الخياط بعد مرور السنين أن ما يخطه هو للأمير عبد القادر؟

وتعليقا على عبارة: " وكان على هامش الأصل تصحيح بخط المؤلف. " تسجل الملاحظات الآتية:

(1)- وتكرر الأميرة بديعة دعواها هذه في صفحات كتابها حيث تقول: " وليس غريبا أن يختلق كتاب كالمواقف، ينسب للأمير عبد القادر بعد وفاته بثلاثين عاما تقريبا. والجزء الثالث بعد وفاته بأربعين عاما، ولم يذكر أحد بأنه أوصى بطباعة كتاب أو أنه ترك مخطوطا. والذي أوصى بطباعته هو محمود باشا الأرنؤوطي وليس الأمير عبد القادر، والتي طبعتها على نفقتها هي زوجة محمود باشا نبيهة خاتم شقيقة أحمد فؤاد باشا عضو مجلس الشيوخ في مصر وشقيقة عزت باشا سفير المملكة المصرية في لندن.... ". الأميرة بديعة الحسيني: الأمير عبد القادر حياته وفكره، ترجمة أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص: 168.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

- م1- عثرت على مخطوط للكتاب في مكتبة الأسد الوطنية تحت رقم 9263 بتاريخ 1307هـ ( بعد وفاة الأمير بسبع سنوات ) بخط فارسي ، المكان والكاتب مجهولان . ثم تقرر بعد ذلك أنه ربما كتب في مصر ولم تقدم أي دليل على ذلك.
- م2- أنها لم تتمكن من العثور على تاريخ ظهور هذا الكتاب ( المواقف ) في دمشق سواء منه المخطوط أو المطبوع ، و لا أدري أي تاريخ تقصد ؟ لأنها ذكرت أنفا تاريخ طبعه وهو 1229هـ .
- م3 : يفهم من ذلك أن نسخة البيطار هي الأصل لأن التصحيح الموجود في الهامش كان بنفس الخط وغير مختلف عنه .
- م4 : كتب في بداية الصفحة الأولى من كل نسخة : " قال سيدنا وملاذنا وعمدتنا " ولم ترد عبارة : " كتب سيدنا في الموقف كذا ... " وهذا يدل على أن كل ما جاء في هذه النسخ جاء عن طريق السمع . أضف الى ذلك أن كلمة " قال " لا يوجد الى جانبها تاريخ القول و لا مكانه ولا اسم الشخص القائل ، وفي هذا لبس كبير !
- م5 : من المعلوم أن الشيخ عبد الرزاق البيطار دمشقي يكتب بأسلوب مشرقى ، وأسلوب الأمير عبد القادر وخطه مغربيان وليس بالضرورة أن كل من كتب بخط مغربي يكون هو الأمير !
- م6 : في قسيمة الأرشيف كتب " المؤلف مجهول " وكذلك صاحب الخط والتاريخ . ولا وجود لاسم عبد الرزاق البيطار. (1)
- م7 : في النسخة الأخرى يوجد تاريخ 1307 هـ . بخط فارسي مجهول صاحبه . وقد كتبت بعد وفاة الأمير بسبع سنوات .
- م8- تقول الأميرة لما كان سنها ثلاثة عشرة سنة منعها جدها الأمير محي الدين من كتاب قراءة كتاب المواقف وقال أنه محتلق . وذلك أثناء زيارتها لبيت جدها في " حوش لابلان " بضواحي دمشق. ( ص 169 )

(1)- الأميرة بديعة الحسيني : الأمير عبد القادر حياته وفكره ، ترجمة أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص : 165.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

م9- تقول عن ابن الأمير محمد أنه ذكر كتاب المواقف في كتابه تحفة الزائر ونسبه لأبيه دون أن يقرأه بتمعن بل ربما يكون قد اكتفى بتصفحه أو ربما دس في كتابه تحفة الزائر دون علمه ! خصوصاً إذا كان المشرف على تنقيح الكتاب وطباعته هو الشاعر والكاتب الفرنسي فيكتور هيغو<sup>(1)</sup> الذي يكره الأمير ويحقد عليه<sup>(2)</sup>. وتفتتح الأميرة إعادة النظر في آخر الجزء الأول وكذلك جميع أوراق الجزء الثاني وغريبة الكل لفرز السم عن الدسم<sup>(3)</sup>

م10- إن اسم عبد الرزاق البيطار - صديق الأمير - أقحم في كتاب المواقف والدليل أن كتابه : " حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر " الموجود بخط يده في المكتبة الظاهرية ، والمرقوم ب 7940 - 7941 - 7942 - 8014 - 8015. وهو عبارة عن تراجم للكتاب والأدباء ، لم يرد فيه اسم الأمير عبد القادر ولا كتابه المواقف!<sup>(4)</sup>

### المضمون النقدي الثاني : حول الأسلوب اللغوي الوارد في كتاب المواقف :

تؤكد الأميرة أن الأسلوب الموجود في كتاب المواقف يختلف عن الأسلوب المعهود عند الأمير سواء في نثره أو في شعره. تقول الأميرة : " وكلما أوغل القارئ قدما في القراءة في هذه الصفحات - تعني كتاب المواقف - لاحظ خيوطا بيضاء اختلطت بخيوط سوداء منفرة دخيلة شاذة و كأنها أقتحمت المواد بأسلوب مختلف عن الأسلوب الآخر أو أسلوب الأمير الذي عرف بمتانة لغته العربية وبلاغتها من خلال رسائله والحكم التي كان يكتبها بخطه لزائريه . "<sup>(5)</sup>

(1)- فيكتور هيغو: (26 فبراير 1802م -22 مايو 1885م) هو أديب وشاعر ورسام فرنسي، من أبرز أدباء فرنسا في الحقبة الرومانسية، ترجمت أعماله إلى أغلب اللغات المنطوقة. ولد فيكتور هوجو في بيسانسون بمنطقة الدانوب شرقي فرنسا، عاش في المنفى خمسة عشر عاماً، خلال حكم نابليون الثالث، من عام 1855م حتى عام 1870م. ثم أصبح رئيساً فخرياً لجمعية الأدباء والفنانين العالمية عام 1878م. وفي عام 1876م اختير عضواً في مجلس الشيوخ الفرنسي. وفي عام 1862م نشرت أروع وأعظم رواياته الأدبية وهي رواية (البؤساء) توفى في باريس في 22 مايو 1885م. انظر، موقع درر العراق الإلكتروني على شبكة الإنترنت [www.dorar-aliraq.net](http://www.dorar-aliraq.net) تاريخ الدخول : 2019/07/12م.

(2)- الأميرة بدیعة الحسيني : الأمير عبد القادر حياته وفكره ، ترجمة أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص : 170 وما بعدها.

(3)- المرجع نفسه ، ص 172.

(4)- المرجع نفسه ، ص : 170.

(5)- الأميرة بدیعة الحسيني : الأمير عبد القادر حياته وفكره ، ترجمة أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص : 168.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

ثم تعمق الأميرة قناعتها بعدم نسبة كتاب المواقف لجدها الأمير من خلال مقارنتها بين أبيات شعرية نسبت للأمير في كتاب المواقف وأخرى ذكرتها في ملحق كتابها " الأمير عبد القادر حياته وفكره " ومن الأبيات التي لاتمت بصلة الى أسلوب الأمير :

يقولون لا تنظر سعادة ولا علوا      وعد عن الآثار واقصد لمن تهوى  
فإنك مقاوم الفؤاد قيسم      أخو جنة بل منها داؤك ذا أدوا  
نظرت إليه والمليحة تحسين نظرت إليها ولا مبسمة الأضوا  
كما نسب إليه أيضا

فأين الذي فوق العرش علا      ومن هو في أسفل الأرض عوا  
ومن أينما نتولى فهو      له ثم وجه له برقع  
ومن أينما كنا معنا يكن      ومن يتحول في صور فاسمعوا  
ومنها أيضا :

لقد حرت في أمري وحررت في حيرتي      فأبي الأمور ثابت هو لي أي  
فإن شئت فاثبت لي النواقض كلها      وإن شئت فادفعها فنشرك لي طي  
وإني حال السحق والمحل والفنا      رجعت لاطلاقي لارشد ولاغي

وبعد عرض هذه النماذج الشعرية ومن دون أن توضح أيها أقرب الى أسلوب الأمير ، تقرر أنه لا نحتاج الى شاعر لكي نميز بين الأسلوبين .<sup>(1)</sup>

### المضمون النقدي الثالث : الاستعانة بخبراء الخطوط .

ولكي تثبت الأميرة رأيها لجأت الى الخبرة العلمية للمختصين في تمييز الخطوط ونسبتها لأصحابها. ولقد استعانت في هذا الصدد بثلاثة خبراء ، الأول هو هشام غراوي ، الخبير الدولي المعتمد من القصر العدلي بدمشق . والثاني ، أحمد الأنباري خبير معتمد في الجامعة السورية . والثالث هو عبد المنعم ياسين خبير معتمد من قبل دوائر الأمن في القصر العدلي في سوريا .

(1)- المرجع نفسه ، ص : 167 .

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

وستتناول في ما يلي تقارير هذه الخبرات كما أوردتها الأميرة بديعة<sup>(1)</sup> بنوع من الإختصار والتصرف :

### خ1 : تقرير الخبير هشام الغراوي :

قدم هذا الخبير تقريره تحت عنوان " تقرير خبرة فنية " وأρχه ب : " دمشق الشام 21 جمادى الأولى 1420 هـ ، 11 أيلول - سبتمبر 1999 م " . ويتكون تقريره من إحدى وعشرون صفحة كما جاء في آخر تقريره<sup>(2)</sup> وبعد مقدمة طويلة عرف فيها بنفسه وصرح بتأديته اليمين القانونية على الخبرة التي سيقارن فيها بين جملة من " وثائق تاريخية ثمينة بخط الأمير عبد القادر الجزائري رحمه الله " ووثيقة قد نشرت صورتها في مجلة مسالك " ITENERAIRES " العدد 2 جانفي - جوان 1998 م في الصفحة 24 تحت عنوان الموقف 180 و التي تصدر في الجزائر عن مؤسسة الأمير عبد القادر .

### \*خطأ منهجي وقع فيه الخبير :

وبعد ذلك بسط الحديث عن خطورة التزييف في الوثائق التاريخية مع إعطاء بعض الأمثلة وأراه هنا قد وقع في خطأ منهجي حين حكم مسبقا بتصديق دعوى حفيدة الأمير وكان الأولى إرجاء ذلك بعد الإنتهاء من عملية الخبرة.

### \*منهج العمل :

و تحت عنوان " الدليل الفني والعلمي " قدم منهجه الذي يعتمد " على إيجاد تسعة أدلة على الأقل تتفرد بمميزات لا يمكن للصدفة أن تجمعها بأكثر من شخص واحد في العالم العربي الذي لا يتجاوز عدده كله مائتي مليون نسمة ، وتتعلق إما بالتطابق وإما بالتنافر ، وذلك للتمكن من الحكم بكل يقين على صحة الوثائق أو زيفها " وهو في بنائه لمنهجه هذا يستشهد بما كتبه " كريسي موريسون " <sup>(3)</sup> رئيس أكاديمية العلوم في الولايات المتحدة الأمريكية و مؤلف كتاب " الإنسان لا يمكن أن يقوم في الكون لوحده : The

(1)- الأميرة بديعة الحسيني : الأمير عبد القادر حياته وفكره ، ترجمة أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص : : 172 وما بعدها .

(2)- نقلت الأميرة هذا التقرير في كتابها : الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكره ، المرجع نفسه ابتداء من الصفحة 177.

(3)- كريسي موريسون : أبراهام كريسي موريسون، (1864-1951م) هو الرئيس السابق لأكاديمية العلوم بنيويورك ورئيسا للمعهد الأمريكي بنيويورك وعضو المجلس التنفيذي لمجلس البحوث القومي بالولايات المتحدة وزميل في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي وعضو مدى الحياة للمعهد الملكي البريطاني . أ . كريسي موريسون : العلم يدعو للإيمان ، ترجمة محمود صالح الفلكي ، دار الكتب العلمية ، 2013م ، ص : 4.



## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

الرياضي . ثم يخلص الخبر الى عنوان " الخبرة الفنية والمضاهاة " ويخصي فيها عدد الوثائق المسلمة إليه من طرف الأميرة بديعة وعددها ستة<sup>(1)</sup> وهي :

### \* الوثائق التي خضعت للاختبار :

1- رسالة من صفحة واحدة مرسله للوزير خير الدين باشا وهي 15 سطرا خلاف سطر الحمد والصلاة في الأعلى، وهي محتومة بخاتم الأرشيف العام للحكومة التونسية . " خاتم بيضاوي الشكل كتب فيه باللغة الفرنسية : " Archives Générales du Gouvernement Tunisien " وهو ختم موجود في الوثائق الستة.

2- رسالة من صفحة واحدة موجهة لرئيس الوزراء مصطفى تحوي 23 سطرا عدا سطر الحمد والصلاة والتاريخ بالأسفل 9 ذي القعدة 1283 هـ . والتوقيع بالإسم والصفة والخاتم الشخصي .

3- رسالة من صفحة واحدة موجهة للوزير الأكبر مصطفى تتضمن 18 سطرا مؤرخة في 12 شوال 1288 هـ ، أي بفارق خمس سنوات عن الوثيقة 2.

4- رسالة من صفحة واحدة فيها 16 سطرا . مرسله لرئيس الوزراء مصطفى في 23 صفر الخير 1287 هـ .

5- رسالة في صفحة واحدة تحوي 22 سطرا لخير الدين باشا في 12 شوال 1288 هـ .

6- رسالة فيها بقايا القسم الطولي الأيسر وهي 16 سطرا مع التوقيع والختم .

7- صورة من كتاب المواقف والتي تتعلق بالموقف 180.<sup>(2)</sup> وقد صورت الأميرة بديعة هذه الوثائق ونقلتها في كتابها محل الدراسة.<sup>(3)</sup>

(1)- الأميرة بديعة الحسيني : الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكره ، مرجع سابق ، ص 179 وما بعدها .

(2)- المرجع نفسه ، ابتداء من ص 180 .

(3)- نذكر أن الوثائق الأصلية الستة بخط الأمير والوثيقة السابعة المعبرة عن الموقف 180 التي أخذتها الأميرة من مجلة مسالك وسلمت الكل للخير هشام الغراوي كلها موجودة في كتاب فكر الأمير عبد القادر حقائق ووثائق - الذي همشناه أكثر من مرة في هذا المبحث - مرتبة من 1 الى 7 ابتداء من صفحة 182 الوثيقة 1 ، ص 183 : الوثيقة رقم 2 ، ص 184 : وثق 3 ، ص 185 : وثق 4 ، ص 186 : وثق 5 ، ص 187 : وثق 6 ، ص 188 : وثق 7 .

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

### \*الخصائص الفنية لخط الأمير المغربي :

وبعد الدراسة والمقارنة يحصي الخبير الخصائص الفنية لخط الأمير والتي هي (1) :

خص 1 : خط الأمير مغربي موجود وهو الموجود في المغرب العربي كله والمتوارث من الحضارة الأندلسية. وهو مميز عن الخط المشرقي المتأثر بالفارسي والرقعي التركي .

خص 2 : الفاء في خط الأمير نقطتها واحدة و من الأسفل . و تنقط القاف بوحدة أيضا ولكن من فوق. ( انظر الوثيقة رقم 2 الأسطر الثلاثة الأخيرة )

خص 3 : حرف " الظاء " في المغربي يكتب (ظ) أما في المشرقي تكتب النقطة على يسار العصا . ( وثق رقم 1 السطر 5 )

خص 4 : حرف " الصاد " في المشرقي يكون متبوعا بسن صغيرة مثل (مصادر) أما في خط الأمير المغربي فإنه يكتب كبيرا وبغير سن . ( تنظر الوثيقة رقم 1 سطر 3 و 6 )

خص 5 : في خط الأمير تقلب الهمزة ياء وذلك في كلمات " طائل ، قائل ، سائل " فتصبح " طائل ، قايل ، سايل " ( وثق رقم 2 الأسطر الثلاثة الأخيرة )

خص 6 : يمتاز الخط المغربي بنوع من التنميق في بعض الكلمات مثل : من - إلى ، ( انظر وثق رقم 1 سطر 8 و وثق 6 سطر 1 و 3 و 7 )

### \*خطاً منهجي آخر في عملية الخبرة :

وفي الصفحة 14 من التقرير وقبل عرض مزايا وخصائص الوثيقة رقم 7 ومقارنتها بما ذكر في غيرها أصدر مسبقا نتيجة الخبرة والمنتصرة الى رأي الأميرة بديعة . حيث قرر أنه " يتبين بالعين المجردة أن الوثيقة رقم 7 هي بخط مشرقي مصري وهو بعيد كل البعد عن الخط المغربي للأمير" (2). فالدارس والناقد لا يجد الدافع والرغبة في مواصلة قراءة تقرير الخبرة الى غاية الصفحة الأخيرة ، وإن فعل فسوف يقع تحت تأثير ذلك الحكم المسبق الذي ذكره الخبير .

(1)-الأميرة بديعة الحسيني :الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكره ، مرجع سابق ، ص : 178 .

(2)-الصفحة 14 من تقرير الخبير هشام الغراوي الموافقة للصفحة 190 من كتاب الأميرة بديعة : الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكره ، مرجع سابق .

\*الأدلة الفنية التي تقطع بأن الوثيقة رقم 7 ملفقة وليست بخط الأمير<sup>(1)</sup> :

ثم يشرع الخبير في إحصاء مزايا الوثيقة 7 التي تشكل في جملتها تنافرا مع ما ذكر من قبل وهي كالتالي :

د1 : حرف القاف ينقط من فوق بنقطتين وذلك في كلمات كثيرة ذكرها الخبير منها " قال - الحقيقة " ( انظر وثق 7 الأسطر 1- 6 - 9 - 10 - 12 - 14 )

د2 : حرف الفاء نقطته من فوق وليس من تحت كما في المغربي ، مثل كلمة النفس ( انظر السطر 1 ) كما يوجد غيرها في بقية الأسطر.

د3 : حرف الظاء كتبت نقطتها على يمين العصا مثل كلمة " ظهور " بخلاف المغربي الذي تكتب فيه على اليسار. ( انظر السطر 6 )

د4 : حرف الصاد في كلمة " يصفها " كتبت صغيرة وبن بعدة خلاف المغربي الذي تكتب فيه كبيرة وبدون سن ( السطر 6 )

د5 : الهمزة المكسورة في مثل " حينئذ - المطمئنة وغيرها " تكتب في المشرقي فوق النبرة أما في الخط المغربي للأمير تكتب تحت النبرة. ( انظر وثق 7 سطر 1 و 3 و وثق 2 سطر 13 و 17 )

د6 : في الوثيقة رقم 7 - الملفقة بتعبير الخبير - تجنب كاتبها ذكر لفظ الجلالة " الله " إلا في مرة واحدة الواردة في السطر 29 . ويذكر عوض ذلك ألفاظ " قال تعالى - الرب - الحق تعالى " ( انظر وثق 7 الأسطر 1 ، 15 ، 20 ، 22 ، 25 ، 27 ) بينما نجد الحال في الوثائق الست ( وثق 1- 6 ) التي هي بخط الأمير والتي يكثر فيها من لفظ الجلالة " الله " مع كتابتها بخط متميز ( انظر أعالي الوثائق 1 الى 6 )

د7 - خط الأمير في الوثائق الستة ( وثق 1-6 ) مضبوطة نهاية أسطره بحيث تستطيع أن تربط بين نهايات الأسطر بخط شاقولي بخلاف كاتب الوثيقة ( وثق 7 ) فإنك لو ربطت بخط بين آخر حرف في الأسطر كلها حصلت على خط متعرج .

(1)- المرجع نفسه ، ص 191 وما بعدها.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

د8 : حرف الدال أو الذال الموصول بما سبقه يكتب في خط الأمير تقريبا على شكل حرف الراء أو الزاي وذلك على خلاف ما هو موجود في الوثيقة 7 . ( انظر وثق 1 الأسطر 3 - 8 - 10 - 12 - 15 و وثق 7 الأسطر 3 - 4 - 6 - 7 - 8 ) . صورة 453

د9 : حرف اللام / ألف يكتبه الأمير في الوثائق الست بخطه المغربي على شكل الحرف اللاتيني "x" وهذا بخلاف الخط المشرقي الموجود في الوثيقة 7 . ( انظر وثق 1 الأسطر الأخير وما قبله و وثق 5 سطر 9 و وثق 7 الأسطر 8 - 9 - 26 ) .

د10 : النون الأخيرة سواء كانت متصلة أم منفصلة تكتب في الوثيقة 7 - الملفقة - بطريقة الخط الرقعي التركي بحيث تكون نقطتها متصلة بالشكل الدائري لحرف النون بينما تكتب في وثائق الأمير الست بدون نقطة أصلا ( انظر وثق 7 الأسطر 2 - 4 - 5 - 8 - 9 - 24 - 29 . و وثق 1 الأسطر 5 - 7 - 8 - 14 )<sup>(1)</sup>

د11 : من خلال الوثائق الست الأولى لوحظ - باستعمال آلات التكبير - أن الأمير لا يكتب الكلمة في وقت واحد بل يقطعها وذلك راجع إما لتنقيط كل حرف على حدى أو بسبب رفع القلم لنقصان الحبر فيغديه ثانية . وهذه الميزة غائبة تماما في الوثيقة رقم 7.<sup>(2)</sup> ( انظر كلمة " الم س ا ع رة " )<sup>(3)</sup> والمقصود " المساعدة " في وثق 10

د12: يتميز خط الأمير بالتنقيط المنفصل في الكتابة أي أنه مثلا في عبارة "مسير الشمس" التي وردت في السطر 11 من الوثيقة الأولى نلاحظ أن الياء منقوطة بنقطتين متميزتين وكذلك في كلمة الشمس نرى ثلاث نقاط فوق حرف الشين منفصلة يسهل عددها وهذا هو التنقيط الشائع في كل الوثائق الستة الأولى . أما في الوثيقة السابعة فإننا نجد خلاف ذلك حيث يكتب النقيط المزدوج بهذا الشكل " - " والتنقيط المثلث على شكل " ° " أي مطة وفوقها نقطة . ( انظر وثق 7 عامة و الأسطر 4 - 15 - 22 في التنقيط الثلاثي )

(1)-الأميرة بديعة الحسيني :الأمير عبد القادر الجزائري حياته وفكره ، مرجع سابق ، ص : 192 .

(2)-المرجع نفسه ، ص ، 193 .

(3)- يلاحظ التقطيع في الكلمة وكتابة حرف الدال على شكل حرف الراء كما بينا سابقا .

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

د13: ونجمل في هذا الدليل أدلة ذكرها الخبير منفصلة وهي عبارة عن إثبات الفرق بين خط كتابة بعض الكلمات وهي : - بحيث : ( انظر وثق7 سطر 16 و وثق3 سطر 8 )<sup>(1)</sup>

- آمين: ( انظر وثق7 في آخرها: آمين أما في خط الأمير المغربي: ءامين ،انظر آخر وثق 2 )  
-الكاف في آخر الكلمة يكتب في الوثق7 بالهمزة " ك " أما في الوثائق الأخرى فإنه يكتب بدون الهمزة مثل " كزلك ". ( انظر وثق7 عامة و وثق1 الأسطر 3-6-15 و وثق2 السطرين 8-17 و وثق3 السطر 9.)

- الكاف الموصولة بالألف تكتب في خط الأمير هكذا : " كانت " بينما تكتب في الوثيقة رقم 7 بطريقة خاصة حيث تلصق الكاف بالألف ( انظر وثق7 السطرين 16 و 21 . و وثق4 سطر2 و وثق5 سطر 16 . و وثق6 سطر3.)<sup>(2)</sup>

- اختلاف بين في كتابة الهاء ( انظر وثق7 الأسطر 3-5-6-12-27-28 و وثق1 سطر8 و وثق2 سطر 17 و وثق3 الأسطر 2-3-5-15)

حرف العين في بداية الكلمة تختلف كتابتها في الوثائق التي أخضعت للخبرة والمظاهاة( انظر وثق2 الأسطر من 2 الى 14 ماعدا السطر 11 و وثق7 الأسطر 2-4-6-7 -9-10-12-13-17-19-24-26-27-28.)<sup>(3)</sup>

### \*النتيجة الأخيرة :<sup>(4)</sup>

بعد هذا العرض يخلص الخبير الغراوي الى ما يلي :

أولاً: إن الوثيقة رقم 7 التي تمثل الموقف 180 من مواقف الأمير والتي نشرتها مجلة مسالك في الصفحة 24 من عددها الثاني سنة 1998م ليست صادرة عن الأمير وليست بخط يده . وهي ملفقة ومدسوسة عليه .

(1)- المرجع نفسه ، ص : 193.

(2)-الأميرة بديعة الحسيني : الأمير عبد القادر حياته وفكره ، ترجمة أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص :: 194.

(3)- المرجع نفسه ، ص : 195.

(4)- من الصفحة 19 من تقرير الخبرة . المرجع نفسه : ص : 195.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

ثانيا : توجيه اللوم الى مؤسسة الأمير المقامة في الجزائر و إلى هيئة مجلة مسالك على هذا التفريط في حق شخص الأمير والإفتراء عليه وعلى التاريخ .

\*ملاحظة منهجية : لقد راع انتباهي في هذا التقرير مسألتان :

1. المسألة الأولى : تتعلق بمسألة الخط فقد ذكر الخبير هشام الغراوي عبارة في الصفحة رقم 14 من تقريره لا يجدر بنا إغفالها وهي قوله : ".....وهذا هو العام الغالب في الفروق بين الخطين المغربي والمشرقي ، وحين وجود فلتات نادرة فإنه لا عبرة لها حيث ننظر للأغلبية غير ناسين كون الأمير مغربا يكتب كتاباته تلك في بلاد الشام التي يحتمل أن يتأثر بها أحيانا حين مخاطبة المسؤولين في الدولة العثمانية التركية . " وإذا علمنا أن الوثيقة رقم 7 في تقرير الخبير الغراوي وهي التي تعبر عن نص الموقف 180 من مواقف الأمير الذي أوردته مجلة مسالك قد اعتبرت مدسوسة و ملفقة على فكر الأمير وذلك بسبب نوع الخط و الذي هو الخط المشرقي الذي جمع بين أصول الفارسي و الرقعي التركي. و في إقرار الخبير بأن الأمير قد كتب بهذا الخط لما كان مقيما ببلاد الشام يفتح الباب لمزيد من السؤال والبحث العلميين للتأكد من مدى صحة النتيجة التي توصل إليها في تقريره!؟

### المسألة الثانية :

وهي التلميح تارة والتصريح أخرى بتجريح مؤسسة علمية ذات مصداقية في الجزائر وهي مؤسسة الأمير عبد القادر حيث يفهم من بعض العبارات التي وردت في التقرير أن هذه المؤسسة قد تعمدت عملية التلفيق والتزوير والإفتراء على فكر الأمير ، ومن هذه العبارات " ومما يقطع بكل يقين يدركه الفني العادي ، بأن الوثيقة رقم 7 ملفقة على الأمير عبد القادر رحمه الله ، وقد تسربت للمؤسسة الإعلامية التي أقامتها حكومة الجزائر لإحياء أمجاده وذكره كي ننشئ في أجيالنا ألوفا كعبد القادر وليس لتحطيمه وتكفيره.. " (1) وكذلك قوله : " ...وبالتالي فإن سمو الأمير عبد القادر رحمه الله بريء مما ينسب إليه فيها - يقصد الوثيقة رقم 7 - ويعتبر من

(1)-الأميرة بديعة الحسيني : الأمير عبد القادر حياته وفكره ، ترجمة أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص : 190.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

أقدم على هذه الفرية ، متجرئا على الملأ في وسيلة إعلام ذات صفة رسمية تصدر باسم الأمير نفسه ، يعتبر مع كل من عاونه بذلك جهة مفرطة تفتري على التاريخ وعلى أجداد أمتنا....<sup>(1)</sup>

### خ2 : تقرير الخبير عبد المنعم ياسين :

نقلت الأميرة بديعة هذا التقرير<sup>(2)</sup> وهو بدون تاريخ ويحتوي على صفحة واحدة كتب في أعلاها على اليسار " نموذج 52 / 1.114 " أظنه رقما أرشيفيا. عنوان التقرير : " تقرير خبرة فنية خاصة حول تطبيق ومضاهاة خطوط مقدم من الخبير الجنائي الفني المحلف عبد المنعم ياسين " وموجه الى " السيدة الأميرة بديعة الحسيني الجزائري المحترمة " يخبرها أنه بناء على تكليفها له بإجراء خبرة فنية حول خطوط فإنه يعرض تفاصيل تقريره في جملة عناصر هي :

### ع1<sup>(3)</sup> : الموضوع : وفيه ذكر الوثائق التي سيجري عليها الخبير الخبرة الفنية وهي :

أ- نماذج من كتابات الأمير عليها ختمه الدائري باسم عبد القادر بن محي الدين الجزائري وهي عبارة عن رسائل وحكم مستلة من مجلة الثقافة الصادرة عن وزارة الثقافة بالجزائر ، العدد 75 ، سنة 1983م والموجودة في صفحات 156 الى 169 . على اعتبار أن هذه الكتابات هي بخط الأمير عبد القادر .

ب- نص الموقف 180 من كتاب المواقف للأمير عبد القادر كما ورد مكتوبا في مجلة " مسالك " الصادرة عن مؤسسة الأمير عبد القادر بالجزائر ، العدد الثاني ، سنة 1998م ، صفحة 24 . صورة 455 و يراد التأكد من خلال عملية الخبرة هل خط هذا النص هو خط الأمير عبد القادر .

### ع2-المطلوب : هو المقارنة بين خطي النموذجين " أ و ب " وذلك من خلال إجراء عملية

الخبرة والمضاهاة بينهما. وهل هما متطابقان أم لا ؟

(1)- المرجع نفسه، ص : 195.

(2)- المرجع نفسه ، ص : 197. وقد أوردناه في هذا المبحث بنوع من التصرف.

(3) - ع1 معناها العنصر الأول .

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

ع3- النتيجة : بعد القيام بعملية التطبيق والمضاهاة ما بين خطوط نماذج الرسائل والحكم الواردة في مجلة الثقافة ( النموذج أ ) و ما بين خط نص الموقف 180 من مواقف الأمير الوارد في مجلة " مسالك " ( النموذج ب ) ، وبواسطة العين المجردة والعدسات المكبرة والضوئية تم رصد التباين بينهما من حيث جميع المميزات العامة والفردية والتي منها : الشكل العام ، المستوى الخطي ، أسلوب الكتابة ، الجرة الخطية ، الميل والزوايا ، البدايات والنهايات ، التنقيط وغير ذلك . وبناء على ذلك خلص الخبير الى أن الشخص الذي حرر نص خط النموذج الأول ليس هو الذي حرر نص خط النموذج الثاني .

\*ملاحظة منهجية :

لم يتعرض الخبير الثاني - وهذا ما طلب منه - عملية الخبرة والمضاهاة الى نفي المضمون المعرفي المتضمن في الموقف 180 الوارد في مجلة " مسالك " المشار إليها في هذا التقرير. وهذا خلافا للتقرير الأول الذي تعرض فيه الخبير الأول " هشام الغراوي " الى الحكم على الأفكار الواردة في الموقف 180 بأنها ملفقة ومنسوبة زورا للأمير .

خ3<sup>(1)</sup> : تقرير الخبير أحمد الباري :

وهو أقصر التقارير ولعل الأميرة لم تنقل منه في كتابها<sup>(2)</sup> إلا صفحة واحدة . وهو لا يتضمن تاريخا وكتب في أعلاه العبارة التالية " الخطاط أحمد الباري - على اليمين - صفحة 3 ، تنمة الخبرة مجلة مسالك عدد2 ص 24. " وتضمن التقرير فقرة واحدة معنونة ب " النتيجة " ذكر فيها أنه بعد المقارنة الدقيقة بين خط " مخطوطة الموقف 180 " المنشورة بمجلة مسالك ، عدد2 ، ص 24 . ولم يذكر سنة وجهة الصدور . ومقارنة مع خط رسالة الأمير عبد القادر الجزائري الأصلية و الواردة في مجلة الثقافة الجزائرية العدد 75 ، سنة 1983م ، تبين ان الخط مختلف بينهما . وختتم التقرير بعبارة " وهذه خبرتنا نقدمها لمن يهمه الأمر وشكرا. " إمضاء : خبير الخط وعضو هيئة التحكيم العليا للخط ، أحمد الباري .

(1)- 3 معناها الخبير الثالث .

(2)- الأميرة بديدة الحسيني : الأمير عبد القادر حياته وفكره ، ترجمة أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ص : : 198 . ونذكره أيضا بنوع من التصرف .



## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

وبعرض هذه التقارير الثلاثة نكون قد بينا في حدود الإمكان وبالحياد العلمي والأكاديمي رأي الأميرة بديعة في نفي نسبة كتاب المواقف للأمير عبد القادر . وإبرازا للحقيقة العلمية سنخصص المطلب الثالث في هذا المبحث للرأي المخالف الذي يقر بنسبة كتاب المواقف للأمير عبد القادر.

### المطلب الثالث: آراء وحجج المشبتين نسبة كتاب المواقف للأمير :

لقد أثبت بعض الدارسين المهتمين بمباحث علم التصوف رأيا آخر خالفوا فيه الأميرة بديعة وأكدوا نسبة كتاب المواقف للأمير عبد القادر الجزائري وسنذكر هذه الآراء في ما يلي :

#### 1<sup>(1)</sup> : دراسة عبد الباقي مفتاح<sup>(2)</sup> :

لقد تناول هذا الباحث في مقال له ( الرد على الأميرة بديعة الحسيني ) حيث أكد على ثبوت نسبة كتاب التصوف العرفاني المسمى " المواقف " للأمير عبد القادر . ونذكر في الآتي أهم ما يورده من أفكار يفتد بها دعوى الأميرة بديعة التي ذكرتها في كتابها " الأمير عبد القادر حقائق ووثائق " :

#### 1-1 : من الكتب التي ذكرت كتاب المواقف :

كتاب " المواقف الروحية في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف والإلقاءات السبوحية " كتاب دافع الصيت والنسبة للأمير في كتب كثيرة ظهرت في بداية القرن الرابع عشر منها :

أ- " جلاء الأصدقاء الغينية " لمحمد جعفر الكتاني المغربي ( 1274-1345هـ ) ومما جاء فيه : " وفي " المواقف " للأمير عبد القادر الجزائري ثم الشامي في الموقف التاسع والثمانين أثناء توجيه العنصر الأعظم الذي هو الحقيقة المحمدية .... " <sup>(3)</sup>

ب- " جامع كرامات الأولياء " الصوفي وقاضي المحكمة الشرعية ببيروت ، يوسف النبھاني ( 1265-1350هـ ) ومما قال فيه عن كتاب المواقف للأمير : " .... وأعظم كراماته الكبرى المشتملة على كرامات كثيرة لاتعد ولا تحصى : مواقفه التي جمع فيها وارداته الإلهية ، وعبر عنها بالمواقف ، فقد اشتملت

(1)- ر1 معناها الرأي الأول.

(2)- عبد الباقي مفتاح : هو الذي طبع كتاب المواقف مرتان في سنة 2005 و 2007 م

(3)- محمد جعفر الكتاني : جلاء القلوب من الأصدقاء الغينية بيان إحاطته عليه السلام بالعلوم الكونية ، تحقيق حسن عباس زكي و علي جمعة محمد ، ط1 ، 1425هـ - 2004م ، ج3 ، ص : 236.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

من العلوم والمعارف والأسرار على ما لا يدخل تحت حساب ، ولا يمكن أن يستفاد من قراءة كتاب ، وإنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . " (1)

ت- "حاضر العالم الإسلامي" للأديب السياسي شكيب أرسلان (1871-1946م) وقد أثنى فيه عن الأمير وذكر كتابه المواقف فقال : " وكان المرحوم عبد القادر متضلعا في الأدب ، سامي الفكر ، راسخ القدم في التصوف ، لا يكتفي به نظرا حتى يمارسه عملا ، ولا يحن إليه شوقا حتى يعرفه ذوقا ، وله في التصوف كتابا سماه المواقف ، فهو في هذا المشرب من الأفراد الأفاضل ، ربما لا يوجد نظيره في المتأخرين " (2)

ث- " داخل المغرب " للمستشرق جاك بيرك ( 1910-1995م ) حيث يقول عن كتاب المواقف : " إن الروعة الأدبية للعديد من فقرات المواقف قد تقلب عدة مسلمات ، وأن النهضة الحقيقية - بلا ريب - قد لا توجد حيث يبحث عنها عادة " (3)

### ر1-2 : الشهود المباشرون لكتاب المواقف :

وفي إثبات نسبة كتاب المواقف للأمير عبد القادر يدعم الباحث رأيه بإيراد أسماء لأشخاص كانوا مقربين للأمير ولهم صلة مباشرة بكتابه محل النزاع . علما أن الأميرة بديعة في دراستها النقدية فندت علاقة واحد منهم فقط ولم تتعرض للبقية . وهؤلاء الشهود هم :

أ- الشيخ محمد الطنطاوي<sup>(4)</sup> : الذي أرسله الأمير قبل وفاته باثني عشرة سنة الى قونية وذلك بمعية الشيخ محمد الطيب المبارك الجزائري لتحقيق كتاب الفتوحات قبل طبعه.

(1) - يوسف بن إسماعيل النهاني : جامع كرامات الأولياء ، تحقيق ابراهيم عطوة عوض ، ط1 ، نشر مركز اهل السنة بركات رضا فرند غجرات ، الهند ، 1222هـ - 2001م ، ج2 ، ص : 217.

(2) - شكيب أرسلان ، ص : 172.

(3) - جاك بيرك : " L'interieur du Maghreb " ، ط قاليمار ، الفصل 14 ، ط باريس ، 1978 ، ص ص : 512-513.

(4) - سبق التعريف بمحمد الطنطاوي ومحمد الطيب المبارك الجزائري .

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

ب- الشيخ عبد الرزاق البيطار<sup>(1)</sup>: وقد ذكر في مؤلفه " حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر " ترجمة مستفيضة على الأمير عبد القادر ناهزت اثنان وثلاثين صفحة وذكر فيها كتاب المواقف للأمير ومما قاله : " وحضرت عليه مع من حضر كتاب فتوحات الشيخ الأكبر ورسالة المستوفز وكتاب المواقف للمترجم المرقوم<sup>(2)</sup> ، وهو كتاب كبير في الواردات التي وردت عليه ونسبت إليه ... " <sup>(3)</sup> واستغرب من الأميرة بديعة دعواها التي قالت فيها : " لاحظت أن اسم الأستاذ عبد الرزاق البيطار أقحم في كتاب المواقف ، إذ لم أعثر على أي دليل ، فكتابه " حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر " الذي وجدته في المكتبة الظاهرية تحت الأرقام التالية : 7940-7941-7942 8014- 8015 ، وهو من ثلاثة أجزاء وعبارة عن تراجم للعشرات المشائخ والأدباء ولم أجد اسم الأمير بينهم ولا ذكر كتاب المواقف وإنما وجدت ترجمة لمحي الدين باشا نجل الأمير المذكور . " <sup>(4)</sup>

ج- محمد الخاني<sup>(5)</sup> (1297 - 1316 هـ) و كان له مع كتاب المواقف شأن كبير حيث كلفه الأمير بتبويض بعض العبارات والشروح من كناش - مسودة - الأمير . وفي ذلك يقول محمد الخاني: " وكنت أراجعه كثيرا في بعض المسائل وأسأله حول إشكالات الفتوحات والفصوص وغيرها ، فلكثرة حبه للخير وبذله ، مع كثرة أشغاله ، كان يقيد ما ظهر له بالكشف ويوضحه ويعطيني إياه ، وكنت حريصا عليه فأقيده في المواقف بإذنه ... " <sup>(6)</sup> ويشهد على ذلك ما قاله ابنه عبد المجيد الخاني حيث يقول في شأن كتاب المواقف و ما كان من صنيع أبيه فيه : " فمن أعظم آثاره - الأمير - الدالة على جلالته مقداره " كتاب المواقف العرفانية " الجدير بأن يكتب بالنور على نحو الحور (...). مثل الوالد الماجد فإنه كان كثيرا ما يراجعه في بعض المسائل الخفية ويسأله حل محال من الفصوص والفتوحات المكية وغيرها . فلكثرة حبه - أي الأمير - للخير وبذله مع وفرة موانعه وشغله كان يقيد ما ظهر له بالكشف ويوضحه ويرسل به إليه

(1)- سبق التعريف به.

(2)- المترجم المرقوم هو الأمير عبد القادر وهذا بيان صريح في نسبة كتاب المواقف للأمير عبد القادر.

(3)- عبد الرزاق البيطار ، ج 2 ، ص 904 و 915.

(4)- سبق وأن ذكرنا هذه الفقرة في رأي الأميرة بديعة وأعدناه هنا لضرورة السياق . انظر ، الأميرة بديعة : الأمير عبد القادر حقائق ووثائق ، مرجع سابق ، ص 170 في الهامش

(5)- محمد الخاني : سبق التعريف به .

(6)- الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الاسرار والمعارف ، حققه عبد الباقي مفتاح ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص

26:

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

فكان من فرط حرصه عليه يلحقه في المواقف بإذنه " (1) ويبين الباحث العلاقة الوطيدة التي تربط محمد الخاني بالأمير ويذكر في هذا الصدد أن هذا الصدد أن هذا الأخير قبل وفاته أقامه وصيا على أبنائه القاصرين وحفظ أموالهم (2) وهو الذي أمّ جنازته في جامع بني أمية ودفنه بجانب شيخه الروحي محي الدين بن عربي في صالحية دمشق. (3)

د- أحمد بن محي الدين (4) : (1249 - 1320 هـ / 1833 - 1902 م)

ترجم له أبو القاسم الحفناوي فذكر عنه : "...وسمع على أخيه الأمير صحيحي البخاري ومسلم في مدرسة دار الحديث الأشرفية . وحضره في مواقفه الشهيرة وفي الفتوحات المكية في داره لما قرئت بحضوره بعد تصحيحها على نسخة مؤلفها..." (5) وقد أورد عبد الباقي مفتاح -سهوا أو خطأ - هذه الترجمة في بحثه وعزاها لعبد الرزاق البيطار في حلية البشر والصواب أنها للحفناوي كما ذكرنا . ويؤكد أخو الأمير نفسه على اتصاله بكتاب المواقف فيقول حول توضيح معنى الحقيقة المحمدية : "...إن توضيح ذلك حسبما ذكره سيادة أخي العلامة العارف بالله تعالى ، السيد عبد القادر بن محي الدين في مواقفه المدهشة وبينه من الأسرار المنعشة..." (6) . وشهادة الأمير أحمد - أخ الأمير عبد القادر - هذه تضعف قول الأميرة بديعة في تأكيدها بأنه لا يوجد في عائلة الأمير - عدا صاحب تحفة الزائر - من يعرف كتاب المواقف أو له دراية به .

(1) - عبد المجيد الخاني ، ص : 371 .

(2) - عبد الرزاق البيطار ، ج 3 ، ص 1218 ، في الهامش .

(3) - عبد المجيد الخاني ، ص : 370 .

(4) - أحمد بن محي الدين : جده مصطفى الإغريسي الجزائري ، صوفي وفقه ومؤرخ ، ولد في شعبان سنة ألف ومائتين وتسع وأربعين في القيطننة بضواحي وهران بالجزائر . له رسالة على قول الإمام علي : العلم نقطة كثرتها الجاهلون . سماها " نثر الدر وبسطه في بيان كون العلم نقطة " و رسالة في السماع سماها " الجنى المستطاب " وله تاريخ جميل أرخ فيه إمارة أخيه الأمير عبد القادر . توفي في بيته في باب السريجة بدمشق سنة ألف و ثلاثمائة وعشرون ، عبد الرزاق البيطار ، ج 2 ، ص : 304 . وعمر رضا كحالة ، ج 1 ، ص : 305 .

(5) - أبو القاسم محمد الحفناوي : تعريف السلف برجال الخلف ، مطبعة بيبير فونتانة الشرقية ، الجزائر 1324 هـ - 1906 م ، ج 2 ، ص : 93 .

(6) - أحمد بن محي الدين : نثر الدر و بسطه في بيان كون العلم نقطة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1425 هـ - 2004 م ، ص 11 .

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

ولو نظرنا الى السياق الذي وردت فيه كلمة " المواقف " سواء في ترجمة الحفناوي في كتابه " تعريف الخلف برجال السلف " أو في شهادة الأمير أحمد في كتابه " نثر الدر وبسطه في بيان كون العلم نقطة " فإنه يعضد ما ذهب إليه الباحث عبد الباقي مفتاح حين أبطل قول الأميرة بديعة الذي مفاده بأن كتاب المواقف للأمير - إن وجد فلا يعدو أن يكون بعضا من الأوراق المتناثرة<sup>(1)</sup> ولا يرقى أن يكون كتابا .

كما سجل الناقد عليها التناقض حينما تقول بالحرف الواحد : " وربما ما جاء في كتابه " تحفة الزائر " عن المواقف كان من دون علم منه " <sup>(2)</sup> فتارة تصف المواقف بأنها كتاب وتارة بأنها أوراق متناثرة !؟

وحول دعواها أن الأمير محمد نجل الأمير عبد القادر لم يقرأ بتمعن كتاب المواقف المنسوب لأبيه أو يكون قد دس - دون علمه في كتابه تحفة الزائر - يبين الناقد أن كتاب المواقف قد ذكر في تحفة الزائر مرات عديدة منها قوله : " وله في فن التصوف المقام الشامخ والباع الطويل والقدم الراسخ ومواقفه الكريمة أعدل شاهد بكمال ذوقه في تلك المواقف والمشاهد ... " <sup>(3)</sup> وقوله أيضا : " وبرع في فنون علوم الشريعة والحقيقة وله تأليف عديدة وحسبك منها كتاب المواقف في علم الحقيقة وهو لعقد تأليفه واسطة النظام ولطالع مجده بيت القصيد و حسن الختام . " <sup>(4)</sup>

### كتاب المواقف في قصائد الشعر :

كما يحتج عبد الباقي مفتاح أيضا بماورد على لسان الشعراء المادحين والمرثين للأمير بعد موته حيث أجمعوا على وصف الأمير بكتاب المواقف ومن هؤلاء :

-عبد الرزاق البيطار :

ومواقف شهدت بفضل معارف ضاءت على الأكوان كالنبراس

-محمد بن محمد المبارك الجزائري :

(1)- الأميرة بديعة الحسني الجزائري : الأمير عبد القادر حقائق ووثائق ، مرجع سابق ، ص : 160.

(2)- المرجع السابق ، ص : 170.

(3)- الأمير محمد ، ج 2 ، ص : 267 .

(4)- المرجع نفسه ، ص : 304.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

ينبي المواقف عنه أنه سند ويخبر الروع عنه أنه بطل (1)

وفي فصيحة أخرى يقول عنه :

وله مواقف كالمثاني ذكرها أبدا على طول المدى لا يخلق (2)

-سليم قصاب حسن الدمشقي :

أفنى بقهر النفس حسما نائلا في طاعة الله البقاء الأديما

من بالمواقف بعده يجيي الدجى مستمنحا ذاك التجلي الأعظما (3)

-عبد المجيد الخاني :

لله أفق صار مشرق دارتي قمرين هلا من ديار المغرب

الشيخ محي الدين ختم الأولياء قمر الفتوحات الفريد المشرب

والفرد عبد القادر الحسيني الأمير قمر المواقف ذا الولي ابن النبي

من نال مع أعلى رفيق أرخوا أذكى مقامات الشهود الأقرب (4)

وأقول أنا إنه من الصعب بمكان أن يختم على قبر الأمير في شاهدة قبره بهذه الأبيات التي فيها مدحه بكونه " قمر المواقف " ثم يقال أن المواقف كتاب دس في كتاب ابنه " تحفة الزائر " دون علمه . وإن حصل ذلك - فرضا وجدلا - فإن دلالاتي الزمان والمكان لا تقران بذلك . فالزمان هو يوم دفنه الذي يحضره أقرب الناس إليه وهم عصبته من أبنائه ثم أعز أقربائه من أهل العلم والأدب؟! وهل يعقل أن يغفل كل هذا الجمع المبارك عن هذا الخطأ التاريخي الجسيم!؟

(1)-الأمير محمد ، ج2 ، ص : 268.

(2)- المرجع نفسه ، ص : 269.

(3)- المرجع نفسه ، ص : 292.

(4)- وقد كتبت هذه الأبيات على شاهدة قبره واختيرت من بين أبيات كثيرة . وهي تتضمن الإشارة الى كتابه المواقف . انظر ، الأمير محمد ، ج2 ، ص : 248.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

ودلالة المكان هي أهم بذلك بكثير حيث سيزار قبره في أزمنة متعاقبة كثيرة - وما زال يزار الى اليوم - ويقراً كل زائر على شهادة قبره نسبة كتاب المواقف إليه فلم ينكر أحدا منهم - وما أكثرهم - هذه النسبة.

### ر2- دراسة أمين عودة<sup>(1)</sup> :

تعرض هذا الباحث في مقال له موسوم ب : " كتاب المواقف للأمير عبد القادر الجزائري ، دفع الشبهة عن إثبات النسبة " <sup>(2)</sup> الى ما أثارته الأميرة بديعة حول كتاب المواقف كما ذكرناه في ثنايا هذا البحث .

وينقسم المقال الى عنصرين كبيرين ، أولهما ركز فيه على أدلة النفي التي ذكرتها الأميرة بديعة الحسيني والتي تؤكد فيها على أن الأمير لم يؤلف كتاب المواقف وأن من فعل ذلك هو مصحح المخطوط بمطبعة دار الشباب أو ناسخ المخطوط عن نسخة عبد الرزاق البيطار والتي منها تم طباعة الكتاب لأول مرة في القاهرة سنة 1344هـ - 1926م دون أن تكلف نفسها عناء البحث عن هوية المصحح أو الناسخ وخاصة إذا كانت له هذه القدرة الهائلة لإخراج كتاب في مستوى كتاب المواقف الذي يتميز بعمقيه الكبيرين العقدي والفلسفي ؟!

واشار الباحث الى ما ادعته الأميرة حول مخطوطة الموقف 180 و ما زعمته حول عدم تعرض عبد الرزاق البيطار في كتابه " حلية البشر " لترجمة الأمير عبد القادر .

أما العنصر الثاني من المقال فقد بين فيه الباحث أدلة الإثبات معتمدا في ذلك على ذكر ما ورد في المؤلفات المعاصرة للأمير عبد القادر. التي فيها ذكر كتاب المواقف ومن هؤلاء من حضر الى دروس المواقف ومنهم من نسخ مخطوطه من مثل عبد الرزاق البيطار ( ت 1335هـ ) ومحمد الخاني ( ت 1316هـ )

(1)- أمين عودة : ولد سنة 1958م بفلسطين . أردني الجنسية . أستاذ بجامعة آل البيت الأردنية . متحصل على شهادة ما جستير من جامعة اليرموك سنة 1992م ، تخصص اللغة العربية و آدابها ، عنوان الأطروحة : تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية ، ابن عربي . كما تحصل على شهادة دكتوراه من الجامعة الأردنية سنة 1997م ، تخصص أدب ونقد . عنوان الأطروحة : " المقامات والأحوال في الشعر الصوفي في العصر العباسي . " له العديد من المقالات والمؤلفات منشور في مجلة العلوم العربية للدراسات الإنسانية المحكمة . من السيرة الذاتية للباحث أمين عودة . انظر الموقع الرسمي لجامعة آل البيت بالأردن . [aabu.edu.jo/AR/college sand](http://aabu.edu.jo/AR/college sand)

institutes/arts/Pages/Professor Details.aspx?ItemId=230 تاريخ الدخول 2017/06/20.

(2)- المقال منشور في مجلة دراسات الصادرة عن الجامعة الأردنية في شهر حزيران - جوان - سنة 2003م . ثم ألقاه كمداخلة في "الملتقى الدولي حول حياة الأمير عبد القادر وآثاره " الذي أقيم في تلمسان - الجزائر - في شهر فيفري سنة 2012م.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

وجمال الدين محمد القاسمي<sup>(1)</sup> (ت 1332هـ) وعبد المجيد بن محمد الخاني (ت 1319هـ) مؤلف كتاب الحقائق الوردية والأح الأصغر للأمير أحمد بن محي الدين (ت 1320هـ) ومحمد بن جعفر الكتاني (ت 1345هـ) ويوسف النبهاني (1335هـ).

### ر3- دراسة فارس لعلاوي :

لقد وجّه هذا الباحث نقداً للأميرة بديعة وذلك في كتابه : " الأمير الجزائري في دمشق ، وثائق تنشر لأول مرة عن الأمير عبد القادر الجزائري وأولاده وأحفاده " ويعرض تناقضات كثيرة وقعت فيها الأميرة خاصة ما تعلق بكتاب تحفة الزائر للأمير محمد .

كما ألقى لعلاوي محاضرة في ملتقى دولي<sup>(2)</sup> بعنوان : " الأمير عبد القادر رجل عابر للزمن " وكان موضوع المحاضرة بحثاً حول مخطوط كتاب تحفة الزائر المسروق والذي اكتشفه المؤرخ أبو القاسم سعد الله بالمكتبة السلিমانية - اسطنبول - بتركيا . وقد فند من خلالها آراء الأميرة بديعة حول كتاب تحفة الزائر التي أشرنا إليها سابقاً.

كما دعم الباحث موقفه بما ذكره من مراجع مخطوطة ومطبوعة ورد فيها ذكر كتاب المواقف ومن أهمها التاريخ الذي ألفه الأمير أحمد شقيق<sup>(3)</sup> الأمير عبد القادر الأصغر وعنوانه : " نخبة ما تسر به النواظر وأهجم ما سطر في الدفاتر " وقد كان زمن تأليفه مع الكتبة الأولى لتحفة الزائر وذلك بعد وفاة الأمير عبد القادر بعدة سنوات .<sup>(4)</sup>

(1) - جمال الدين محمد القاسمي : ولد 8 جمادى الأولى 1283هـ وتوفي يوم 23 جمادى الأولى 1332هـ من كبار علماء الشام . من أهم مصنفاته " قواعد التحديث " و تفسيره الكبير المسمى " محاسن التأويل " ، انظر حلية البشر ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص : 435.

(2) - نظم هذا الملتقى بجامعة أبو بكر بلقايد في ولاية تلمسان - الجزائر - تحت إشراف وزارة الثقافة والمركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ والإنسان والتاريخ وبالتعاون مع مؤسسة الأمير عبد القادر وذلك بتاريخ 25 - 28 فيفري 2012م.

(3) - سبق التعريف بأخ الأمير عبد القادر ، الأمير أحمد في ترجمة سابقة للحفناوي أثبت فيها ذكر كتاب المواقف في كتاب آخر للمترجم عنوانه : " نثر الدر وبسطه في بيان كون العلم نقطة . "

(4) - المواقف : تحقيق بكري علاء الدين : مصدر سابق ، ج 1 ، ص : 42.



### ر4- دراسة الأمير خلدون مكّي<sup>(1)</sup> الحسني الجزائري :

الأمير مكّي من أحفاد الأمير عبد القادر وقد تعرض الى كتاب المواقف من خلال مقال منشور على الأنترنت رد فيه على مقال عبد الباقي مفتاح المنشور على نفس الموقع<sup>(2)</sup>

### ر5- دراسة الأستاذ بكري علاء الدين<sup>(3)</sup> :

(4) حيث عرض الناقد بكري علاء الدين دراسة نقدية مستفيضة في مقدمته لكتاب المواقف يذكر في ثنايا عرضه للدراسة النقدية لأمين عودة بأن الأميرة بديعة شككت بكتابي المواقف وتحفة الزائر وخاصة ما تعلق منه بكتاب المواقف و فكرة استسلام الأمير لفرنسا، وإنما فعلت الأميرة ذلك - عن حسن قصد - لكي تحمي جدها بعد موته من "انتسابه إلى التصوف بنوعيه الطريقي من خلال انتمائه الفعلي إلى الطرق القادرية والنقشبندية و المولوية والشاذلية من جهة ، والتصوف الفلسفي من خلال تبنيه الكامل لتصوف ابن عربي ومذهبه في وحدة الوجود من جهة

(1)- الأمير خلدون مكّي :أبو إدريس،محمد خلدون بن محمد مكّي ، بن عبد المجيد ، بن عبد الباقي ، بن محمد السعيد (الأخ الأكبر للأمير عبد القادر الجزائري) ، ابنا لسيد محيي الدين الحسني الجزائري . ولد بدمشق فجر يوم الجمعة 25 شوال 1389هـ، - 2 / 1 / 1970م .درس طبّ الأسنان وجراحتها في جامعة دمشق ، ونال منها شهادة الدكتوراه سنة 1993م . فقيه مالكي متمكّن، مجاز بالفتوى على مذهب الإمام مالك ، وجامع للقراءات القرآنية العشر ، وباحث محقّق ، ومصنّف مدقّق، وخبير في الأنساب عمومًا = وأنساب آل البيت خصوصًا . ومتخصص في تاريخ جدّه الأمير عبد القادر الجزائري وسيرته وعلى دراية واسعة به ، انظر موقع رابطة العلماء السوريين ، [https://islamsyria.com/site/show\\_cvs/333](https://islamsyria.com/site/show_cvs/333) ، تاريخ الدخول 2020/06/13م.

(2) - مقال الأمير خلدون عنوانه : " الأمير عبد القادر والفتوحات المكية بين الحقائق و مغالطات عبد الباقي مفتاح " منشور بتاريخ 1 رجب 1431هـ على الموقع الإلكتروني " منتديات الجلفة " قسم الأمير عبد القادر الجزائري. <https://djelfa.info/vb/search.php> تاريخ الدخول 2020/06/13.

(3)- بكري علاء الدين : بكري بن حسن علاء الدين ، ولد بدمشق سنة 1939م ، فلسطيني من أصل سوري. له إجازة في الآداب من قسم الفلسفة بكلية الآداب بدمشق سنة 1964م ، دكتوراه الحلقة الثالثة سنة 1971م من جامعة باريس الرابعة تحت إشراف هنري كوربان ، الموضوع " البلغة في الحكمة ورفض نسبته الى ابن عربي ". دكتوراه دولة في التصوف الفلسفي الإسلامي من جامعة باريس الأولى تحت إشراف بيير تيليه. الموضوع : " عبد الغني النابلسي ، حياته ومذهبه و أعماله ومذهبه الفلسفي " . له خبرة طويلة في التدريس بكل من فرنسا ودمشق. كما أشرف على العديد من الرسائل الجامعية في التصوف والفلسفة . إنتاجه غزير كتابة ومشاركة في الندوات والمؤتمرات الدولية والتي منها الذي عقد بالجزائر بمناسبة الذكرى 178 لمبايعة الأمير عبد القادر . عنوان المداخلة " مفهوم الوراثة المحمدية في كتاب المواقف للأمير عبد القادر الجزائري وعلاقتها بالبيعة الروحية " . في سنة 2014م قام بتحقيق علمي لكتاب المواقف للأمير عبد القادر الجزائري ضمنه مقدمات هامة استفدت كثيرا منه في بحثي في هذه الرسالة. مصدر الترجمة السيرة الذاتية من موقع المكتبة الفلسفية الصوفية ، شبكة الإنترنت <http://maktaba-falsafia.com> : تاريخ الدخول 2019/05/19م

(4)- سبق التعريف بهذا الكتاب وبطبعته التي ظهرت في دمشق سنة 1914م.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

أخرى" (1) ويعيد نفس المعنى تقريبا في ثنايا عرضه لدراسة الباحث عبد الباقي مفتاح (2) حيث يبين بأن من الأسباب الرئيسية التي جعلت الأميرة بديعة تنكر امتلاك جدها الأمير كتاب المواقف هو خوفها على مكانة جدها المتميزة بكونه رمزا للجهد والبطولة والعلم من أن يطالها النقد حول تبنيه عقيدة وتصوف ابن عربي الأكبري وآرائه الفلسفية والعرفانية. وهذا التوجس الموجود

عند الأميرة قد يكون طبيعيا عند غير المتمرس والمطلع على هذا النوع من العلوم العرفانية وقد ذكر الأمير في مواقفه نموذجين اثنين من عائلة عبد القادر الحسنية ممن اعتراهم هذا الريب ، الأول منهما اخ الأمير السعيد بن محي الدين حيث يقص الأمير قصة رؤيا منامية رآها كان يحاور فيها شيخه ابن عربي حول قيمة الإنسان في الكون ، يقول الأمير : " وكان أخي السعيد رحمه الله حاضرا ، وكان ينفر من الحقائق ومطالعة كتب القوم في حياته ، فقلت له اسأل الشيخ عما تريد . فقال لي على وجه الجدل ؟ فقلت : لا . ولكن انظر المسائل العويصة التي كثر كلام الناس واختلافهم فيها فخذ من الشيخ ما تعتمده . " (3) والواضح مما ذكر أن الأمير السعيد رفض سلوك طريق هذا النوع من التصوف بالرغم أنه كان منتبيا للطريقة القادرية التي هي طريقة العائلة في الجزائر ثم بعد الهجرة الى أرض الشام.

وثاني الرجلين هو الأمير نفسه حيث ذكر في الموقف الثالث عشر ما نصه : " كنت مغرما بمطالعة كتب القوم منذ الصبا غير سالك طريقهم . فكنت في أثناء المطالعة أعثر على كلمات تصدر من سادات القوم وأكابرهم ، يقف منها شعري ، وتنقبض منها نفسي ، مع إيماني بكلامهم ، على مرادهم . لأنني على يقين من آدابهم الكاملة ، وأخلاقهم الفاضلة ، وذلك كقول عبد القادر الجيلي رضي الله عنه : " معاشر الأنبياء ، أوتيمم اللقب و أوتينا ما لم تؤتوه . " (4)

(1)- الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف ، تحقيق وتقديم ، بكري علاء الدين ، مصدر سابق ج 1 ، ص : 38.

(2)- المرجع نفسه، ص : 40.

(3)- الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف ، تحقيق عبد الباقي مفتاح ، مصدر سابق ، ج 2 ، الموقف 372 ، ص : 597.

(4)- المرجع نفسه ، الموقف 13 ، ص : 49.

ر5-1 أخطاء منهجية في الدراسة النقدية للأميرة بديعة :

وتحت عنوان " نقد منهجية الأميرة بديعة التي تزعم بأن جدها لم يؤلف كتاب المواقف " تعرض الباحث بكري أمين الى وثيقة مجلة مسالك - وقد سماها بالوثيقة الأسطورة - التي تحمل مضمون الموقف 180 المأخوذ من مخطوط المواقف المحفوظ في المكتبة الوطنية في عاصمة الدولة الجزائرية والتي اعتمدت عليها الأميرة للحكم من خلالها بأن جدها لم يؤلف كتاب المواقف وذلك بعد إخضاع الوثيقة الى الخبرة الفنية من طرف محلفين في دراسة المخطوط - كما مر معنا - ويقرر الباحث بأن الأميرة وقعت في خطأ منهجي حيث اعتقدت وهما بأن خط الوثيقة نسب زورا للأمير وهو منطلق خاطئ من الأساس حيث لا يوجد في المخطوط ولا في مجلة مسالك دليل على أن الخط المكتوب هو للأمير أصلاً<sup>(1)</sup>. ومن ثم فإن تقارير الخبرة الثلاثة التي كتبت في هذا الشأن هي نوع من الترف والإسراف الفارغ على حد تعبير الباحث بكري أمين. وعليه فإن دعوى الأميرة هي باطلة لأنها اعتمدت على قياس مغالطي يفتقر إلى الحد الأوسط<sup>(2)</sup>. كما استغرب الباحث من الأميرة قولها " الأدلة صارخة على أن مؤلف كتاب المواقف ليس الأمير عبد القادر وإنما أخذت بعض أفكاره ودست بشكل عشوائي في أفكار ليست له ومناقضة " <sup>(3)</sup>.

ويبين الباحث أن تعامل الأميرة مع مخطوط " حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر " للشيخ عبد الرزاق البيطار والذي وجدته في المكتبة الظاهرية - مكتبة الأسد الوطنية - هو تعامل غير علمي ولا منهجي وهو مثير للشفقة؟! إذ كيف تزعم أنها لم تجد في هذا المرجع اسم الأمير عبد القادر ولا ذكر لكتابه المواقف؟! ثم يسوق الباحث النص الموجود والذي فيه ذكر الأمير و ذكر لكتابه محل النزاع .

(1) - يؤكد الباحث بكري علاء الدين أن ناسخ الموقف 180 هو عبد الرزاق البيطار وقد كتبه بخط مشرق مع مجموعة أوراق من الجزء الأول من المخطوط المحفوظ في المكتبة الوطنية بالعاصمة الجزائرية . الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص : 47 في الهامش .

(2) - المرجع نفسه ، ص : 45-47 .

(3) - الأميرة بديعة الحسني : دراسة لكتاب تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر ، دمشق ، 2009 ، ص : 166 .

ر5-2 نص عبد الرزاق البيطار الذي لم تذكره الأميرة بديعة :

وأستغرب أنا بدوري إذ كيف تغفل الأميرة بديعة عن قراءة ترجمة الأمير عبد القادر الموجودة في كتاب حلية البشر؟ وهي مكتوبة في الجزء الثاني على صفحات جاوز عددها الثلاثون ( من ص 883 الى ص 915 ). ومما جاء فيها قول مؤلفها : " وكان لي بحمد الله منه الحظ الأوفى والإلتفات الأجدى الأجدر ، والعناية العالية و البشاشة السامية ، وحضرت عليه مع من حضر كتاب فتوحات الشيخ الأكبر ورسالة عقلة المستوفز له ، وكتاب المواقف للمترجم المرقوم ، وهو كتاب كبير في الواردات التي وردت عليه ونسبت إليه " وقد أثير تأويل للعبارة الأخيرة مفاده أن كثيرا من واردات الموقف إنما هي شطحات غريبة على فكر الأمير وبعد موته؟! ولكن ما جاء في بقية نص الفقرة يبطل هذا الزعم حيث يؤكد البيطار فيقول : "

...وكننا لايرد علينا من آية أو حديث أو غير ذلك إلا وأجاب عنه بأحسن جواب ، من فتح الملك الوهاب ، وكان في كل مدة قليلة يدعوننا إلى بعض محلاته خارج البلد ، فكان يدخل علينا كل سرور ويفرغ علينا كل حبور ، وفي كل سنة في أيام الصيف كان يخرج الى قصره في أرض دمر ، فكان يأمرني بالخروج معه . ولا زلت ملازما له إلى أن توفي " (1)

ر5-3 إشكالية التزوير المنسوبة الى مصحح مطبعة الشباب في القاهرة :

كما تعرض الباحث بكري أمين الى ما أثارته الأميرة حول شخص مصحح مطبعة الشباب المدعو فراج بنيت السيد والذي لا يعرف عليه إلا أنه يعيش في بور سعيد . وقد كان يعمل ناسخا ومصححا في مطبعة القاهرة التي طبعت المواقف لأول مرة سنة 1926م (2) اعتمادا على مخطوط عبد الرزاق البيطار . ولقد أكثرت الأميرة من طرح الأسئلة حول هذا المطبوع كما مر معنا في دراستها النقدية والتي تشير فيها الى نسبة الكتاب الى شخص السيد فراج ! ويتساءل الباحث بكري مفندا رأي الأميرة : " كيف يمكن أن ننسب كتابا من مثل حجم وقيمة كتاب المواقف الى شخص مجهول ؟ (1)

(1)- ذكر الباحث بكري هذا النص في كتاب المواقف الذي حققه ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص : 49. وقد نقل النص من مصدره الأصلي ، لصاحبه عبد الرزاق البيطار ، ج 2 ، ص : 904.

(2)- هذا التاريخ هو الذي أثبتته بكري أمين ، بعد التحقيق ، كأول تاريخ لطباعة المواقف خلافا لما ذهب إليه ممدوح حقي من أن أول تاريخ لطبع المواقف هو 1911م.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

وأضيف أنا تساؤلاً آخر : هل يمكن لشخص مغمور ونكرة أن يكتب كتاباً من مثل كتاب المواقف المتميز بعمقه الفلسفي والعرفاني وكذا مستواه الرفيع والمتين في جانب اللغة و البلاغة والإستيعاب الواسع لعلمي الشريعة والتاريخ ؟ ثم كيف لا يقع تعقب لهذه الشخصية وتبقى في طي النسيان كل هذه المدة من الزمن ؟

### ر5-4 الرد على الأميرة بأنها تعرف الأمير أكثر من معرفة ابنه البكر محمد له :

لقد أشار الباحث الناقد الى ما أوحى به الأميرة من كونها تعرف الأمير عبد القادر أكثر من ابنه محمد وكأنها من معاصريه وبينت أنها توصلت الى ذلك بسبب شهادات حية سمعتها مباشرة من جدتها الأميرة زينب بنت الأمير عبد القادر ومما سمعته أيضاً من جدتها محي الدين ابن الأمير عبد القادر . وفي ذلك تقول الأميرة بديعة : " السبب الذي جعلني على يقين من أن الأمير لم يؤلف كتاب المواقف هو معرفتي به رحمه الله من خلال أحاديث أهلي عنه منذ نشأتي : أهلي الذين عاصروه... " (2)

### ر5-6 شهادات على ثبوت نسبة كتاب المواقف للأمير :

ولكن الناقد لا يسلم للأميرة أن تكون شهادتها أقوى من شهادة شيوخ كبار كانوا ملازمين ومقربين للأمير عبد القادر وهم : عبد الرزاق البيطار ، محمد بن محمد الخاني وابنه عبد المجيد وجمال الدين القاسمي والأمير أحمد شقيق الأمير عبد القادر . وقد أورد الباحث مرة أخرى شهادات لهؤلاء الأصدقاء المقربين تفيد ثبوت نسبة كتاب المواقف للأمير عبد القادر

### . أ- الشهادة الأولى للأمير أحمد شقيق الأمير عبد القادر :

نزولا عند طلب صديقه جمال الدين القاسمي ، يؤلف الأمير أحمد ، كتاباً ضمنه تاريخ أخيه الأمير عبد القادر عنوانه " نخبة ما تسر به النواظر ، وأهجم ما يسطر في الدفاتر ، في تولية ذي الكمال الظاهر والنسب الطاهر ، سعادة الأمير عبد القادر " (1)

(1)- الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق ، بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، ج1 ، ص : 49.

(2)- الأميرة بديعة الحسيني : دراسة لكتاب تحفة الزائر و مآثر الأمير عبد القادر . دمشق 2009 ، ص : 134.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

ومما أورد فيه ذكر مؤلفات الأمير حيث يقول : " وله قدس الله سره تأليف عديدة أشهرها المواقف في التصوف ، وتعليق على حاشية لأحد أجداده في علم الكلام والمقراض الحاد وذكرى العاقل وتنبية الغافل ، ومن أطلع على هاته المؤلفات عرف قدر فضله وسعة علمه " (2)

### ب- الشهادة الثانية لجمال الدين القاسمي :

ونفس هذه الشهادة يذكرها جمال الدين القاسمي حيث اقتبس قول الأمير أحمد ونقله في كتابه " تعطير المشام بمآثر دمشق الشام " وما يزال الكتاب مخطوطا في مكتبة المؤلف في حي المهاجرين بدمشق والتي يشرف عليها حفيده سعيد القاسمي . وهذا المخطوط يحتوي على 48 صفحة وهو جزء مستل من كتاب الأمير أحمد المذكور آنفا وقد جاء في صفحته الأخيرة - رقم 48- بخط مؤلفه جمال الدين القاسمي : " بحمد الله قد عورض هذا الجزء بأصله وتم العراض في رابع شوال سنة 1318 هـ ، كتبه جامع جمال الدين . "

### الشهادة الثالثة : هي أيضا لجمال الدين القاسمي .

وتتأكد الشهادة الأولى والثانية بشهادة ثالثة وهي لجمال الدين القاسمي أيضا وهي تحتوي على ذكر شخصية أخرى لها وزنها في محيط الأمير ونعني بها محمد بن محمد الخاني وهو من هو في دائرة القرب والتبجيل والصدقة بالنسبة للأمير عبد القادر . ونص هذه الشهادة المذكور في الكتاب المذكور آنفا . يقول القاسمي وهو يصف بعضا من تجربة الأمير عبد القادر الصوفية: " كان يذهب الى غار حراء ويعتكف به ليالي متعددة . وصادف بمكة العارف بالله تعالى المرشد الناصح الشيخ محمد الفاسي الشاذلي قدس سره وأخذ عنه الطريقة الشاذلية وانتفع به ، وفتح عليه بسببه وبما سلف له من الخلوات قبل ذلك الفتح الكبير الذي لم يسمع بمثله في أهل عصره . وأعظم شاهد على ذلك كتابه المسمى بـ " المواقف العرفانية " ففيه ما يبهر العقول ويحير أفكار الفحول من الواردات وأسرار التنزلات وقد بلغ ثلاث مجلدات ، وكنت نقلتها

(1)- ما يزال هذا الكتاب مخطوطا و توجد نسخة منه عند الأمير الدكتور خلدون المكي الحسيني ، انظر ، كتاب المواقف تحقيق ، بكري

علاء الدين ، مصدر سابق ، ج 1 ، المقدمة ، ص : 51

(2)- المرجع نفسه ، المقدمة ، ص : 51.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

بخطي تبركا . وقرأتها على أخص أصحاب الأمير ، وهو شيخنا صوفي زمانه ومرشد أوانه الشيخ محمد بن محمد الخاني حرس المولى وجوده . وهو سمعها مع غيرها من معظم كتب الحقائق ، كالفتاحات وسواها على حضرة الأمير ، قدس سرّه . " (1) ونسجل هنا في هذه الشهادات ما يشبه التواتر الذي يستفاد من تقاطعات في الأقوال التي صرح بها رفقاء فضلاء مقربين من الأمير . وهل يمكن أن يقع التواطؤ - على لغة أهل الفقه والحديث - على الكذب بين رجال دائرة الصداقة الأولى للأمير ، وكيف يمكن أن يتفق هؤلاء على اختلاق كذبة كتاب المواقف ويقررون نسبته للأمير!؟

### موازنة وترجيح :

من خلال ما تم عرضه من دراسات نقدية حول نسبة كتاب المواقف للأمير من عدمها وما ذكرناه قبل ذلك من الإنتشار الواسع لمخطوطات المواقف في المكتبات العالمية وبالوقوف على الملاحظات الآتية :

م1- كيف يمكن للإبن - الأمير محمد - والأخ الشقيق - الأمير أحمد - أن ينسب كل منهما كتابا من منزلة كتاب المواقف الى الأمير عبد القادر؟ وكيف يمكن أن تقع منهما غفلة أو خطأ في هذا الشأن؟ ثم تتنبه حفيده من الدرجة الثانية - بديعة الحسني - لهذه الغفلة الكبرى!؟

م2- كيف ينسب للأمير كتاب المواقف من طرف أعداد هائلة حضرت جنازته وأعداد أخرى أضعافا مضاعفة جاءت من بعدهم يزورون قبره ويقرؤون على شاهدة قبره - كما بينا سابقا - نسبة الكتاب للأمير!؟ ورغبة في التوضيح أكرر ما ذكرته في أوراق مضت من هذا البحث حيث كتبت :

" وأقول أنا إنه من الصعب بمكان أن يحتج على قبر الأمير في شاهدة قبره بهذه الأبيات التي فيها مدحه بكونه " قمر المواقف " ثم يقال أن المواقف كتاب دس في كتاب ابنه " تحفة الزائر " دون علمه . وإن حصل ذلك - فرضا وجدلا - فإن دلالاتي الزمان والمكان لا تفران بذلك . فالزمان هو يوم دفنه الذي

(1)- كتاب المواقف تحقيق ، بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، ج1 ، المقدمة ، ص : 51

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

يحضره أقرب الناس إليه وهم عصبته من أبنائه ثم أعز أقرائه من أهل العلم والأدب؟! وهل يعقل أن يغفل كل هذا الجمع المبارك عن هذا الخطأ التاريخي الجسيم!؟

ودلالة المكان هي أهم بذلك بكثير حيث سيزار قبره في أزمنا متطاولة - ومازال يزار الى اليوم - ويقراً كل زائر على شاهدة قبره نسبة كتاب المواقف إليه فلم ينكر أحد منهم وما أكثرهم!؟

م3- ثم كيف يمكن لأحص أصدقائه والمكثرين من الجلوس معه في ساعات طويلة من الليل والنهار من مثل عبد الرزاق البيطار ومحمد الخاني وجمال الدين القاسمي ومحمد الطيب المبارك الجزائري مولدا ومحمد الطنطاوي المصري ثم الشامي وغيرهم و كيف يعقل أن يتفقوا على فرية كبيرة من حجم نسبة سفر عظيم الى الأمير عبد القادر ، هذا السفر الذي يحوي علوما رفيعة و كثيرة من مثل الفلسفة والتصوف وعلم الكلام وعلم الحديث والمنطق زيادة على اشتماله على دراسات نقدية لما قرره تراجم وأعلام كبار في مقام العرفان الصوفي من أمثال أبو حامد الغزالي والشهرستاني وابن عربي و عبد الكريم الجيلي وعبد الغني النابلسي .

م4- إذا لم يكن الأمير هو مؤلف كتاب المواقف ؟ فمن هو مؤلفه ؟ وكيف لا يشتهر اسم هذا المؤلف ولا تتداوله الأقلام والألسنة سواء بالتأييد أو بالنقد؟

م5- ونظرا للنقد العلمي الذي وجهه أربعة من الباحثين الذين ظمنا دراساتهم النقدية في هذا البحث.

م6- ونظرا للإنتشار العالمي لكتاب المواقف حيث ورد ذكره في مراجع علمية سبق أن أشرنا إليها



## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

ونضيف هنا ذكر لويس ماسينيون<sup>(1)</sup>. حيث عبر عن كلمة المواقف بالكلمة الفرنسية " Les repaires " وهي ترجمة غير سديدة والأصح هي كلمة " Les haltes "<sup>(2)</sup> كما ترجم أيضا بعضا أو كلا الى لغات أخرى نرصدتها في ما يلي:<sup>(3)</sup>

- ترجمة ميشال شود كيفيكس: وهو مستشرق فرنسي أشهر إسلامه تحت اسم علي عبد الله ، ولقد قام في سنة 1982م بترجمة 38 موقفا في كتاب سماه " Ecrits spiritules " كتابات روحية .
- ترجمة أندري جليس : وهو أيضا مستشرق فرنسي اعتنق الإسلام وتسمى بحبي عبد الرزاق وقد ترجم القصائد التي في مقدمة المواقف وذلك في سنة 1983م .
- وفي سنة 1996 واصل كورشيد ما قام به شود كيفيكس حيث ترجم 51 موقفا ، غير المواقف التي ترجمها شود كيفيكس .
- في سنة 2000م قام القسيس الفرنسي ميشال لقار بترجمة كل المواقف في ثلاث مجلدات ونشرها في كل من هولندا وبوسطن وكولونيا .<sup>(4)</sup>

- 
- (1)- لويس ماسينيون (1883م - 1962م) : يعتبر من أكبر مستشقي فرنسا وأشهرهم، وقد شغل عدة مناصب مهمة كمستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال أفريقيا. حصل على البكالوريا في الأدب والفلسفة 1900م وفي الرياضيات 1901م. وبعدها انطلقت رحلاته إلى الجزائر عام 1901م ومراكش عام 1904م، وكتب عنها بحثا صغيراً، نال به دبلوم الدراسات العليا في السوربون على يد المستشرق هارتف جدارنور، ثم تابع محاضرات لوشانلييه في الكوليج دي فرانس عن دراسة الإسلام. غير أن حياته الإستشراقية بدأت باشتراكه في المؤتمر الذي عقد بالجزائر في ابريل 1905م، وهناك تعرف إلى جولد تسيهر، و اسين بلاثيوس. تعلم ماسينيون العربية والتركية والفارسية والألمانية والإنكليزية. درس في الجامعة المصرية القديمة سنة 1913م وخدم في الجيش الفرنسي خمس سنوات خلال الحرب العالمية الأولى. من مؤلفاته : عذاب الحلاج والطريقة الحلاجية 1909م، المعركة الأخيرة بين الرفاعية والقادرية 1909م ، مجموع نصوص غير منشورة عن التصوف 1929م . توفي في باريس في 13 أكتوبر من عام 1962م إثر نوبة قلبية، وقد شارف الثمانين من العمر . بدوي عبد الرحمان : موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1984م ، ص : 363-367.
  - (2)- لويس ماسينيون : آلام الحلاج : شهيد التصوف الإسلامي ، ترجمة الحسين الحلاج ، ط1 ، شركة قدمس للنشر ، بيروت ، لبنان ، 2004م ، ص : 87. وأيضا كتاب المواقف ، دراسة عبد الباقي مفتاح ، مصدر سابق ، ج1 ، ص : 39.
  - (3)- راجع ذكر هذه الترجمات في مقدمة كتاب المواقف ، تحقيق عبد الباقي مفتاح ، مصدر سابق ، ج1 ، ص : 39.
  - (4)- المرجع نفسه ، ج1 ، ص : 39.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

أقول وبناء على كل ما تقدم : إن الأدلة العلمية والموضوعية ترجح نسبة كتاب المواقف للأمير عبد القادر  
والى غاية هنا نكون قد بذلنا ما في الوسع لتحلية موضوع نسبة كتاب المواقف للأمير عبد القادر  
وننتقل الآن الى مضمون الكتاب بقصد الوقوف على ما يميز الكتابة الصوفية عند الأمير وما يتصل بها من  
قضايا إلهية وكونية .

### المبحث الثاني : نماذج من الكتابات الصوفية للأمير في كتاب المواقف.

**تمهيد :** بعد دراستنا التحقيقية حول نسبة الكتاب ، ننتقل الآن الى مبحث جديد يتعلق بمضمون  
الكتابة الصوفية عند الأمير عبد القادر ميرزين في مطلب أول مدى استقلالية وأصالة الفكر الصوفي عنده  
وهل له ما يميزه عن غيره من الكتابات. وفي المطلب الثاني ندرس عينات ونماذج من مواضيع التصوف التي  
ضمنها الأمير كتابه المواقف.

### المطلب الأول : خصائص المنهج الصوفي للأمير من خلال كتاب المواقف :

نستطيع ونحن نقرأ في كتاب المواقف للأمير عبد القادر أن نرصد بعضاً من المميزات المنهجية والمعرفية  
تفرد بها الأمير في هذا السفر الصوفي. نذكرها في ما يلي :

#### 1-التأصيل الشرعي :

حيث أن منطلق كتابة الأمير الصوفية هو القرآن الكريم وما يتصل بمعانيه الواردة في السنة الصحيحة  
وما يؤيدها من أقوال أهل العلم ولذلك بين المنهج الذي اعتمد عليه في تأليف كتاب المواقف . يقول  
الأمير: " وطريقة توحيدنا ما هي طريقة المتكلم ، ولا الحكيم المعلم ، ولكن طريقة توحيد الكتب المنزلة ،  
وسنة الرسل المرسله ، وهي التي كانت عليها بواطن الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين والسادات العارفين  
، وإن لم يصدقوا الجمهور والعموم ، فعند الله تجتمع الخصوم ."<sup>(1)</sup>.

(1)- الأمير عبد القادر : المواقف الروحية والفيوضات السبوحية ، تحقيق عاصم الكيالي ، مصدر سابق ، ص 7.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

وغني عن القول أن قصد الأمير من هذه العبارات هو التأصيل وبيان مشروعيتها اجتهاداته في مجال التصوف ، و لو انتبهنا الى آخر العبارة فهي تؤكد هذا القصد حيث وجه نصيحة لمن يعارض منهجه في التصوف - بعد البيان والإعذار- الى الحكم الإلهي في الدار الآخرة . كما يستفاد من السياق أيضا قوة اقتناع الأمير بمذهبه العرفاني الأكبري .

ولما كانت الغاية من التصوف هي القرب من الله وعبادته على أتم لأحوال ، أشار الأمير في أحد مواقفه إلى أن السبيل الوحيد لمعرفة الله والتقرب منه هو طريق الشرع الذي جاءت به الأنبياء . فالعلم بالله هو طريقهم وهو علم واحد واستهل هذا الموقف بقوله تعالى " ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾<sup>(1)</sup> وأورد بعد ذلك قوله : " فالإله الذي عرفه الأشعري غير الإله الذي عرفه المعتزلي ، غير الإله الذي عرفه الظاهري ، غير الإله الذي عرفه الحكيم الفيلسوفي وعليه فما زعموه علما بالله ليس بعلم بل هو تخيل وتوهم ، فالحاصل لهم إدراك ، ومن أفراده التوهم والتخيل ، فالعلم بالله إذا فيما جاءت به الرسل والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام - لهذا ما اختلفوا في إلههم ، ولا لعن بعضهم بعضا ، ولا خطأ . بل علمهم بالله واحد و أمرهم جميع . كما قال : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾<sup>(2)</sup>

والواقف على هذه العبارة للأمير قد يستغرب من فحواها أول الأمر ولكن كتب العقيدة والفلسفة التي تحمل في طياتها ألوانا شتى من الاختلاف في وجهات النظر التي تصل أحيانا الى تفسيق المخالف حيننا وتكفيره حيننا آخر . وقد يكون من أقرب الأمثلة التي تشهد على ذلك ما وقع بين الغزالي و الفلاسفة المشائين حيث كفرهم في ثلاث اعتقدوها : قدم العالم وأن الحشر يكون بالأرواح لا بالأجسام وأن الله يعلم الكلديات لا الجزئيات<sup>(3)</sup> وفسقهم في سبعة عشرة مسألة ذكرها في كتابه تحافت الفلاسفة . وبنفس علم الجدليات والأقيسة المنطقية يرد ابن رشد على الغزالي يفند آراءه في كتاب له اسمه " تحافت التهافت " وما وقع بين الأشاعرة والمعتزلة

(1)- سورة محمد ، الآية رقم 19 .

(2)- سورة الشورى ، الآية رقم 13 . والمتن هو قول الأمير ، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية ، تحقيق عاصم الكيالي ، مصدر سابق الموقف 173 ، ج 1 ، ص : 312 وما بعدها .

(3) - أبو حامد الغزالي : تحافت الفلاسفة ، تحقيق سليمان دنيا ، ط 4 ، دار المعارف ، مصر ، 1966م ، ص : 38 .

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

من خلاف في معتقدات كثيرة تتصل بالذات الإلهية من مثل صفاته تعالى وما سال حولها من حبر قد تجري به أودية وأنهار ينتصر فيها كل فريق لرأيه بالتأويل تارة وبظاهر النص تارة أخرى .

### 2- الوارد الإلهي "العلم الوهبي":

ومما يؤكد معنى هذه الخاصية ومشروعيتها مضمون عنوان الكتاب نفسه حيث يرد تارة بالصيغة التالية : " كتاب المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف " وهو الموجود في دراسة عبد الباقي مفتاح و بكري علاء الدين . حيث نفهم من ذلك أن قطب رحي الكتاب هو كلام الله رب العالمين . وتارة نجد العنوان بصيغة " المواقف الروحية والفيوضات السبوحية " ولعل الباحث عاصم الكيالي صاغ هذا العنوان بعد وقوفه على قول الأمير وهو يصف كتابه بأنه عبارة عن : " نفثات روحية و إلقاءات سبوحية بعلوم وهبية وأسرار غيبية ، من وراء طور العقول ، وظواهر النقول خارجة عن أنواع الإكتساب والنظر في كتاب قيدها لإخواننا الذين يؤمنون بآياتنا ."<sup>(1)</sup> فالنث والفيض الصوفي<sup>(2)</sup> هو منهج مستقل في تلقي المعارف كما سبق لنا وأن بيناه في مبحث تعريف التصوف وقد بينا مشروعيته عند كل من أبي حامد الغزالي وابن خلدون<sup>(3)</sup> وهو يختلف عن الفيض الفلسفي المشائي

و في آخر العبارة السابقة يشير مرة أخرى إلى المعارضين لمنهجه العرفاني حيث يضيف قائلاً : " إذا لم يصلوا بعد إلى اقتطاف ثمارها فما عليهم إلا أن يتركوها في زوايا أماكنها إلى أن يبلغوا أشدهم و يستخرجوا كنزهم ."<sup>(4)</sup> وهو دليل على تمكن الأمير ووثوقه بشرعية منهجه المتبنى في كتاب المواقف .

(1)-المواقف الروحية و الفيوضات السبوحية ، تحقيق عاصم الكيالي ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص : 7. (2)و المقصود بكلمة الفيض هنا هو ما يمن به الله على السالك الصوفي من معارف إن شاء بعد تجرده و سلوكه طريق المجاهدة وهذا هو المقصود بالفيض الإلهي عند المتصوفة ومن ذلك ما نجد في العبارة الآتية : " وهنا أصبح إتباع نظم السالكين وأهل الطريق والمجاهدة الصوفية ضرورة لازمة لقنص لوائح المعرفة وبارقات الفيض الإلهي " أبو ريان : أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط 1 ، القاهرة ، 1959م ، ص : 288.

(3)- راجع قول أبو حامد الغزالي وابن خلدون في مشروعية منهج المعرفة الصوفي ص : 106 .

(4)- الأمير عبد القادر : المواقف الروحية والفيوضات السبوحية ، تحقيق عاصم الكيالي ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص : 7.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

**3- الجذب الإلهي<sup>(1)</sup> :** يبين الأمير من خلال قوله تعالى ﴿ فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى ﴾<sup>(2)</sup> أن الوصول الى معرفة الله تعالى يتم من خلال طريقين وهما السلوك أو الجذبة الإلهية . ويعرف الأمير الطريق الأول بأنه السير في مراحل الطريق الصوفي ومكابدة السير في الأحوال والمقامات . وهذه الطريق وإن كانت أعلى وأكمل فهي أطول وأخطر وقد يتحقق الوصول الى النهاية أو يحدث الإنقطاع حسب النية والهمة. أما الطريق الثاني فهو أقصر وأسلم وهو الذي يتم عن طريق الجذبة الإلهية التي يشير إليها الأمير بقوله : " وكنت ممن رحمه الله تعالى ، وعرفه بنفسه وبحقيقة العالم على طريق الجذبة ، لا على طريق السلوك." <sup>(3)</sup>

### 4- تبني المنهج العرفاني الأكبر لابن عربي<sup>(4)</sup>:

يشير الأمير في أكثر من موقف على أن منهجه ومصدر إلهامه في هذا الكتاب هو شيخه الأكبر محي الدين بن العربي الذي كان يجله و صرح بأنه "ختم الوراثة المحمدية"<sup>(5)</sup> و " قال إمام العالمين بالله تعالى ورسله - عليهم الصلاة والسلام - شيخ الشيخ محي الدين الحاتمي." <sup>(6)</sup> ويؤكد على ذلك بأوضح

- (1)- الجذب هو عبارة عن جذب الله تعالى عبدا الى حضرته . وقيل هو عبارة عن تقرب العبد بمقتضى عناية الله التي أعدت له كل شئ من جانب الله في لمس الراحل شطر الحق ، بلا تعب وسعي منه . قال الخراز : " إن الله جذب أرواح أوليائه إليه ولذذا بذكره والوصول الى قربه." انظر عبد المنعم الحفني ، معجم مصطلحات الصوفية ، ط2 ، دار المسيرة ، بيروت ، 1407هـ - 1987م ، ص : 62.
  - (2)- سورة طه ، الآية رقم 132.
  - (3)- الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق بكرى علاء الدين ، مصدر سابق ، ج 1 ، الموقف 18 ، ص : 59.
  - (4)- سبق التعريف به.
  - (5)- الأمير عبد القادر ، المواقف ، تحقيق عبد الباقي مفتاح ، مصدر سابق ، ج 2 ، الموقف 250 ، ص : 3.
- وجاء في تعريف الحقيقة المحمدية : أول موجود أوجده الله تعالى من حضرة الغيب. و قيل أيضا في تعريفها : " التعين الأول الذي ظهرت منه النبوة والرسالة والولاية ، ونشأت عنه جميع التعينات ، ولأجل ذلك كان نبينا محمد عليه الصلاة والسلام سيد الوجود وأصل الوجود وأصل كل موجود وهو أول الأولين وخاتم النبيين المختص بالإسم الأعظم الذي لا يكون إلا له دون جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من حيث إنه المرجع الأصلي لجميع التعينات. والوراثة المحمدية تعتبر الأساس الفكري والبنية التحتية في مراتب الأولياء الكمل في الوجود الصوفي . ومعظم الطرق الصوفية تظهر رجالاتها الكبار على أنهم ختم الوراثة المحمدية لأن الختم الحقيقي هو محمد -ص- الذي حاز على الحقيقة المحمدية التي هي المفهوم الذي يرمز به الى النور المحمدي . أمين حمدي : قاموس المصطلحات الصوفية ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 2000 ، ص : 56 و أيضا رفيق العجم : موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، مكتبة لبنان ، ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1999م ، ص : 301.
- (6)- الأمير عبد القادر ، المواقف ، تحقيق عبد الباقي مفتاح ، مصدر سابق ، الموقف 242 ، ص : 435.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

عبارة فيقول : " فإنه خزانتنا التي منها نستفيد ، ما نكتب إما من روحانيته وإما مما كتبه في الكتب " (1) ويشهد على هذه الغاية إقتباسات الأمير الكثيرة من أبواب كتاب الفتوحات المكية لابن عربي مثل ما ورد في الباب السادس والسبعين في المقارنة بين النفوس الناطقة والنفوس الحيوانية (2) والباب الثالث والعشرين بعد المائة الخامسة في معرفة حال القطب (3) والباب السادس والأربعين وثلاثمائة في الحديث عن تجلي الحق في الثلث الأخير من الليل (4) وكذلك فعل الأمير مع كتاب شيخه فصوص الحكم حيث كان يتعقب أبوابه بالشرح والتعليق يقول الأمير : " قول سيدنا - أي محي الدين بن عربي - (فص حكمة إلهية في كلمة آدمية) الفص لغة ، كل ملتقى عظيمين ، والفص فصل الأمر ، أراد رضي الله عنه بالفص هنا أنه وفي كل حكمة حقها و أعطاه مستحقها . " (5) وتذكر بعض المصادر بأن للأمير اليد الطولى على بعض مؤلفات ابن عربي من ذلك النص الآتي : "...ولكني أخص بالشكر والعرفان الأمير المجاهد عبد القادر الجزائري الذي لولاه لما عرف المعاصرون النص الكامل للفتوحات المكية لابن عربي ، والذي توقف في ما بعد الدكتور عثمان يحي صاحب الجهد الكبير عن إصدار الطبعة المحققة منه عند السفر الرابع عشر والتي صدرت عن الهيئة المصرية للكتاب ولا أدري لماذا . و بقيت لدينا طبعة وحيدة كاملة هي التي قام عليها الأمير عبد القادر الجزائري وهي غير محققة بالطبع." (6)

### 5- الإستقلالية والتميز في بعض المسائل :

#### 5-1 استدراك على الجيلي في معنى " العلم و الإرادة والقدرة " :

- (1)- المرجع نفسه ، ج 2 ، الموقف 367 ، ص : 475 .
- (2)- النفس الناطقة والنفس الحيوانية : عند ابن عربي والأمير هما المذكورتان في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ سورة التوبة ، الآية 9 . حيث التي اشتراها الحق تعالى هي الحيوانية وقد اشتراها سبحانه من الناطقة المؤمنة . فنفس المؤمن الناطقة هي البائعة المالكة لهذه النفوس الحيوانية التي اشتراها الحق منها ، المرجع نفسه ، ج 2 ، الموقف 313 ، ص : 218 .
- (3)- القطب: هو الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى في كل زمان يسمى بالغوثة أيضا باعتبار التجاء الملهوف إليه . وخلق على قلب محمد - ص - . عبد المنعم الحفني ، ص : 217 . وكذلك عبد الرزاق الكاشاني : معجم اصطلاحات الصوفية ، تحقيق وتقديم وتعليق عبد العال شاهين ، ط 1 ، دار المنار ، القاهرة ، 1992 ، ص : 162 . الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق عبد الباقي مفتاح ، مصدر سابق ، ج 2 ، الموقف 308 ، ص : 197 .
- (4)- المرجع نفسه ، ج 2 ، الموقف 295 ، ص : 139 .
- (5)- فؤاد صالح السيد ، ص : 175 .
- (6)- أمين حمدي ، مرجع سابق ، ص : 9

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

بالرغم من تبني الأمير عبد القادر لمنهج شيخه الأكبر ابن عربي إلا أنه كان يتميز بأدب أهل العلم في البحث و الإستقلالية والنقد حيث كان يتبنى رأي غيره بوعي عقلي فيقبل ما يراه موافقا للحقيقة والشريعة (1) ويرد ما خالف ذلك ولو قرأنا هذا النص المقتبس من أقواله في كتاب المواقف لتبين كيف يرد على عبد الكريم الجيلي بالرغم من نعته له بالإمام الكبير العارف بالله، يقول الأمير: " فاعلم أن الإمام الكبير العارف بالله الكامل عبد الكريم الجيلي (2) انتقد في كتابه ( الإنسان الكامل ) (3) على الشيخ محي الدين الحاتمي ثلاث مسائل : أحدها في باب العلم ، وثانيها في باب الإرادة والإختيار وثالثها في باب القدرة . ولا أدري كيف أحتجب وجه هذه المسائل الثلاث عن الإمام الجيلي ومن أين جاءته هذه الغفلة ؟ وسرى إليه هذا السهو . وما ذلك إلا لينفرد الحق تعالى بالكمال المطلق . ورضي الله عن الإمام مالك بن أنس حيث قال وهو تجاه القبر الشريف : ما منا إلا و رُذِّ عليه إلا صاحب هذا القبر - ص - وروي عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي أنه قال : إني ألقت هذه الكتب وبذلت جهدي في تصحيحها وتنقيحها ، ولا بد أن يوجد فيها اختلاف . فإن الله يقول ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ (4)

### 2-5 مصير المشرك بالله إذا اجتهد واستعمل النظر العقلي :

ولا يستشكل على باحث أن يستنتج من قول الأمير ما يتصف به الفكر الصوفي من حرية واستقلالية أفسحت المجال للنقد والإثراء بين رجاله. ومن عجيب ما ذكره الأمير في شأن الإستقلال بالنظر المؤيد بالشرع

(1) - بوسلاح فايزة : كتابات أدب التصوف عند الأمير عبد القادر ، مجلة الحوار المتوسطي مخبر البحوث والدراسات الإستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي ، جامعة جيلالي اليابس ، المجلد 12 ، العدد 2 ، ماي 2021م ، ص : 279.

(2) - الجيلي : سبق التعريف به.

(3) - الإنسان الكامل : هو الجامع لجميع العوالم الإلهية والكونية والمرآة الجامعة بين صفات القدم وأحكامه وبين صفات الحدثان وهو الوساطة بين الحق والخلق. عبد المنعم الحفني ، ص : 27. كما يعرفه عبد الكريم الجيلي فيقول : "...ولكن مطلق لفظ الإنسان الكامل حيث وقع في مؤلفاتي إنما أريد به محمداً -ص- تأدبا بمقامه الأعلى ومجمله الأكمل الأسنى". عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي : الإنسان الكامل في معرفة الآواخر والأوائل ، ط 1 ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، 1418هـ - 1997م ، ص : 207. ويعرفه الأمير - كما سيأتي - في موقف افتتحه بمأثور عن الجنيد- لما سئل عن العارف والمعرفة- جاء فيه : " لون الماء لون إنائه " وسكت . ويبين الأمير أن مراد الجنيد هو =أن الله لا صورة له وإنما يظهر بصورة العارف له . وأن الظاهر بالصفات والأسماء على الكمال هو الخليفة الكامل ولا يكون إلا واحدا في كل زمان وهو الإنسان الكامل الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق بكرى علاء الدين ، مصدر سابق ، ج 1 ، الموقف 17 ، ص 57 وما بعدها كما عرفه الأمير وله أسماء أخرى كثيرة

(4) - أما الآية فهي من سورة النساء رقم 82 ، وأما قول الأمير انضر، المواقف ، تحقيق بكرى أمين ، المصدر نفسه ، الموقف 346 ، ج 3 ، ص 67 .

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

والعقل مسألة في غاية الأهمية في مجال علم العقائد والأصول حيث يخبر الأمير أنه وبعد ورود الوارد عليه بأن المجتهد بعقله - القاصر - ولو وصل الى الشرك فإنه لا يوجد نص في القطع على أنه لا يغفر له. وقد انتظر الأمير ثلاثة عشر شهرا لكي يكتب هذا الوارد حيث ساق من أدلة القرآن والسنة ما فرق به بين الشرك الواقع بسبب التقليد ، فهذا صاحبه معذب غير مغفور له وجرمه هو ترك عقله كلية في مسألة هي أم العقائد ألا وهي التوحيد. وأن دعوى الإجماع الواقع بين العلماء على خلود المشرك في النار - بعد تعذيبه - باطلة . يقول الأمير : " والعقل إذا نظر الى أنه تعالى لا ينتفع بطاعة ، كما قال ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها﴾<sup>(1)</sup> ، ولا يتضرر بمعصية ، فإنه غني عن العالمين ، لا يحكم بعقوبة و لا مثوبة . وإنما الشارع جاء بتعيين هذا ، وهذا لترجيح أحد الجائزين في العقل مع توقف ذلك على المشيئة الإلهية من غير إيجاب (...). وقوله تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾<sup>(2)</sup> ما هو دليل نص على أن المشرك مطلقا يتسرمذ عليه العذاب أبد الآبدين، وإنما دلت الآية على أنه لا يغفره ، بمعنى لا يستره ، بل لابد من عقوبته و تعذيبه. وهل بعد هذا التعذيب و العقوبة عفو وسمح أو لا ؟ ليس في الآية دليل على أحدهما. وما تم نص يرجع إليه في تسرمذ العذاب على أهله (...). فكل ذنب ، يجوز العفو عنه بترك العقوبة عليه أصالة إلا الشرك. ولا كل شرك ، بل ما كان عن تقليد ، كما حكى تعالى عنهم ﴿بل وحدنا آباءنا كذلك يفعلون﴾<sup>(3)</sup> و قولهم ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾<sup>(4)</sup> فإن هؤلاء ما نظروا ولا اعتبروا ولا اجتهدوا بل عطلوا نعمة العقل التي هي أعظم نعمة أنعم الله بها على الإنسان. و أما إذا كان الشرك بعد النظر والاجتهاد وبذل الطاقة ، فأداه نظره القاصر الى الشرك ، فهذا لا نص في القطع أنه لا يغفر له . قال تعالى : ﴿ومن يدعو مع الله إلها آخر لا برهان له به﴾<sup>(5)</sup> وهذا له برهان في زعمه ، وإن كان ليس ببرهان في نفس الأمر. فإن النظر الصحيح المستوفي

(1) - سورة الحج ، الآية رقم 37.

(2) - سورة النساء ، الآية رقم 116.

(3) - سورة الشعراء ، الآية رقم 74.

(4) - سورة الزخرف ، الآية 23.

(5) - سورة المؤمنون ، الآية رقم 117.



## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

الشرائط لا يصل به صاحبه الى الشرك ! كيف ؟ وقد قال تعالى ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها ﴾<sup>(2)</sup> وهذا عمل جهده وبذل وسعه. " <sup>(3)</sup> . وقال ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾<sup>(1)</sup> وقال

ورأيي في هذه المسألة أن الإجماع بين المفسرين وعلماء العقيدة قائم على أن المشرك بالله بعد بلوغ دعوة الإسلام إليه يحاسب والله يتولى أمره وهذا بصريح تمام الآية المذكورة آنفا وهي قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾<sup>(4)</sup> يقول ابن كثير في تفسيره : " يقول تعالى متوعدا من أشرك به غيره ، وعبد معه سواه ، ومخبرا أن من أشرك بالله ( لا برهان له ) أي : لا دليل له على قوله فقال : ( ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به ) ، وهذه جملة معترضة ، وجواب الشرط في قوله : ( فإنما حسابه عند ربه ) أي : الله يحاسبه على ذلك. ثم أخير : ( إنه لا يفلح الكافرون ) أي : لديه يوم القيامة ، لا فلاح لهم ولا نجات . " <sup>(5)</sup> ولقد وجدت نفس المعنى في تفسير القرطبي القرطبي والبعغوي والسعدي ، ولا أظن أن الأمير قصد مخالفة الإجماع بقدر ما كان قصده بيان قيمة العقل في ميزان الشرع وهو قبل ذلك لم ينفي وقوع العقوبة الأخروية على الشرك وذلك في قوله " بل لا بدّ من عقوبته وتعذيبه " وإنما رأي الأمير الجديد هو إقراره بأن النص على خلود المشرك أو عدمه — بعد عقوبته — غير وارد. كما وجدت في تفسير ابن كثير أن معنى الغفران هو محو الذنب وستره عن الناس <sup>(6)</sup>

(1) - سورة البقرة ، الآية رقم 286.

(2) - سورة الطلاق ، الآية رقم 47 .

(3) - الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، الموقف 228 ، ج 1 ، ص 430 وما بعدها.

(4) - سورة المؤمنون ، الآية 117.

(5) - ابن كثير (المتوفى: 774هـ): تفسير القرآن العظيم ، المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى - 1419 هـ ، ج 5 ، ص : 436.

(6) - ابن كثير (المتوفى: 774هـ): تفسير القرآن العظيم ، المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى - 1419 هـ ، ص : 437.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

ويذكر الأمير في سياق آخر ما نصه : " ...فإن كنت أيها الناظر ممن يعرف الحق عرفت أهله لآمحالة وإن كنت مقلدا فليس كلامي معك . " <sup>(1)</sup> ولا يخفى على مطلع ما يتمتع به الأمير من فقه واسع في علم أصول الفقه الذي يجعل صاحبه ضليعا في استنباط الأحكام الشرعية المكتسبة من أدلتها التفصيلية <sup>(2)</sup>

### 3-5 فناء الخلدين - الجنة والنار - واستدراك آخر على الجيلي .

و نقف في موقف آخر على ما يتمتع به الأمير عبد القادر من بعد نظر واستقلالية في الفكر ونقد وتمحيص في التحصيل العلمي حيث يورد الأمير في المفتوح كعاداته في كل المواقف آيتين من القرآن الكريم وهما : ﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها﴾ <sup>(3)</sup> و ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها﴾ <sup>(4)</sup> ولقد خالف الأمير ما قرره الجيلي الذي حكم بفناء الخلدين وقد نقل عن الجيلي قوله : " لا بدة أن تحكم بانقطاع الآباد ، آباد أهل الجنة وأباد أهل النار . ولو دامت وطال الحكم ببقائه فإن بعدية الحق تلزمننا أن نحكم على ما سواه بالإنقطاع ، فليس لمخلوق أن يسايره في بقاءه . وهذا الحكم ولو نزلناه في الكلام بعبارة معقولة فإننا شاهدناه كشفا وعيانا ، ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ <sup>(5)</sup> ولكن الأمير عبد القادر يرى أنه : " يصح أن يكون الحق تعالى قد جعل لكل أبد من آباد الجنة والنار قدرا واحدا فإذا انتهى جدد لهما أبدا . وهكذا الى غير نهاية ليصح عموم قوله ﴿إنا كل شيء

(1)- الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف ، تحقيق بكرى علاء الدين ، مصدر سابق ، ، الموقف 123 ، ص : 240.

(2)- الأدلة التفصيلية هي النصوص الشرعية من آيات القرآن وأحاديث السنة الصحيحة وهي تقابل الأدلة الإجمالية التي يقصد بها مصادر الشريعة و التي منها القرآن والسنة والإجماع والقياس وعمل أهل المدينة والمصالح المرسلة . ولذا يعرف علم أصول الفقه بتعريفين أولهما : " العلم بقواعد استنباط الأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية " والثاني هو : " العلم بدلائل الفقه إجمالا وكيفية الاستفادة منها وحال المستفيد . " محمد مصطفى الزحيلي : الوجيز في أصول الفقه الإسلامي ، ط2 ، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا ، 1427هـ - 2006م ، ج 1 ، ص : 18 و 32. ومدار علم أصول الفقه هو التعامل العلمي وفق قواعد أصولية مع الأدلة التفصيلية أو الإجمالية . وهذا في اعتقادي ما حرص الأمير على التقيد به ويبقى بعد ذلك أن كل مجتهد يخطئ ويصيب .

(3)- سورة هود ، الآية رقم 108 .

(4)- سورة هود ، الآيتين رقم 106 و 107 .

(5)- عبد الكريم الجيلي ، ص : 107 .

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

خلقناه بقدر<sup>(1)</sup> ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾<sup>(2)</sup> و ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾<sup>(3)</sup> و لذلك يقرر الأمير أن " الجنة والنار باقيتان بإبقاء الله ، لانهاية لبقائهما ولا إنقطاع ، باتفاق الأمة من علماء الظاهر وأهل الكشف الصحيح ."<sup>(4)</sup> ولا يفوت الأمير أن يرد على الجيلي لما قرر بأن ما ذهب إليه في مسألة فناء الخلدن قد ثبت عنده بالكشف .فيرد الأمير قائلاً : " وأن الله -تعالى - قد يظهر في الكشف للمكاشف ما لا يتناهى متناهايا ، وقد يظهر المتناهي غير متناه إظهارا للإقتدار الإلهي مشاهدة ، إذ ما راء كمن سمعا ، فإنه لا يعجزه شيء تعالى فهو القادر بأن يجمع بين الضدين ويريك الواحد بالشخص في الآن الواحد في مكانين ، فإن المستحيلات العقلية ليست مستحيلة نسبة إلهية ..."<sup>(5)</sup>

أقول بأن قدرة الله -في عالم الشهادة الكثيف وهو أصعب من عالم الملكوت -على أن يُريَ البعض دون البعض الآخر في نفس الواقعة ما يشاء وبصور مختلفة ثابتة - القدرة - في القرآن الكريم و من ذلك قوله تعالى في غزوة بدر : ﴿ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا . وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ . إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا . وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ . ﴾<sup>(6)</sup>

### 6- افتتاح المواقف بآيات القرآن:

وإن كانت هذه الميزة تتفرع عن عنصر التأصيل الشرعي إلا أنها ميزة شكلية ومنهجية في كتابة الأمير الصوفية في هذا الكتاب حيث نجد أكثر من مائة وتسعين موقفا مفتوحة بآيات قرآنية .وقد توجد مواقف تبدأ بنفس الآية كما هو الحال في الآية ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾<sup>(7)</sup> التي تتصدر المواقف

(1)- سورة القمر ، الآية رقم 49.

(2)- سورة الرعد ، الآية رقم 8.

(3)- سورة الفرقان ، الآية رقم 2.

(4)- الأمير عبد القادر: المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف ، تحقيق عبد الباقي مفتاح ، مصدر سابق ، الموقف 328، ج2 ، ص : 275.

(5)- المرجع نفسه ، ص : 275.

(6) - سورة الأنفال ، الآية 43، 44

(7)- سورة الحديد ، الآية رقم 4 .

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

الموقف 291 وسورة الشمس في الموقف 86 وسورة الفاتحة في الموقفين 14 و 59. وسورة الناس في الموقف 175.<sup>(2)</sup>

### 7- تصدير المواقف بالحديث النبوي:

يوجد حوالي خمسة وأربعون موقفا صدرها الأمير بحديث نبوي أو قدسي. والسنة كما هو معلوم هي المصدر الثاني - بعد القرآن الكريم - للشريعة الإسلامية. ومن أمثلة هذه المواقف :

- الموقف (9) ومفتتحه: ورد في صحيح مسلم : " إن الله تعالى يتجلى لأهل الموقف ، ويقول لهم أنا ربكم ، فيقولون له نعوذ بالله منك لست أنت ربنا ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاءنا ربنا عرفناه "

-الموقف (22) الذي يبدأ بقول الأمير : ورد في الصحيح عنه تعالى : " أنا جليس من ذكري " <sup>(3)</sup>  
-الموقف (31) الذي يبدأ ب : قال تعالى : " ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به " <sup>(4)</sup>

-الموقف (80) يصدره الأمير بمايلي : " ورد في الصحيح : " لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية " <sup>(5)</sup>  
ونكتفي بهذا القدر لأنه يحقق المراد.

(1)- الأمير عبد القادر : كتاب المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف ، تحقيق عبد الباقي مفتاح ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص : 31.

(2)- المرجع نفسه ، ص : 31 ..

(3) - الحديث وارد بطرق ضعيفة ، محمد بن أحمد اليماني : النوافل العطرة في الأحاديث المشتهرة ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ط 1 ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، 1412 هـ ، ص : 58.

(4)- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ، رقم 6137 ، ج 11 ، ص : 350.

(5)- مسلم ابن الحجاج : المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، مرجع سابق ، كتاب الإمارة ، باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير ، ج 3 ، حديث رقم 3578 ، ص : 1488 .

### المطلب الثاني: نماذج من المباحث الصوفية في كتاب المواقف :

لقد تناول الأمير في كتابه المواقف العديد من مسائل التصوف وهي على كثرتها وتنوعها لا يمكن حصرها وذكرها جميعا في مطلب بحثي واحد ، ولذلك سنكتفي بذكر نماذج مختارة منها آملين أن تحقق قصدنا في الوقوف على الفكر الصوفي الأميري المتميز من خلال منهجه الذي أشار إليه في أكثر من موضع في كتاب المواقف ولا يضرننا قبل أن نتعرض لهذه النماذج أن نذكر مرة أخرى بالخاصية العامة والكبرى لمنهج الأمير الصوفي والعرفاني وأن أساسه - كما قال - هو : " نفاتات روحية و إلقاءات سبوحية بعلوم وهبية وأسرار غيبية ، من وراء طور العقول ، وظواهر النقول خارجة عن أنواع الإكتساب والنظر في كتاب قيدها لإخواننا الذين يؤمنون بآياتنا . " (1)

### 1- : تعريف التصوف والمتصوفة:

لقد عرف كل متصوف التصوف انطلاقا مما عايشه ومر به من أحوال ومجاهدات ولذلك فالأمير عبد القادر قد عرفه أيضا انطلاقا من ممارسته الذاتية.

إذ يقول في تعريفه له: " هو جهاد النفس في سبيل الله أي لأجل معرفة الله وإدخال النفس تحت الأوامر الإلهية، والاطمئنان والإذعان لأحكام الربوبية، لا لشيء آخر غير سبيل الله " (2) فإذا كان كل صوفي قد عرف التصوف انطلاقا مع ما يتفق مع أحواله فإن هذا التعريف للأمير عبد القادر يتفق مع وقفته الجهادية السيفية ضد العدو الفرنسي ، والروحية ضد النفس (3) فالتصوف عند الأمير عبد القادر، يرتبط ارتباطا وثيقا بجهاد النفس، وتنقيتها من كل الشوائب التي تنافي إخلاصها لخالقها في جميع ما تأتي وما تدر.

(1)- الأمير عبد القادر : المواقف الروحية و الفيوضات السبوحية ، تحقيق عاصم الكيالي ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص : 7.

(2)- الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار و المعارف ، تحقيق عبد الباقي مفتاح ، مصدر سابق ، ج 1 ، الموقف 71 ، ص : 206 .

(3)- بركات محمد مراد ، ص : 56.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

حيث يذهب الأمير عبد القادر إلى أن المقصود من قوله تعالى : ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾<sup>(1)</sup> هو مجاهدة النفس إذ يقول: "ورد الوارد بهذه الآية بعد التي قبلها فعلمت أن الأمر بجهاد النفس وقتالها هو على وجه مخصوص ، وحد محدود ، ووقت معين"<sup>(2)</sup>

قد نعرف حقيقة التصوف عند الأمير من خلال ذكر بعض مناقب المتصوفة حيث يذكر في هذا الصدد فيقول : "حركاتهم وسكناتهم لله ، وفي الله ، وبالله ، فكان لهم حضور مع الله تعالى"<sup>(3)</sup> و في معالجة انثربولوجية سوسولوجية يشير الأمير الى صفات سلبية تشوه حقيقة العبادة في المجتمعات الإسلامية وكذا المجاهدة الصوفية ، التي يجب أن تكون : "لا لشيء آخر غير سبيل الله كمن يجاهد نفسه، بالرياضات الشاقة لأجل طلب عند الملوك، أو لصرف وجوه العامة إليه، أو حصول غنى ، أو نحو ذلك من الحظوظ النفسية".<sup>(4)</sup> ويقول أيضا عن الصوفية أنهم ليسوا : "هؤلاء الذين يأكلون النار ويدخلون مسامير الحديد في أشداقهم ويدخلون التنور ويمشون راكبين على ظهور الأشخاص ليعرفهم العوام بالولاية مع عدم الإستقامة والمشى على الكتاب والسنة اللذين هما أساس طريق أهل الله تعالى! حاشا وكلاً و ما يصدر عن هؤلاء منه ما هو شعبة ، ومنه ما هو سيمياء، ومنه ما هو خواص نفسية يتوارثونها بينهم".<sup>(5)</sup>

### 2-المجاهدة الصوفية والكشف العرفاني الإستمولوجي:

#### 1-2 : المجاهدة و " منهج المعرفة " عند المتصوفة:

من المقرر عند الباحثين في علوم التصوف أن الكشف العرفاني هو من أهم غايات التصوف ولكن لأهميته عد من أقسام المجاهدة الصوفية ولذلك نجد ابن خلدون يتحدث عن " مجاهدة التقوى ، ومجاهدة

(1) - سورة البقرة ، الآية 190.

(2) - الأمير عبدالقادر : المواقف الروحية والفيوضات السوحية ، تحقيق عاصم الكيالي ، مصدر سابق ، الموقف 71 ، ج 1 ، ص : 130.

(3) - المرجع نفسه ، الموقف 12 ، ص : 57.

(4) - المرجع نفسه ، الموقف 12 ، ص : 130.

(5) - الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، الموقف 248 ، ج 2 ، ص : 114.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

الإستقامة ، ومجاهدة الكشف والإطلاع " (1). ثم يبين أن مجاهدة التقوى هي الوقوف عند حدود الله ومراقبة أفعال القلب . ومجاهدة الإستقامة هي تقويم النفس وترويضها حتى لا يصدر عنها إلا السلوك الحسن أما مجاهدة الكشف والإطلاع فهي أعلى درجات المجاهدة حيث يصل من خلالها الصوفي إلى اليقين القلبي ويصبح ينظر بنور الله نظرا قلبيا وليس عقليا، فيعرف من المعارف والحقائق ما لا يعرفه من هم دونه، ممن لا يستقون معارفهم إلا من الكتب. (2)

ويقول أبو حامد الغزالي مؤكداً أفضلية المنهج الإستمولوجي الصوفي على غيره من المناهج : " فالكتب والتعليم لا تفني بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد إنما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكر والإنقطاع الى الله عما سواه فذلك مفتاح الإلهام ومنبع الكشف " (3)

### 2-2 : المنهج العرفاني عند الأمير:

ويبين الأمير عبد القادر - كما أشرنا من قبل - منهجه العرفاني الذي يعتبره نظرية مستقلة في تلقي المعرفة والوصول الى الحقائق اليقينية وذلك بعد التحقق بأعلى مقامات التصوف التي تنكشف فيها المجاهيل كلها ، يقول الأمير : " إن الله قد عودني أنه مهما أراد أن يأمرني أو ينهاني أو يبشرنني ، أو يحذرنني أو يعلمني علما أو يفطيني في أمر استفتيته فيه ، إلا ويأخذني مني مع بقاء الرسم ثم يلقي إلي ما أراد بإشارة آية كريمة من القرآن ، ثم يردني إلي فأرجع بالآية قرير العين ، ملآن اليدين . ثم يلهمني ما أراد بالآية . وأتلقى الآية من غير حرف ولا صوت ولا جهة ... " (4)

وهذا النوع من التعليم الإلهي يسميه الأمير - وهو يفصل الحديث عن المجاهدة الصوفية - ب " أعظم هدي " . يقول الأمير في أحد المواقف التي يبدأها بالآية ﴿ قل أولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه

(1)- عبد الرحمان بن خلدون : شفاء السائل لتهديب المسائل ، تعليق أغناطيوس عبده اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1959م ، ص : 34.

(2) - المرجع نفسه ، ص ص : 35-39

(3)- أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص : 71 .

(4) - الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، ج 1 ، الموقف 1 ، ص : 33.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

آباءكم ﴿<sup>(1)</sup>﴾ : " اعلم ان الهدى أنواع ، كما أن الضلال أنواع . و الموصوفون بالهدى والضلال أنواع : فمهتد ، وأهدى ، وأعظم هدى ، وضال وأضل ، وأعظم ضلالا " ثم يبين درجات اليقين في سلمه الإبستمولوجي فيقول : " فالمهتدي هو الذي حصل على الهداية بالدليل العقلي والبرهان ، والأهدى هو الذي حصل على الهداية بتصديق الرسول والإيمان ، والأعظم هدى هو الذي حصلت له الهداية ب : " الكشف والعيان . " <sup>(2)</sup> ونلاحظ أن الأمير تحدث عن مناهج ثلاثة للمعرفة وهي المنهج العقلي والمنهج النقلى والمنهج العرفاني وهو عنده أشرفها وأعلاها . وقد سبق لنا وان تناولنا في الفصل الثاني بالتفصيل تعريف المنهج الصوفي وتميزه عن المنهج العلمي والعقلي وأنه كما قال عبد الحليم محمود : " وهل يمكن للعلم الذي حدد مجاله بالعالم المادي المحسوس والذي يعتمد على منهج الملاحظة والإستقراء والتجربة المرئية والملموسة وحتى المشمومة أن يفسر عالم التصوف الروحاني ؟ إن الدراسات النفسية والاجتماعية الحديثة تعترف اعترافا صريحا بأن مجالها هو المادة . ولذلك فالعلم الحديث القائم اليوم في أمريكا و أوروبا لا يعترف بالبحث العلمي إلا إذا قام على التجربة والملاحظة في دائرة عالم المادة . والتصوف روح وإلهام وإشراق وعليه فلا دخل للنظريات العلمية الحديثة فيه من ناحية المنهج . والخلاصة أن التصوف والعلم الحديث منهجان متغايران " <sup>(3)</sup>

### 3- المقامات والأحوال :

من المباحث الثابتة في التأليف الصوفي مبحث المقامات والأحوال وستناول في ها العنصر ماورد في كتاب المواقف ما تعلق بهما محاولين إبراز مناحي فهم الأمير المتجدد فيهما وذلك بالمقارنة بينه وبين ماورد في كتابي اللمع للطوسي والرسالة القشيرية للقشيري في نماذج محدودة على سبيل المثال الذي يحقق المقصود . و لكن قبل ذلك لايفوتنا أن نسجل بأن الأمير لم يعرف المقامات والأحوال تعريفا نظريا أكاديميا شأن المؤرخين والمصنفين ولكنه مارسها خلال سيرة حياته الذاتية ممارسة عملية تطبيقية . فمعاملته الإنسانية النبيلة للأسرى أثناء حروبه الشريفة كما مر معنا في فصول سابقة تمثلان مقامي الفتوة والمرابطة ، وكذلك

(1)- سورة الزخرف ، الآية رقم 24.

(2)- الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، ج1 ، الموقف 118 ، ص ، 229.

(3)- عبد الحليم محمود : قضية التصوف المدرسة الشاذلية ، مرجع سابق ، ص : 417 وما بعدها.



## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

سجنه في قلعة" أمبواز " ( AMBOISE ) في فرنسا وما كابدته حينها من محن وشدائد جعلته يتحقق بمقامين آخرين هما الصبر والتوكل<sup>(1)</sup>

### 3أ- الأحوال :

يعرف الحال بأنه ما يحل بالقلوب أو تحل به القلوب من صفاء الأذكار . و بينه الجنيد بقوله : " الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم." ولا يكتسب الحال بكثرة المجاهدة والرياضة وإنما ذلك حاصل للمقامات.<sup>(2)</sup>

### 13أ- حال القرب :

يورد الطوسي قبل تعريف حال القرب ما يؤصل به معناه من كتاب الله فذكر من الآيات :

﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾<sup>(3)</sup>

﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾<sup>(4)</sup> ثم قال في صفة ملائكته ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى

رهبم الوسيلة أيهم أقرب﴾<sup>(5)</sup> ثم قال " الوسيلة يعني القرب و ﴿ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾

<sup>(6)</sup> فذكر الله تعالى قربهم منه ، ثم ذكر قربهم بمعنى توصلهم إلى الله تعالى بالقرب أيهم أقرب أيهم أقرب. ثم

يعرف القرب فيقول : " وحال القرب لعبد شاهد بقلبه قرب الله منه فتقرب إلى الله تعالى بطاعته وجمع همه

بين يدي الله تعالى بدوام ذكره في علانيته وسره وهو - أي القرب - على درجات ثلاث وذكر تفصيلها

ولكن معيار ترتيبها هو مدى الإجتهد في الطاعات.<sup>(7)</sup>

(1)- فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا ، مرجع سابق ، ص 148 في .

(2)- أبونصر السراج الطوسي : اللمع ، تحقيق عبد الحليم محمود و طه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثني ببغداد ، 1380هـ - 1960م ، ص : 66.

(3) - سورة البقرة ، الآية رقم 185.

(4) - سورة ق ، الآية رقم 16.

(5)- سورة الإسراء ، الآية رقم 57.

(6)- سورة الواقعة ، الآية رقم 85 .

(7)- الطوسي : اللمع في التصوف ، مرجع سابق ، باب حال القرب ، ص : 84.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

وحال القرب عند القشيري هو " القرب من طاعته والإتصاف في دوام الأوقات بعبادته " ويستشهد القشيري على هذا بحديث قدسي وهو قوله تعالى : " ما تقرب إلي المتقربون بمثل أداء ما افترضته عليهم ، ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى يحبني وأحبه . فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ، في يبصر وي يسمع ... " (1) ثم يستنتج من هذا الحديث القدسي أن القرب بين الله والعبد متبادل حيث أن القرب يقع من العبد أولا وهو على درجتين إيمان وتصديق ثم إحسان وتحقيق ثم يكون قرب الحق سبحانه بما يتحقق للعبد من كرامات عرفانية - إبستمولوجية بلغة الفلسفة- في الدنيا وفي الآخرة ما يناله من الشهود والعيان (2)

أما القرب عند الأمير فهو معنوي وليس مادي حيث يقول : " وأهل الله هنا القربون منه القرب المعنوي المقربون عنده وهم أنصار الله الملبون دعوته ، المستجيبون (...) الداعون الى معرفة الله تعالى وتوحيده على طريق الصوفية ، أهل الحقيقة والسلوك إلى الأحوال من الفناء والبقاء . " (3) وينقسم القرب عند الأمير الى قرب نوافل وقرب فرائض. أما قرب النوافل فهو " أن يشهد العابد نفسه حال العبادة ، بل وفي غيرها من سائر الأفعال والإدراكات أنه بالله ، بمعنى أنه يشهد الحق تعالى : قدرته وسمعه وبصره وجميع قواه وأعضائه الظاهرة والباطنة ، فلا يرى فعلا له ولا لغيره ولا إدراك إلا بالله فيكون العبد ظاهرا والحق باطنا " (4) وهو ثابت ذوقا ووجدانا وأصل الأمير قوله بالحديث القدسي الذي ذكرناه آنفا الذي ورد فيه : " ما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضته عليه ... " (5) وقرب الفرائض هو أرفع من سابقه حيث تصبح أعضاء العبد عبارة عن آلة لاحيلة له فيها وإنما المتصرف فيها هو الله والمؤثر بها فيسمع -الحق تعالى- بسمع العبد ويبصر ببصره فيكون الله تعالى - عكس قرب النوافل - ظاهرا والعبد باطنا . ويستشهد الأمير لهذا النوع من القرب بقوله تعالى : ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى

(1)- سبق تخريج هذا الحديث .

(2)- القشيري : الرسالة القشيرية ، مرجع سابق ، ص : 165 .

(3)- الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، ج 1 ، الموقف 159 ، ص 309 .

(4)- المرجع نفسه ، ج 1 ، الموقف 136 ، ص : 267.

(5)- حديث صحيح ، سبق تخريجه.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

يسمع كلام الله ﴿<sup>(1)</sup> فالتكلم هو الله ولكن بلسان نبيه محمد (ص). ومنه قوله تعالى: ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾ <sup>(2)</sup> فالمعدب هو الله ولكن بأيدي الصحابة . و " في الصحيح إن الله قال على لسان عبده : (سمع الله لمن حمده ) . وقد أخبر الوارد أن هذا المعنى لهذا الحديث ما تقدم لأحد كتابته والله أعلم وأحكم " <sup>(3)</sup> . ورب معترض يقول وهل الوارد مصدر سليم وصحيح يعول عليه في تلقي المعارف وجوابنا أن الوحي النبوي انقطع بموت المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا يزداد في الدين بعده صلى الله عليه وسلم ولا ينتقص منه ولكنه عليه الصلاة والسلام أخبر فقال : " لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ . قالوا: وما المَبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ . " <sup>(4)</sup> . فلعل واردات الأمير تكون من أجزاء هذا الوحي الذي ثبت لغير الأنبياء غريزة أو وإلهاما للإنسان أو الحيوان أو الجماد ، ففي أم موسى عليه السلام قال تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ <sup>(5)</sup> وفي حيوان النحل قال : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ لِلنَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ <sup>(6)</sup> وأوحى الله للأرض كما جاء في الحديث الصحيح : " كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ، فَأَتَىٰ رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنَّتِ قَرِيْبَةٌ كَذَا وَكَذَا، فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ، فَنَاءَ بَصْدَرِهِ نَحْوَهَا، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَأَوْحَىٰ اللَّهُ إِلَىٰ هَذِهِ أَنْ تَقْرَبِي، وَأَوْحَىٰ اللَّهُ إِلَىٰ هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وَقَالَ: قَيْسُوا مَا بَيْنَهُمَا، فَوَجَدَ إِلَىٰ هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِيرٍ، فَغَفِرَ لَهُ . " <sup>(7)</sup>

(1) - سورة التوبة ، الآية رقم 6.

(2) - سورة التوبة ، الآية رقم 14.

(3) - الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، ج 1، الموقف 136 ، ص 268.

(4) - ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ، مرجع سابق ، كتاب التعبير ، باب المبشرات ، رقم 6589 ، ج 12 ، ص 392 .

(5) - سورة القصص ، الآية 7.

(6) - سورة النحل ، الآية 68

(7) - محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي : صحيح البخاري ، دار ابن كثير كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث الغار ، رقم 3283،

ج 3 ، 1414 هـ - 1993 م ، ص : 1280

2أ3 :المحبة :

والمحبة عند الطوسي تتحقق لعبد نظر بعينه الى ما أنعم الله به عليه ونظر بقلبه الى قرب الله تعالى منه ونظر بقلبه الى ماسبق له من الله من الهداية والعناية وقدم حب الله له ، فأحب الله عز وجل .واستشهد بآيات ثلاث هي : ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾<sup>(1)</sup>

و ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله﴾<sup>(2)</sup> و ﴿يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾<sup>(3)</sup> وبين الطوسي أنه تعالى ذكر في الأولى محبته قبل محبتهم وفي الثانية ذكر محبتهم له ومحبته لهم و الثالثة ذكر محبتهم له . كما قسم الطوسي المحبة الى أنواع ثلاثة هي محبة العامة وتتولد من عطف الله عليهم وإحسانه إليهم . واستشهد بالحديث " جلبت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء لها." <sup>(4)</sup> والثانية هي محبة الصادقين والمتحققين وتتولد من نظر القلب الى غناء الله وجلاله وعظمته والثالثة هي محبة الصديقين العارفين وتولدت من معرفتهم بقدم حب الله تعالى بلا علة ، فكذلك أحبوه بلا علة .<sup>(5)</sup> أما القشيري فيفتح حال المحبة بكثير من الشواهد نكتفي بذكر بعضها :

-من القرآن : ﴿ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾<sup>(6)</sup>  
 -من السنة : " من أحب لقاء الله أحب لقاءه ومن لم يحب لقاء الله لم يحب لقاءه " <sup>(7)</sup> وأيضا " ...ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ومن أحبته كنت سمعا وبصرا ومؤيدا " <sup>(8)</sup>

(1)- سورة المائدة ، الآية 54 .

(2)- سورة آل عمران ، الآية رقم 31 .

(3)- سورة البقرة ، الآية رقم 165 .

(4)- حديث سبق تخريجه .

(5)- الطوسي سابق ، ص : 86 .

(6)- سورة المائدة ، الآية رقم 54 .

(7) ولفظ البخاري : " من أحب لقاء الله أحب لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه " . البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الرقاق ،

باب من أحب لقاء الله أحب لقاءه ، رقم 6142 ، ج 5 ، ص : 2386 .

(8)- سبق تخريج الحديث .

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

-من أقوال السلف : قال الجنيد : " سمعت الحارث المحاسبي يقول : المحبة ميلك للشيء بكليتك ، ثم إيثارك على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ، ثم علمك بتقصيرك في حبه " ويتوسع القشيري في ذكر الأصل الإشتقائي لكلمة المحبة وذكر بعض تعريفاتها عند أهل التصوف ويتميز هو بتعريف دقيق للمحبة فيه شيء من التفكير الفلسفي العقلي حيث يقول : " ونحن نذكر من تحقيق هذه المسألة طرفا إن شاء الله تعالى فمحبة الحق سبحانه للعبد إرادته لإنعام مخصوص عليه ، كما أن رحمته له إرادة الإنعام ، فالرحمة أخص من الإرادة ، والمحبة أخص من الرحمة ، فإرادة الله تعالى لأن يوصل إلى العبد الثواب والإنعام تسمى رحمة وإرادته لأن يخصه بالقرب والأحوال العلية تسمى محبة . " (1) وواضح من كلام القشيري العلاقة بين حالي القرب والمحبة . ثم يزيد الأمر وضوحا حين يذكر متعلقات الإرادة فيقول : " فإذا تعلقت - أي الإرادة - بالعقوبة تسمى غضبا ، وإذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة وإذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة . " (2)

أما الأمير فيتحدث عن المحبة بلوعة نار التصوف القلبية ونار السياسة الحركية حيث يذكر بلغة الشعر لهيب الحب الإلهي الذي وقع فيه حيث يقول :

عن الحب مالي كلما رمت سلوانا      أرى حشو أحشائي من الشوق نيرانا  
لواعج لو أن البحار جميعها      صبين لكان الحر أضعاف ما كانا  
فلو أن ماء الأرض طاب شربته      لما نالني ريٌّ ولا زلت ظمّانا (3)

ولعل الأمير تأثر أو تذكر سنين الجهاد وصراعه السياسي مع الفرنسيين حيث قرر أن أعلى مراتب المحبة ودرجاتها هي محبة الله للمجاهدين الذين جاهدوا الجهاد الظاهر وكذلك الذين جاهدوا الجهاد الباطن من أهل العرفان الصوفي لمعرفة الحبيب الأول واجب الوجود وهذه محبة خاصة لها آثارها في الدنيا والآخرة

(1)-القشيري ، ص : 519.

(2)- المرجع نفسه ، ص : 519.

(3)- الأمير عبد القادر: المواقف ، تحقيق بكرى علاء الدين ، مقدمة الأمير لكتاب المواقف ، الديوان ، ص : 24.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

(1) ويستوي عند الأمير شهيد المعتزك وشهيد المحبة لأنهما تجاوزا الوجود الدنيوي الفاني المادي وعرجا الى رحاب الله في عالم الحقيقة والبقاء.(2)

### 3ب : المقامات :

يبين الطوسي معنى المقام بأنه مقام العبد بين يدي الله عز وجل فيما يقام فيه من العبادات و المجاهدات والرياضات والإنقطاع الى الله عز وجل ويذكر من القرآن قوله تعالى ﴿ومانا إلا له مقام معلوم﴾ (3)

وساق من أقوال الصالحين من بين معنى الحديث النبوي الذي جاء فيه " الأرواح جنود مجندة " (4) أي مجندة على قدر المقامات ، والمقامات مثل التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والرضا والتوكل وغير ذلك (5).

أما القشيري فهو يعرف المقام بأنه " ما يتحقق به العبد بمنزلته من الآداب ، مما يتوصل إليه بنوع تصرف ويتحقق به بضرب تطلب ، ومقاساة تكلف " . وقد مر معنا في تعريف الحال الفرق بين الحال والمقام عند القشيري ، حيث أن الأول منة و مواهب من الرحمان دون عناء من السالك أما الثاني فهو مكاسب تحصل له ببذل المجهود.(6) وسنقتصر على بيان معنى مقامين اثنين وهما التوبة والتوكل.

### 3ب1 - مقام التوبة :

مقام التوبة عند الطوسي هو اول مقامات المنقطعين الى الله. وقد نقل عن المتصوفة أقوالا كثيرة بغية بيان حدها من ذلك " التوبة هي الرجوع من كل شيء ذمه العلم الى ما مدحه العلم " و " أن لا تنسى

(1) - الأمير عبد القادر :المواقف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، ج 3 ، الموقف 324 ، ص : 13.

(2)-المرجع نفسه ، ج 1 ، الموقف 186 ، ص : 352.

(3)- سورة الصافات ، الآية رقم 164.

(4)- وتمام نص الحديث : " الناس معادن كمعادن الفضة والذهب ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ، والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف . " ، مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، تحقيق خليل مأمون شيحا ، مرجع سابق ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب الأرواح جنود مجندة ، رقم الحديث : 6651 ، ص : 1198.

(5)- الطوسي ، ص : 65.

(6)- القشيري ، ص 132 وما بعدها.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

ذنبك " ونجد عكس ذلك إذ هي في تعريف الجنيد <sup>(1)</sup> " أن تنسى ذنبك " والسياق الأخير يوهم بالتناقض. ويوضح الطوسي هذا اللبس حيث أن التعريفين الأوليين يتعلقان بتوبة المبتدئين من المريدين والقاصدين وهم " الذين تارة لهم وتارة عليهم " أما الجنيد فقد قصد طائفة أخرى وهم " المتحققين لا يذكرون ذنوبهم لما غلب على قلوبهم من عظمة الله تعالى ودوام ذكره " <sup>(2)</sup> . فشتان بين تائب وتائب : فتائب يتوب من الذنوب والسيئات وتائب يتوب من الزلل والغفلات وتائب يتوب من رؤية الحسنات والطاعات " <sup>(3)</sup> .

بينما كتب القشيري تحت عنوان باب التوبة حوالي عشر صفحات ضمنها نصوصا شرعية وأقوالا كثيرة لأهل العرفان من المتصوفة يصعب حصرها . وفتح الباب بقوله تعالى ﴿ وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ <sup>(4)</sup> وبحديث نبوي ذكر سنده ، جاء فيه : " التائب كمن لا ذنب له ، وإذا أحب أحب الله عبدا لم يضره ذنب ، ثم تلا ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ <sup>(5)</sup> قيل يارسول الله وما علامة التوبة ؟ قال : الندامة . " <sup>(6)</sup> و يتشابه النقل مع ما جاء في كتاب اللمع في آثار كثيرة من ذلك " فالتوبة أول منزل من منازل السالكين وأول مقام من مقامات الطالبين " وبين شروط التوبة وهي ثلاثة : الندم على المخالفات و ترك الزلة في الحال و العزم على أن لا يعود الى المعصية <sup>(7)</sup> . وذكر القشيري على جهة الشرح والإبانة - كما قال - أن للتوبة أسبابا وترتيا وأقساما وذكر أهمية إنتباه القلب عن رقدة الغفلة . وللتائبين صفات وأحوال أولها التوبة وأوسطها الإنابة وآخرها الأوبة . <sup>(8)</sup>

(1) - سبق التعريف به .

(2) - الطوسي ، ص : 68 وما بعدها .

(3) المرجع نفسه ، ص : 69 .

(4) سورة النور الآية رقم 31 .

(5) سورة آل عمران الآية رقم 222 .

(6) قال السيوطي : رواه أيضا ابن النجار وحسنه وقد روى أوله ابن ماجه . اللمع للطوسي ، ص : 178 .

(7) القشيري ، ص : 179 ، أما الشرط الثالث عند الجنيد هو رد المظالم ، المرجع نفسه ، ص : 183 .

(8) - المرجع نفسه ، ص : 182 .

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

أما الأمير عبد القادر فيعرف التوبة تعريفا لغويا واصطلاحيا فيقول : " التوبة الرجوع مطلقا وخصها الشارع بالرجوع من الكفر الى الإيمان ومن المعصية الى الطاعة ومن حالة ناقصة الى حالة كاملة ومن حال شريف الى حال أشرف " (1) و يعتبر مقام التوبة عنده " الأساس لسلك الطريق والمفتاح للوصول لمقام التحقيق فمن أعطيه أعطي الوصول ومن حرمه حرم الوصول " (2) . ويرد الوارد على الأمير في قوله تعالى ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ (3) ويستنبط من الآية أنواعا ثلاثة للتوبة وهي التوبة العامة والخاصة وأعلى منها توبة خاصة الخاصة. يقول الأمير : " فالتائبون عام وخاص ، وخاص الخاصة ، ولفظ التوبة يعم الجميع لغة . ولكن إشارة الآية الكريمة على ما أعطانا "الإلهام الإلهي" فرقت بين توبة العموم ، سميتها تطهيرا وبين توبة الخصوص سميتها توبة ، إذ ليست أدناس مخالفات وأضرار نسب طاعات. فالحبيبون الأولون المقدمون في الذكر لتقدمهم رتبة هم الخاصة وخاصة الخاصة التائبون من التوبة ... " (4) ويشرح الأمير هذه الأنواع شرحا يتجلى فيه مذهبه العرفاني الذي يشير فيه هنا أيضا الى عقيدته في وحدة الوجود ، يقول الأمير : " فالخاصة وهم العارفون بالله توبتهم الرجوع منه إليه تعالى . وخاصة الخاصة وهم العلماء بالله تعالى توبتهم الرجوع إليه من رجوعهم ، أي من نسبة الرجوع إليهم ، إذ لا يرجع إلا موجود حقيقة ، ولا وجود لهم . فتوبتهم من دعوى الوجود وإليه يشير قائلهم :

إذا قلت ما أذنبت ؟ قالت مجيبةً وجودك ذنب لا يقاس به ذنب.

(1)- الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، ج 1 ، الموقف 257 ، ص : 197 .

(2)- الأمير عبد القادر : المواقف الروحية و الفيوضات السوحية ، تحقيق عاصم ابراهيم الكيالي ، مصدر سابق ، ج 1 ، الموقف 197 ، ص : 348 .

(3)- سورة البقرة ، الآية رقم 222 .

(4)- الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، ج 1 ، الموقف 241 ، ص : 459 وما بعدها .



## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

فليس في الحقيقة إلا هو الراجع والمرجوع إليه ، فهو التائب كما قال ﴿ تاب عليهم ﴾<sup>(1)</sup> فالتوبة فعله والفعل قائم بالفاعل "... وبعد إسهاب وتفصيل لهذه المعاني فاق عشرة أسطر يقول الأمير " ...وما تاب أحد ولا تطهر بمعنى تاب إلا بعد توبة الله تعالى عليه . كما قال ﴿ تاب عليهم ليتوبوا ﴾<sup>(2)</sup> فتوبتهم إليه فرع توبته عليهم ، أي فيهم ، ف " على " بمعنى " في " ، إذ هم ظروف التوبة ، وهو فاعلها ليتوبوا ، أي لتنسب التوبة إليهم حيث أنهم ظروف وآلات لأفعاله ، فهو الفاعل حقيقة والنسبة إليهم مجازا.<sup>(3)</sup>

ويعقد الأمير وهو يتحدث عن مقام التوبة ربطا بين معاني معرفية تتصل بجوانب النفس البشرية الروحية والنفسية والتربوية فيتحدث عن أسماء الله التي منها أسماء الجمال مثل " الودود " وقابل التوب " و " والغفار " و " الستار " والرحمان " والرحيم " ومنها أيضا أسماء الجلال مثل " الحسيب " و " الجليل " و " العزيز " و " المهيمن " و " الرقيب " و " الجبار " ونحوها . ثم يبين الأمير أن سبب حدوث اليأس والقنوط في نفس الإنسان هو تعلقه الشديد بأسماء الجلال وغفلته عن أسماء الجمال فتجده مطيعا ومفرطا في رخص الشرع حت يبلغ بنفسه درجة الهلاك. وفي المقابل نجد من النفوس من تتعلق بأسماء الجمال ولا تلتفت الى أسماء الجلال فيقع الإنحراف وتكثر الجرائم والمعاصي وكلا الحالتان فيهما إما إفراط أو تفريط وإنما العلاج النفسي في مثل هذا الحال هو التوبة من الجمال الى الجلال أو العكس . فتكون التوبة هنا " من الله والى الله فما يخرج عن الله كما قال قائلهم :

يكون معي ويدعوني إليه فاتركه وآتيه مجيبا

كالطائر ينتقل في أغصان الشجرة وما خرج عن الشجرة (...). يجد في غصن نعومة وفي آخر خشونة وفي آخر لنا وحركة وفي آخر يبسا وسكونا ، الى غير ذلك مما تعطيه أغصان الشجرة . وهكذا يختلف ما تعطيه معاني " الأسماء الإلهية " من الأذواق الخاصة بكل اسم وهي التوبة من حال ناقص الى

(1)- سورة التوبة ، الآية 118.

(2)- سورة التوبة ، الآية 118.

(3)- الأمير عبد القادر: المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف ، تحقيق بكرى علاء الدين ، مصدر سابق ، ج1 ، الموقف 241 ، ص : 460.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

حال كامل . " (1) ولو أنصفنا ودون الخروج عن موضوعية التقويم فإننا في ما ذكرناه آنفا من أقوال الأمير يؤهله لكي يوصف بالخبير التربوي الحاذق .

### 3ب2- مقام التوكل :

يقول الطوسي : " التوكل مقام شريف ، وقد أمر الله تعالى بالتوكل وجعله مقرونا بالإيمان ، لقوله تعالى : ﴿ وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾ (2) و ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ (3) " (4) و على عادة أهل التصوف في التصنيف والتسقيف فإن الطوسي يقسم التوكل الى درجات أعمها توكل المؤمنين وأخصها توكل المتوكلين وأخص أخصها ما تشير إليه آيات كثيرة من مثل ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ (5) ﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت ﴾ (6) و ﴿ وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم ﴾ (7) . وللوهلة الأولى فإن دلالة كل هذه الآيات المذكورة في كل هذه الأنواع من التوكل تفيد أن المتوكل عليه هو الله تعالى ، فمن أين جاء الفرق بينها ؟ ولو تتبعنا تعريف كل قسم كما نقله الطوسي عن سادات التصوف لتبين لنا أن وجه التمييز بينها هو مدى قوة التوكل وكماله أو نقصانه وضعفه حسب درجة الإيمان عند السالك . ونورد بعضا من هذه التعريفات للتحقق من ذلك :

- في " توكل المؤمنين " : ( طرح البدن في العبودية ، وتعلق القلب بالربوبية ، والطمأنينة الى الكفاية ، فإن أعطي شكر ، وإن منع صبر راضيا موافقا للقدر . )

(1)- الأمير عبد القادر: المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، ج 1 ، الموقف 257 ، ص : 199 وما بعدها .

(2)- سورة إبراهيم ، الآية رقم 12

(3)- سورة المائدة ، الآية رقم 11 .

(4)- الطوسي ، ص : 78 .

(5)- سورة الطلاق ، الآية رقم 3 .

(6)- سورة الفرقان ، الآية رقم 58 .

(7)- سورة الشعراء ، الآية رقم 217 .

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

- في "توكل الخصوص" : ( من توكل على الله لغير الله ، لم يتوكل على الله في توكله حتى يتوكل على الله بالله ) ويكون متوكلا على الله في توكله لا لسبب آخر .

- في "توكل خصوص الخصوص" : ( أن تكون لله كما لم تكن ويكون الله تعالى لك كما لم يزل )<sup>(1)</sup>

أما عند القشيري فيستفتح حديثه عن مقام التوكل بماورد في القرآن والسنة فيذكر مايلي :

- ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾<sup>(2)</sup> ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾<sup>(3)</sup> ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾<sup>(4)</sup>

ومن السنة : قوله - ص - " أريت الأمم بالموسم ، فأريت أمتي قد ملأوا السهل والجبل ، فأعجبني كثرتهم وهيئتهم ، فقيل : أرضيت ؟ فقلت : نعم . قال : ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، لا يكتوون ، ولا يتطيرون ، ولا يسترقون ، وعلى رهم يتوكلون . " <sup>(5)</sup>

و التوكل عند القشيري " محله القلب ، والحركة بالظاهر - يقصد الأخذ بالأسباب - لاتنافي التوكل بالقلب بعدما تحقق العبد أن التقدير من قبل الله تعالى ، فإن تعسر شيء فبتقديره ، وإن اتفق شيء فبتيسيره . " <sup>(6)</sup> ويستشهد على ذلك بحديث نبوي شريف الذي ورد فيه أن " رجلا جاء على ناقة له فقال فقال يارسول الله أَدعها وأتوكل ؟ فقال : اعقلها وتوكل . " <sup>(7)</sup>

(1)- الطوسي ، ص : 79.

(2)- سورة الطلاق ، الآية رقم 3.

(3)- سورة إبراهيم ، الآية رقم 11.

(4)- سورة المائدة ، الآية رقم 23.

(5)- البخاري : صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الرقاق ، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب ، حديث رقم 6175 ج5 ، ص : 2396.

(6)- القشيري ، الرسالة القشيرية ، مرجع سابق ، ص 295.

(7)- الترمذي : سنن الترمذي ، مرجع سابق ، كتاب الزهد ، باب في التوكل على الله ، حديث رقم 2517 ، ج4 ، ص: 668.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

ويستفتح الأمير أحد مواقفه العرفانية بقوله تعالى : ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾<sup>(1)</sup> ثم ذكر تعريف التوكل فقال : " أكثر الناس الكلام في التوكل وأسدّها أنه ثقة القلب ، وحصول الطمأنينة بوصول القسمة الأزلية للعبد ، بحركة أو سكون " ونلاحظ استعمال الأمير مصطلحات الفلسفة الكلامية والرياضية إذ المقصود بالحركة والسكون هو الأخذ بالأسباب أو تركها . ويفسر الأمير معنى التوكل وركن الأسباب فيه فيقول : " فليس التوكل إلا الثقة والطمأنينة ، لا ترك الأسباب مع الشك والاضطراب . فليس هذا من التوكل المطلوب في شيء " ثم يستعمل فلسفة المنطق الرياضي فيقول : " ولو كان ترك السبب والحركة توكلًا لزم إذا وضع الخبز بين يدي هذا المتوكل أن لا يتناوله ويرفعه الى فيه فإن هذا سبب وحركة لوصول الخبز الى بطنه. "<sup>(2)</sup> ويستنبط الأمير من القصص القرآني تعليم نبي الله يعقوب مقام التوكل لأبنائه من خلال الآية التي استفتح بها الموقف 77 وهي قوله تعالى ﴿ وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتكّل المتوكلون ﴾<sup>(3)</sup> فيقول : " هكذا فليكن تعليم المعلمين وتأديب المؤدبين . أمرهم أولاً باستعمال الأسباب لميل الطبيعة إليها ، وإيناس النفوس بها . ثم أمرهم بالتوكل حالة ملابسة السبب وهذا هو الكمال."<sup>(4)</sup>

وفي نفس هذا الموقف عدّد الأمير أصنافاً ثلاثة من المتوكلين وهم :

متسبب صرف : نظره مقصور عن السبب وقوته ، فهو أعمى - عن الحقيقة الإلهية -

متوكل صرف : وهو المعرض عن الأسباب ظاهراً وباطناً وقد يكون هذا النوع غالباً عند المتصوفة ولذلك قال الأمير عن هذا الصنف : "... وهو صاحب حال لا يقتدى به ولا يحتج عليه . " وأما غيره فيعتبر من المقصرين .

(1) - سورة المائدة ، الآية رقم 23.

(2) - الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، ج 1 ، الموقف 165 ، ص : 318 وما بعدها.

(3) - سورة يوسف ، الآية رقم 67.

(4) - الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، ج 1 ، الموقف 77 ، ص : 137.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

متسبب بظاهره : ومتوكل بباطنه ، يده في السبب وقلبه متعلق بخالق السبب ، ظاهر لظاهر وباطن لباطن وهذا هو الكامل الناظر بعينين. " (1)

والأسباب عند الأمير " حجب وأستار دون وجه الحق وهو الفاعل من خلف أستارها " (2) ويرى الأمير في واقعة أخطاء الناس في الأسباب حيث " غلطوا في الحكم على أن ماكان سببا لهذا يكون سببا لهذا ، كما غلطوا في التعلق بالأسباب على أنها تؤثر بصورها المحسوسة ، ويقولون هذا سبب قوي وهذا سبب ضعيف (...). إذ السبب ماهو سبب لذاته ، وإنما يكون سببا يجعل الحق تعالى له وخلق السببية فيه. و المشاهدة قاضية بهذا ". (3) ويعطي الأمير المثال من عالم الشهادة فيقول : " فإننا نرى شخصين متفقين في السن والطبيعة والبلد والمعيشة والصنعة يمرضان بمرض واحد ، فيحكم الطبيب بأن دواءهما واحد لاتفاقهما في الأمور المؤثرة في الطبيعة . فيسقيهما الدواء ، فيصح زيد ويموت عمرو، فهل هذا إلا أن الله تعالى جعل السببية في هذا الدواء لزيد ، ولم يجعل فيه السببية لعمرو ؟ فأثبتت الأسباب يا أخي حيث أثبتتها الحق ، تعالى ، اتباعا للأمر واتباعا للحكمة ولا تعتمد عليها من حيث أنها أغيار للحق تعالى . وشاهد وجه الحق فيها ... " (4).

### 4- بين التصوف والفلسفة :

ويتناول الأمير في كتابه المواقف قضايا تحدث عنها الفلاسفة والذين يسميهم في غالب الأحيان بالحكماء .

ويبين في مسائل كثيرة مواطن الإتفاق أو الإختلاف بينهم وبين المتصوفة . من ذلك ما ذكره في بحث تناول فيه قضايا كسمولوجية كثيرة يقول الأمير تحت عنوان ( فصل في ركن النار ) : " وما ذكرناه في الأركان الأربعة ،

---

(1)- الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف ، تحقيق بكرى علاء الدين ، مصدر سابق ، ج 1 ، الموقف 77 ، ص : 138.

(2)- المرجع نفسه ، ص : 138.

(3)- المرجع نفسه ، ج 2 ، ص : 186.

(4)- المرجع نفسه ، ص : 186.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

الأرض والماء والهواء والأثير وكائنات الجوّ مما قال به الحكماء ، هو ممّا وافق فيه الحكماء أهل الله ، أهل الكشف والوجود. وورد في بعض الأخبار وإن كانت ضعيفة .فلا تلتفت الى قول من يقول : هذه آراء الحكماء الفلاسفة ، وهي مبنية على نفي الفاعل المختار فإنه قول أهل الجمود ، فليست آراء الحكماء كلها باطلة ، فلا ينكر كل ما قالته الحكماء إلا بسيط محجوب عن الدقائق والرفائق ، فإن للحكماء إصابات عجيبة لا ينكرها منصف. ثم بعدما خلق الله الأركان ونظمها خلق السموات. " (1)

و في مثال عن مخالفة الفلاسفة لمنهج أهل العرفان يذكر الأمير مسألة : " صدور الواحد عن العشرة " فيقول : " وممّا أخطأ فيه الحكماء من هذا الباب ظهور الآثار المختلفة الحكم عن العنصر الواحد العين والحقيقة ، فتأولوا وتعسفوا ، والحق أن ذلك ما هو لعين العنصر وحقيقته وإنما ذلك من حيث القوابل " . ثم بعد ذلك يعطي توضيحاً وتفسيراً عجيباً هو أقرب لعلم المادة الفيزيائي ، يقول الأمير : " فإن النار مثلا من حيث ماهي نار لا تتغير من حيث ذاتها وحقيقتها وتظهر عنها آثار مختلفة الحكم قتنير أجساما ولا تنير أجساما مع أن إنارتها بالإشتعال والهواء لها مساعد ، وتعقد أشياء كالطين المبتل مثلا وتسيل أشياء كالسمن والعسل والثلج والجليد وتسود أشياء كوجه القصار وتبيض أشياء كالشقة التي يقصرها وتلين أشياء كالحديد وتحرق أشياء كالأشجار وتنضج أشياء كاللحوم وهي على حقيقتها واستعداد القوابل يظهر الإختلاف : العين واحدةً والحكم مختلف ويدرك العلم مالا يدرك البصر. وبهذا تعرف خطأ الحكماء في قولهم : " لا يصدر عن الواحد إلا واحد " (2) فلما أحكم الله أركان الطبيعة ورتبها ترتيباً محكما وأدارها ظهر الوجود مرتوقا، قال تعالى ﴿ أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ﴾ (3). والرتق اتحاد الشيء وانجماعه. " ففتقناها " والفتق هو فراقه وامتيازه. (4)

(1)- المرجع نفسه ، ج2 ، الموقف 248 ، ص : 124.

(2)-ويقصد بالفيض -Emanation- لغة هو فيضان الماء والخير .واصطلاحا : يطلق على فاعل دائم الوجود هو الله واجب الوجود الواحد الذي تصدر عنه الموجودات والصدور مرادف للفيض ، ففي كتاب تسع رسائل يتحدث ابن سينا عن صدور العقول والنفوس الفلكية ، مراد وهبة : المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثة ، القاهرة ، 2007م ص : 481.

(3)- سورة النساء الآية رقم 30.

(4)- الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق بكرى علاء الدين ، مصدر سابق ، ج2 ، الموقف 248 ، ص : 115.

5- وحدة الوجود عند الأمير عبد القادر.

15أ : وحدة الوجود في الفكر الإنساني :

إن المنتبج لتاريخ مصطلح " وحدة الوجود " <sup>(1)</sup> في الفكر الصوفي الإنساني - الإسلامي وغيره - يجده يحمل أحد المعنيين : الأول بمعنى حلول ذوات المخلوقات واتحادها <sup>(2)</sup> مع ذات الخالق عز وجل وقد أفتى الفقهاء بأنه كفر صريح لأنه يتعارض مع صريح القرآن الذي يجاء فيه قوله تعالى ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ . قال قتادة : " العالمون جمع عالم وهو كل موجود سوى الله تعالى " <sup>(3)</sup> والمعنى الثاني المتداول لوحدة الوجود هو أن جميع ما خلق الله يستمد وجوده من الله وهو أثر من تجليات أسمائه الحسنى فهو الخالق والمصور والبديع والمحيي والمميت الى غير ذلك وفي مايلي مزيد بيان لهذين المعنيين مع ذكر القائلين بهما :

15أ- الوجود بمعنى الإتحاد والحلول :

وهم الذين يعتقدون باتحاد المخلوقات وحلولها في ذات الخالق من أتباع الديانات الوثنية في الحضارات الشرقية كالهندوس والبراهمة والبوذيين الذين يؤمنون بحصول " النرفانا " للأرواح التي روضها أصحابها بالمجاهدة وتعذيب الجسد وقمع شهواته فتنجو الروح وتبقى سالحة بالرغم مما تعاقب عليها من دورات تناسخية عديدة ولم تعد في حاجة ال تناسخ جديد فتحصل لها بذلك النجاة " النرفانا " فتكون بذلك أهلا لاتحادها مع الخالق وحلولها فيه <sup>(4)</sup> وتبعهم في هذا المعتقد طائفة السيخ التي جعلت غاية

(1)- وحدة الوجود : هي إتحاد ذات العالم في كونه مخلوقا كله للخالق الواحد سبحانه وتعالى وأثر لأسمائه ، فلا يخرج فرد من أفراد العالم عن هذا الحكم وإن اختلفت أنواعه فالأصل الذي يبرز منه واحد. أنظر ، أيمن حمدي ، ص : 93.

(2)- الإتحاد : ورد بعدة معاني منها تصيير ذاتين واحدة ، وهو حال الصوفي الواصل وقيل هو شهود وجود واحد مطلق من حيث أن جميع الأشياء موجودة بوجود ذلك الواحد فيتحد به الكل من حيث كون كل شيء موجودا به معدوما بنفسه لا من حيث أن له وجودا خاصا اتحد به فإنه محال . انظر، عبد المنعم الحفني ، ص : 9 .

(3)- أبو عبد الله القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، 1427هـ - 2006م ، ج1 ، ص : 213.

(4)- محمد ضياء الرحمن الأعظمي : دراسات في اليهودية و المسيحية وأديان الهند ، ط2 ، 2003م ، مكتبة الرشد ، السعودية ، ص 630 وما بعدها..

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

التصوف الكبرى هي الإتحاد مع الإله الخالق ، ومن أقوالهم " إن الروح وبرهما والكون شيء واحد ولكن نحن فرقناهم وميزناهم لعدم معرفتنا بهم ، فلو نزهنا أنفسنا من الشهوة والغضب والحرص والتكبر واشتغلنا بحصول المعرفة لوجدنا هذه الأشياء الثلاثة متحدة " (1).

وظهرت عقيدة الحلول والإتحاد كذلك عند الكونفوشسية الصينية والفلسفة الأيونية - نسبة إلى مدينة أيونية التركية - التي من أشهر فلاسفتها طاليس وهراقليطس وقد اهتمت بالبحث الميتافيزيقي واعتمدت على مبدأ واحد للوجود يرجع إليه في تفسير كل الكائنات كما نجد مقولة الأصل الإلهي أيضا عند الرواقيين و الأفلوطينيين (2). ولم تسلم الزرادشتية والمانوية في إيران وبعض الفرق في الفكر المسيحي من هذا المعتقد (3)

وللأسف فقد وقعت في هذا المستنقع الشركي بعض الطوائف من أدياء المتصوفة المسلمين الذين قالوا قصدا أو تأويلا خاطئا لأقوال بعض المخلصين من العارفين الذين صرحوا " إن الوجود هو الله " ففهموا منها معاني الحلول والوحدة الذاتية وتحرروا من التكاليف الشرعية على اعتبار أنهم في منزلة الآلهة. (4)

### 2أ5- معنى وحدة الوجود الموافق للشريعة حيث الخالق المفارق للمخلوقات :

والمقصود بها كما بينا أعلاه المعنى التوحيد الذي فهمه جمهور علماء الأمة من فقهاء ومحدثين ومتكلمين ويلحق بهم أهل العرفان من المتصوفة وقد نكتفي بالقسم الأخير لأن ذلك هو غرضنا .

(1)- المرجع نفسه ، ص : 683 وما بعدها.

(2)- إبراهيم مذكور : وحدة الوجود بين ابن عربي واسبينوزا ، كتاب تذكاري لحي ابن الدين بن عربي في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده ، 1165-1240م ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1969م ، ص : 368 وما بعدها.

(3)- سهيلة الترجمان : نظرية وحدة الوجود بين ابن عربي والجيلي ، ط 1 ، مكتبة خزعل ، 2002م ، ص : 130 وما بعدها.

(4)- عبد الغني النابلسي : الوجود الحق والخطاب الصدق ، تحقيق بكري علاء الدين ، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، 1995م ، ص : 501-508.



عند الجنيد : (1)

ينقل الإمام القرطبي في معرض تفسير قوله تعالى ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾<sup>(2)</sup> أن رجلا قال بين يدي الجنيد<sup>(3)</sup> : " الحمد لله " فقال له : " أمّتها ، قل كما قال الله ، قل ربّ العالمين " . فقال الرجل : " ومن العالمين حتى تذكر مع الحق ؟ " قال : " قل يا أخي فإن المحدث إذا ذكر مع القديم لا يبقى له أثر . " (4)

عند ابن عربي : (5)

ويقول محي الدين ابن عربي- الأب الروحي و العرفاني للأمير عبد القادر- موضحا لمعنى وحدة الوجود عنده : " ...الوجود واحد ، أحد في المدد كثير في العدد . " (6) ويقصد أن الموجودات على كثرتها إنما تستمد وجودها من موجد واحد مفارق لها وهو الله. ويقول في موضع آخر : " فلا تنسبوني الى الإتحاد الفرد ، فإنه السيد وأنا العبد ، وإنما هي رموز وأسرار ، لا تلحقها الخواطر والأفكار ، إن هي إلا مواهب من الجبار جلّت أن تنال إلا ذوقا ، ولا تصل إلا لمن هام فيها مثلي عشقا وشوقا. " (7) ويورد نصا في كتابه الفتوحات يبين فيه منهجه العقدي فيقول : " فيا إخواني ويا أحبائي رضي الله عنكم ، أشهدكم عبد ضعيف مسكين فقير الى الله تعالى في كل لحظة وطرفة وهو مؤلف هذا الكتاب ومنشؤه ، أشهدكم على نفسه بعد أن أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضره من المؤمنين وسمعه أنه يشهد قولاً وعقداً ، أن الله واحد

(1)- سبق التعريف به.

(2)- سورة الفاتحة ، الآية رقم 1 .

(3) - سبق التعريف به .

(4)- أبو عبد الله القرطبي ، ج1 ، ص : 215.

(5)- سبق الحديث عن ترجمته.

(6)- محي الدين ابن عربي : رسالة كشف السر لأهل السر ، تحقيق عاصم الكيالبي الدرقاوي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004م ، ص : 222.

(7)- ابن عربي : الإسرا الى المقام الأسرى ، تحقيق سعاد الحكيم ، بيروت ، 1988م ، ص : 159.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

(...) موجود بذاته من غير افتقار الى موجد يوجده ، بل كل موجود سواه مفتقر إليه تعالى في وجوده فالعالم

كله موجود به متصف بالوجود لنفسه (...) تعالى أن تحله الحوادث أو يجلها... " (1)

وفي معرض شرح الحديث القدسي " كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ... " (2) يقول ابن عربي : " أي من تقرب إلى ربه فأحبه أفاض عليه أنوار المعرفة فانكشفت له الحقائق فرأى كل شيء بنور هذه المعرفة أي أنه لا حلول ولا اتحاد . فإن القول بالحلول مرض لا يزول ومن فصل بينك وبينه فقد أثبت عينك وعينه ، ألا ترى إلى قوله " كنت سمعه الذي يسمع به " فأثبتك بإعادة الضمير عليك ليدلك عليه وما قال بالإتحاد إلا أهل الإلحاد كما أن القائل بالحلول من أهل الفضول "

و يورد محمد غلاب هذا النص مدافعا عن ابن عربي فيقول : " من هذه النصوص يبدو جليا أن الإمام محي الدين كان بريئا البراءة كلها من فكرة وحدة الوجود نقيًا من مبدأ الحلول وأن عقيدته كانت من أتم العقائد تنزيها لله وأجلها تقديسا له وأبعدها عن نسبة أقل الشوائب إلى ذاته تعالى أو إلى أفعاله " (3)

### عند الأمير عبد القادر:

وعلى هذا النهج سار الأمير عبد القادر في كتاب المواقف حيث يقول : " واحذر أن ترميني بحلول أو اتحاد أو امتزاج أو نحو ذلك فإني بريء من جميع ذلك ومن كل ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله -ص- فإني فهمت منهما ما فهمت أنت وزدت عليك وكلام الله وكلام رسوله -ص- بحر زخار لانهائية المدلولاتهما وكل من قال في مسألة : هذا مراد الله تعالى لا زائد عليه أو مراد رسوله -ص- لا غير فقد أعظم الفرية . " (4) . وفي موقف آخر يقول : " قال تعالى ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ (5) قرئ بالرفع في غير القراءة القراءة المشهورة وهي قراءة أبي السماك " ثم قال الأمير " اعلم أنه ليس للحق -تعالى- ذات ، ولمخلوقاته ذوات مستقلة وغير مستقلة قائمة بأنفسها لم يجددها أبدا ، وإنما ذات الحق -تعالى- وهي عين ذوات

(1)- ابن عربي : الفتوحات المكية ، طبعة بولاق ، القاهرة ، 1269هـ ، ج 1 ، ص : 57.

(6) - جزء من عبارة حديث قدسي صحيح سبق تخرجه .

(3)-وزارة الثقافة المصرية والمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الإجتماعية : الكتاب التذكاري محي الدين بن عربي في الذكرى المعوية الثامنة لميلاده ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1969م ، ص : 204.

(4)- الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق بكرى علاء الدين ، مصدر سابق ، الموقف 284 ، ج 2 ، ص : 275.

(5)- سورة القمر ، الآية رقم 49.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

المخلوقات من غير تعدد ولا تجزئة لذاته - تعالى - وذوات المخلوقات هي عين ذات الحق لا على أن للحق ذاتا وللمخلوقات ذوات ، ثم اتحدت ذات الحق بهم أو امتزجت أو حلت فيهم إ فإن هذا محال وليس بمراد ، بل بمعنى أن ذاته -تعالى- التي هي وجوده المقوم للمخلوقات ، القائم عليها هي عين ذوات المخلوقات ... " ثم يقول في آخر هذا الموقف : "وأحذر أيها الواقف على هذا أن ترمينا بحلول أو اتحاد أو زندقة أو إلحاد ، فنحن بريئون من فهمك الأعوج وعقلك الأهوج . " (1)

وفي موقف آخر يصدره الأمير بقوله تعالى : ﴿فتمثل لها بشرا سويا﴾ (2) ثم يذكر بما ورد في صحيح

السنة عن تجلي الله لأهل المحشر (3) وتحوله في الصور بقدرته سبحانه وتعالى وكيف كان النبي يرى جبريل في صورة دحية الكلبي (4). مع العلم أن الآية المذكورة آنفا تقرر معنى التجلي والتحول في الموجودات ثم يقول الأمير مقروا : " وهذا هو التجلي الذي أنكره علماء الرسوم المحجوبون عن العارفين - رضي الله عنهم - ورموهم بالحلول و الإتحاد . ولوا أنصفوا ما أنكروا ما جهلوا ، لأن الحكم على الشيء تصويبا وتزييفا فرع عن تصوره . وهم ما تصوروا التجلي والشهود ، على ما هو عند القوم رضوان الله عليهم - فما ردّ علماء الرسوم إلّا باطلهم الذي تصوروه في أنفسهم ، تصوروا باطلا وردّوا باطلا " (5) ثم يواصل سجاله المنطقي فيقول : " إذ القوم - رضي الله عنهم - لا إثنية عندهم ، ولا يقولون بوجودين قديم وحادث حتى يتحد أحدهما بالآخر أو يحل فيه ، فحقيقة الوجود عندهم واحدة لا تتعدد ولا تتجزأ ولا

(1) - الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق عبد الباقي مفتاح ، مصدر سابق ، الموقف 64 ، ج 1 ، ص 195 .

(2) - سورة مريم ، الآية رقم 17 .

(3) - وأصل الحديث الصحيح " إِنَّ اللَّهَ يَتَجَلَّى لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْتِيهِمْ فِي صُورَةٍ غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ . ثُمَّ يَأْتِيهِمْ فِي الصُّورَةِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ = فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا ... " محمد بن اسماعيل البخاري : صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى " وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة " ، رقم الحديث 7000 ، ج 6 ، ص : 2705 .

(4) - وهو جزء من حديث صحيح " .... وَرَأَيْتُ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِذَا أَقْرَبُ مِنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دَخِيئَةً " . مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات ، رقم الحديث 167 ، ج 2 ، ص : 373 .

(5) - الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق عبد الباقي مفتاح ، مصدر سابق ، الموقف 63 ، ص : 192 .

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

تتبع (....) فالأشياء كلها من عالم الأرواح والأجسام وعالم المثال والمعاني المجردة العقلية لا تظهر ولا تتعين إلا بظهور الحق فيها من غير حلول ولا اتحاد ولا اتصال ولا انفصال. (1)

### مثالان توضيحيان تقريبيان عن وحدة الوجود عند الأمير :

ولكي يزيد الأمير توضيح حقيقة وحدة الوجود التي يعتقدونها والتي ينفي عنها معضلة الإتحاد والحلول يلجأ الى استعمال المنهج التمثيلي الذي من مفرداته " تناول بعض التصورات المشتقة من الخبرة أو بعض العلاقات في مجال الخبرة ، ثم تعميمها لكي تقول شيئاً عن طبيعة الوجود ، أو لتفترح طريقة ممكنة لفهم نماذج أخرى من خبرات تختلف عن تلك التي بدأنا منها تصوراتنا ... " (2) . ويستعمل الأمير في كتابه المواقف مثالين ، الأول شروق الشمس على الكائنات والثاني ظهور مادة الشمع في الصور المختلفة .

\* **المثال الأول :** يقول الأمير " ومثال ذلك ، والله المثل الأعلى ، العالم ، إذا لم تكن الشمس مشرقة عليه ، وظاهرة لديه ، كان كالعدم لا وجود له في الأعيان ، ولا يتميز بعضه عن بعض . فإذا أشرفت عليه الشمس ظهر للأعيان ، وتحقق وجوده وتميز بعضه عن بعض . وظهور نور الشمس في أجزاء العالم ليس بحلولها فيه ولا اتصالها به ، ولا انتقالها ، ولا بتغيرها عما كانت عليه ، ولا بانفصال بعضها عنها . ولولا أجزاء العالم ما ظهر نور الشمس ولا تعين لو قدرنا ارتفاع العالم وعدمه . وكذا الوجود الحق تعالى لا وجود لمخلوقاته إلا بإشراق نوره عليها ، ولا ظهور له ولا تعين إلا بها ... " ثم يفسر الأمير مسألة اختلاف الصور والتحليلات مع أن المتجلي واحد وهو تفسير مناسب لقضية مشاهدة الله في كل اعتقاد يقول الأمير : " ... وظهور نور الشمس وإشراقه على أجزاء العالم يختلف بحسب صفاتها وقوابلها واستعداداتها ( ضمير الهاء يعود على أجزاء العالم ) وهو شئ واحد - أي نور الشمس - غير متعدد ، ولا متجزئ ، ولا متلون ، وإنما عدده ولونه أجزاء العالم بحسب صقاتها ، وكثافتها ودينسها ، وشفافيتها . فتحلي الوجود الحق على

(1) - المرجع نفسه ، ص : 192.

(2) - D.Emmette, The Nature of Metaphysical Thinking, p5, London, 1949. نقلا عن محمود

زيدان : مناهج البحث الفلسفي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1977م ، ص : 27.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

العالم كله واحد ، لا فرق بين جليل وحقير ، وصغير وكبير ، ولكن لا يظهر في صورة إلا بحسب قابليتها .<sup>(1)</sup>

\*المثال الثاني : يقول الأمير : " مثال ثاني للتجلي والشهود الذي دلت عليه الآي والأحاديث "الشمع " إذا صورت منه صورة إنسان أو حيوان ثم أحضرت لدى جماعة فيهم عقلاء وجهال وصبيان ، فالجهال والصبيان لا يقع إدراكهم إلا على الصورة ، ولا يتأملون إلا فيها وفي تخطيطها وتشكيلها وأعضائها ، غافلون عن الشمع الذي به مادتها وبه قامت وظهرت حتى صارت تتعلق بها الإدراكات الحسية . أما العقلاء فإنهم ينظرون الصورة كما ينظرها غيرهم ، ويتعدى نظرهم الى الشمع الذي قامت الصورة به وتعينت ، ويعرفون أن الصورة من حيث هي ، لولا الشمع أظهرها ما ظهرت ولا وقع عليها إدراك ... " ثم يزيد الأمير المسألة شرحا وتبسيطا حيث يؤكد على حقيقة وحدة الوجود : " ... لأنه لو كان لها - أي الصورة - وجود مستقل منفصل عن وجود الشمع لكان يصح أن تنفصل عن الشمع وتبقى على ظهورها ، وتتعلق الإدراكات بها ، وذلك محال فثبت أن الوجود و الظهور للشمع وإن ظهر بالصورة ، أي متلبسا بها ، فالظاهر هو - أي الشمع - والصورة خيال ... " <sup>(2)</sup>

هكذا نرى في هذه السياقات تأكيد كل من ابن عربي وتلميذه الأمير عبد القادر على تنزيه فكرهما العرفاني من لوثة فكرة وحدة الوجود والحلول . وأن المقصود بوحدة الوجود الوجود ذاته وليس ذوات الموجودات وهذا الوجود الواحد هول لله وبالله تعالى لذا أطلق أهل العرفان القول بوحدة الوجود وليس وحدة الموجود.

وفي ذات السياق من الباحثين من يرى أن قول الحلاج " ما في الجبة إلا الله " يجب أن يحمل على معنى أن ذات الحلاج ماهي إلا فعل من أفعال الله تعالى وهي أثر من آثار خلقه . وقد روي أن الحلاج فسر للمعترضين على مقولته السابقة وقال لهم : " يا سادتي العلماء أما قولي لكم الأول في قضية الجبة في قولي

(1)- الأمير عبد القادر : كتاب المواقف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، الموقف 63 ، ج 1 ، ص : 117 وما بعدها .

(2)- المرجع نفسه ، الموقف 63 ، ص : 118 .

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

إن فيها الله ، هي أنا من مصنوعاته...<sup>(1)</sup> وقد يلتقي هذا المعنى لوحدة الموجود مع ما يسمى بفناء القلب عن شهود ما سوى الرب وهي المحبة الصوفية لله تعالى وهي التي أشار إليها الجنيد بقوله : " سمعت السري يقول : " لا تصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر : يا أنا ."<sup>(2)</sup> وفي هذا النوع من الفناء يقول ابن تيمية : " وفي هذا الفناء قد يقول : أنا الحق ، أو سبحاني ، أو ما في الجبة إلا الله . إذا فني بمشهوده عن شهوده وبموجوده عن وجوده و بمذكوره عن ذكره ، و بمعروفه عن عرفانه (... ) وبالجملة هذا الفناء صحيح ."<sup>(3)</sup>

### 6- النظرة العرفانية الى الموجودات:

يستلهم الأمير من نصوص قرآنية نوعا خاصا من التوجه والإقبال على الله الذي يورث صاحبه بعد ذلك نظرا عرفانيا يوصله إلى حقائق في المعرفة الصوفية لا يدركها غيره . وفي موقف واحد<sup>(4)</sup> يستشهد بما يلي :

﴿ فوّل وجهك شطر المسجد الحرام ﴾<sup>(5)</sup> ويرد الوارد عليه بأن الوجه هو خاص وهو المذكور في قوله تعالى : ﴿ ويبقى وجه ربك ﴾<sup>(6)</sup> وهذا الوجه هو السر الذي تقوم به روح السالك وهو مأمور بأن ينظر ويسمع به الى كل وجوه الحق ومن فقدته فلن يصل الى الحقائق ويحقق فيه قول الله تعالى ﴿ وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ﴾<sup>(7)</sup> وهذا في حق من نظر ببصره مجردا عن هذا الوجه .  
و﴿ ولهم آذان لا يسمعون بها ﴾<sup>(8)</sup> وهذا في حق من تسمع بسمعته مجردا عن وجهه الخاص وسره

(1)- عبد الفتاح سعيد : قصة الحلاج وما جرى له مع أهل بغداد ، ط2 ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، 2000م ، ص : 99.

(2)- القشيري ، مرجع سابق ، ص : 524.

(3)- أحمد ابن عبد الحليم ابن تيمية : قاعدة في الفناء والبقاء ، تحقيق أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي ، ط1 ، دار ابن حزم ، بيروت ، 2003م ، ص : 12.

(4)- الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، الموقف 149 ، ج1 ، ص : 290.

(5)- سورة البقرة الآية رقم 144 و149 و150.

(6)- سورة الرحمان، الآية 27.

(7)- سورة الأعراف ، الآية 198.

(8)- سورة الأعراف، الآية 179.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

- ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها﴾<sup>(1)</sup> وهذا في حق من توجه بقلبه - اللحمة الصنوبرية- فما فقه وما عقل .

ثم يقول الأمير : " فإنه إذا نظر بعينه المجردة لا يرى إلا الأشياء المقيدة وهي الأجسام والالوان والسطوح. ومن نظر بعين روحه الباطنة رأى الأشياء الباطنة من الأرواح وعالم المثال المطلق والجن وكلها أكوان وحجب . ومن نظر بوجهه - وهو سره- رأى وجوه الحق تعالى التي له في كل شيء ، فإنه لا يرى الله إلا الله . ولا يعرف الله إلا الله . وهذه الأعين الثلاثة هي عين واحدة اختلفت باختلاف مدركاتها (...). ولهذا الوجه قال تعالى : يا ابن آدم مرضت فلم تعطني ، وطمئت فلم تسقني<sup>(2)</sup> . ولهذا الوجه قال تعالى : " كنت سمعه وبصره .."<sup>(3)</sup> "<sup>(4)</sup> ومعلوم أن الأمير قصد عينا واحدة يملكها السالك تختلف درجات إدراكها إدراكها حسب مدارج الترقى التي يصل إليها العبد في الطريق الصوفي .

### 7- وحدة الأديان أو مشاهدة الحق في كل اعتقاد :

ثم يتناول الأمير في بقية هذا الموقف مسألة وحدة الأديان<sup>(5)</sup> وإن اختلفت مربوباتها ولا يدرك هذه الحقيقة إلا من امتلك هذه الرؤيا العرفانية من خلال هذه العين الثالثة . يقول الأمير : " ولهذا الوجه قال تعالى : ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾<sup>(6)</sup> فإنه هو الذي عبد في كل مخلوق ، عبد في نار ، وشمس ، ونجم ، وحن ، وملك .. الخ . فملاحظة هذا الوجه لازمة في كل عبادة وعادة ، فإذا توجه إلى القبلة للصلاة يرى أن المتوجه حق ، والمتوجه إليه حق . وإذا تصدق يرى أن المعطي حق ، والمعطى حق ، كما قال تعالى

(1)- سورة الأعراف ، الآية 179 .

(2)- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب عيادة المريض ، رقم الحديث : 2569 ، ج 4 ، ص : 1990 . والحديث صحيح

(3) - سبق تخريجه .

(4) - الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق بكرى علاء الدين ، مصدر سابق ، الموقف 149 ، ج 1 ، ص : 291 .

(5) - عبارة تعدد الأديان لا تلقى قبولا ورواجا عند بعض المفكرين والباحثين في الإسلام على اعتبار أن الدين عند الله واحد وهو وهو الإسلام ومع هذا فإن القرآن سمي الأديان الباطلة دينا قال تعالى ﴿ لكم دينكم ولي ديني ﴾ سورة الكافرون الآية رقم 6 .

(6) - سورة الإسراء ، الآية رقم 23 .

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

: ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويقبل الصدقات ﴾<sup>(1)</sup> (...) وإذا نظر الى شيء رأى الناظر حق والمنظور إليه حق ، فإنه يرى الله بالله ، وأحذر أن تعتقد حلولاً أو اتحاداً أو سرياناً أو تولداً ، تعالى الله عن ذلك كله ، وأنا برئ من ذلك كله . وإنما هو كما قال الشيخ الأكبر - ويقصد محي الدين ابن عربي - رضي الله عنه :

تركنا البحار الزاخرات وراءنا فمن أين تدري الناس أين توجهنا " (2).

وترى في العبارة الأخيرة تداخل المسائل العرفانية في المنهج الصوفي عند الأمير حيث يتعرض مرة أخرى الى تبرئة معتقده الصوفي من إشكالية وحدة الوجود والحلول التي شنع بها على التصوف عنده وعند غيره. ولا يشكل هذا نشاطاً في منهج التأليف عند الأمير لأن نظرية التصوف منظومة متكاملة تتطافر عناصرها لتثبت منهجاً مستقلاً في المعرفة التي تستند إلى الكشف اللدني الذي يفسر به المتصوف كل الموجودات. فيصل بذلك الى مرتبة الإنسان الكامل الذي يقول عنه ابن عربي : " الكامل ينصبغ بكل صورة في العالم " (3).

ويتناول الأمير مسألة مشاهدة الحق في كل معتقد من خلال تعريفه للإنسان الكامل أو كما يسميه العارف الكامل. يقول الأمير : " إن العارف بالله تعالى حقيقة المعرفة هو الذي لم يتقيد بمعتقد دون معتقد ، فلم يتقيد بتنزيه مطلق ولا تشبيه مطلق ولا قيد ربه بصورة وصفة لا يقبل غيرها (...) ولا يعترض بأن يقول لأحد : ليس ربك كما اعتقدت ، ولا هو هذا المتجلي ، فأنت مخطئ من كل وجه ! هذا محال صدوره من العارف حقيقة المعرفة ، لوقوف العارف مع العين الجامعة للإعتقادات " (4) ولا يخفى علينا ما يتركه هذا المعتقد العرفاني في مجال البحث الأكاديمي في العلم المختص بالعقيدة ومقارنة الأديان من سجال وجدل. وسعيد رمضان البوطي المتضلع في العلوم الأصولية في مقدمته لكتابه فقه السيرة ينفي بالقطع

(1)- سورة التوبة ، الآية رقم 104.

(2)- الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف ، تحقيق عبد الباقي مفتاح ، مصدر سابق ، الموقف 149 ، ج 1 ، ص : 345 وما بعدها.

(3)- ابن عربي : الفتوحات المكية نقلاً عن المواقف ، تحقيق بكري ، مصدر سابق ، ج 1 ص 23 .

(4)- الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، الموقف 308 ، ج 2 ، ص : 386.



## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

مصطلح الأديان السماوية إذ ما تم إلا دين واحد هو الإسلام الذي يظهر مختلفا في الشرائع السماوية المنزلة (1) كما يتصل هذا المعتقد بشعبة من شعب الفلسفة التطبيقية التي تعنى بمبحث التسامح وتحقيق السلم العالمي والقضاء على أسباب الصراع العقدي والإثني ولأمر ما سجل لنا التاريخ موقف الأمير عبد القادر من فتنة الصراع الديني بين الدروز و المسيحيين و المسلمين في أرض الشام سنة 1860م. (2) ودوره المشرف المؤسس على فقهه الصوفي العميق .

كما يتناول الأمير في شعره مسألة المعبود الواحد في كل المعتقدات من ذلك قوله في أبيات من البحر الطويل وعلى لسان الإنسان الكامل :

فطورا تراني مسلما أي مسلم	زهودا نسوكا خاضعا طالبا مدا
وطورا تراني للكنايس مسرعا	وفي وسطي الزنار أحكمته مدا
وطورا بمدارس اليهود مدرسا	أقرر توراة وأبدي لهم رشدا (3)
ومن البحر الطويل أيضا :	
ففي أنا كل ما يؤمله السورى	فمن شاء قرآنا ومن شاء فرقانا
ومن شاء توراة ومن شاء انجيلا	ومن شاء مزمارا زبورا وتبياننا
ومن شاء خلوة يكن به خاليا	ومن شاء حانة يغازل غزلانا (4)

والمضمون العرفاني لهذه الأبيات مستمد من مذهب محي الدين ابن عربي حيث يذكر فيقول :

لقد صار قلبي قابلا كل صورة	فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف	وألواح توراة ومصحف قرآن

(1)- محمد سعيد رمضان البوطي : فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، ط10 ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان و دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 1411هـ - 1991م ، ص : 53.

(2)- راجع في هذه الفتنة ، الأمير محمد ، ج2 ، ص : 92 وما بعدها.

(3)- المرجع نفسه ، ج1 ، ص : 23.

(4)- المرجع نفسه ، ص : 25.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني .<sup>(1)</sup>

ولقد رافع أحد الباحثين عن هذا المشرب الأكبري متسائلا : " فهل معنى هذا أن الأمير والشيخ محي الدين يؤمنان بتكافؤ الأديان الناسخة والمنسوخة والعقائد القويمة والسقيمة ؟ " ثم أجاب عن هذا السؤال بالنفي لأن سيرتهما وأعمالهما وأقوالهما كلها تنفي ذلك. وإنما مراد كل منهما هو التعبير عن شهود القهر الإلهي والإرادة النافذة للحق تعالى في خلقه سعيدهم وشقيهم .فهو الذي خلقهم وما يعملون وما يعتقدون وهو الهادي وهو المضل وهو جاعل الظلمات والنور.(...) وقد لخص الشيخ محي الدين هذه المسألة في قوله :

عقد الخلائق في الإله عقائدا وأنا شهدت جميع ما عقده.

فهذا الكلام وأمثاله صادر من شهود القيومية والمشئبة الإلهية كما هو مبين أعلاه. ولكن هذا لا ينفي أن في العقائد هدى أو ضلال وقد يلحق أصحابها السعادة أو الشقاء بناء على العدالة الإلهية وهذا ما وضحه الأمير في بعض مواقفه وهذا ما قرره ابن عربي في أبيات وردت بعد البيت السابق حيث يقول :

قد أعذر الشرع الموحد وحده والمشركون شقوا وإن عبده

وكذلك أهل الشك أخسر منهم والجاحدون وجود من وجوده

والقائلون بنفيه أيضا شقوا مثل الثلاثة حين لم يجده

أجنى عليهم من تأله حينما أهل السادة بالهدى عبده.

ويستشهد الباحث بما ورد في كتاب الإنسان الكامل للعرفاني الكبير عبد الكريم الجيلي - وهو على المشرب الأكبري أيضا ويقول بمشاهدة الحق في كل اعتقاد ولو كان باطلا - حيث يقول : " وأما المسلمون فاعلم أنهم كما أخبر الله تعالى عنهم : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾<sup>2</sup> لأن نبيهم محمد صلى الله

(1)- محي الدين ابن عربي : ديوان ترجمان الأشواق ، اعتنى به عبد الرحمان المصطاوي ، ط1 ، دار المعرفة للطباعة والتوزيع ، من قصيدة تناوحت الأرواح ، الأبيات 13 ، 14 و 15 ، 1425 هـ - 2005 م ، ص : 62 .

(2)- سورة آل عمران ، الآية 110 .

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

عليه وسلم خير الأنبياء ودينه خير الأديان وكل من هو بخلافهم من سائر الأمم بعد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبعثه بالرسالة كائنا من كان فإنه ضال شقي معذب بالنار" (1)

### 8- كسمولوجيا العالم ، حدوثه ونسبة الوجود إليه:

من أبرز ما ذكرته المعاجم الفلسفية وحرصت على تفسيره مصطلح " كسمولوجيا " الذي يعود أصله الإشتقاقي الى اللفظ اليوناني " COSMOS " ومعناه في الأصل النظام ثم أطلقه الفيثاغوريون على العالم ومن ثم قيل أن كسمولوجيا الكون هي البحث في القوانين العامة التي تتحكم في الكون وتكوينه (2) وقيل معناها البحث في قوانين العالم من حيث جهة أصله وتكوينه سواء من الناحية التجريبية أو الفلسفية وعند كانط يعرف علم الكون العقلي " cosmologie Rationnelle " بأنه البحث في أصل العالم وطبيعته من حيث ما هو حقيقة وجودية متعلقة متعينة خارج الدهن وهي تثير كما يسميه هذا الفيلسوف بالنقائض " Anitnomies " (3)

وبالفعل فإن الأمير عبد القادر في كتابه المواقف يسوق مسألة الكسموس هذه من زاوية أنها تتصل بمعنى أصل العالم ووحدة الوجود إذ يتحدد معنى هذه الأخيرة عند طوائف الفكر الإنساني بحسب نظرتهم الى حقيقة وجود العالم . وقد ذكر الأمير وجهات النظر المختلفة لمعنى الوجود المتعلق بهذا العالم وبين رأي كل من المتكلمين والفلاسفة - الحكماء - والسفسطائيين لكي يخلص بعد ذلك الى أن التفسير العرفاني للمتصوفة هو أصح الآراء في تحديد معنى الوجود للحوادث و هو الرأي البعيد عن فكرة وحدة الوجود بمعناها الإلحادي والحلوي المرفوض شرعا وعرفانا كما بينا . يقول الأمير مبينا كل هذه المعاني :  
" ..أن سيدنا ومولانا (4) يخالف جميع الطوائف ، غير الطائفة العلية - المتصوفة من أهل الكشف - في معنى حدوث العالم ونسبة الوجود إليه . فلا يقول كما يقول المتكلمون : إنه موجود حقيقة بوجود حادث خلقه الله تعالى . ولا كما قالت طائفة من الحكماء القائلين بوحدة الوجود : إن العالم موجود في الخارج

(1) - عبد الكريم ، مرجع سابق، ص : 267.

(2) - مراد وهبة ، ص : 147.

(3) - جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، مرجع سابق ، ج2 ، ص : 247.

(4) - يقصد به شيخه العرفاني ابن عربي ، مقتبسا رأيه من كتابه الفتوحات المكية .

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

حقيقة كما يقول المتكلمون ، لكن بالوجود القديم لا بوجود حادث . ولا كما تقول السفسطائية : إن العالم كله خيال ، ولا حقيقة وراء كل هذه المتخيلات . وإنما وجود العالم بعد عدمه عند سيدنا ومولانا وعند أهل الكشف الإلهي كافة : هو شعور الأعيان الثابتة " بأنفسها وبغيرها و أحوالها في علم باريها تعالى على التالي والتتابع الى غير نهاية دنيا وآخرة ، وقبولها أن تكون مظهرا للوجود الحق تعالى ، لا أنها استفادت وجودا ، وإنما استفادت " المظهرية " لا غير . فالظاهر هو " الوجود الحق " مسمى بأسماء الممكنات ، موصوفا بصفاتهما ، ومنعوتا بنعوتها . فحقائق العالم المسماة بالأعيان الثابتة ما نشئت رائحة الوجود الخارجي فهي على حالها ما برحت . فلا وجود للعالم بالمعنى الذي يعتقدده العموم من أهل الحجاب . فكل ما يسمى سوى وغيراً للحق تعالى فلا وجود له إلا في المدارك و" المشاعر الإنسانية " ، وأما في نفس الأمر فلا شيء إلا الوجود الحق تعالى الظاهر بأحوال الممكنات ونعوتها الثابتة في إمكانها وعدمها." (1)

### 9- الإنسان الكامل :

من المعلوم أن للإمام العارف عبد الكريم الجيلي كتاب عنوانه : " الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل " يعرف فيه مصطلح " الإنسان الكامل " فيقول :

"...ولكن مطلق لفظ الإنسان الكامل حيث وقع في مؤلفاتي إنما أريد به محمداً -ص- تأدبا بمقامه الأعلى ومحلّه الأكمل الأسنى . " (2) ثم يقرر أن الإنسان الكامل هو هذه الحقيقة المحمدية التي تتجلى في الكمل من العارفين وهو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود كله وهو واحد منذ أن كان الوجود إلى أبد الآبدين (3) ويذكر في سياق آخر بأن الحق تعالى أوجب على نفسه أن لا ترى أسماؤه ولا صفاته إلا في الإنسان الكامل ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا.﴾ (4)

(1)- الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مصدر سابق ، ج 3 ، الموقف 366 ، ص : 246.

(2)- عبد الكريم الجيلي : الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل ، مرجع سابق ، ص : 207.

(3)- المرجع نفسه ، ص : 210.

(4)- سورة الأحزاب ، الآية رقم 72 . والسياق أنظر ، المرجع نفسه ، ص : 213.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

ويعرفه الأمير في موقف افتتحه بمأثور عن الجنيد- لما سئل عن العارف والمعرفة- جاء فيه : " لون الماء لون إنائه " وسكت . ويبين الأمير أن مراد الجنيد هو أن الله لا صورة له وإنما يظهر بصورة العارف له . وأن الظاهر بالصفات والأسماء على الكمال هو الخليفة الكامل ولا يكون إلا واحدا في كل زمان وهو الإنسان الكامل .<sup>(1)</sup> ويتسمى الإنسان الكامل بأسماء كثيرة ، تتعدد الأسماء والمسّمى واحد كما يتسمى السيف بالصارم والقضيب والهندواني والأبيض والصقيل والمحدد . فمن أسماء الإنسان الكامل ، " الحقيقة المحمدية " لأن حقيقته -ص- هي الرحمة التي وسعت كل شيء ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾<sup>(2)</sup> . وعدّد الأمير من كتب القوم العارفين تسعة وثلاثين إسما وصرّح بأنها طرفا منها وليست كلها.<sup>(3)</sup> وبين المغزى من كل إسم منها ونذكر بعضها منها :

**أ- الحد الفاصل :** لأنه فاصل بين ما تعين من الحق وما لم يتعين منه .

**ب- القلب :** لمعاني كثيرة منها أنه لباب العالم وزبدة الموجودات أعاليها وأدانيها . ومنها أنه قلب الحدوث وعكسها بمعنى أن نوره قديم إلهي بخلاف الممكنات .

**ج- سدرة المنتهى :** لأنه هو البرزخية الكبرى التي ينتهي إليها سير الكمل وأعمالهم وعلومهم وهي نهاية المراتب الأسمائية .

**د- لمح البصر :** وذلك من قوله تعالى : ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح البصر﴾<sup>(4)</sup> لأن أمر الله لاصورة له وهو الظاهر بكل صورة حسية أو عقلية أو خيالية أو مثالية . والصور لابقاء لها أكثر من آن واحد ، لأنها أعراض . والعرض لا يبقى زمانين . وهذا هو " الخلق الجديد " الذي الناس في لبس منه .

**هـ- روح القدس :** لأنه الروح المقدس عن النقائص الكونية فهو روح لا كالأرواح ، لأنه روح الله كما قال : ﴿ونفخت فيه من روحي﴾<sup>(5)</sup> وروح الله ذاته ، فالوجود كله قائم بروح الله الذي هو ذاته .

(1)- الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق بكرى علاء الدين ، مصدر سابق ، ج 1 ، الموقف 17 ، ص 57 وما بعدها .

(2)- سورة الأنبياء ، الآية رقم 107 .

(3)- الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق بكرى علاء الدين ، مصدر سابق ، ج 1 ، الموقف 89 ، ص : 161 وما بعدها .

(4)- سورة القمر ، الآية 50 .

(5)- سورة الحجر ، الآية 29 .

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

فروح الله قدس وروح ما سواه تعالى محدث ، فالإنسان مثلاً له روح مخلوق ، به قامت صورته . ولذلك الروح المخلوق روح إلهي قام به ذلك الروح وهو المعبر عنه بروح القدس .

### 10- أهمية الشيخ المربي في المنهج التربوي الصوفي :

ويتحدث الأمير في مواقفه عن أهمية المنهج في التلقي الصوفي ويستنبط جملة من المعاني الديدانكتيكية من قوله تعالى ﴿يأيتها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيل الله لعلكم تفلحون﴾<sup>(1)</sup> حيث يشترط لمن سلك طريق التصوف أن يكون على بينة بقضايا تتعلق بمنهج التلقي . إذ لكل مرحلة من مراحل السلوك الصوفي شروطاً وأول المراحل يجب فيها التحقق بالتقوى والمعبر عنها عند الصوفية بمقام التوبة وقد يكفي - حسب رأي الأمير - فيأول الطريق الإنتفاع بمطالعة كتب القوم إن لم يظفر بمصاحبتهم . يقول الأمير : " ...وأما بداية الطريق فيكتفي بالكتب المصنفة في المعاملة والمجاهدة المطلقة . " <sup>(2)</sup> أما المرحلة الثانية والتي تتحقق للمريد بعد إحكام مقام التوبة لا بد له فيها من اصطحاب شيخ مربي وهو المشار إليه في الآية - حسب نظر الأمير - بالوسيلة ، التي هي " الشيخ الكامل العارف بالطريق وبالعلل العائقة والأمراض المانعة في الوصول إلى العلم بالله - تعالى - ، الحاذق ، الخبير بالمعالجة والأمزجة والأدوية . " <sup>(3)</sup> وهذه العبارة من الأمير تتصل مباشرة بموضوع تعليمية الفلسفة ومنهجية التعليم . ويتأكد شرط " الشيخ المربي " عند بلوغ السالك مرحلة الكشف وتلقي الواردات الإلهية .

### 11- من آداب إنكار أهل الفقه على أهل العرفان :

يورد الأمير في بداية الموقف قوله تعالى : ﴿وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين﴾<sup>(4)</sup> و يستنبط مما وقع بين نبي الله موسى والخضر عليه السلام ثلاثة عشرة مسألة وقد أنزل فيها النبي موسى

(1)- سورة المائدة ، الآية 35 .

(2)- الأمير عبد القادر: المواقف ، تحقيق عبد الباقي مفتاح ، مصدر سابق ، ج1 ، الموقف 197 ، ص : 458 .

(3)- المرجع نفسه، ص : 457 وما بعدها .

(4)- سورة الكهف ، الآية رقم 60 .

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

منزلة التلميذ المرید والخضر عليه السلام هو الشيخ والولي الذي يتلقى المعارف كشفا وشهودا. ويستغل الأمير هذه القصة القرآنية لكي يذكر ما يتوجب على أهل الفقه والشرع والرسوم من آداب في تعاملهم مع أهل الكشف والعرفان وفي هذا الصدد يقول الأمير : " ومنها أن العالم الرباني - ويمثل الخضر- إذا أنكر عليه متشرع - في القصة القرآنية هو موسى عليه السلام- ليس من طريقته لا يشغل نفسه به ولا رده ، بل يشتغل بواجب الوقت في ظاهره وباطنه ولا يلتفت . وإن كان ولا بد فليقل كما قال الخضر لموسى عليهما السلام : أنت على علم علمك الله وأنا على علم علمني الله . " ثم يشير الأمير في مسألة أخرى الى أدب مشترك بينهما في الحوار والخلاف ، يقول الأمير في آخر الموقف : " ومنها : أن للمشرع الصادق المخلص المحتسب أن ينكر على الصوفي ما ينكره ظاهر الشرع ولكن في الأشياء المجمع عليها لا في الخلافات ، مع اعتقاد كمال الصوفي في الباطن ، فإن موسى أنكر على الخضر - عليهما الصلاة والسلام- ما خالف ظاهر الشرع . ولا شك أنه كان يعتقد أكمليته وأعلميته ضرورة لأن الله تعالى أخبره أن الخضر أعلم منه ، إذ المتشرع طريقه أخص ، فله أن ينكر على الصوفي . والصوفي طريقه أعم فليس له أن ينكر على المتشرع الى غير هذا من العلوم التي تشير إليها هذه القصة . " (1)

### 12-الإشارات الإيكولوجية في كتاب المواقف :

على اعتبار أن الصوفية - والأمير واحد منهم - اعتمدوا على القلب طريقا لفقه الأشياء واعتبروا الموجودات كائنات لها أهلية وجودية سامية مستمدة من الإله خالق الوجود - أو العلة الأولى بتعبير كتب الفلسفة - وليست هي مادة صماء خالية من كل هذه الإعتبارات السامية . وما أحوج البشرية اليوم الى فقه هذه المعاني البيئية و " تحاذ الطبيعة موضوع حقوق بالمعنى الصحيح " على حد تعبير أحد الباحثين ولقد اشتمل كتاب المواقف للأمير على فصول مطولة في توضيح أن البيئة بكل عناصرها العلوية والتي هي الأرواح والأفلاك والأملاك والسفلية وهي كل المخلوقات ما عدا المذكورة آنفا والتي تسمى جميعا بالعالم

(1)- الأمير عبد القادر : المواقف في إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف ، تحقيق عبد الباقي مفتاح ، مصدر سابق ، الموقف 195 ، ج1 ، ص : 453 وما بعدها.

## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

هي ظل الله واسمه الظاهر وأطول المواقف في الكتاب هو الموقف " 248 " وهو يتحدث عن العناصر البيئية الكبرى حيث بلغت صفحاته 161 صفحة وهو حري بأن يكون كتاباً بمفرده ولذلك ختمه الأمير بقوله : " ومن شاء فليجعل هذا الموقف رسالة مستقلة ، يسميها : (بغية الطالب على ترتيب التجلي بكليات المراتب ) وقد رتبته الأمير في فصول بلغت الثلاثون وخاتمة. و لقد سمى الله العناصر المكونة للبيئة الكونية أمثلة للإنسان توصله لحقيقة الذات الإلهية

وقد أكتفي بذكر عناوين بعض الفصول للتدليل على اشتمال البحث الصوفي عند الأمير في كتابه المواقف على بعض قضايا الفلسفة التطبيقية المتعلقة بالدراسات الإيكولوجية :

-الفصل الثامن : " في الطبيعة المسماة بالهولي عند الحكماء /-الفصل الثاني عشر : " في مرتبة الجسم الكل و أحكامه " /- الفصل السابع عشر : الأجسام الطبيعية والعنصرية " /-الفصل الثامن عشر : " في الأرض وما يتعلق بها وهو الركن الأول... " /- الفصل التاسع عشر : في الماء وهو الركن الثاني وما يتعلق به من الفوائد " /- الفصل العشرون : " في الهواء وهو الركن الثالث وما يتعلق به... " الفصل الواحد والعشرون : " في النار وهو المسمى بالأنير وهو الركن الرابع وما يتعلق به من الصواعق والأذئاب .. " و في هذا القدر كفاية للتدليل على المراد.

### 13- ماهية كلام الله بين العرفان والفقہ :

يتحدث الأمير عن كيفية بلوغ كلام الله لأنبيائه ورسله وأوليائه فيقرر أن ذلك يتم تارة بواسطة مشهودة وتارة بغير واسطة أصلاً. فإذا كلمهم بغير واسطة أو بواسطة غير مشهودة سمعوه بقلوبهم لأن الكلام هنا نفسي. وإذا كلمهم بواسطة مشهودة سمعوه بأذانهم وقلوبهم لأن الكلام هنا لفظي. ويستشهد الأمير على هذه الأنواع بحال بعض العارفين. فالشاذلي يقول : " وهب لنا مشاهدة تصحبها مكلمة " ويقول محي الدين الحاتمي : " إذا كلمك لم يشهدك وإذا أشهدك لم يكلمك " ثم يبين أن مقصود الشاذلي أنه كان يطلب دوام المشاهدة في الصور بحيث لا يرى ولا يكلم إلا الله. كما نقل على الجنيد أنه قال : " لي ثلاثون سنة أتكلم مع الله ، والناس يظنون أنني أتكلم معهم. ثم يبين مقولة ابن عربي بأن المشاهدة عبارة



## الفصل الثالث الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف

عن فناء صرف وغيبة محضة يستحيل أن تكون فيها مكاملة وإفادة والفاني الغائب لا يحس ولا يفهم ولا يسمع. فمكاملته عبث و محال أن يكون الله الحكيم من العابثين. وإنما اختص موسى - دون سائر الأنبياء عليهم السلام- بالكليم لذوق اختص به . ثم يحذر أهل الفقه والفتوى من تكفير أهل الشهود والعرفان بقوله : " ولعل فقيها قحا يقف على هذه الكلمات . فيقول هذه كفر وردة وزندقة ومروق من الدين. فإن الفقهاء أهل الفتاوى أجمعوا على أن من ادعى رؤية الله أو سماع كلامه فهو مرتد مباح الدم ، فالله يغفر لي ولهذا الفقيه ولفقهاء أصحاب الفتاوى." (1) وكما مر معنا في ثنايا هذا البحث أن من أسباب رفض الأميرة بديعة الحسني نسبة كتاب المواقف لجدها الأمير عبد القادر هو مسألة الكشف والشهود الذي يتلقى فيه الأمير الواردات الإلهية التي شكلت مذهبه العرفاني والصوفي. وفي رأبي أنه لا يمكن نفي الكتاب جملة بل الأولى مناقشة ما ورد فيه من آراء ومسائل. أما مسألة الوارد الإلهي من غير وحي النبوة والإصطفاء فهي مقررة كما مر معنا عند أقطاب العلم والتحقيق والتصوف مثل القشيري والطوسي والجنيد والغزالي وابن خلدون والجيلي وغيرهم كثير.

وبهذه الأسطر ينتهي حديثنا في هذا الفصل عن الفكر الصوفي عند الأمير ، لكي ننتقل بعد ذلك إلى الفصل الرابع الذي سنخصصه للممارسة السياسية عنده.

(1)- الأمير عبد القادر ، المواقف ، تحقيق عبد الباقي مفتاح ، مصدر سابق ، ج 1 ، الموقف 209 ، ص : 488.

---

الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

المبحث الأول: الممارسة السياسية عند الأمير عبد القادر لتأسيس دولة إسلامية في الجزائر

المبحث الثاني: الممارسة السياسية عند الأمير بعد الهجرة الى بلاد الشام.

تمهيد :

تعد التربية بالأحداث أرقى الوسائل في تحقيق الأهداف عند المربين . ولقد كانت التربية السياسية من خلال الوقائع والأحداث - قبيل وبعد الإستعمار الفرنسي للجزائر - حاضرة في حياة الأمير عبد القادر منذ صغره في زاوية أبيه بالقيطنة - كما مر معنا - والتي كان شعارها صوفيا وسياسيا في آن واحد وهو " السبحة والسيف " وعليه ليس من المستغرب أن يكون للأمير عبد القادر حضور في الشأن السياسي في ما يستقبل من أيام حياته . ولذلك سأتناول في هذا الفصل الممارسة السياسية عند الأمير من خلال مبحثين اثنين خصصت الأول لبيان جهوده في تأسيس دولة إسلامية في الجزائر . ودرست في الثاني دوره السياسي والإنساني في معالجة الاضطرابات التي عرفتها بلاد الشام بعد هجرته إليها.

المبحث الأول: الممارسة السياسية عند الأمير عبد القادر لتأسيس دولة إسلامية في الجزائر.

المطلب الأول : تعريف السياسة و الممارسة السياسية .

أولا : تعريف السياسة :

تتميز كتب التراث السياسي العربي الإسلامي بتوضيح المعاني اللغوية والإصطلاحية للكلمات لأن العلم يسير بسيرهما ويتوقف بتوقفهما<sup>(1)</sup>. ومن المستغرب ما نجد من حيف على العلم والمنهج والحقيقة الذي يتمثل في تغييب للفكر الإسلامي في بعض المعاجم المعاصرة التي اكتفت بالتعريف الغربي لكلمة السياسة ومن ذلك ما نجد في المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية<sup>(2)</sup> حيث عرف السياسة بأنها " فرع من العلم المدني يبحث في أصول الحكم وتنظيم شؤون الدولة " و ذكر في سياق التعريف مصادر أربعة وهي جمهورية أفلاطون والسياسة لأرسطو والتنين لهوبز والمدينة الفاضلة للفارابي . وكيف تقع الغفلة على شروح وافية لكلمة السياسة - لغة واصطلاحا - عند أدباء الإسلام و فقهاؤه وفلاسفته!؟ وهذا نموذج عن معاني كلمة السياسة عندهم:

أ- في المعنى اللغوي :

قيل هي من مصدر سَاسَ، يَسُوسُ، سياسة وهي من فعل السَّاسِ، و يقال سَاسَ الدابة أو الفرس إذا قام على أمرها من العلف والسقي والترويض والتنظيف وغير ذلك، والوالي يَسُوسُ الرعية يأمرهم<sup>(3)</sup>.

---

(1)- إبراهيم مذكور : في الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، سميح كنز للطباعة والنشر، القاهرة، 1984م، ص : 35.

(2)- المعجم الفلسفي : تصدير إبراهيم مذكور، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1403هـ- 1983م، ص 99 .

(3)- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، ص: 366.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

- تأخذ معنى الرياسة والقيادة وتحمل المسؤولية قاله ابن منظور (711هـ) " السوس الرياسة ، يقال ساسوهم سوسا . وإذا رأسوه قيل : سوسوه وأساسوه ، وساس الأمر سياسة قام به. وفي الحديث النبوي " كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي وسيكون بعدي خلفاء فيكثرون"<sup>(1)</sup>. أي تتولى أمورهم كما يفعل الأمراء.<sup>(2)</sup> وساسَ الرعية يسوسُها سِياسَةً بالكسر<sup>(3)</sup>. ويقال الرجل يسوس الدواب إذا قام عليها وراضها ومنه الوالي يسوس الرعية سياسة أي يلي أمرهم<sup>(4)</sup>.

ولذلك ذكر ابن العنابي<sup>(5)</sup> السياسة فقال: "السياسة لغة: مصدر ساس الرعية يسوسها سياسة، إذا أمر فيها ونهى، بشرط إصابة الصواب فيها، وتطلق على حسن التدبير وجودة الرأي"<sup>(6)</sup>.

- 
- (1)- البخاري: صحيح البخاري، حديث رقم 3268، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، مرجع سابق 1273/3 ومسلم: صحيح مسلم، حديث رقم: 184، باب: الوفاء وبيعة الخلفاء الأول فالأول، مرجع سابق 1471/3.
  - (2) - جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب ، طبعة دار المعارف ، باب السين ، ج3 ، ص : 2149 .
  - (3)- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، طبعة جديدة، مكتبة لبنان للنشر، بيروت، 1415هـ-1995م، ج1، مادة س وس، ص:135.
  - (4)- علي بن المطرز: المغرب، تحقيق محمود فاقوري وعبد الحميد مختار، ط1، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، 1979م، ج1، ص:421.
  - (5) - هو أبو عبد الله الحاج محمد بن محمود بن محمد بن حسين المعروف "بابن العنابي" من أوائل المجددين ودعاة الإصلاح الاجتماعي والسياسي في العالم الإسلامي ولد بالجزائر العاصمة 1189هـ-1775م، وقام بعدة وظائف شريفة تولاهما بمسقط رأسه منها وظيفة الإفتاء، وكاتباً للداي أحمد باشا. وبعد قصف الأسطول الإنجليزي بقيادة اللورد "Exmouth" للمدينة الجزائر في شهر شوال 1231هـ - أبريل 1816م ، رحل الى السلطان المغربي أبي الربيع سليمان وبعدها وفي سنة 1235هـ- 1820م ذهب الى الإسكندرية وبها ألف كتابه " السعي المحمود في نظام الجنود " سنة 1242هـ وحج منها وعاد الى تونس سنة 1244هـ ثم الى الجزائر وذلك قبل مجيء الإستعمار الفرنسي سنة 1246هـ -1830م . وبعد الإحتلال بجوالي سنة نفاه القائد "كلوزيل" الفرنسي إلى مدينة الإسكندرية، حيث تولى بها منصب الفتوى الحنفية ، إلى أن توفي سنة 1267هـ-1851م. رحمه الله رحمة واسعة. من آثاره " السعي المحمود في نظام الجنود " ، " تبث الجزائري " ، " شرح الدر المختار " ، العزيز في علم التجويد " . انظر ، عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر ، ط2 ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1400هـ-1980م ، ص : 245.
  - (6) - محمد بن محمود ابن العنابي: السعي المحمود في نظام الجنود، تقديم وتحقيق الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983م ، ص:201.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

- تأتي بمعنى القيادة والطبع ، وإليه أشار الرمخشري ( 528هـ ) في قوله " هو يسوس الدواب وهو من ساسته وسواسها ، والكرم من سوسه أي من طبعه ومن المجاز : الوالي يسوس الرعية وسوس فلان أمر قومه (1) .

-وردت بمعنى الأمر والنهي ، ذكره الفيروز آبادي ( ت 817م ) في قوله " سست الرعية سياسة : أمرتها ونهيتها " (2)

من خلال ما تقدم نخلص إلى أن معاجم اللغة العربية تؤكد على أن المدلول اللغوي العام لكلمة السياسة ينحصر في القيام على أمر الرعية والأمة إصطلاحا وتوجيها ورعاية. وهي معاني يتضمنها المعنى الإصطلاحي كما سنبينه لاحقا.

وقيل السياسة كلمة مشتقة من الكلمة السياسية " polis " ومعناها المدينة (3) .

### ب- المعنى الإصطلاحي لكلمة السياسة :

وقد تعددت تحديدات هذا المصطلح وذلك حسب طبيعة كل مفكر وحسب المجتمع الذي يعيش فيه. وقد أضحى مفهوم مصطلح السياسة من أكثر المصطلحات تداولاً بين الناس، ويقصدون به عادة الأمور التي تختص بها الأحزاب السياسية والمسائل المطروحة أمام رجال السياسة وكل ما يتعلق بالسلوك الانتخابي والتصويت، والواقع أن هذه أنشطة سياسية تدخل ضمن ما يعنيه مصطلح السياسة (4). وأريد قبل ذكر التعريف الإصطلاحي أن أشير إلى أن هناك فارق جوهري بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي في هذا الصدد حتى على المستوى النظري حيث يستبطن الأول القيم الأخلاقية بينما يتضمن التعريف الغربي

(1) -الرمخشري جار الله أبي القاسم محمود بن عمر : أساس البلاغة ، ط 1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، باب السين (السين مع الواو) ، ص : 466.

(2) - الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي : القاموس المحيط ، باب السين ، فصل السين والشين ، ج 2 ، ص : 330 .

(3) - اسماعيل زروخي : كتاب دراسات في الفلسفة السياسية ، الطبعة الأولى ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2001 م ، ص : 9.

(4) - محمد علي محمد ، علي عبد المعطي : السياسة بين النظرية والتطبيق ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1984م ، ص : 5.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

لمصطلح السياسة قيم الصراع والحلول الوسط وتحكيم الواقع ولو كان منحرفا. ونبدأ بذكر بعض النماذج-  
على النمط الغربي - وقد نجدها منقولة في بعض المراجع العربية :

### -في الفكر الغربي

فعلى سبيل المثال تعرف الموسوعة السياسية "السياسة " بأنها : " دراسة المصالح المتضاربة  
وانعكاساتها على تكوين السلطة والحفاظ على امتيازات الطبقة الحاكمة " (1)

وقيل أيضا هي " العناية بالأعمال الإنسانية التي تدعم وتسوي الصراع بين المصلحة العامة ومصصلحة  
الجماعات الخاصة والتي تستعمل فيها القوة " (2)

وقيل " هي طريقة لتنظيم الشؤون الاجتماعية لاسيما فيما يتعلق بتخصيص الموارد النادرة والمبادئ  
التي نضعها لهذا الغرض ، وكذلك الوسائل التي يستطيع من خلالها بعض الجماعات والأفراد السيطرة على  
الوضع أكثر من الآخرين " (3) .

ولكن قد نجد ما يشير الى خلاف ذلك حيث يجمع الفيلسوف الألماني كانط بين السياسة والأخلاق  
ويرى أن الممارسة السياسية يجب أن تقوم على مبادئ الأخلاق وليس هناك انفصام بين النظرية والممارسة  
(4) ولكن الصدام يقع بينهما كما يرى كانط على مستوى الممارسة في الواقع (5).

ولكن و للأسف فإن الممارسات السياسية الغربية آثرت مذهب نيتشه وهوبز.

(1) - الكيالي : الموسوعة السياسية ، ج3 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1983م ، ص 362.

(2) - هايل عبد المولى طشطوش ، مبادئ أساسية في العلوم السياسية ، دار الكندي للنشر والتوزيع ، أريد ، الأردن ، 2009م ، ص :  
15.

(3) - اسماعيل عبد الفتاح : النظم السياسية وسياسات الإعلام ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، مصر ، 2004م ، ص :  
10.

(4) - كانط عمانوئيل : نحو السلام الدائم ، محاولة فلسفية ، ترجمة نبيل الخوري ، بيروت ، دار صادر ، 1985م ، ص : 72 .

(5) - المرجع نفسه ، ص : 87.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

وما قدمناه في الفصل المتعلق بالسياسة الحربية للأمير جعلنا نقف على الروغان و الدجل والدهاء الماكر عند أكابر الضباط العسكريين الفرنسيين في تعاملهم مع الأمير -بوجو ، ديميشال ، ليون روش ، كلوزيل ، مونتنيك... والقائمة طويلة - وما وقع في الحربين العالميتين سابقا وما نعيشه اليوم من حروب في منطقة الشرق الأوسط وتكيف قوة الفيتو في مجلس الأمن لتحقيق مصلحة الغرب بكل ألوان طيفه المسيحي واليهودي والشيوعي والرأسمالي على حساب المسلمين عموما والعرب خصوصا، خير شاهد على المعنى الإصطلاحي للسياسة عندهم .

### -في الفكر الإسلامي :

وإذا ما انتقلنا الى كتب التراث الإسلامي فإننا نجد خلاف ذلك كما أشرنا .وهذه نماذج شاهدة على هذا الفارق المنهجي :

- ما ذكره شهاب الدين بن ربيع ( ت 227 هـ - 842 م ) في تعريفه للسياسة التي هي : " القيام بأمر الناس وتدبير أحوالهم بالدين القيم والسنة العادلة " (1)

- وقول الجاحظ ( ت 255 هـ ) : " تحقيق النظام وردع الخارجين وتدبير حاجات الناس لأن الناس لو تُركوا دون نظام لفسدوا " (2)

- وقال ابن قتيبة الدينوري ( ت 276 هـ ) : " السياسة هي تدبير شؤون الناس بما يكفل لهم المصالح ويرفع عنهم المضار " (3)

-الفارابي(ت339هـ) : يطلق على مصطلح (السياسة) علم السياسة أو العلم المدني ويعرفها تعريفا موسعا فيقول هي : " ذلك العلم الذي يفحص عن أصناف الأفعال والسنة الإرادية وعن مملكات

(1) - ابن أبي الربيع شهاب الدين أحمد بن محمد : سلوك المالك في تدبير الممالك ، مكتبة الأحمدى بطنطا ، 1386هـ ، ص : 807 .

(2) - الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: استحقاق الإمامة ، تحقيق حسن السندوبي ضمن رسائل الجاحظ ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة 1922م ، ص : 21 .

(3) - الدينوري أبو عبد الله بن مسلم بن قتيبة : كتاب السلطان ، طبعة محمد إبراهيم آدم المكتبي ، القاهرة ، ص : 25



## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

والأخلاق والسجايا والشيم التي عنها تكون الأفعال ، وعن الغايات التي لأجلها تفعل ، وكيف ينبغي أن تكون موجودة في الإنسان " (1)

-ابن سينا ( ت 428 هـ ) : في رسالته " السياسة " يؤكد على أهميتها في حياة الإنسان وأنها منهج عام لإصلاح حياته " (2)

-الماوردي(ت450 هـ ) : يعرف السياسة بأنها " إصلاح أحوال الرعية وانتظامها عن دين مشروع وتجميع الكلمة على رأي متبوع " (3)

- أبو حامد الغزالي (505 هـ ) من أكبر فقهاء الشافعية يعرف السياسة بأنها " صلاح الخلق عن طريق إرشادهم الى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والمؤدي للآخرة " (4)

- أبو بكر الطرطوشي : (ت520 هـ) يعرف السياسة بأنها " إقامة القسط الذي شرعه الله لعباده وركوب سبيل العدل والحق الذي قامت به السموات والأرض وإظهار شرائع الدين ونصر المظلوم والأخذ على يد الظالم وكف يدي القوي على الضعيف ومراعاة الفقراء والمساكين وملاحظة ذوي الخصاصة والمستضعفين " (5)

---

(1)- الفارابي أبو نصر : السياسة المدنية ( مبادئ الموجودات ) ، تحقيق فؤاد متري نجار، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1924 م ، ص : 35.

(2)- ابن سينا أبو علي الحسين : رسالة في السياسة ، نشرها الأباء اليسوعيون ، لويس معلوف وخبيل إده ولويس شخيو ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1911م ، ص : 19.

(3)-الماوردي أبو الحسن : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتاب العربي بيروت ، 1988م ، ص : 27.

(4)- الغزالي أبو حامد : فائحة العلوم ، مكتبة الجندي ، 1322هـ ، ص : 06 .

(5)- الطرطوشي أبو بكر بن أيوب الفهري : سراج الملوك ، المطبعة الأزهرية ، 1319 هـ ، ص : 4.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

- ابن قيم الجوزية (ت 751هـ) يعرف السياسة بأنها " ما كان فعلا يكون الناس معه أقرب الى الصلاح وأبعد عن الفساد وإن لم يضعه الرسول ولا نزل به وحي " (1)

- خليل الأسدي (ت 855هـ). عرف السياسة بأنها " العلم المبرهن الدال على التذكرة والنصيحة وما تحصل به الإعانة على تدبير الأمور الواجبة المعتمدة " (2)

وفي فكر مالك بن نبي ترتبط السياسة بأداء الواجبات وثقافة المجتمع، وهي -السياسة- عنده: " العمل المنظم الفعال الذي تقوم به الأمة ككل -الدولة والجماعات- المتفق مع أيديولوجية جمهورها -لتحقيق التجانس والتعاون بين الدولة والفرد على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والثقافي لتكون السياسة مؤثرة حقيقة في واقع الوطن- والذي يؤدي إلى تغيير الإطار الثقافي في اتجاه ينمي تنمية متناغمة عبقرية أمة، أي أن السياسة -في النهاية- هي صناعة الثقافة، فتشيد حديقة في مدينة القاهرة يعني أننا نقوم بعمل سياسي" (3). ونلاحظ في تعريف بن نبي للسياسة البعد الحضاري الذي يجعلها وسيلة لتحقيق الرقي الاجتماعي ولن يتحقق ذلك إلا بتوفر وعي عام بين أفراد المجتمع يقدر الأخلاق والجمال بمعناهما الشامل .

-تعريف الأمير عبد القادر للسياسة : ويشير الأمير عبد القادر إلى بعض المعاني الإصطلاحية للسياسة فيقول : " إن مقاصد الخلق مجموعة في انتظام الدين والدنيا ولا نظام للدين إلا بانتظام الدين والدنيا وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الأدميين . وأعمالهم وصناعاتهم وحرفهم تنحصر في ثلاثة أقسام أحدها أصول لا قوام للدنيا إلا بها وهي أربعة : الزراعة وهي للمطعم ، والحياكة وهي للملبس والبناء وهو

(1) - ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي : الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، تحقيق محمد جمال غازي ، مطبعة المدني القاهرة ، 1961م ، ص : 15.

(2) - الأسدي محمد بن محمد بن خليل : التيسير والإعتبار والتحرير والإختبار فيما يجب من حسن التصرف والإختيار ، تحقيق عبد القادر ، دار الفكر العربي ، 1989م ، ص : 35.

(3) - مالك بن نبي: بين الرشاد والتهيه (السياسة والبولتيك) ، ط1، دار الفكر، دمشق، 1978م ، ص: 85-87.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

للمسكن والسياسة وهي للتأليف والإجتماع والتعاون على أسباب أمر المعيشة ."<sup>(1)</sup> ثم يذكر القسم الثاني وهي أعمال مهياة للأصول مثل الحدادة للزراعة والقسم الثالث من الأعمال ما هو متمم للأصول مثل القصارة والخياطة للحياكة ثم يبين فضل السياسة على سائر الصناعات فيقول " وأشرف الصناعات أصولها وأشرف أصولها السياسة ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها ما لا تتطلبه سائر الصناعات فلذلك يستخدم صاحب هذه الصناعة جميع أصحاب هذه الصناعات " ثم يذكر مراتبها فيقول " والسياسة على مرتبتين : سياسة الملوك والسلطين وتصرفهم في الخاصة والعامة ولكن في ظواهرهم فقط لا في بواطنهم . والثانية سياسة العلماء وتصرفهم في بواطن الخاصة . ولا تنتهي قوتهم في التصرف في ظواهرهم بالإلزام والقهر ..."<sup>(2)</sup>

يشير هذا النص الأميري الى مدى تشبع الأمير عبد القادر بالقراءة للفكر الخلدوني الذي تحدث كثيرا في مقدمته على العمران وما يحتاجه من سياسات تتطلب توفر علوم وحرف محددة التي تشيد ملكه وتضمن استقراره واستمراره هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد لا حظنا على أرض الواقع صنيع الأمير في محاولة بناء دولته على قواعد وممارسات سياسية تتخذ من علوم العمران التي تعلمها مرجعا ومنهجيا.

### ثانيا : تعريف الممارسة السياسية :

تعرف الممارسة السياسية بأنها كل نشاط عقلي نقدي معياري يمارسه الإنسان - السياسي - على نفسه أو محيطه من خلال تحليل مستمر للوقائع والنصوص والكشف عن النواقص النظرية والمنهجية بهدف الوصول الى الحياة الأفضل<sup>(3)</sup>. وقريب منهما نجد في مضمون تعريف علم السياسة الذي هو " كل النظريات والأفكار التي تنظم المدينة ومؤسساتها والعلاقة بين أفرادها "<sup>(4)</sup>.

(1) - الأمير عبد القادر : رسالة الى الفرنسيين ذكرى العاقل وتنبية الغافل ، تحقيق عمار طالي ، منشورات ANEP ، الجزائر ، 2005 ، ص : 36 ،

(2) - الأمير عبد القادر : رسالة الى الفرنسيين ذكرى العاقل وتنبية الغافل ، مصدر سابق ، ص : 20 .

(3) - اسماعيل زروحي ، ص : 9 .

(4) - المرجع نفسه ، ص : 16

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

ولعله من نافلة القول أن نؤكد على أن الجانب العملي - التنفيذي - في الممارسة السياسية هو مسبق - بالبديهة - بالجانب النظري وهذا ما حدا ببعض الباحثين للتفصيل في بيان العلاقة الجدلية بين الفلسفة السياسية وعلم السياسة والعمل السياسي حيث أن علم السياسة هو أحد فروع العلوم الاجتماعية وهو العلم الذي يتناول الظاهرة السياسية في إطار علمي من خلال الإلتزام بالمصطلحات و الأبيديات وطرق البحث و المناهج المتعارف عليها بين العلماء والباحثين السياسيين أما كلمة السياسة - العمل السياسي - فهي تعني الممارسة السياسية والإهتمام بالشأن العام وهذه السياسة هي التي نجدتها في وسائل الإعلام من خلال الحوارات والتحليلات وردود الأفعال بين مختلف النخب السياسية في السلطة والمعارضة ومن رجل الشارع العادي.<sup>(1)</sup>

ومن الباحثين من يرى أن علم السياسة هو تلك المعرفة التي تهتم بدراسة المجال العملي للنظم السائدة سواء على مستوى المجتمع أو على الدولة ومؤسساتها. أما الفلسفة السياسية فهي المعرفة التي تعنى بدراسة المجال النظري والفكري للنظام السائد ونقد الظواهر السياسية السائدة والكشف عن سلبياتها باعتبار أن تلك الظواهر هي التي تشكل في الوقت نفسه موضوع علم السياسة ويمكن من زاوية أخرى اعتبار كل من الفلسفة السياسية وعلم السياسة فرعا من النظرية السياسية العامة . ولا يمكن فصل المعرفتين عن بعضهما بسبب العلاقة الجدلية القائمة بينهما.<sup>(2)</sup>

والأمير عبد القادر كمؤسس لنواة الدولة الجزائرية قام بجملة ممارسات سياسية من منطلق عقيدته الإسلامية ومن خلال منهجه الصوفي القادري . ولقد كانت هذه الممارسات السياسية الكثيرة والمتنوعة خاضعة لجملة من القواعد والضوابط المقررة في الإسلام وفي مايلي إشارة الى بعض هذه القواعد .

(1)- جاسم سلطان : قواعد في الممارسة السياسية ، ط 1 ، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع ، المنصورة ، 1428هـ - 2008م ، ص : 7 .

(2)- اسماعيل زروخي ، ص : 17 .

قواعد الممارسة السياسية في الإسلام :

تخضع الممارسة السياسية في الإسلام لجملة من القواعد اجتهد الباحثون- القدماء والمحدثون - في رسمها وعلى سبيل المثال لا الحصر نقف على نموذجين اثنين منهم الأول ابن خلدون والثاني محمد عبده.

\*عند ابن خلدون

يكتب ابن خلدون في مقدمته فصلا بعنوان: " في أن العمران البشري لا بد له من سياسة ينتظم بها أمره " (1) وقد تدرج ابن خلدون قبل أن يصل الى هذه القواعد ببيان جملة من المقدمات أولها أن الحكم السياسي يكون مستنده إما الى شرع منزل أو الى سياسة عقلية والمقدمة الثانية بين فيها أن مقصوده في هذا الفصل ليس البحث في ما يسميه الحكماء بالسياسة المدنية التي تكون في جمهورية افلاطون الافتراضية أو في مدينة الفارابي " النادرة والبعيدة الوقوع " على حد تعبير ابن خلدون لأن السياسة المدنية في مثل هاتين المدينتين هي وصف لما يجب أن يكون عليه الناس في أنفسهم وأخلاقهم حتى يمكنهم الاستغناء فيهما عن الحاكم الوازع. (2) والمقدمة الثالثة بين فيها ابن خلدون أن السياسة العقلية - وهو ما نقصده بالممارسة السياسية في فلسفة الحكم - تكون على وجهين " أحدهما يراعى فيها المصالح على العموم ومصالح السلطان في استقامة ملكه على الخصوص وهذه كانت سياسة الفرس وهي على جهة الحكمة وقد أغنانا الله عنها في الملة ولعهد الخلافة... " والوجه الثاني " أن يراعى فيه مصلحة السلطان وكيف يستقيم له الملك مع القهر والإستطالة وتكون المصالح العامة في هذه تبعا " ثم يبين ابن خلدون أن هذه الأخيرة هي مطلوبة في كل المجتمع الإنساني لكل ملوك العالم من مسلم وغيره وهي عند المسلمين مستنبطة من شريعة الإسلام ومبادئ الأخلاق و " قوانين في الإجتماع طبيعية " (3) ومن أقوال الحكماء وتجارب الملوك . ثم يخلص ابن

(1)- ابن خلدون : المقدمة ، ، ضبط ومراجعة خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1421هـ- 2001م ، الفصل52 ، ص : 377 .

(2)- المرجع نفسه ، ص : 377.

(3)- المرجع نفسه ، ص : 378.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

خلدون الى نموذج في قواعد الممارسة السياسية يستنبطها من نص رسالة بعث بها طاهر بن الحسين الى ابنه عبد الله بن طاهر لما ولاه الخليفة العباسي المأمون الرقة ومصر وما بينهما .

ونص هذه الرسالة طويل جدا - وقد قرأته كله- وهو يشتمل على 185 سطرا ، متوسط عدد الكلمات في كل سطر 12 كلمة . وعدد صفحاته 10 ( من 378 الى 387 ) .

وقد أعجب الناس بهذا الكتاب وداع صيته ولما قرئ على المأمون قال فيه : " ما أبقي أبو الطيب - يعني طاهرا - شيئا من أمور الدنيا والدين والتدبير والرأي والسياسة وصلاح الملك والرعية وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلا وقد أحكمه وأوصى به ."<sup>(1)</sup> ثم قال ابن خلدون جملة وهي خاتمة هذا الفصل : " ثم أمر المأمون فكتب به الى جميع العمال في النواحي ليقتدوا به ويعملوا بما فيه . هذا أحسن ما وقفت عليه في هذه السياسة والله أعلم ."<sup>(2)</sup>

ويغلب على الرسالة الأسلوب الأدبي ووجود التكرار لبعض المعاني إلا أننا يمكن أن نستنبط منها القواعد الآتية<sup>(3)</sup>:

### جدول يضم قواعد الممارسة السياسية مستنبطة من مقدمة ابن خلدون

القواعد	بعض من متنها كما ذكره ابن خلدون	القواعد	بعض من متنها كما ذكره ابن خلدون
الأولى	عليك بتقوى الله وحده	الثانية عشرة	إياك أن تقول أنا متسلط أفعل ما أشاء فإن ذلك سريع الى نقص الرأي وقلة اليقين بالله

(1)- المرجع نفسه ، ص : 387.

(2)- المرجع نفسه ، ص : 387.

(3)- نذكرها بالأسلوب الذي كتبت مع حذف المعاني المكررة أو دمجها ما استطعنا الى ذلك سبيلا. انظر ، ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ضبط ومراجعة خليل شحادة وسهيل زكار ، مرجع سابق ، من ص 378 الى ص 387.

الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

<p>ولن تجد تغير النعمة وحلول النعمة على أحد أسرع منه الى حملة النعمة من أصحاب السلطان المبسوط لهم في الدولة إذا كفروا نعم الله وإحسانه</p>	<p>الثالثة عشرة</p>	<p>احفظ رعيته في الليل والنهار... وأقم ميزان العدل فيهم دون محاباة وأحقن دماءهم</p>	<p>الثانية</p>
<p>ولتكن دخائرك وكنوزك التي تدخر وتكسر البر والتقوى واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم وتفريق الأموال في عمارة الإسلام وأهله</p>	<p>الرابعة عشرة</p>	<p>تقريب أهل الفقه والدين والعلم ومشاورتهم وخذ عن أهل التجارب والرأي والحكمة</p>	<p>الثالثة</p>
<p>ولا تدخلن في مشورتك أهل الرفه والبخل ولا تسمعن لهم فإن ضررهم أكثر من نفعهم</p>	<p>الخامسة عشرة</p>	<p>الإقتصاد في الأمور كلها.</p>	<p>الرابعة</p>
<p>تفقد الجند في دواوينهم ومكانتهم وأذر عليهم أرزاقهم</p>	<p>السادسة عشرة</p>	<p>الإحسان الى الوزراء والخلفاء وعدم إساءة الظن بهم</p>	<p>الخامسة</p>
<p>وأعلم أن القضاء من الله تعالى بالمكان الذي ليس فوقه شيء من الأمور لأنه ميزان الله الذي تعدل عليه أحوال الناس في الأرض (...). وانصف الخصم وقف عند الشبهة وأبلغ في الحججة ولا يأخذنك في أحد من رعيته محاباة ولا مجاملة</p>	<p>السابعة عشرة</p>	<p>استعمال المسألة والبحث ومباشرة الأمور والمباشرة لأمر الأولياء و حياطة الرعية والنظر في حوائجهم</p>	<p>السادسة</p>
<p>اجعل في كل كورة من عملك أمينا يخبرك أخبار عمالك ويكتب إليك بسيرهم وأعمالهم حتى كأنك مع كل عامل في عمله معين لأمره كلها. وأفرد نفسك للنظر في أمور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمته إليك والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه فسل عنه أحفى مسألة ووكل بأمثاله أهل</p>	<p>الثامنة عشرة</p>	<p>إقامة حدود الله في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل ذلك ولا تتهاون به</p>	<p>السابعة</p>

الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

الصلاح من رعيتك ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك (...) وتعاهد ذوي البأساء و أيتامهم وأراملهم واجعل لهم أرزاقا من بيت المال			
انصب لمرضى المسلمين دورا تأويهم وقواما يرفقون بهم وأطباء يعالجون أسقامهم	التاسعة عشرة	جانب البدع والشبهات يسلم لك دينك وتقم لك مروءتك	الثامنة
اعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى قبلك من أهل السلطان والرئاسة	العشرون	اشدد لسانك عن الكذب والزور أبغض أهل التميمية فإن أول فساد أمورك في عاجلها وآجلها تقرب الكذب والجرأة على الكذب	التاسعة
و اعرف ما يجمع عمالك من الأموال وما ينفقون منها ولا تجمع حراما و لا تنفق إسرافا.	الحادية والعشرون	أحب أهل الصلاح والصدق وأعز الأشراف بالحق وآس الضعفاء وصل الرحم	العاشرة
وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك من إذا رأى عيبا فيك لم تمنعه هيبتك عن إنهاء ذلك إليك في سر و إعلانك .	الثانية والعشرون	واملك نفسك عند الغضب وآثر الحلم والوقار	الحادية عشرة

وقد أسقطنا ذكر قواعد أخرى معانيها مكررة أو متداخلة في غيرها وردت في هذه الرسالة والملاحظ أن ما ذكرناه منها يستغرق كل وظائف الممارسة السياسية للحاكم المسلم وغير المسلم حيث ألمحت الى مسائل تنظيمية في السياسة التربوية والمالية والعسكرية والقضائية والإدارية .



وننتقل الآن الى نموذج محمد عبده لمعرفة ما كتب في هذا الشأن .

\*عند محمد عبده

في مضامين الإصلاح الديني الذي بشر به محمد عبده تبرز كتاباته التي تتعلق بتجديد الفكر السياسي الإسلامي الذي يجمع بين معطيات الواقع المتغير ومقاصد الشريعة السمحاء . ومن جملة القواعد التي تذكر في هذا الصدد :

### 1- نفي السلطة الدينية في الإسلام :

حيث بين أن الإسلام لم يترك : " لأحد بعد الله ورسوله سلطانا على عقيدة أحد ولا سيطرة على إيمانه (...) وليس لمسلم مهما علا كعبه في الإسلام ، على آخر ، مهما انحط منزلته فيه ، إلا حق النصيحة والإرشاد " (1)

### 2- الحاكم في الإسلام حاكم مدني :

حيث يؤكد محمد عبده على أن الأمة عن طريق من يمثلها هي من تنصب الحاكم وهي صاحبة الحق في السيطرة عليه وهي التي تخلعه متى رأت المصلحة في ذلك " فهو حاكم مدني من جميع الوجوه " (2) والحاكم عند المسلمين ليس معصوما ، ولا يتلقى الوحي ، وليس من حقه احتكار وظيفة تفسير النص الديني كما هو شأن الكنيسة في القرون الوسطى التي مارس رجالها الحكم التيوقراطي أو السلطان الإلهي حيث الطاعة للحاكم واجبة مطلقا " لأن عمل صاحب السلطان الديني وقوله في أي مظهر ظهرا هما : دين و شرع " (3)

(1)- الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده ، تحقيق وتقديم محمد عمارة ، ط1 ، دار الشروق ، 1414هـ - 1993م ، ج3 ، ص 304 :

(2)- المرجع نفسه ، ص : 308.

(3)- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

### 3- استقلالية القضاء والفتوى عن السلطان<sup>(1)</sup> :

ويقصد بالوظائف الدينية منصب القاضي أو المفتي أو شيخ الإسلام وبعد أن بين محمد عبده بأن الإسلام لم يجعل لهؤلاء أدنى سلطة على العقائد وتقرير الأحكام فكل سلطة كلف بها أحد منهم فهي سلطة مدنية قررها الشرع الإسلامي و لا يمكن للسلطة السياسية - الحاكم - أن تتدخل في مضامين تلك الوظائف . فهي مستقلة في عملها وليس للحاكم معها إلا تنظيمها و التولية أو العزل.<sup>(2)</sup>

### 4- عدم وجود شكل محدد لممارسة الحكم في الإسلام:

يشير محمد عبده في هذا الصدد الى أن مدنية الدولة في الإسلام تقرر بناء على أن المجال السياسي فيه قائم على الإجتهد البشري . ولا توجد أحكام في الوحي تحدد الممارسة السياسية في قوالب محددة وجامدة . بل المنصوص عليه هو قواعد عامة تتسع الى صيغ كثيرة ومختلفة تفتح المجال لكل التجارب الإنسانية النافعة في هذا المجال . يقول محمد عبده : " ومعلوم أن الشرع لم يجيء ببيان كيفية مخصوصة لمناصحة الحكام ، ولا طريقة معروفة للشورى عليهم ، كما لم يمنع من كيفية من كفياتها الموجبة لبلوغ المراد منها ، فالشورى واجب شرعي ، وكيفية إجرائها غير محصور في طريق معين (... ) ندب لنا أن نوافق في كيفية الشورى ومناصحة أولياء الأمر ، الأمم التي أخذت الواجب نقلا عنا ، وأنشأت له نظاما مخصوصا . متى رأينا في الموافقة نفعاً ووجدنا منها فائدة تعود على الأمة والدين ... " <sup>(3)</sup>

### المطلب الثاني : ممارسات الأمير عبد القادر السياسية لبناء دولة إسلامية في الجزائر.

ولقد تنوعت الممارسات السياسية عند الأمير وهو يؤسس دولته التي غلب عليها الطابع العسكري . وقد ألبأته الأحداث والظروف التي تكون غير ملائمة أحيانا لرسم سياسة أو تغييرها بأخرى وستعرض في هذا المطلب الى نوعين من الممارسة الأولى عامة وتتعلق بالنظام العام لدولته الفتية والثانية سنخصصها

(1)- وقد تصرف في صياغة عنوان هذه القاعدة حيث وردت كالاتي "الوظائف الدينية ليست سلطات تمارس على الناس "

(2)-المرجع السابق ، ص : 250.

(3)-الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده ، مرجع سابق ، ص : 385.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

للجيش النظامي وكيف أحكم الأمير تنظيمه من خلال مراسيم تنظيمية تبرز مستوى النضج السياسي الذي كان يتمتع الأمير الشاب القائد.

### أولاً : الممارسات السياسية المحددة للنظام العام للدولة :

وتتمثل في ما يلي :

#### 1- تقسيم الدولة الى مقاطعات :

ولقد بدأ الأمير بمقاطعتين ، الأولى : تلمسان وولى عليها البوحميدي الوهاصي . والثانية : مقاطعة عاصمتها معسكر وولى عليها السيد محمد بن فريجة المهاجي . ولما قتل ولى عليها مصطفى بن احمد التهامي وكان رئيس ديوان الإنشاء. وبعد ذلك استحدث مقاطعة ثالثة هي مليانة تحت إمرة محي الدين بن علال القليعي وبعد موته محمد بن علال من أقاربه . ولكل مقاطعة مرسى ، فلتلمسان رشكون ولمعسكر أرزيو و لمليانة شرشال . ثم مقاطعة رابعة لبلاد التيطري وعاصمتها المدية وولى عليها أخاه مصطفى بن محي الدين وبعد عزله محمد البركاني والمقاطعة الخامسة هي بجانة وعاصمتها سطيف وتعاقب على ادارتها : محمد بن عبد السلام المقراني ثم محمد الخروي القلعي ثم محمد بن عمر العيسوي . والسادسة : الزيبان وعاصمتها بسكرة بقيادة فرحات بن سعيد ثم الحسن بن عزوز ثم محمد الصغير ابن عبد الرحمان . والسابعة الجبال وعاصمتها برج حمزة بقيادة احمد بن سالم الدييسي . والثامنة الصحراء الغربية بقيادة قدور بن عبد الباقي.

(1)

وأريد أن أسجل أن البعد التنظيمي جلي وواضح في ممارسة الأمير في إدارة شؤونه السياسية منذ أول عهده في نشأة دولته الفتية حيث قام بتحديد المناطق والمهام وإسنادها الى من يتوسم فيهم الكفاءة في الإدارة والتنظيم وكذلك الأمانة والعلم من أهل البيوت الفاضلة ويشهد على ذلك ما جاء في تحفة الزائر :  
" ... لم يستخدم في جميع أعماله إلا من اشتهر بمعرفة الأحكام وعرف بالعفاف والإقدام (... ) واستخدم في

(1) - الأمير محمد ، ج 1 ، ص : 199.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

في إدارة الأمور الملكية من كان ذا حزم وعزم وقوة شكيمة من ذوي البيوت المشهورين بالعلم والفضل والسياسة . " ولا يخفى على دارس أن عنصر الكفاءة القيادية هو اليوم من أبرز مباحث علم النفس والإدارة والتسيير حيث تعرف الكفاءة بأنها : " استخدام القدرات في وضعية مهنية بغية التوصل الى الأداء الأمثل للوظيفة أو النشاط " (1)

### 2- تقسيم المقاطعات الى دوائر:

وتحقيقا للوجه السياسي والتنظيمي لدولة الأمير المتصوف سليل الزاوية القادرية يقسم الأمير كل مقاطعة الى دوائر حيث يشرف على كل دائرة آغا . وكل دائرة تقسم الى قبائل يشرف على كل منها قائد وكل قبيلة الى بطون وعشائر يرأسها شيخا . فكان الهرم التنظيمي للمسؤولين يبدأ بالأمير ( الحضرة الأميرية ) ثم الخليفة ثم الآغا ثم القائد ثم الشيخ . وهذا البناء الهرمي يضمن في فلسفة التنظيم مسائل كثيرة أهمها تحديد المسؤوليات كما أشرنا وسرعة الإتصال والتنفيذ والتبليغ للتوجيهات والقرارات والمعلومات. (2)

### 3-مجالات التداول وصناعة القرار:

تداول القضايا المهمة والمصيرية في الحضرة الأميرية ، وما عداها متروك لما دون ذلك كل في دائرته التنظيمية . (3) ولقد كان الأمير حريصا على مبدأ الشورى في تسيير شؤون دولته في السلم والحرب لأن الشورى في الإسلام حكم من أحكام الشريعة وهي مثال على الجمع بين التصوف على اعتبار أنها تحقيق لأمر تعبدي من جهة وهي أيضا ممارسة سياسة لكونها من أنجع الوسائل التنظيمية للوصول للقرار الصائب ما أمكن السبيل الى ذلك . وأريد أن أقف في هذا الصدد لكي أنبه على معالجة إشكالية ذكرتها في مقدمة البحث تتعلق بفلسفة صنع القرار كممارسة سياسية في دولة الأمير وسأختار من تاريخ الأمير السياسي

(1)- ثابت الحبيب وآخرون : تطوير الكفاءات وتنمية الموارد البشرية ، ط 1 ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، 2009 ، ص : 112 .

(2) - ثابت الحبيب وآخرون ، ص : 200 .

(3) - الأمير محمد ، ج 1 ، ص : 199 .

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

والحربي حدثا هو في غاية الأهمية وهو قرار توقيف القتال مع الجيش الفرنسي . حيث تبرز أهمية ملابسات اتخاذ هذا القرار في السؤال الآتي : هل صدر من مؤسسة شوروية ؟ أم اتخذه الأمير بصفة فردية ؟ ولقد أشارت بعض المصادر إلى تخطئة الأمير وتوجيه النقد له في هذا الشأن و من ذلك ماذكرته الأميرة بديعة الحسني من أن المخرج السينمائي العالمي مصطفى العقاد رفض تصوير فيلم حول الأمير عبد القادر - كما فعل للزعيم الليبي عمر المختار - بحجة أن الأمير استسلم في نهاية مشواره القتالي!<sup>(1)</sup> واختار النفي ولم يفعل مثل عمر المختار الذي مات وسلاحه بين يديه<sup>(2)</sup>. ولا نجد كدليل تاريخي على أن القرار كان موافقا لآداب الإسلام في الشورى ومتماشيا مع فلسفة التنظيم في الفكر الديمقراطي خيرا من ابنه الأمير محمد حيث يسجل لنا في كتابه التحفة خطاب<sup>(3)</sup> أبيه الذي يعتبر نصا مفصلا لجلسة المداولة على قرار التسليم حيث حصلت القناعة بذلك بعد أن تراجع عدد جنود جيش الأمير الذي أصبح يقاتل ضد جبهات ثلاث: الفرنسيين وجيش الملك والمرتدين من قبائل الجزائر . ونقتطف من هذا الخطاب السياقات المهمة والخادمة للإشكالية حيث طلب الأمير - بكل وضوح وصراحة- من جنوده الرأي والمشورة فقال : " يا قوم إن الأحوال كما ترون والأخبار كما تسمعون فما الرأي وما الحيلة ؟... "<sup>(4)</sup> فهل هذا صنيع قيادة مستبدة و ثيوقراطية أم هو سلوك قيادة راشدة وشورية وديمقراطية<sup>(5)</sup> ؟ ويثبت الأمير محمد السلوك التنظيمي الشوري داخل المؤسسة الأميرية الممثلة هنا في الجيش الإسلامي لسبيل الزاوية القادرية وذلك حين يقول : " ...فاستكان القوم لهذا الخطاب وتذكروا أيام الله فيهم وإنما يتذكر أولو الألباب ثم أخذوا يتداولون الرأي

(1)- نأسف لهذا الغمط والنكران لجهاد طويل المدى وقاتل دام سبعة عشر عاما وكان على مرحلتين : الأولى تحت إمرة أبيه من سنة 1830م الى يوم بيعته أميرا 27 في نوفمبر 1832م ، والثانية من يوم البيعة الى يوم 23 ديسمبر 1847م . يحي بوعزيز : الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري ، مرجع سابق ، ص : 337.

(2)- الأميرة بديعة الحسني : الأمير عبد القادر حياته وفكره ، تحقيق أبو القاسم سعد الله ، دار الوعي للنشر والتوزيع ، روية ، الجزائر ، ج3، 2012م ، ص : 304.

(3) - الأمير محمد ، ج1 ، ص 323.

(4) - الأمير محمد ، ج1، ص: 323.

(5)- قد نسوي بين الشورى والديمقراطية في سياقات كثيرة لكي نميز بما على المضاد لهما من ممارسات الحكم المستبد الدكتاتوري ولكن البحث الأكاديمي والموضوعي يوقفنا على بون شاسع بين الشورى في الإسلام والديمقراطية في الفكر الغربي سواء من حيث النشأة أو المنطلقات أو المبادئ وعلى سبيل المثال : السيادة في الإسلام للشرع وأحكامه أما في الديمقراطية الغربية فهي لرأي الأغلبية في المجالس البرلمانية ولو أحلت حراما أو حرمت حلالا!؟

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

بينهم إلى أن قر القرار على أن يكون التسليم الى الفرنسيين ...<sup>(1)</sup> ويجدر بنا أن لا نغفل على مدلول كلمتين وردتا في الجملة الآتفة الذكر وهما : " يتداولون " و " القرار " وهما كلمتان ينتميان الى الحقل الدلالي لوظائف الإدارة والتنظيم ويؤكد يحي بوعزيز على ذلك بقوله : " ...قرر أن يسلم نفسه الى الفرنسيين بعد أن تداول الأمر مع خاصته من جميع الوجوه. " <sup>(2)</sup> كما ذكر صديق الأمير المقرب في الشام عبد الرزاق البيطار العبارة التالية : " فاضطر حضرة الأمير الى التسليم للفرنسيين بعد المشاورة مع وكلائه ووزرائه و أمرائه. " <sup>(3)</sup>

### 4- اخذ العهد على جميع الرؤساء :

كان الأمير في دولته الفتية يأخذ العهد على من يعينهم من الأعوان في مختلف المسؤوليات والقسم على صحيح البخاري بأن لا يجيدوا عن الحق والصدق مع الأمير والرعية .

### 5-رفع المظالم للأمير مباشرة :

وذلك بالنداء في الأسواق لرفع المظالم مهما كان نوعها الى الأمير مباشرة. ولا يخفى على عاقل ما ينتج عن هذه الممارسة من إرساء العدل بين الرعية ودفع المظالم واستقامة الولاية وتشريع مبدأ المساءلة لهم وهو أسلوب حديث في الممارسات التنظيمية والإدارية الحديثة سبق إليه .وله في تاريخ الخلافة الراشدة أصل وسبق.

### 6-تعيين الرؤساء يكون بمراسيم كتابية:

وهو إجراء يهدف إلى الإنتقال بعموم الأمة من عهد القبيلة الى مرحلة الدولة في كل ما يتصل بالشأن السياسي .

(1)- المرجع نفسه ، ص : 324.

(2)- يحي بوعزيز : الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري ، مرجع سابق ، ص: 66.

(3)- عبد الرزاق البيطار ، ج2 ، ص : 893.

### 7- الختم والمصادقة :

وقد اتخذ الأمير خاتما للتصديق على الرسائل والمراسيم الأميرية منقوش في الدائرة قول الشاعر :

ومن تكن برسول الله نصرته ان تلقه الأسد في آجامها تجم .

وفي الوسط أيضا الوثائق بالقوي المتين ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين . وفي جوانبه الله محمد ابو بكر عمر عثمان علي . وعليه تاريخ 1248.

### 8- توثيق التعيينات الإدارية:

كل من يتقلد مسؤولية تنظيمية في دولة الأمير يسجل في الديوان الأميري ويتسلم مع مرسوم تعيينه خاتما عليه اسمه ولقبه مع لباس محدد يختلف باختلاف الرتبة الأميرية مع القسم على صحيح البخاري . وعند العزل أو الموت يعاد الخاتم الى دار الإمارة . فكل هذا من الشواهد على قيام دولة الأمير على التنظيم الإداري الراقي . وأن حركته السياسية والجهادية لم تكن مجرد انفعال قبلي صوفي وارتجالي محدود ومعزول .

### 9- تعيين الوزراء و الولاة:

تعيين كل من محمد بن السيد العربي في وزارة الداخلية وفي الخارجية المولود بن عراش وفي المالية الجيلاني بن فريجة وفي الأوقاف الطاهر حامد أبو زيد والأعشار والزكاة الجيلاني بن الهادية<sup>(1)</sup> حيث تجمع الزكاة من طرف الجباة مرة في فصل الربيع والأخرى في فصل الصيف وهذه الممارسة السياسية في الجانب المالي أحيا بها الأمير في الأمة الجزائرية سلوكا سنيا صوفيا إذ الثابت عن رسول الله ﷺ ﴿ص﴾ بعثته للسعاة

(1)- يلاحظ أن الأمير أفرد أموال الزكاة بنظارة مستقلة عن الخزينة العامة وهو مطلب يجده في العصر الحديث الفقهاء والمجتهدون ، يوسف القرضاوي : فقه الزكاة ، دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة ، ط 20 ، مكتبة رحاب ، ساحة بور سعيد ، الجزائر ، 1988م ، ج 2 ، ص : 1119 .

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

لمختلف الأقاليم لجمع مال الزكاة<sup>(1)</sup> وعين على معامل ضرب السكة والأسلحة محمد بن الجيلاني وكلف بالديوان الأميري ابن عمه احمد بنعلي بن أبي طالب و مصطفى بن أحمد التهامي ثم كلف الأول بعد ذلك بولاية فليته والثاني بولاية الحضرة - معسكر- وحل محلهما في الديوان السيد محمد بن الخروبي وبعد نقله الى سطيف تعاقب على هذا الشأن السيد محمد بن عبد الرحمان المرسلي والسيد مصطفى بن العوني وأوكل أمر الخزينة الخاصة إلى أبي سعيد محمد بن فاختة والحجابة إلى محمد بن الحاج علي الرحاوي والملبوس الأميري للحاج النجادي الرحاوي وتعيين عبد القادر بن أبي معزة للفراشة. وللسقاية البدالي بن شافعية وعبد الرحمان بن مقطيف للسلاح وعبد الله بن يوسف للشمسية وحمل اللواء وهو مصنوع من حرير أعلاه وأسفله أخضر ووسطه أبيض مرسوم عليه بالذهب المزركش في صورة دائرة تامة " نصر من الله وفتح قريب ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين وفي وسطها صورة يد مبسوطة مطرزة بالذهب . وعين على الإصطبل محي الدين بن عبد الله ولرئاسة الموسيقى أبو مدين وبعد الإنتهاء من هذه الترتيبات الأميرية أقبل على الوظائف الشرعية فعين في كل عمالة أودائرة قاضيا شرعيا على مذهب الإمام مالك ويرأس هؤلاء القضاة العلامة قاضي القضاة السيد أحمد بن الهاشمي المراهي رئيس مجلسه الخاص . كما عين للجيش قاضيا اسمه السيد عبث بن المصطفى المشرفي وعين لكل قاض كاتبين أكبرهما مكلف بمطابقة الأحكام القضائية لأحكام الشريعة .<sup>(2)</sup>

### 10-رسم السياسة التعليمية للدولة :

لقد كان من أكبر الممارسات السياسية للأمير رسم السياسة التعليمية لدولته الفتية حيث عين في كل مدينة هيئة للتدريس مع تحديد رواتب المعلمين فيها<sup>(3)</sup> وكان يكرم طلبة العلم المتميزين بعد امتحان يجريه

(1)- ارسال الجباة - السعاة - لجمع الزكاة أمر ثابت في السنة العملية للرسول -ص- روى أبو حميد الساعدي - رضي الله عنه - قال: " استعمل النبي -صلى الله عليه وسلم- رجلا من الأزديين - يقال له: ابن اللثبية - على الصدقة... " ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها ، باب من لم يقبل الهدية لعله ، رقم 2457 ، ج 2 ، ص : 917 .  
(2) - الأمير محمد ، ج 1 ، ص : 201  
(3)- المرجع نفسه ، ص : 202 .



لهم في مجلسه الخاص ويعفيهم من كثير من الإلتزامات الأميرية. كما اهتم بجمع الكتب حيث أمر أفراد جيشه بإحضار كل كتاب يجدونه وأنشأ مكتبة في تاكدمت ثم أصبحت متنقلة في مدينة الزمالة<sup>(1)</sup>

## 11- الإهتمام بالتربية الخلقية :

كما اهتم بالتربية الخلقية لأفراد الشعب الجزائري. فممنع شرب الخمر ولعب الميسر، وخاصة على أفراد الجيش. كما نهى عن شرب الدخان. و منع الرجال من استعمال الذهب والفضة<sup>(2)</sup> إلا في الأسلحة وعلى الخيول. وأمر بإقامة الصلوات الخمس في المساجد. ومن وجد في دكانه وقت الصلاة يجلد. ولعل الأمير بهذه الممارسة رام إحياء سنة نبوية، فعن أبي هريرة-رضي الله عنه-أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم - قال: " لقد هممت أن أمر بالصلوة فتقام، ثم أخالف إلى منازل قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم."<sup>(3)</sup> ومن غريب ما ذكر ابن الأمير محمد عن أبيه أنه منع المرأة من دخول المسجد؟!<sup>(4)</sup> فإن صح هذا؟ فهل هذا سلوك يتنافى مع روح التصوف السني؟ إذ الثابت في كتب السنة ماروته عائشة (ض) " لقد كان رسول الله (ص) يصلي الفجر. فيشهد نساء من المؤمنات متلفعات بمروطهن ثم يرجعن إلى بيوتهن ما يعرفهن أحد من الغلس"<sup>(5)</sup> وقوله (ص): " إِذَا اسْتَأْذَنْتِ أَحَدَكُمُ امْرَأَتُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَا يَمْنَعُهَا"<sup>(6)</sup> ومن روائع ما سجلته كتب السنة الموثوقة عن دور المرأة في المسجد ما تبث من ان المنبر الذي خطب عليه

(1)-المرجع نفسه والصفحة نفسها .

(2)-وهذه ممارسة موافقة لهدي الشريعة فعن يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن نافع عن زيد بن عبد الله عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق عن أم سلمة زوج النبي -ص- أن رسول الله -ص- قال: " الذي يشرب في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم . " صحيح مسلم ، مرجع سابق ، كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة في الشرب وغيره على الرجال والنساء ، حديث رقم 2065 ، ج 3 ، ص : 1634.

(3)-أبو نعيم أحمد : المسند المستخرج على صحيح مسلم ، تحقيق محمد حسن محمد حسن ، ط 1 ، 1417هـ - 1996م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، كتاب الصلاة ، باب في عقوبة من يتخلف عن الجماعات ، رقم 1452. ، ج 2 ، ص : 247 .

(4)- الأمير محمد ، ج 1 ، ص : 202.

(5)- عبد الغني بن عبد الواحد تقي الدين المقدسي : عمدة الأحكام ، تحقيق بن أمين الزهيري ، ط 1 ، مكتبة دار المعارف للنشر و التوزيع ، الرياض ، السعودية ، 1403هـ - 2009م . كتاب الصلاة ، باب المواقيت ، رقم 180 ، ج 1 ، ص : 59.

(6)- مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، كتاب الصلاة ، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنه، وأنها لا تخرجن منهن ، رقم 442 ، ج 1 ، ص : 326.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

نبي المسلمين ( ص ) كان من اقتراح امرأة من الأنصار .<sup>(1)</sup> لأنها أصبحت هي ومن معها من النساء في صلاة الجمعة لا يرين النبي جيدا لأنهن في مؤخرة الصفوف كما هي السنة. وقد يكون الأمير في هذا الأمر مجتهدا وله من الأسباب التي تبرر منعه النساء دخول المسجد. حيث تقول عائشة رضي الله عنها: "لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ما أحدث النساء، لمنعهن المساجد كما مُنعت نساء بني إسرائيل."<sup>(2)</sup> ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وبيوتهن خير لهن."<sup>(3)</sup>

### 12- أحداث دار للشورى :

لقد أحدث الأمير مجالس شورية في كل مقاطعة للنظر في الدعاوى والمظالم المهمة وفي القضايا المصرية للدولة ويتم تعيين أعضاء هذه الهيآت عن طريق الانتخاب الذي يشرف عليه الخلفاء. ويرأس كل هيئة القاضي أو -ال خليفة إذا كان حاضرا. وكل قضية مفصول فيها يحرر موضوعها وحكمها في صك مع كتابة أعضاء من تداولوا فيها مع بيان الدليل الشرعي عليها.<sup>(4)</sup> ولا يخفى على كل عاقل ما في هذا التسجيل التسجيل للفتوى مع ذكر المفتين من تحمل للمسؤولية الشرعية والمدنية والمسائلة والمراجعة للفتوى والمفتين في المستقبل عند الضرورة والإقتضاء. فهي ممارسة سياسية وشرعية بامتياز تسجل في تاريخ سلطان الجزائر الأول : عبد القادر بن محي الدين.

(1)- حدثنا وكيع عن عبد الواحد عن أبيه عن جابر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع نخلة ، فقالت له امرأة من الأنصار : يا رسول الله ، إن لي غلاما نجارا ، أفلا أمره يصنع لك منبرا ؟ قال : بلى ، فاتخذ منبرا ، فلما كان يوم الجمعة خطب على المنبر ، قال ، فأنّ- من الأنين - الجذع الذي كان يقوم عليه كأنه الصبي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن هذا بكى لما فقد من الذكر حديث صحيح . عبدالله محمد بن أبي شيبة : المصنف ، دار الفكر ، 1414 هـ - 1994 م ، كتاب الفضائل ، باب ما أعطى الله تعالى محمدا - ص - ، رقم 110 ، ج 7 ، ص : 434 .

(2)- حديث صحيح ، مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، مرجع سابق ، كتاب الصلاة ، باب منع نساء بني اسرائيل المسجد ، رقم 445 ، ج 1 ، ص : 328 .

(5)- حديث صحيح ، أبو داود سليمان : سنن أبي دود ، مرجع سابق ، كتاب الصلاة ، باب ما جاء في خروج النساء إلى المسجد ، رقم 567 ، ج 1 ، ص : 155 .

(4)- يقول الأمير محمد معلقا على إحداه نظام مجالس الشورى في دولة أبيه " وأحدث أمورا محسنات للإمارة والمملكة لم تكن موجودة في أيام من سلفه من ملوك المغرب ". الأمير محمد ، ج 1 ، ص : 202 .

### 13- تكوين المجلس الأميري العالي :

ويظم أحد عشرة عالما وهم نواب المملكة واسماؤهم هي : 1- أحمد بن التهامي . 2- عبد القادر بن روكش . 3- عبد الله سقاط المشرفي . 4- طاهر المحفوظي . 5- محمد المحفوظي . 6- احمد بن الطاهر ابن الشيخ المشرفي . 7- محمد بن المختار الورغي . 8- المكّي الخرنوبي . 9- المختار بن المكّي . 10- عبد القادر بن روكش الأكبر . 11- ابراهيم بن القاضي . ويرأس هذا المجلس قاضي القضاة أحمد بن الهاشمي المراجي ويرأسه الأمير إذا حضر في النوازل المهمة . ولهذا المجلس سجل خاص تدون فيه المقررات والرأي فيه يتخذ بالإجماع .<sup>(1)</sup>

### 14- نظام النفقات :

النفقات المالية لكل المجالس الأميرية مع مرتبات أعضائها تصرف من بيت المال ماعدا الوظائف الدينية وما يلحق بها تصرف مرتبات وتعيينات أصحابها من خزينة الأوقاف .<sup>(2)</sup>

### 15- بناء المستشفيات :

لمرضى العساكر خاصة في كل المقاطعات يشرف على كل منها أربعة أطباء ويرأس هيئة الأطباء طبيب الأمير الخاص وهو عبد الله الزروالي وكانت له خبرة ودراية بطب الأعشاب حيث كان يخرج الرصاص من العضو المصاب بوضع وصفة عشبية على الجرح بعد ساعات ومن دون ألم .

### 16- بناء دار للمسافرين :

وتكون في عاصمة الدولة للإقامة المؤقتة لكل من قصدتها حيث تقدم لهم فيها كل أسباب الراحة من مطعم ومشرب وعين عليها ناضرا من أمناء دولته للقيام على شؤونها .

(1)- إن التدوين والتسجيل الذي كان يحرص عليه الأمير لكل ما أحدثه من مهمات الدولة ومراسيم التسيير والتنظيم هو في حد ذاته ممارسة سياسية وأسلوب حضاري في بناء المجتمعات المدنية .

(2)- الأمير محمد ، ج 1 ، ص : 203 .

17- بناء الحصون المنيعه:

من مثل حصن سعيدة وسبدو في الجهة الغربية وفي الجهتين الجنوبية و الشرقية حصن تاكدمت وبوغار و سبدو وعريب وبوخرشفة وطازة . ولا يفوتنا أن نذكر أن هذه الحصون العسكرية تسمى في لغة التصوف الأسباب و من الأخلاق الصوفية العالية عدم التعلق بالأسباب مع وجوب مراعاتها وعدم إهمالها ومن أقوال المتصوفة في ذلك : " إِرَادَتُكَ التَّجْرِيدَ مَعَ إِقَامَةِ اللَّهِ إِيَّاكَ فِي الْأَسْبَابِ مِنَ الشَّهْوَةِ الْخَفِيَّةِ، وَإِرَادَتُكَ الْأَسْبَابَ مَعَ إِقَامَةِ اللَّهِ إِيَّاكَ فِي التَّجْرِيدِ مُحْطَاً عَنِ الْهَمَّةِ الْعَلِيَّةِ. " ومعنى هذه الحكمة أن يكون مراد العبد موافقا لمراد الله في كل الأحوال فإذا توفر له السبب الموصل للمقصد فلا يرفضه ظنا منه أنه يبعده عن ربه وهذه شهوة شيطانية وحيلة من حيله فوجود الأسباب مع سلامة الدين وعدم نسيان المنعم هو المطلوب وإذا غابت الأسباب فلا يجب أن تضعف همته وينسى خالقه (1) وهذا ما عبر عنه الأمير عبدالقادر وهو يرتحل أبيات من الشعر وأمر بكتابتها على حصن طازة لما فرح بحسنه وسرعة انجازه فقال :

الله أعلم أن هذا لم يكن مني على الأمل الطويل دليلا

كلا وإن لمنيتي لقريبة مني وأصبح في التراب جديلا

ورضى الإله هو المنى ليكون من بعدي انتفاع الخلق ثم طويلا(2)

وفي هذه الأبيات الشعرية الأميرية التي ارتجلها الأمير فيها إشارة صوفية حيث كشف فيها الأمير عن ذكر الموت القريب من كل نفس وعن تطلعه إلى رضى خالقه في كل أعماله وحرصه على تقديم الخير إلى عباده

(1)- ابن عطاء الله السكندري : الحكم العطائية ، شرح ابن عباد النفري الرندي ، إعداد ودراسة محمد عبد المقصود هيكل ، إشراف ومراجعة عبد الصبور شاهين ، ط1 ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ، 1408 هـ - 1988 م ، ص : 92.

(2)- الأمير محمد ، ج1 ، ص : 204

ثانيا : تكوين جيش وصناعة حربية :

### 18-تكوين جيش نظامي احترافي ووضع نظام داخلي له :

حيث وضع له الأمير نظاما داخليا جمع مواده في كتاب عنوانه "وشاح الكاتب وزينة العسكر المحمدي الغالب" ويتكون من مقدمة تحوي ثماني مسائل، وأربعة وعشرون قانونا ، وخاتمة .ولما كان تنظيم الجيوش من أهم القضايا السياسية التي تعتنى بها الدول والأنظمة قديما وحديثا حيث يرجح ابن خلدون دور السيف على القلم في أول مراحل بناء الدولة . ومما جاء في مقدمته قوله : " اعلم أن السيف والقلم آلة لصاحب الدولة يستعين بها على أمره إلا أن الحاجة في أول الدولة للسيف مادام أهلها في تمهيد أمرهم أشد من الحاجة إلى القلم."<sup>(1)</sup> وعليه فإننا سنذكر ما جاء في هذا النظام الداخلي - بتصرف -<sup>(2)</sup> من بنود وقوانين حتى يتبين لنا وجه من وجوه الممارسة السياسية العسكرية للأمير في بناء الدولة الجزائرية.

### 18أ- المقدمة : وفيها ثماني مسائل .

### 118أ- المسألة الأولى في رتب أفراد الجيش<sup>(3)</sup> :

ينقسم الجيش إلى ثلاثة أصناف : راكبون وسماهم خيالة ومشاة وسماهم العسكر المحمدي ومدفعيون وسماهم رماة وطوبجية .وعلى كل صنف رئيسا.

### أ- الخيالة :

على كل ألف آغا ، وعلى الخمسين سيافا ، وعلى العشرين رئيس صنف ودونه الجاويش . ولكل ألف وكل مائة كاتباً وعلى الكاتب رئيسا يسمى الباش كاتب.

### ب- العسكر المحمدي :

(1)- عبد الرحمان بن خلدون : مقدمة ان خلدون ،تحقيق عبد السلام الشدادى ، مرجع سابق ، ص : 318.

(2)- الأمير محمد ، ج 1 ، ص : 121 وما بعدها.

(3)- المرجع نفسه ، ص : 121.

وهو مقسم الى مئات وكل مائة الى ثلاثة أقسام ولكل قسم خباء ورئيسا اسمه رئيس الخباء أي الخيمة وله نائب اسمه خليفة رئيس الخباء. وعلى كل ثلاثة أقسام رئيسا سماه سيافا وكاتبا. وعلى كل عشرة سيافين رئيسا اسمه آغا ورئيس العسكر المحمدي.

### ج- الطوبجية " المدفعيون " :

و رئيسهم يسمى باش طوبجي ولكل مدفع اثنا عشر جنديا وعليهم رئيس وكاتب<sup>(1)</sup>

### 218- المسألة الثانية في كسوة العسكر المحمدي والعلامات<sup>(2)</sup> - الأوسمة-:

والكسوة على نوعين الجوخ والكتان والجوخ على أصناف ثلاثة أحمر قاني وهو أعلاها فهو لرئيس العسكر المحمدي ولرئيس الخيالة ودونه الأحمر الكاشف فهو للسيافين والكتاب أصحاب الرتبة الأولى ومعلم الحرب والطنبورجي وهو صاحب الطرنبيطة والصنف الثالث أسود فخاص بالطوبجي ورئيس الإثني عشر مدفعيا وكاتبهم . أما رئيس الصف ورئيس الخباء فكسوتهم متنوعة فيختص رئيس الصف بالغيليلة المعرفة بالمنتان من الجوخ الأسود والسروال الأحمر وعكسه رئيس الخباء فمنتيانه أحمر وسرواله أسود وأما الكتان فهو لباس سائر أفراد العسكر المحمدي بخلاف الخيالة فلباسهم من الجوخ الأحمر الكاشف . ومن غير لباسه أو تحلى عنه يتعرض لعقوبات قاسية . ومن تمام النظام العسكري تقليد أوسمة لأفراد الجيش كل حسب رتبته فلرئيس الجيش وهو الآغا أربع علامات - أي قطع - من الذهب اثنتان على منكبه كتب على إحدهما " أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله " والأخرى مكتوب عليها " الصبر مفتاح الفرج " واثنتان في صدره على شكل القمر فذات اليمين مكتوب عليها " لا إله إلا الله " وذات الشمال مكتوب عليها " محمد رسول الله " وجعل لرئيس الخيالة علامتين من الذهب إحدهما على منكبه الأيمن مكتوب عليها " الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة " والأخرى في صدره كتب عليها " محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. " وجعل للسياف علامتين من الفضة على شكل سيف يضعهما على عضديه إحدهما وهي اليمنى مكتوب عليها " لا أنفع من التقوى والشجاعة " وعلى اليسرى " ولا أضر من المخالفة

(1)- الأمير محمد ، ج 1 ، ص : 121.

(2)- المرجع نفسه ، ص : 121.

وعدم الطاعة "ولسياف الخيالة علامة واحدة من الفضة على عضده الأيسر مكتوب عليها " أيها المقاتل احمل تغم " وكذلك الأمر لرئيس الصف على عضده الأيمن مكتوب عليها " من أطاع رئيسه واتقى مولاه نال ما يرجوه ويتمناه " ولنائبه علامة من الجوخ الأحمر يضعها على ساعده الأيمن . وجعل للباش كاتب علامة من الفضة على شكل القمر مكتوب عليها " ناصر الدين " يضعها على ساعده الأيمن . وجعل لرئيس الطوبجية علامة من الفضة يضعها على كتفه الأيمن وهي صورة مدفع مكتوب عليها ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾<sup>(1)</sup> والآية تحمل في معناها القرب الصوفي الذي هو مظهر من مظاهر الولاية التي وردت في الحديث القدسي الذي جاء فيه " من عادى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولن استعاذني لأعبدنّه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته " <sup>(2)</sup> قال ابن تيمية عن هذا الحديث : " هو أشرف حديث روي في صفة الأولياء " <sup>(3)</sup> ، وقال الشوكاني : " هذا الحديث قد اشتمل على فوائد كثيرة النفع ، جليلة القدر لمن فهمها حق فهمها وتدبرها كما ينبغي ... " <sup>(4)</sup> ومن غير المستبعد أن الأمير بهذا الوسام يريد تربية جنوده على طاعة الله التي من لوازمها الحصول على محبة الله ونصره وتأبيده و كفى الأمير بذلك مريبا ومتصوفا يريد إحياء معاني الترقى الروحي في أركان دولته.

### 318-المسألة الثالثة <sup>(5)</sup> التعليم الحربي:

لكي يبلغ الجندي في جيش الأمير المستوى المطلوب من المهارة القتالية . عين الأمير لكل صنف من أصناف الجند معلمين أكفاء من ذلك تعيينه للعسكر والطوبجية منبها سماه الطنبورجي ومهمته إعطاء

(1)- سورة الأنفال . الآية رقم 17.

(2)- أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، ط: 7، 1323 هـ الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية ، مصر ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ، رقم 6502 ، ج 9 ، ص : 289.

(3)- أحمد بن تيمية : مجموع الفتاوى ، مرجع سابق، كتاب التصوف ، ج 11، ص : 160.

(4)- محمد بن علي الشوكاني : قطر الولي على حديث الولي ، دراسة وتحقيق شتا محمد ، ط 1 ، 1435 هـ - 2014 م ، ص : 107.

(5)- الأمير محمد ، ج 1 ، ص: 122.

إشارات صوتية بواسطة الطرنبيطة يعلمهم بالإجتماع أو التفرق أو الإقدام أو أو المناوبة في الحراسة ولكل صنف من الجند إشاراته الخاصة به . كما حدد للتعليم الحربي على مختلف الأسلحة ولكل الأصناف جدولاً زمنياً بالأيام والأوقات حسب كل صنف وكل من لم يتعلم في وقت مخصوص يتعرض للعقوبة المحددة . وفي المقابل من ظهر عليه تفوق متميز تعطى له مكافأة . ومن ثبت أن من الرؤساء من قاتل العدو على غير القوانين المدروسة وتسبب في هزيمة العسكر فإنه يتعرض لعقوبة يقدرها السلطان .

#### 418 – المسألة الرابعة<sup>(1)</sup> المكافآت والتعويضات:

اخترع الأمير أوسمة شرفية من الذهب والفضة وسماها الشيعة المحمدية وتعطى لمن يسجل عملاً حريماً متميزاً ويسلمها له الأمير شخصياً أو أحد خلفائه في جو احتفالي تعزف فيه الموسيقى وتخصيص جائزة يكافأ بها المتفوق ممارسة قيادية لها سند في سنة النبي - ص - ففي الحديث الشريف عن عبدالله بن الحار قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفّ عبدالله وعبيد الله وكثيراً من بني العباس ، ثم يقول من سبق إليّ فله كذا وكذا قال فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدرة فيقبلهم ويلزمهم"<sup>(2)</sup> . وتأكيذاً من الأمير لجنوده على شرف الجندية في جيشه أحدث قانون التعويضات عند العطب والتأمين على المعاش من ذلك أنه إذا مات الأغا- رئيس العسكر المحمدي - أو السيف أو كبير الصف في الحرب فلا ينقطع راتبه ويبقى جارياً إلى أن يكبر أحد أولاده ويصبح قادراً على الجندية فيجري عليه راتبه . وإذا جرح العسكري في القتال جرحاً يمنعه من المشي ويستطيع القتال راكباً فإنه يتحول إلى صف الخيالة وإن كانت إصابته مزمنة لا يستطيع معها الجهاد فإن راتبه يجري عليه حتى موته أما إذا مرض مرضاً يعيقه على القتال فإنه يأخذ نصف راتبه إلى مماته بعد شهادة طبيب على حالة العجز.<sup>(3)</sup>

(1) - الأمير محمد ، ج 1 ، ص : 123 .

(2) - قال ابن حجر: قال البغوي مرسل جيد الإسناد . أنظر ، ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب ، ط 1 ، مطبعة دائرة المعارف النظامية الهندية ، الهند ، 1326 هـ ، ج 8 ، ص : 421 .

(3) - الأمير محمد ، ج 1 ، ص : 123 .



18 أ و 6- المسألة الخامسة والسادسة<sup>(1)</sup>: المحافظة على السلاح والزي العسكري:

ومما حرص عليه الأمير في قانونه العسكري الانضباط في الجندية ومن ذلك المحافظة على السلاح والزي العسكري وقد أمر الأمير بصك العملة المحمدية والنصف محمدية حيث أن ثمانية محمديات تساوي ربع ريال والدور يساوي ثلاثة ريالات إلا ثمانية محمديات وعلى هذا الحساب تحسب رواتب الجنود وتقدر قيمة ما يقع من التلف وتقرر أن من ضيع أو أفسد سلاحه أو شيئاً من كسوته أو فرسه وهو في الحرب أو التدريب فلا ضمان عليه أما في غير هذين الحالتين فإن المتهاون مطالب بتعويض قيمة مالية على النحو المبين في الجدول الآتي :

الرقم	العتاد والكسوة	القيمة المالية	الرقم	العتاد والكسوة	القيمة المالية
01	البندقية- البارودة -	عشرون ريالاً.	08	الصدرية.	ستة عشرة محمدية.
02	العالية- السنكي -	ثلاث ريالات.	09	كسوة الكتان ، الكبود	أربعة ريالات.
03	المخزمة	ثمانية عشرة محمدية.	10	السروال.	ثلاثة ريالات وثمان محمديات.
04	البلاصكة، محل الفشك	ريال واحد.	11	القميص.	ريالان لإلاست محمديات.
05	السكين - السيف -	أحد عشر ريالاً.	12	الشاشية - الطربوش -	عشرون محمدية .
06	كسوة الجوخ ، السروال	ستة عشر ريالاً.	13	البليغة - المداس -	على حسب سعر السوق.
07	الغليلة-المنتيان -	خمسة ريالات.			

18 أ و 7- المسألة السابعة<sup>(2)</sup> الكفاءة في تولية المناصب :

وهذا مبدأ سياسي إسلامي عند علماء السياسة الشرعية . قال ابن تيمية : "الولاية لها ركنان: القوة والأمانة، قال تعالى: ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾<sup>(3)</sup> " <sup>(1)</sup> ولهذا اختار الأمير

(1)- دجت المسألة الخامسة والسادسة لتعلقهما بنفس الموضوع . انظر المسألة الخامسة ص 123 والمسألة السادسة 124 من الأمير محمد ، ج 1 ، ص : 123 .  
 (2)- المرجع نفسه ، ص 124 .  
 (3)- سورة القصص الآية رقم 26.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

للمناصب القيادية في الجيش من تتوفر فيهم شروط تسعة هي : النجدة والشجاعة والإقدام والقوة في الدين واليقين والصبر و الثبات والفظنة ومما اشترطه الأمير في هذا الشأن أن لا يعين أحد في رتبة رئاسة العسكر والخيالة وأصحاب الراية إلا بعد موافقته . ولا يصبح الجندي سيافا إلا إذا تدرج في الرتب الصغيرة مع إظهار تميز وتفوق وإذا كان من الحاصلين على وسام الشيعة المحمدية<sup>(2)</sup> فإنه بإمكانه تولي ذلك إن توفرت فيه كامل الشروط الأخرى دون تدرج في المسؤوليات العسكرية .ولا يمكن لأحد الخيالة أن يكون رئيسا على المشاة إلا إذا كان من أصحاب الشيعة المحمدية.

### 818- المسألة الثامنة<sup>(3)</sup> مؤونة الطعام العسكري :

ومن تمام التنظيم في الممارسة السياسية العسكرية حسن التقدير لما يعطى لجنود الجيش من مقادير الطعام المحددة وهذا في نظري يحقق للأمير أمرين مهمين الأول إشاعة الشعور بالعدل بين أفراد الجيش وهذا مما يقوي ولاءهم للأمير والثاني عدم الوقوع في التبذير والفضى في الإستهلاك والحرب لا تقبل مثل هذه السلوكات .وعلى ضوء ذلك استعمل ميزانا معلوما هو الرطل ونصفه وكان وزن الرطل يعادل ستة عشرة أوقية وكل أوقية ثمانية أثمان وكل ثمن مائتي شعيرة مقصوصة الأطراف ولا يعتمد الكيل وآلة الوزن إلا بختم الإمارة .وتحدد لكل عسكري رغيفا وزنه عشرون أوقية ونضيجا ثمانية عشرة أوقية واثني عشرة أوقية من البرغل وستة أثمان من السمن فإن فقد الخبز فرطل بقسماط مكانه فإن فقدنا معا فإنه يعطى من البرغل بدلها وكان العسكر يأخذ السمن في الصيف والزيت في الشتاء.

(1) - تقي الدين ابن تيمية : السياسة الشرعية في إصلاح الراعي و الرعية ، ط1 ، نشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، السعودية ، 1418هـ ، ص : 12.

(2) - وسام الشيعة المحمدية : هي وسام شرف يمنح لمن فعل خصلة حميدة في حال الحرب كإظهار شجاعة متميزة أو إنقاذ غيره من العدو وهو عبارة عن نيشان صورة يد مفتوحة الأصابع ذهباً وفضة وفي وسطها مكتوب (ناصر الدين ) تربط على الرأس فوق الأذن اليمنى يقلده له الأمير شخصيا وتضرب له الموسيقى اعلاما بذلك ويتقاضى صاحبها راتبا شهريا قدره خمسة وعشرون ريالاً و يحضى باحترام الجميع .  
الأمير محمد ، ج1 ، ص : 123 و 132.

(3) -المرجع نفسه ، ص : 124.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

### 18 ب : القوانين<sup>(1)</sup> :

وبعد هذه المقدمات التي افتتح بها " كتابه وشاح الكاتب وزينة العسكر المحمدي الغالب " يذكر أربعة وعشرين قانونا تتعلق برواتب ومؤونة وكسوة الجيش نتعرض لها بصفة مختصرة في الجدول الآتي مع التعليق عليها عند الإقتضاء :

الرقم	الرتبة	الراتب الشهري	المؤونة	الكسوة /ملاحظة
01	الآغا	2ريالا	يوميا 3خبز 1 أبيض خالص 2 أسود.أو 5 أرطال بقسماط أو 6 أرطال برغل <sup>(2)</sup> و 2/1 رطل سمن و 5 أرطال حطب .شاة .شاة كل خميس واثنين <sup>(3)</sup>	كسوة تامة تجدد إن بليت:الغليبة 28 ريال- سروال44ريال-قميص ريال
02	السياف	12 ريال	يوميا 2خبز 1 أبيض و 1عادي أو 2.5 رطل بقسماط أو 2 رطل من البرغل 2 أوقية سمن ليلا ونهارا.ربع شاة كل اثنين وخميس.	كسوة تامة وتجدد إن بليت.
03	رئيس الصف	12 ريال	يوميا 2خبز أو رطل بقسماط أو 1.5 رطل برغل و نصف ربع شاة كل اثنين وخميس.	كسوة تجدد بالثمن
03 <sup>(4)</sup>	نائب رئيس صف	06ريال	مثل رئيس صف	مثل رئيس صف
04	باش كاتب العسكر	12 ريال	يوميا 2خبز 1 أبيض و 1 أسمر أو 2رطل بقسماط أو 2رطل برغل وأوقيتان من السمن ورطل حطب في الليل وفي النهار مثله وربع شاة كل اثنين وخميس	كسوة تجدد ان بليت

(1)-المرجع نفسه ، ص : 125 وما بعدها .

(2)- إذا فقد الخبز يعوض بالقسماط وإذا فقدوا معا يأخذ الجندي البرغل .

(3)- لعل اختيار يومي الخميس والإثنين يوافق سنة النبي في الصيام في هذين اليومين .

(4)- ذكره الأمير هو ورئيس الصف في قانون واحد - القانون رقم 3- وإنما أفردناه للترتيب والبيان .

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

05	كاتب المائة	07 ريال	يوميا 2 رغيف أو 2 رطل بقسماط ونصف ربع شاة كل اثنين وخميس.	كسوة الكتاب جميعا ان بليت تجدد بثمن.
06	حامل الرية	07 ريال	يوميا 2 خبز أسمر أو رطل بقسماط وباقي الخرج مع رئيس العسكر وينزل في محله .	
07	الطباخ	02 ريال	وله جلود الشياه التي يذبحها.	
08	معلم الحرب	12 ريال	يوميا 2 خبز أو 1.5 رطل بقسماط وفي كل ليلة رطل من البرغل وأوقية من السمن وربع شاة من اللحم	لكل رئيس معلم واحد ويكون نزوله عند السياف.
09	رئيس الطنبور	07.5 ريال شهريا	يوميا 2 خبز أو رطلان بقسماط	ينزل مع الرئيس.
10	سائر الجنود	06 ريال	يوميا 1 خبز أو رطل بقسماط ولأهل الخباء - الخيمة - 25 رطل برغلا و 1.5 رطل سمن صيفا ومثلها زيتا شتاء وعند فقد السمن. و 15 رطل من الحطب سفرا أو حضرا ولهم 25 رطل من البرغل في غياب الخبز والبقسماط ولكل مائة منهم خمس شياه كل يوم اثنين وخميس تقسم على خيامهم <sup>(1)</sup>	وينقص لهم من كل ماتقدم بحسب ما ينقص من الأفراد
11	جاويز العسكر	07 ريال	مثل العسكري في كل شيء .	أمره بيد الآغا تولية وعزلا.
12	رئيس الخيالة	19 ريال	يوميا 2 خبز 1 أبيض و 1 أسود و 4 أرطال بقسماط أو 4 أرطال برغل و 4 أواق سمن ليلا ونهارا مع 4 أرطال من الحطب.	
13	سياف	09 ريال	يوميا 1 خبز أبيض . وله نصف ربع شاة كل يوم اثنين وخميس	

(1) - توفير هذه الرواتب شهريا وهذه المؤونة يوميا بهذا التنظيم والتدقيق لكافة أفراد الجيش الذي يبلغ عددهم ألف وخمسمائة جندي يتطلب أموالا ضخمة من جهة ومستوى عالي من التنظيم والحركة. ومن أجل ذلك فرض الأمير على القبائل المعونة وهي ما يعطى لبيت المال زيادة عن مال الزكاة. و لعل المجلس الشوري الأميري أخذ بإحدى الروايتين الواردتين في كتب الحديث وهما " ليس في المال حق سوى الزكاة " و " في المال حق سوى الزكاة " . وقد روى ابن أبي شيبه وأبو عبيد عن قرعة بن يحيى ، قلت لابن عمر : " إن لي مالا فإلى من أدفع زكاته فقال ادفعها إلى هؤلاء القوم يعني الأمراء قلت إذا يتخذون بها ثيابا وطيبا فقال وإن اتخذوا بها ثيابا وطيبا ولكن في مالك حق سوى الزكاة " . محمد ناصر الدين الألباني : إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، إشراف محمد زهير الشاويش ، ط 1 ، كتاب الزكاة ، باب أهل الزكاة ، رقم 873 ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1399هـ - 1979م ، ج 3 ، ص : 380 .

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

		16 محمدية	الخيالة	
14	الخيال	07 ريال	يومية 1 خبز أسمر أو رطل بقسماط. ولكل خمسين شاتان ونصف يومي الاثنين والخميس . وكل ليلة- إن فقد الخبز والبقسماط-37 رطل برغل و 2 رطل ورع سمن و20 رطل من الحطب ، ليلا ونهارا.	وينقص لهم من ذلك كله بقدر ما ينقص من أشخاصهم.
15	باش طوبجي	14 ريال	يومية 2 خبز 1 أبيض و 1 أسمر أو 2 رطل بقسماط أو 3 أرطال برغل و 3 أواق سمن و 3 أرطال حطب كل يوم وليلة. و ربع شاة كل اثنين وخميس.	
16	رئيس المدفع	06 ريال	2 خبز أسمر أو رطل بقسماط وباقي الخرج مثل العسكر و ثمن شاة كل يوم اثنين وخميس.	وتحت مسؤوليته 12 مدفعا 06 يعملون و 06 يستريحون ، بالتناوب.
17	كاتب الطوبجية		مثل كاتب المائة في كل شيء . راجع رقم 05 في هذا الجدول	
18	الطوبجي	06.5 ريال	يومية 1 خبز أسمر أو رطل بقسماط أو من البرغل واللحم والسمن و الحطب مثل ما للعسكر و ينقص لهم من المؤونة بقدر ما ينقص من عددهم.	الطوبجي هو المدفعي.
19				إن معلم الطوبجية مطلوب منه إحضار المدفعيين أيام التدريب مع العسكر لكي تحصل لهم المهارة في الرمي .
20				إن ربط الفشك وإذابة الرصاص من مهام الطوبجية - المدفعيين - لأنهم أحق بذلك وعند الضرورة يستعينون بالعسكر.
21				يحفظ كل من سلاح العسكري المريض أو المسرح في إجازة إلى أهله عند السيف.
22				كل أفراد الجيش وكل رؤسائهم لهم الحق في المؤونة في أيام الخدمة الفعلية - قتال أو تدريب - أما إذا كانوا في إجازة فلا شيء لهم في ذلك.
23				لا يمكن لأي جندي في الجيش أن يأخذ شيئا من المؤونة إلا بحضور الباش كاتب الخاص بصنفة - خيالة ، عسكر ، طوبجية - ومن تخلف من الكتاب عن الوقت المعين يعاقب ويشهر عقابه .

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

<p>بناء مستشفى للجنود يتوفر على كل أسباب العلاج و يشرف عليه فريق طبي يتكون من رئيس الأطباء الذي يتقاضى راتباً شهرياً قدره اثنا عشرة ريالاً ويومياً له رغبان من الخبز الأبيض أو رطلان من البقسماط أو رطلان من البرغل وأوقيتان سمناً أو زيتاً وثلاثة أرطال من الحطب وربع شاة كل يوم اثنين وخميس. وكسوة من الجوخ الجيد تامة. ويشترط في المرضين المهارة وحسن معاملة المرضى ويزاد لهم في الراتب على قدر العطاء وحسن السيرة.</p>	24 <sup>(1)</sup>
--	-------------------

### 18 ج- : الخاتمة ، الواجبات والعقوبات<sup>(2)</sup> : وبعد الإنتهاء من عرض القوانين ، ذكر الأمير

خاتمة لكتابه وشاح الكاتب وخصصها لواجبات الجندي وأنواع العقوبات المرتبة عن الإخلال بالواجبات نذكرها في الجدول الآتي :

الرقم	الرتبة	المهام ( الواجبات )	العقوبة : عند المخالفة
01	الآغا	تفقد الجيش : عدده وسلاحه وكسوته كل يوم سبت -	الحبس عشرون يوماً.
02	الآغا	عدم الغش - عدم أخذ الرشوة-	يطرد من الجيش ويهان.
03	السياف	تفقد ما تحته كل يومي اثنين وخميس.	الحبس عشرة أيام.
04	السياف	القيام على إصلاح السلاح الفاسد عند أتباعه	الحبس خمسة أيام.ضمان ما فسد من السلاح
05	السياف	عدم ظلم الجنود ولا يخون ولا يغش ولا يأخذ رشوة	الحبس ستون يوماً.
06	السياف	طاعة الأوامر الأميرية <sup>(1)</sup> . لا يركب يوم القتال أو يوم التدريب . تعليم من تحته. تسليم سلاح الموتى أو المرضى أو الغائبين بإجازة الى الخليفة مع أخذ وصل على ذلك .	إذا ضاع سلاح ميت أو مريض أو غائب وليس له وصل عليه فإنه يضمه.

(1)- ذكر الأمير في هذا القانون -رقم 24- بناء المستشفى للجنود وشروط المرضين ، كما ذكر راتب ومؤونة رئيس الأطباء وكان الأولى من الناحية المنهجية أن يفرد بقانون . الأمير محمد ، ج 1 ، ص : 129 .  
(2) - الأمير محمد ، ج 1 ، ص : 130 وما بعدها.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

	<p>07</p> <p>رئيس الصف</p> <p>المناداة اليومية على مرؤوسيه بواسطة كاتبه - محاسبة الغائبين عن الحضور والتدريب ( حبس يوم وليلة ) وإن غاب السيف أو الكاتب عن التعليم الحبس ستة أيام .</p>	
<p>08</p> <p>الجندي</p> <p>الحبس خمسة عشر يوما. الحبس يومان. .....الحبس شهرا. ...الحبس يوما وليلة ) وكذلك الأغا والسيف ورئيس الصف). الحبس ثلاثة أيام. ضمان القيمة. إن هرب وعاد باختياره يجبس بعدد الأيام التي غابها ومن قبض عليه يقدر الأمير مدة حبسه. الحبس يوما وليلة. الحبس ثمانية أيام. الحبس مدة شهر.</p>	<p>طاعة سيفه ورؤسائه . الخروج للتعليم عند سماع الطنبور. الخروج للقتال عند سماع الطنبور. الخروج للقتال أو التعليم في الكسوة الأميرية ( الزي الرسمي ) . عدم ترك الوسخ على السلاح واللباس العسكري. عدم إتلاف السلاح أو إفساده في غير أيام التعليم أو القتال. عدم الهروب من الخدمة ..... عدم استعمال السلاح إلا في القتال أو التدريب(ولو طلقة واحدة ) عدم النوم أثناء الحراسة عدم بيع السلاح</p>	

(1) - الطاعة من القيم السياسية في الفلسفة الإسلامية .وهي من أخلاق القرآن الكريم والسنة النبوية وهي أنواع : طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر و الوالدين ومما جاء فيها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ سورة النساء الآية رقم 59 . ومن السنة حديث مروى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة " ، ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ، رقم 7144 ، ج 13 ، ص : 122 .

--	--	--	--

18-د- أحكام عامة<sup>(1)</sup>:

- د1- إذا كان العسكري المذنب مسافرا فإنه يضرب بالسوط على قدر الأيام التي يجبس فيها.
- د2- كل ما يجري على رأس العسكر المحمدي ويلزمه يجري على رأس الخيالة ويلزمه.
- د3- كل ما يجري على العسكري ويلزمه يجري على الخيال ويلزمه.
- د4- كل ما يلزم سياف العسكر يلزم سياف الخيالة.
- د5- إذا ركب الخيال فرسه في غير موجب يجبس يوما وليلة.
- د6- ما يجري على العسكري ويلزمه يجري على الطوبجية ويلزمه.
- د7- ما يجري على السياف يجري على باش طوبجي.
- د8- ان صدر عن رؤساء العسكر أو الخيالة أو الطوبجية ما يستوجب العزل فإنه ينحط لرتبة عسكري ويلبس لباسه وكسوة الجوخ تعود الى بيت المال.
- د9- يتولى رؤساء الصف تنفيذ الأحكام على العسكر .
- د10- إذا وقع تفريط من رئيس العسكر فإن الأمير أو أحد خلفائه يتولى محاكمته.
- د11- إذا فعل العسكري خصلة حميدة فإنه يفوز بالشيعة المحمدية. وله حرمة فوق السيفين.

(1) - الأمير محمد ، ج 1 ، ص : 131.



د12- إذا فعل رئيس العسكر خصلة حميدة فإنه يحمل الشيعة وهي نيشان صورة يد مفتوحة الأصابع ذهباً وفضة وفي وسطها مكتوب " ناصر الدين ". تربط على الرأس فوق اليد اليمنى ولناقلها الإحترام من الجميع وخمسة وعشرون ريالاً شهرياً.

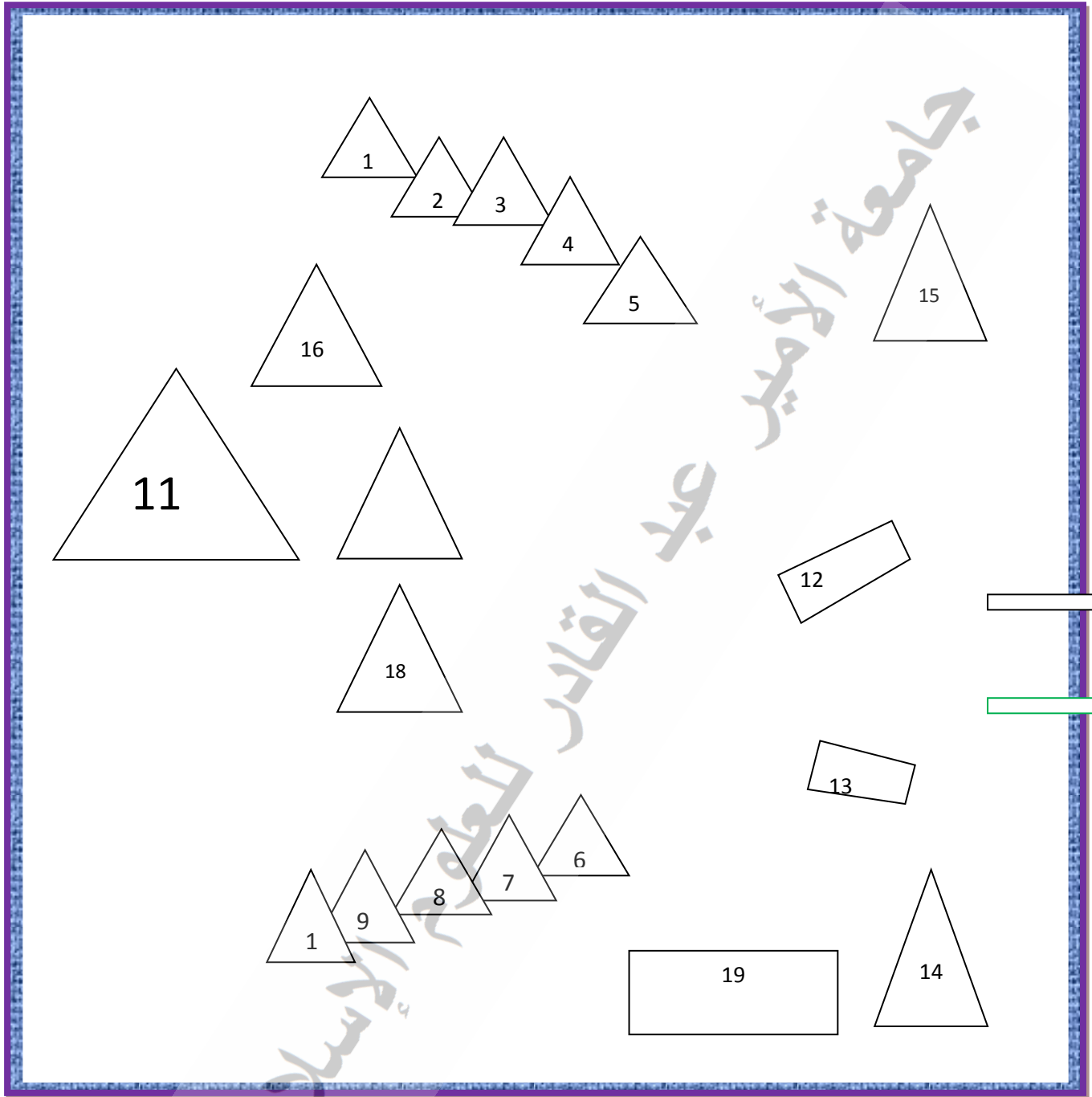
حرر في أواخر جمادى الأولى سنة تسع وأربعين ومائتين و ألف.

### 19- نظام هيئة جيش الأمير وترتيبه<sup>(1)</sup>:

وأردت تتيماً لمعاني الترتيبات العسكرية أن أبين بما لا يدع مجالاً للشك قوة المستوى التنظيمي الذي بلغه الأمير في الممارسة السياسية في جانبه العسكري وعليه فقد ألحقت هذا العنصر هنا لأنه يتصل بموضوع كتاب وشاح الكاتب الذي لخصنا مضمونه آنفاً. ويمكن أن نستوحي هيئة معسكر الأمير مما ذكره ابنه محمد في الشكل الهندسي الآتي :

---

(1)- الأمير محمد، ج1، ص : 135.



19-1- القراءة المفتاحية لشكل معسكر الأمير<sup>1</sup>:

(1) -شكل المعسكر والقراءة المفتاحية له من اجتهادي وهي مستوحاة مما ذكره الأمير محمد ، ج1 ، مرجع سابق ، ص : 135 وما بعدها.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

-الدوائر من رقم 1 إلى 10( العدد ليس نهائي ) هي خيام العسكر وهي على شكل مخروطي . كل واحدة تضم 33عسكريا وفي مايلي توضيح لباقي الرموز المرقمة :

- رقم 11 هي خيمة الأمير: 15متر طول و6م عرض وارتفاعها 15 قدما .هي قسمان ،الذي في المدخل للإستقبال وفيه صندوقان للإدارة وللمالية. والخلفي للعبادة وللمقابلة السرية. وفي مدخل الخيمة حارسان بينهما وبين الأمير ستارة. وحول الخيمة 30 حارسا يتناوبون ليلا ونهارا.

-رقم 12 و 13 مدفعان في باب المعسكر.

-رقم 14 خيمة رئيس المدافع

-رقم 15 خيمة الأطباء والمستشفى .

-رقم 16 :مركز رايات الأمير والخيل المختصة به.

-رقم 17 : خيام الكتبة ورجال خاصته.

-رقم 18 :مخاظمي الخزنة والعتاد الحربي من أسلحة وألبسة ومؤونة ومرابط الخيل والجمال.

-رقم 19 :أسواق تشتمل على مقهى ودكاكين لبيع البضائع والمأكولات.

**19-2- من مظاهر العسكر التنظيمية في جيش الأمير (1) :**

أ-الأمير هو قائد الجيش وهو المسؤول الأول على المعسكر في النزول والرحيل.

ب-الدخول والخروج من المعسكر يكون بإذن مباشر من الأمير. ومن خالف ذلك يعدم.

(1)-الأمير محمد ، ج 1 ، ص : 136.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

ج- الحركة داخل المعسكر تخضع إلى نظام يضبط عن طريق صوت الطرميطة . فلكل نغم موسيقي معنى يدل على وجوب القيام بفعل محدد.

د- يؤم الأمير الجند في الصلاة ومن تخلف عن صلاة الجماعة يعاقب.

هـ- يجلس الأمير في خيمته بعد صلاة الضحى إلى صلاة الظهر للفصل في الدعاوى، وبعد ساعة للقبولة يعود لاستقبال الناس حتى صلاة العصر.

و- وبعد صلاة العصر . تعزف الموسيقى الهادئة أمام خيمة الأمير . ولعل القصد من هذه الموسيقى هو الترفيه عن الجنود والتخفيف من وطأة الحرب وقساوة الطبيعة.

ز- علامة رحيل المعسكر هي طلقتان مدفعتان بينهما فاصل زمني محدد ، أما استقراره يكون بعد نصب خيمة الأمير متبوعة بثلاث طلقات مدفعية.

### 20- انشاء معامل للصناعات الحربية :

أنشأ الأمير دارا للصناعة الحربية في حصن تاكدمت ووظف فيها عمالا من اسبانيا وفرنسا حيث كانوا يصنعون فيها صنوفا من الأسلحة . وبنى مصانعا للسلاح أيضا في معسكر ومليانة والمدية . كما كان يشتري ما يحتاجه من سلاح عند الحاجة من تونس و مراكش . وكان يتحصل على المادة الأولية من ملح و كبريت من تجار فرنسيين من مرسى الجزائر وفي وقت الهدنة يحضره من فرنسا . كما كان يقوم باستخراجه من معدن بجبل الونشريس وبنى في تلمسان معملا لصناعة المدافع و الجوخ تحت إشراف مهندسا مختصا من اسبانيا . وقد وجدت ثلاث مدافع بباريس أخذت غنيمة كتب عليها " عمل في تلمسان وقت امارة ناصر الدين السيد عبد القادر بن محي الدين سنة 1255 هـ . " ومن المتممات والتدبير في الشؤون الحربية تحريضه لجنوده على أن من أحضر سلاح جندي فرنسي يكافأ بمبلغ قدره اثنا عشر ريالا . و أوجد صناعا لإصلاح مافسد من السلاح يسمون "قرادحية" . وخياطين للألبسة الحربية وسروج الخيل . ووضع الحاميات وأبراج

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

الحراسة وبلغ تعداد جيشه خمسة عشر ألفا و ثلاثمائة منها اثنا عشر ألفا من المشاة وألفان و خمسمائة من الخيالة و مائتان وخمسون مدفيعون وخمسمائة حارسا. (1)

### 21- تشييد مصانع للعملة النقدية :

أنشأ الأمير بخصن تاكدت مصنعا لصك العملة من مادتي الفضة والنحاس .وكانت ثلاثة قطع مختلفة الأولى عبارة عن فرنكين منها النحاسية والفضية كتب على وجهه ﴿ ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ (2) وعلى الوجه الآخر كتب " ضرب في تاكدت " والقطعة الثانية بقيمة فرنك وفيها أيضا الفضية والنحاسية كتب عليها من جهة ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ (3) وفي الجهة الثانية تاريخ ومكان الضرب .والقطعة الثالثة قيمتها نصف فرنك وهي أيضا من المعدنين كتب عليها قوله تعالى ﴿ ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا ﴾ (4) على وجه وعلى الآخر محل الضرب وتاريخه. (5)

ولوعدنا إلى ما ذكرناه عن التربية الصوفية في الزاوية القادرية بالقيطنة في سهل غريس أين لقن الشيخ محي الدين ابنه عبد القادر - وهو ما زال صبيا - شعار هذه الزاوية الصوفية والذي يتكون من كلمتين هما " السبحة والسيف " لعلمنا أن الأمير وهو يشيّد هذه الحصون المنيعة و يعززها بقوة السلاح ونظام الجند إنما يعمل على إحياء سنة أبيه وجده في الحفاظ على دور الزاوية الحقيقي في الإصلاح الإجتماعي والسياسي بكل الوسائل الممكنة و المشروعة ومن ثم يتبين لنا أن التصوف والسياسة يخرجان من مشكاة واحدة جسدها الأمير في حياته و هو يؤسس أركان الدولة الجزائرية التي أقامها من أول يوم على تقوى من الله ورضوان.

(1)- الأمير محمد ، ج 1 ، ص : 204 .

(2) - سورة آل عمران ، الآية رقم 85 .

(3) - سورة آل عمران ، الآية رقم 19 .

(4) - سورة البقرة ، الآية رقم 250 .

(5) - الأمير محمد ، ج 1 ، ص : 234 .

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

وبهذا ينتهي حديثنا عن ممارسات أمير السياسية في الجزائر لكي نتقل في المبحث الموالي الى ما يتصل بالدور السياسي للأمير بعد هجرته الى بلاد الشام.

### المبحث الثاني: الممارسة السياسية عند الأمير بعد الهجرة الى بلاد الشام.

تمهيد :

ونتناول في هذا المبحث أربعة مطالب : الأول يتعلق بالنزاع الطائفي في جبل لبنان على اعتبار أنه كان مقدمة للفتنة الطائفية في دمشق ودور الأمير في إخماد فتنة الجبل. بينما نخصص الثاني الى الدور السياسي الرائد الذي قام به الأمير لإنهاء المأساة الإنسانية التي لحقت بنصارى دمشق. وهذان الموقفان يمتزج فيهما الروحان القديمان والمتجددان للأمير التصوف والسياسة والتي من خلالهما تتجلى فلسفة الأنا والآخر عند الأمير. ورجحنا إضافة مطلبين آخرين يتصلان رأسا بالوزن السياسي للأمير وهما ترشيح الأمير لمنصب ملك العرب " Le Royaume Arabe " في الجزائر أو في الشام وكذلك ما أثير قديما وحديثا حول علاقة الأمير بالمحفل الماسوني. ونشرع الآن في بيانها مع التركيز على المعاني المتصلة بالممارسة السياسية عند الأمير.

### المطلب الأول : الأمير والنزاع الطائفي في لبنان:

وسنتعرض في هذا المطلب الى ما وقع أولا في جبل لبنان من صراع بين مختلف الطوائف التي كانت تقطن فيه على اعتبار- كما بينا- أن ما وقع هناك كان مقدمة لما وقع في دمشق من فتن ومذابح سنة 1860م .

ولا يمكن أن نقف على دور الأمير السياسي ونقدر جهوده الدبلوماسية في المشرق العربي إلا ببسط القول في الجانب التاريخي الذي يبين لنا التكوين الإثني والصراع الطائفي في تلك المنطقة .

يذكر محمد ابن الأمير أن سكان جبل لبنان يتألفون من طوائف ثلاث ، مسلمون ونصارى ودروز ، وغالبية الدروز نصارى وأقليتهم مسلمون . وكانت الألفة تجمع بين النصارى والدروز الى أن ألب الحاكم ابراهيم باشا<sup>(1)</sup> النصارى على الدروز فقاتلوهم وقد سبق ذلك أن رفض الدروز الإستجابة لإبراهيم باشا لما طلب منهم أن يكونوا في جيشه بعد أن استولى على سوريا.<sup>(2)</sup> ولما تمكن منهم نزع أسلحتهم وأعطاهم للنصارى وقواهم بها. ولما حكم آل عثمان سورية تحركت ضغائن الدروز القديمة على النصارى وكانت سببا في حروب متتالية بينهم من ذلك ما وقع في سنة 1840م . وفي سنة 1842م تغلب الدروز على عمر باشا حاكم الجبل المعين من طرف الدولة العثمانية . واستبدوا بأمور الجبل مما سرع في قبض عمر باشا عليهم مع زعيمهم أحمد أرسلان وسجنوا في بيروت . وفي سنة 1859م تجددت الفتنة بينهما ولكن حاكم بيروت خور شيد باشا أصلح بينهما . وفي سنة 1860م -1276هـ اعتدى الدروز على رئيس دير وهو من القسيسين الكاثوليك فقتلوه وثار النصارى وقدموا الشكاوى للحكومة العثمانية والى قناصل دولهم وقتلوا درزيا في منطقة خان الشيخ كما اعتدوا على آخر في قرية عيناب وقويت الفتنة بين الطرفين وسدت

(1)- ابراهيم باشا (1879-1848م): قائد عسكري مصري ، ابن محمد علي باشا (أو ابنه بالتبني) . قاد الحملة المصرية على الوهابيين (1816- 1818م) والحملة المصرية على اليونان سنة 1824م وقد حاله الحظ في كليهما . احتل عكا سنة 1832م . ولولا تدخل الدول الكبرى سنة 1833م لتمكن من الإستيلاء على القسطنطينية نفسها ، كان العضد الأيمن لأبيه في إدارة شؤون الشام والجزيرة العربية والسودان . كان واليا على الشام من سنة 1830 الى 1840م . انظر ، منير البعلبكي : معجم أعلام المورد ، ط 1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1992م ، ص 15 . وكذلك شارل هنري تشرشل ، ص : 252 .

(2)- الأمير محمد ، ج 2 ، ص : 91 .

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

الطرق واجتمع الدرّوز من لبنان وحووران ووادي التيم وأحواز دمشق وكذلك فعل النصارى ولما سمع الأمير بذلك استغل تقدير واحترام الدرّوز له <sup>(1)</sup> فأرسل إليهم وكاتبهم ينهاتهم عن العداوة والفتنة ولو تمعنا في مضمون الرسالة التي أرسلها الأمير الى الدرّوز لوقفنا على الفقه السياسي الذي كان يملكه وهذا نص الرسالة <sup>(2)</sup> نذكره في عناصر:

- " الى شيوخ الدرّوز في جبل لبنان وفي سهول وجبال حوران . إننا دائما ندعو لكم بالسعادة الدائمة والهناء المستمر انكم تدركون صداقتنا لكم واهتمامنا بالصالح العام لجميع عباد الله . فاصغوا الى ما نقوله لكم واقبلوه واعتبروا بنصيحتنا لكم .. " ونلاحظ براعة الإستهلال في هذا الخطاب السياسي وكيف سعى الأمير الى استمالة قلب الدرّوز .

- ثم أخذ الأمير يبين لهم الفرق بين قتالهم للمسيحيين في جبل لبنان - وقد وقع - وفي دمشق وفيه خطر كبير عليهم إن وقع ، يقول الأمير : " إن الحكومة التركية وكل الناس يعرفون عداوتكم القديمة نحو مسيحيي جبل لبنان . وقد تتصورون بأن الحكومة لن تحملكم كل مسؤولية الحرب التي تدور الآن بينكم وبينهم . وقد تقبل الحكومة عذرکم .

ولكنكم إذا قمتم بهجوم على مكان لم يكن سكانه في يوم من الأيام أعداء لكم فإننا نخشى أن يكون هذا التصرف سببا في قطيعة خطيرة بينكم وبين الحكومة .. " .

---

(1) - في شهر نوفمبر من سنة 1856م وصل الأمير مع عائلته وأتباعه على ظهر سفينة تجارية فرنسية الى بيروت قادمًا إليها من بروسة التركية وبعد الإستراحة واصل رحلته نحو دمشق وبينما هو صاعد جبل لبنان سمع - وهو مندهش - صوت الرصاص - فإذا بالجبل من منحدره الى أعلاه مغطى بعدد كبير من الرجال والأسلحة بأيديهم . ثم تبين أنهم من درّوز الجبل خرجوا لإستقبال الأمير البطل ورحبوا به وقبلوا يده وطلبوا منه أن يبيت عندهم ضيفا ولو لليلة واحدة فاستجاب لهم الأمير . وسألوه عن بطولاته وعند المغادرة شكرهم ورافقوه الى حدود منطقتهم وطلبوا منه اللقاء ثانية . شارل هنري تشرشل ، ص : 276 وما بعدها .

(2) - نص الرسالة ذكره تشرشل ولم يذكره صاحب التحفة ، الأمير محمد ، ج 2 ، ص : 93 .



## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

- ثم يعود الأمير الى أسلوب كسب العواطف فيقول مادحا : "...إنكم تعلمون كم نحن نتمنى الخير والسعادة لكم ولجميع سكان بلادكم . إن الحكيم هو الذي يقرأ العواقب قبل أن يخطو خطوة في الطريق".

- ويسجل الأمير على طائفة الدرّوز موقفا سلبيا ويطلب منهم بكل حكمة معالجته وفي ذلك يقول : " إن بعض فرسانكم قد قاموا بالنهب في ضواحي دمشق . وإن هذا السلوك غير جدير بقوم تميزوا بشعورهم الخير وسياستهم الحكيمة . إننا نكرر لكم بأننا لا نسعى إلا لخيركم وإننا نتألم لأي خدش يصيب إسمكم." (1)

ولا يفوتني هذا المقام لكي أقول كم يحتاج العالم الإنساني اليوم الى مثل الأمير عبد القادر في راحة العقل وبعد النظر وإنسانية الخلق وسماحة الفكر وأدب الحوار للقضاء على بؤر الصراع الإثني والطائفي الواقع اليوم في كثير من بلدان العالم لتحقيق الوحدة الوطنية في القطر الواحد أولا ثم لم لا الوثام والتعايش بين كل الأقطار بعد ذلك. وهذه الوحدة الإنسانية والعالمية هي مما أمر الله به أن يوصل قال تعالى : ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (2)

لكن الحرب وقعت بينهما أياما وانتصر الدرّوز رغم قلة عددهم وأحرقوا قرى النصارى ونهبوا أموالهم (3). وكانت هذه الأحداث هي رسول الفتنة الى دمشق .

### المطلب الثاني : الأمير والفتنة الطائفية في دمشق :

وتحركات أحقاد دفينه في قلوب مسلمي دمشق وتذكروا ما فعله فيهم النصارى أيام حنا بك المجري وطائفته وتناقل الناس ما وقع في جبل لبنان . وخشي النصارى على أنفسهم ورفعوا شكوى الى الوالي أحمد باشا الذي أرسل بعض العساكر لحمايتهم . وتسارعت الأحداث إذ قام صبيان من المسلمين بتصوير

(1)- شارل هنري تشرشل ، ص : 282.

(2)- سورة الحجرات ، الآية رقم 13.

(3)- الأمير محمد ، ج 2 ، ص : 91.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

الصليب على الطرقات وعلى الورق ورميه في القاذورات وتفطن الأمير بوعيه السياسي أن هذا الأمر إذا تفاقم سيعرض البلاد الى التدخل الإفرنجي فحذر الوالي الذي استخف بالأمر وقام بعض سفهاء دمشق من المسلمين بتحريض الدروز على النصارى ويعدونهم بأموالهم فوعدوهم بالإجابة بعد الفراغ من جبل لبنان ووصل الخبر الى الأمير فاستأذن من الوالي في مقابلة الدروز<sup>(1)</sup>. وتتجلى لنا مرة أخرى خبرة الأمير السياسية في تمكنه من إقناع مشائخ الدروز الذين التقى بهم في قرية الأشرفية فعدلوا عن المشاركة في الفتنة ووعدوه خيرا.

ومما تذكره بعض المصادر أن السبب المباشر لبداية مذبحه النصارى أنه في يوم 9 جويلية سنة 1860م أمر الحاكم أحمد باشا بإخراج مجموعة من السجناء المسلمين وأمر بالطواف بهم في الشوارع وهم مكبلون وقصده من ذلك إرهاب كل من تسول له نفسه الإعتداء على النصارى ولكن مشاققة ميخائيل يذكر أن غرضه هو تحريض المسلمين على الثورة وهذا ما وقع فعلا إذ هجم بعض المسلمين في حي باب البريد على الجنود وفكوا قيود السجناء ونادوا على الجهاد لقتل الكفار.<sup>(2)</sup> بينما يذكر صاحب التحفة حدثا آخر وهو الذي وقع في يوم الإثنين 21 من ذي الحجة 1276هـ - 10 جويلية 1860م حيث قبض على صبي يلعب بصورة الصليب فعزرتة الحكومة وأهانته في الأسواق فرآه أخوه في سوق باب البريد فرمى بنفسه عليه وانتزعه هو وجماعة من الناس من يد الشرطي وماج الناس وكثر اللغظ ونادى السفهاء في الطرقات هلموا على الجهاد واتجهت جموع غفيرة الى حي النصارى واضرموا النيران فيها وقتلوا من وجدوه في سبيلهم ونهبوا الأموال. ولما سمع الأمير بالحدث أسرع الى حي النصارى فوجد النار تشتعل في المنازل والغوغاء بين ناهب وقاتل فنهى ونصح وأنقذ ما استطاع من الأرواح منهم بعض القناصل والأعيان. وفي اليوم الثاني أرسل الأمير أفواجا من المتطوعين من المغاربة الذين استجلب لهم السلاح من الباشا الذي اشترط عدم استعماله ، فأنقذوا النصارى من ألسنة اللهب في البيوت ومن كان مختفيا في الكنائس والأقبية وفروا بهم الى سكنى

(1)- المرجع نفسه ، ص : 92 وما بعدها .

(2)- ميخائيل مشاققة : مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان ، تقديم ملحم خليل عبدو واندرواس حنا شخاشيري ، ط1 ، مصر ، 1908م ، ص : 147 وما بعدها.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

الأمير . وفي اليوم الثالث اجتمع سفهاء من الغوغاء قاصدين سكنى الأمير والمغاربة للإذابة فخرج إليهم الأمير وألقى الله الرعب في قلوبهم عند رؤيته فرجعوا خائبين. ويقيدنا تشرشل في ترجمته للأمير أن الأمير خاطب هؤلاء الثائرين - وهو مستل سيفه، ومع رفقة من رجاله - فقال لهم : " أيها الملعونون! هل بهذه الطريقة تشرفون النبي -ص- ؟ صب الله لعنه عليكم ! عار عليكم ! (...). إنني لن أسلم لكم مسيحيا واحدا . إنهم إخوتي . فتقهقروا وإلا أمرت رجالي بإطلاق النار"<sup>(1)</sup>

وحري بنا أن نذكر بين الفينة والأخرى بالإرتباط الوثيق بين السبحة والسيف الذي كان ولا يزال شعارا لكل من انتمى الى زاوية القيطنة التي تربي فيها الأمير على الجمع بين التصوف والسياسة ولذلك كان منطلقه في استعمال السيف واحد لم يتغير ، حيث أن مذهبه الصوفي الأكبري هو الذي جعله يكاد يعمل سيفه في هؤلاء الغوغاء في دمشق كما استعمله من قبل ضد الفرنسيين في الجزائر<sup>(2)</sup> . إنه نفس المنهج الذي يجمع بين الدين والسياسة في طريق المصلحين الذين يحرصون دوما على إضفاء الطابع العقيدي على المواقف والعلاقات واعتبار مصلحة الإسلام فوق كل مصلحة .

ثم قصدوا بيوت بعض الأعيان<sup>(3)</sup> الذين اقتدوا بالأمير في صنيعه لقتل من عندهم من النصارى فطلب الأعيان النجدة من الأمير فأجدهم . وتحولت سكنى الأمير الى مأوى للنصارى وقناصلهم لعدة أيام ينفق عليهم ويتولى شؤونهم من ماله الخاص . ولما ضاق الحال أرسلهم الى القلعة الحكومية بإذن من الحاكم<sup>(4)</sup> . وقد وصل عدد المسعفين عند الأمير وفي القلعة خمسة عشرة ألف نفس. واستمرت هذه القننة أربعة

(1)- شارل هنري تشرشل ، ص 285.

(2)- وقد بين الأمير هذه المفارقة بين قتاله للمسيحيين تارة والدفاع عنهم تارة أخرى وذلك لما ذهب الى الحي المسيحي لصد الثائرين المعتدين من المسلمين فقالوا له معترضين : " ماذا! أنت الذي كنت أعظم ذباح للمسيحيين- في الجزائر- تأتي لتمنعنا من ذبحهم هنا في مدينتنا ؟ ابتعد عنا ! " فأجابهم الأمير: " إذا كنت قد ذبحت المسيحيين ، فإن ذلك طبقا لتعاليم شريعتنا . وهم المسيحيون الذين أعلنوا عليّ الحرب والذين كانوا مدحجين بالسلاح ضد ديننا " . شارل هنري تشرشل ، ص : 283.

(3)- من الأعيان الذين تأثروا بصنيع الأمير الإنساني والبطولي وفعلا مثله : سليم العطار ، صالح آغا شور يحي ، سعيد آغا النوري وعمر آغا العابد . مخائيل مشاققة ، ص : 177.

(4)- على عكس الأمير محمد في كتابه تحفة الزائر فإن مصادر أخرى تذكر تواطؤ الوالي العثماني أحمد باشا مع الدروز والغوغاء في مذبحه النصارى ومما يشير الى ذلك أن الأمير اجتمع بأحمد باشا وبمجلس شورى المدينة مساء يوم 9 جويلية 1960م وأصدر منهم فتوى مدعمة

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

عشر يوما والأمير قائم بما يلزم من النفقات وترتيب الأحوال ليلا ونهارا حتى أنه كان ينام قليلا على سجاده في دهليز بيته<sup>(1)</sup>.

ولو ذهبنا نتساءل ما الداعي الذي يجعل الأمير يتحمل كل هذه المشاق ويعرض حياته في سبيلها للخطر؟

والجواب في اعتقادي أن ذلك يعود لسببين ، أولهما : إنساني -فلسفي- والثاني : عقدي - سياسي - ، أما الفلسفي فيعود لما يعتقدده الأمير في فكره الصوفي الأخلاقي و الجمعي المتسامح الذي يتعلق بالمعتقدات الدينية عموما والسماوية خصوصا وأرى من الضروري أن نذكر بعض ما مرّ معنا في ثنايا هذا البحث حتى تتضح العلاقة بين تجربة الأمير الصوفية وممارسته السياسية . ومما ذكرناه في مبحث سابق رأي الأمير في الديانات عامة حتى الوثنية منها حيث أن الله يتجلى فيها على اعتبار أنه سبحانه هو الهادي وهو المضل . يقول الأمير "...ولهذا الوجه قال تعالى: ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾<sup>(2)</sup> فإنه هو الذي عبد في كل مخلوق ، عبد في نار ، وشمس ، ونجم ، وجن ، وملك .. الخ"<sup>(3)</sup>. ويقول أيضا : " فاليهود والنصارى والمشركون وما شاكلهم مأمورون بالتوبة من الكفر بمحمد الى الإيمان به ، فيرجعون من الإسم " المضل " الى الإسم " الهادي " وكلاهما داخل تحت الإسم الجامع " الله " ، فتأبوا من الله بوجهه ، الى الله بوجهه ، فما كانوا خارجين عن الله ، ثم تأبوا ورجعوا الى الله ، فإن الخروج عن الله محال ، إذ هو القائل : ﴿

---

=بأدلة الشريعة تقضي بجواز مقاتلة كل من يعتدي على النصارى ولو كانوا مسلمين ولما غادر الأمير المجلس جاءه رسول من الحاكم يخبره عن تراجعه عن الإتفاق. مخائيل مشاققة ، ص : 175 وما بعدها. وكذلك أن النصارى المنقولين الى القلعة توسلوا للأمير وهم يصرخون قائلين : " نتوسل إليك بالله يا عبد القادر أن لا ترسلنا الى الأتراك " . تشرشل ، ص : 282.

(1) - الأمير محمد ، ج 2 ، ص : 94.

(2) - سورة الإسراء ، الآية رقم 23.

(3) - الأمير عبد القادر : المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف ، تحقيق عبد الباقي مفتاح ، مصدر سابق ، الموقف 149 ، ج 1 ، ص : 345 وما بعدها.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

والله من ورائهم محيط ﴿<sup>(1)</sup>﴾ وقد تناول الأمير في شعره مسألة المعبود الواحد في كل المعتقدات من ذلك قوله في أبيات من البحر الطويل وعلى لسان الإنسان الكامل :

فظورا تراني مسلماً أيّ مسلم زهودا نسوكا خاضعا طالبا مدّا  
وطورا تراني للكنائس مسرعا وفي وسطي الزنارُ أحكمتُهُ شدّا  
وطورا بمدارس اليهود مدرّسا أقرّر توراة وأبدي له رُشدا <sup>(2)</sup>

و من المحال أن يكون مراد الأمير هو التسوية بين الصحيح والسقيم في المعتقدات وإنما القصد هو شهود القهر الإلهي والإرادة النافذة للحق تعالى في خلقه سعيدهم وشقيهم .فهو الذي خلقهم وما يعملون وما يعتقدون وهو الهادي وهو المضل وهو جاعل الظلمات والنور. وبالتأكيد أن صاحب هذه النظرة لا يمكن أن يحقد على من خالفه في المعتقد فضلا أن يعتدي عليه .وهذه المعاني الفلسفية النابعة عن تجربة الأمير الصوفية هي التي غابت عن عامة المسلمين ومن آزرهم من الدروز في فتنة مذبحه النصارى في دمشق. وقد أشار الأمير أيضا الى هذا الدافع في رسالته التي ردّ بها على ملكة بريطانيا يشكرها على موقفها منه بعد أحداث الشام الطائفية ، ومما جاء في رسالته <sup>(3)</sup> إليها : " إنني لم أفعل سوى ما توجه به علي فرائض الإيمان ، ولوازم الإنسانية . " <sup>(4)</sup> ويدلل الأمير في رسالة أخرى رد بها على القائد شمائل الداغستاني - وقد مر معنا مقتبس منها- بأن التصوف هو المشكاة التي يصدر عنها في بناء مواقفه السياسية والتي منها موقفه في مذبحه دمشق يقول الأمير : " ... تلقينا رسالتكم المشرفة وكلماتكم الودية . فأثلجت صدرنا . فما سمعتموه عن أمرنا ، وما نال كامل رضاكم بشأن دفاعنا عن الدمييين وما قدمنا لهم من حماية لأشخاصهم

(1)- سورة البروج ، الآية رقم 20.

(2)- الأمير عبد القادر: المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف ، تحقيق بكرى علاء الدين ، مصدر سابق ، ج 1 ، المقدمة ، ص : 23.

(3)- الرسالة مؤرخة في 20 محرم 1278 هـ ، انظر فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر في دمشق ، جوانب من حياته الدينية والعلمية والفكرية (1472-1300هـ / 1856-1882م ) ، مقال بمجلة الثقافة ، تصدرها وزارة الثقافة بالجزائر ، مرجع سابق، ص : 267.

(4)- المرجع نفسه ، ص 267.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

وممتلكاتهم معا ، بحسب حماسنا وإمكانياتنا . إن ذلك كله كما تعلمون نابع من طاعتنا لمبادئ شريعتنا المقدسة وتعاليم الإنسانية ... " (1)

والسبب الثاني - وهو العقدي أو السياسي (2) - هو الدفاع عن الخلافة الإسلامية التي تمثلها الدولة العثمانية ويبين ذلك ابنه محمد حين يقول : " والباعث له على حمل تلك المشاق تأييد الدولة العلية والدفاع عن حوزتها إذ لو لم يقيم في وجوه الغوغاء لاستأصلوا النصارى واستلحموهم وتفاقم الأمر أكثر مما وقع وبذلك يحصل للدولة من الإرتباك ما لا يخفى ولعناية الله تعالى بصاحب الخلافة العظمى ورعايته لسلطنته لم يقع أدنى خلل يتشبه به الأعداء لإلحاق الضرر بالدولة العلية . " (3).

### \*الأمير ينقذ دمشق من غزو العسكر الفرنسي:

بقي الأمير قائما بدوره الإنساني ويتحمل في ذلك الصعاب الى أن حل بدمشق وزير خارجية الدولة فؤاد باشا (4) الذي بذل وسعه في معالجة الوضع فكون حكومة عرفية وعاقب كل المتسببين ورد الحقوق وأمن السبل. و بالرغم من ذلك كله حدث ما كان يتوجس منه الأمير - بنضجه السياسي - حيث وصلت قوات عسكرية فرنسية قوامها عشرة آلاف جندي الى بيروت تحت قيادة الجنرال بوفور وكذلك فعلت دول أخرى أخرى إذ وصلت مراكبها الحربية الى الأنحاء وتراقب تطور الأوضاع. ومرة أخرى يسجل التاريخ فإسرة الأمير السياسية حيث كان يخشى من التدخل الأجنبي والمساس بأمن دولة الخلافة . ويقع خلاف بين فؤاد باشا والجنرال الفرنسي الذي قرر قصف بيروت من الصالحية فبعث الى الأمير رسولا يطلب منه الخروج هو وأهله فيظهر الأمير شهامة ويسجل له التاريخ موقفا سياسيا ينم عن النبل والوفاء للمعتقد والأمة والإنسانية

(1)- بوعلام بسايح : الأمير عبد القادر مغلوبا لكن مظفرا ، مرجع سابق ص : 229.

(2)- وقد نفى فؤاد صالح السيد ما ذكره صاحب تحفة الزائر من أن يكون الدافع هو السياسة ومساندة الدولة العثمانية . انظر، فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر في دمشق ، جوانب من حياته الدينية والعلمية والفكرية ، مجلة الثقافة بالجزائر ، ص : 267 . ولو تمعنا لقلنا أن النشاط السياسي في الإسلام وخاصة في بناء المواقف هو متفرع عن قاعدة عقديّة ولما لا صوفيّة تعرف في كتب العقيدة بقاعدة الولاء والبراء .

(3)- الأمير محمد ، ج 2 ، ص : 94.

(4)- فؤاد باشا محمد (1815-1869م) : سياسي تركي . وزير الخارجية العثمانية . تولى الصدارة العظمى أو رئاسة الوزراء مرتين (1861-1862) و (1863-1867م) . يعتبر أحد أبرز رجال الحركة وشارك في تأليف أول كتاب في اللغة التركية سنة 1851م. هنري شرشل ، ص : 287.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

حيث لم يفر من دمشق بل طلب عقد لقاء مع الجنرال الفرنسي وأقنعه بل وهدده وبين له سوء العاقبة فعدل الجنرال عن الحرب (1)

### \*الأمير يزود الجيش العثماني بفريق من المقاتلين الجزائريين :

وكان من صنيع الأمير ومن أهم أدواره السياسية في بلاد الشام أن طلب منه حاكم دمشق فؤاد باشا تزويد جيش الدولة بمقاتلين من أتباعه المغاربة وذلك لما يتصفون به من روح قتالية عالية فاستجاب له الأمير وعين له 400 مقاتل جزائري تحت قيادة محمد بن فريجة - أحد أقرباء الأمير - (2)

### \*وزن الأمير السياسي في الدبلوماسية العالمية :

واعترافا بكل ما قدمه الأمير في سبيل إخماد الفتنة الطائفية في دمشق وما قام به من اتصالات مع جهات كثيرة ترد عليه رسائل من أشخاص ذوي وزن سياسي ثقيل : سلاطين وحكام وقناصل وهيآت وسياسيين، ويكرم بنياشين وأوسمة لا تعطى عادة إلا لمن تقلد أدوارا دبلوماسية في خدمة الصالح الإنساني العام وفي ما يلي ما ورد على الأمير مما ذكرناه :

### 1-النيشان المجيدي العالي من السلطان العثماني :

وهو صادر من أكبر حاكم دولة عالمية في ذلك الحين وهو مؤرخ في أول صفر 1277هـ ، ومما جاء في البيان التكريمي الصادر من السلطان : " قد أحاط علمي الشريف السلطاني بحال الحمية الدينية الثابتة في أصل فطرة الأمير عبد القادر الجزائري زيد فضله وخلوصه الأكيد الوطيد لطرف دولتي العلية (... ) وهي تخليص عدد كبير من تبعة دولتي العلية الواقعين بأيدي الأشقياء الظالمين عند وقع الفتنة والعناد مؤخرا بالشام..."(3) وفي هذا البيان إشارة الى الدافعين للذين حملا الأمير على ما فعل حيال الفتنة - وقد

(1)- الأمير محمد ، ج2 ، ص : 95.

(2)- المرجع نفسه والصفحة نفسها .

(3)- الأمير محمد ، ج2، ص : 96.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

ذكرتهما آنفا- وهما الدافع الأصلي وهم المعتقد الفطري .وكذلك الدافع السياسي المتمثل في الدفاع عن دولة الخلافة.

### 2-الصدر الأعظم علي باشا رئيس وزراء الدولة التركية يشيد بدور الأمير:

يبحث للأمير خطابا مطولا يدل على مكانة عبد القادر السياسية ، ومما جاء فيه : "...وشاع أن ذاتكم المتحلية بالفضيلة في أثناء إشتعال الفتنة توفقتهم - هكذا وردت في المصدر- والحمد لله لتخليص ألوف من التبعة السلطانية المظلومين من أيدي القتلة الخاسرين وكانت غيرتكم التي تكرمتم بها دليلا ليس له مثيل على حميتكم الدينية وخلوصكم لطرف السلطنة السنية ... " ولا يخفى ما في الخطاب من شهادة رئيس الوزراء على دور الأمير السياسي في دمشق.

### 3-خطاب وزير خارجية فرنسا ، وامبرطورها يرسل بنيشان " الليجون دو نور ":

ويرد الى الأمير رسالة من وزير خارجية فرنسا نقتطف منها ما يدل على المراد : " أيها الأمير السامي إن خبر الحوادث الشامية قد طرق مسامع الدولة الفرنسية وإجابة لطاعة مولاي الإمبراطور وإرادته بادرت الآن بإعتباره السامي والتشكر الوافي من طرف جلالته على السعي الذي تكرمتم به على الأهالي المسيحيين والراهبات والمبعوثين الفرنسيين وجمهور القناصل بتلك الواقعة المحزنة (...). أما الإمبراطور نظرا لمعرفته بعلي همتمكم وكرم أخلاقكم (...). يشعر بداع ذاتي يدعو الى أن يخبركم عن فرحه الشديد الذي أثر فيه تأثيرا قويا بإجراء ما أجرىتموه ... " 31 أغسطس 1860م. ثم حضر رئيس المترجمين في دائرة الوزراء الفرنسية مبعوثا من لدن الإمبراطور الى الأمير وسلم له نيشان " الليجون دو نور " المرصع من الرتبة الأولى .

### 4-ملك بروسيا يبحث خطابا مشفوعا بالنيشان : ومما جاء في هذا الخطاب : "...قد منحنا

الأمير عبد القادر بن محي الدين نيشان صليب النسر الأحمر من الطبقة الأولى وقد أعطينا إرادتنا هذه



## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

لأجل تملكه الحقيقي لهذا الوسام حاوية امضاءنا وتوقيعنا مع الختم الملوكي من بالسيرج في الثاني عشر من أكتوبر سنة إحدى وستين وثمانمائة (1) .

### 5- قيصر روسيا يرسل خطابا ونيشانا أيضا :

ومما جاء في خطابه " نحن اسكندر الثاني امبراطور وافطر كراطور جميع الروسيين الى آخر الألقاب الى الأمير عبد القادر اقتضت رغبتنا أن نشهر التفاتنا إليكم بشهامتكم وعملكم بما اقتضته الإنسانية واجتهادكم في انقاذ ألوف من المسيحيين من أهالي دمشق الذين وجدوا في خطر عظيم اقتضى الحال أننا سميناكم من أعظم فرسان ربتنا الإمبراطورية الملوكانية المشهورة بالنسر الأبيض وهذه علامتها واصلة إليكم (...). حرر في بطرسبورج في يناير سنة ستين وثمانمائة "

### 6- ملك إيطاليا يرسل بخطاب مع وسام الشريطة الكبرى " نيشان الموريس والعاذر ":

ومما تضمنه خطابه : " إن عظيم تصرفكم في أمر المسيحيين في الحوادث الشامية قد أثبتت أمام أروبا أنكم ممن حاز المزايا الحربية العظيمة خصوصا في الحادثة الدمشقية التي أنقذتم فيها النفوس الكثيرة (...). ونظرا لشهادتي بهذا الإحترام المخصوص لشخصك الكريم فأنا مرسل اليك الآن الشريطة الكبرى " نيشان موريس والعاذر " (...). كما أنني أرجو أن تعتقد تمام محبتي . حرر في مدينة تورين بتاريخ سبتمبر سنة ستين وثمانمائة محبك فيكتور عمانوئيل." (2)

(1)- استوفني في خطاب ملك بروسيا والذي سيأتي بعده والخاص بقيصر روسيا مسألة تاريخ ورودها ، حيث أن الأول مؤرخ في شهر أكتوبر 1861م ، أي بعد حوالي سنة وأربعة أشهر من وقوع الفتنة الطائفية ( وقد وقعت في جويلية 1860م ) وهو تاريخ بعيد نوعا ما . أما تاريخ رسالة قيصر روسيا الذي هو يناير 1860م فخاطى حتما لأنه واقع قبل وقوع حوادث الفتنة بحوالي ستة أشهر وهذا محال . والذي أرجحه أن المؤلف قد أخطأ في وضع التواريخ والذي يصلح أن يقع التبادل بين تاريخي الرسالتين في السنة فقط فتؤرخ الأولى ب أكتوبر 1860م والثانية ب يناير 1861م. انظر نص وتاريخ الرسالتين ، الأمير محمد ، ج 2 ، ص : 99.

(2)- الأمير محمد ، ج 2 ، ص : 100.

**7- ملك اليونان يكاتب الأمير ويرسل له بنيشان " المخلص " :**

ومما جاء في خطابه الذي أرسله : " نحن أوتون بنعمة الله ملك اليونان قد اعطينا للأمير عبد القادر النيشان الكبير رتبة أولى من صنف نيشاننا الملوكي المدعو بنيشان المخلص (...). حرر في أثينا بتاريخ سبتمبر سنة ستين وثمانمائة." (1)

**8- ملكة انجلترا ترسل هدية للأمير وقنصلها في دمشق يحرر بيانا يشيد فيه بالأمير :**

وقد بعثت الملكة البريطانية بهدية للأمير تتمثل في بندقية كتب على صندوقها : " من حضرة جلالة ملكة المملكة المتحدة بريطانيا العظمى الى صاحب السمو الأمير عبد القادر تذكارا للمساعدة الخيرية المبذولة للمسيحيين في دمشق سنة ستين وثمانمائة . " كما كتب قنصلها في دمشق قبل ذلك بيانا جاء فيه : " الى عظمة الأمير السيد عبد القادر المعروض لسعادتكم انني قد امرت من الحكومة الإنجليزية الفخيمة ان أبين لكم حاسيتها الفائقة نظرا لما أظهرتموه من الحقوق الإنسانية بتخليص حياة جماعة كبيرة من المسيحيين الذين لولا ذلك لهلكوا بين يدي أهل القساوة في المذبحة الأخيرة بدمشق وبسلوك عظمتكم عرفت الحكومة الإنجليزية مقامكم الرفيع للغاية (...). حرر في الرابع والعشرين من اغسطس سنة ستين وثمانمائة من قونصلاتو دولة انكلترا في دمشق " (2)

**9- الجمعية الفرانماسونية بفرنسا تشيد بصنيع الأمير في فتنة دمشق :**

ونص خطاب هذه الجمعية التي كُتِبَ عن تاريخها الكثير وتحوم حولها وحول علاقة الأمير بها كثير من الأقوال المتضاربة والتي سنتعرض لها في مبحث مستقل، إلا أنني والحق يقال لما قرأت بيانها الموجه للأمير في هذه المناسبة وجدته يزخر بكثير من الحقائق والإعترافات التي تتعلق بالإسلام وتاريخ أمته وإليك نص البيان كاملا :

(1)- المرجع نفسه ، ص : 100.

(2)- المرجع نفسه، ج 2 ، ص : 101.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

" الى الأمير الأجل عبد القادر في دمشق اعلم أيها الأمير أن العالم المتمدن قد كلل هامتكم الشريفة المقدسة بإكليل الشرف والإفتخار ونحن نقدم لكم فرحنا بكونكم تسميتم من المحكوم لهم بحسن السيرة من أي فرقة كانوا أو دين الذين أظهروا أنفسهم وأنت قد أظهرت نفسك إنسانا قبل الكل ولم تسمع إلا الى إلهامات ربانية في قلبك أمرتك بمقاومة نار مشتعلة من الهيجان البربري والتعصب الجاهلي . نعم انك النائب الوحيد للأمة القوية العربية التي أروبا مديونة بقسم عظيم من تمدنها وعلومها التي استنارت بها ولقد أثبت بأعمالك وبكريم شيمك أن هذا الجنس لم ينحط اعتباره السابق . وهو وإن كان الآن في سنة من النوم فسيستيقظ للأعمال العظيمة باستدعاء نفس قوية نظير نفسك وانظر فرانس التي كانت خصيمتك فإنها اليوم كيف تعتبرك وتبتهل بك وما ذلك إلا لكونك أعطيت للتمدن حقه أيها الأمير لك المجد والشكر تكرارا . فالإله الذي نسجد له جميعا والذي عرشه في داخل قلوبنا وقلوب كافة الكرماء يتمم عمله بكم في الخير أفلا ينظر الى العناية الإلاهية بعد تقلبات عديدة كيف أتت بكم الى تلك البلاد لأجل تبيد ظلمات الجهل وإطفاء نار التعصب الجاهلي . وإنقاذ تعيسى الحظ من يد الجهلة . واعلم أيها الأمير الأجل أننا واثقون بأن تقبلوا منا هذه الرسالة وإن كانت لا قيمة لها . حرر في باريس في الثاني من أكتوبر سنة ستين وثمانمائة . " (1)

### 10-رسالة جمعية " عمل الخير وإعانة المصابين في البر والبحر " :

ونص الرسالة : " إن جمعية المصابين المؤلفة من أعيان الأمصار ووجوه المدن الشهيرة في فرنسا قد اتفقت كلمتها على أن يكون الأمير عبد القادر رئيس شرف لها . وإنما فعلت هذا لتؤكد له عظيم اعتبارها لجنابه الشريف ، وجزيل تشكراته الفاتقة لما أبداه من أعمال الخير الجسيمة في سورية سنة ستين وثمانمائة وبناء على ذلك بعثت إليه هذا الرقيم كالشاهد على عقدها لما اتفقت عليه وذلك في باريس آخر جوان سنة إحدى وستين . " (2)

(1) - الأمير محمد ، ج2 ، ص : 101.

(2) - الأمير محمد ، ج2 ، ص : 111.

## 11- رسالة الجمعية الأمريكية الشرقية في باريس :

و يمثل ما فعلت جمعية المصابين أرسلت الجمعية الأمريكية برسالة الى الأمير هذا نصها :

" بناء على تقرير الجمعية الأمريكية الشرقية وعلى قرار المجلس قد أعلنت بتعيين الأمير السيد عبد القادر بن محي الدين عضو شرف لها تتشرف بذكره وبعثت إليه بهذه النسخة المطابقة للأصل اعلانا بما قررته في باريس في الثاني عشر من يوليو -جويلية- سنة ستين و ثمانمائة وألف. " (1)

وقد وصلت للأمير رسائل أخرى تمنينا لو طال نفس ابنه محمد وذكرها حيث أشار الى أن ما منعه من ذلك هو مخافة الإكتثار المفضي الى السامة والملل ، ولكنه ذكر مكانها قصائد كثيرة من الشعر الذي يمجده ما قام به أبوه في دمشق (2) ولعل في ما قدمناه من رسائل تحمل الطابع الدبلوماسي العالي في ذلك الوقت يدلنا على المكانة السياسية التي حظي بها هذا المتصوف القادري.

## 12- رسالة الزعيم الشيشاني شامل الداغستاني (3) الى الأمير:

ومن منفاه بالأراضي الروسية كتب للأمير ما نصه: " الى من اشتهر بين الخواص والعوام وامتاز بالمحاسن الكثيرة عن جملة من الأنام .ال <كي أطفأ الفتنة قبل الهيجان . (... ) وقد تعجبت كيف عمي من أراد الخوض في تلك الفتنة العظيمة من الولاية عن حديث رسول الله ص - : " ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة . " ثم لما سمعت

(1)- المرجع نفسه ، ص : 113

(2)- المرجع نفسه ، ص : 101. وقد ذكر الأمير محمد حوالي ثماني قصائد طويلة موجودة من ص 101 الى ص 112 من المرجع نفسه

(3)- هو محمد شمويل القوقازي ( الداغستاني ) . ولد في داغستان في بلاد الشيشان بين سنوات 1210-1214 هـ الموافق ل1795-1799 م انتمى الى الطريقة الصوفية النقشبندية . بوع أميراً وخليفة سنة 1250هـ-1834 م . أعلن الجهاد على الدولة الروسية ثم فاضها أكثر من مرة ثم تحصن مع 400 من أتباعه في قلعة فدنو . ثم استسلم سنة 1276هـ-1859 م . وقد نفي في جنوب غرب موسكو . وقد تدخل الأمير لإطلاق سراحه لدى نابليون الثالث وقيصر روسيا وبالفعل أطلق سراحه وبعدها ذهب الى الحجاز وسكن بالمدينة المنورة الى أن وافته المنية بها سنة 1288هـ-1871 م . وقد جاوز عمره السبعين سنة . انظر ، شارل هنري تشرشل ، ص. 288 : وكذلك بوعلام بالسايح " الأمير عبد القادر المغاري والإمام شمائل الآسيوي رمزان بارزان للدفاع عن الإستقلال الوطني والدوذ عن الإسلام ، فعاليات الموسم الثقافي للمجلس الإسلامي الأعلى ، الجزائر ، 1999 م ، ص : 133 وما بعدها.

أنك خففت جناح الرحمة لهم وضربت على يد من تعدى حدود الله تعالى وأخذت قصب السبق في مضممار الثناء واستحقيت لذلك رضيت عنك والله تعالى يرضيك يوم لا ينفع مال ولا بنون (...). ولكوني ممتلاء بالرضى عنك كتبت هذه الرسالة إليك إعلاماً بذلك والسلام . " حرر سنة سبع وسبعين ومائتين وألف . شمويل الغريب.<sup>(1)</sup>

### 13- الصحف الأروبية تشيد بالدور السياسي للأمير في مذبحه دمشق :

ولقد ذاع صيت للأمير عبد القادر في الصحافة الأروبية وذلك بفضل ما قام به من دور سياسي وإنساني كما سبق كره. وسنكتفي بذكر عناوين الصحف وما تضمنته حول هذا الموضوع بصفة مختصرة :

#### أ- جريدة مندا بلوسنمري الفرنسية :

بتاريخ 4 أوت 1860م ، تحت عنوان " عبد القادر أمير معسكر سابقاً " وفي مقال مطول أنصف الأمير ودفع عنه التهم التي لصقت به أيام محاربتة لفرنسا واتهامه بقتل أسرى الحرب وأن ما وقع له في سجون فرنسا من إخلاف للوعود ورباطة جأشه والتزامه بالعبادة ثم ما أبداه من تسامح مع مسيحيي دمشق يدل على نبل معدنه وبيروءه من كل التهم التي حاول أعداؤه إصاقتها به.<sup>(2)</sup>

#### ب- وفي جريدة أخرى :

لم يذكر صاحب التحفة اسم هذه الجريدة ولا اسمها ولا تاريخها . وملخص ما جاء فيها أنه يوجد في ذات عبد القادر شخصيتان ظهر بهما في مكانين وزمانين بعيدين وبصورتين مختلفتين : الأولى هي ذلك العدو المخيف لفرنسا طيلة سبعة عشرة سنة في أرض الجزائر وذلك من سنة ثلاثين وثمانمائة الى سنة سبع وأربعين . والثانية في سورية إذ هو الأمير المخلص لآلاف النفوس في حادثة دمشق سنة سيتين . إنه رجل شهم وباسل وما قام به من أعمال جدير بأن يسجل في تواريخ العالم .

(1)- الأمير محمد ، ج 2 ، ص : 115.

(2)- المرجع نفسه ، ص : 112 وما بعدها.

ج-وفي جريدة **ثالثة** :

لم يشر المصدر أيضا الى اسمها ولا الى تاريخها . وملخص ما جاء فيها أن الأمير رجل مشهور في العالم دافع عن وطنه وحرية ثم ساقه القدر الى التسليم ولكن عدوه خلف ما وعده به وساقه أسيرا في السجون لمدة سنوات حتى جاء شهم من سلالة الملوك وخلصه من محنته ثم أصبح هذا الأمير ناصرا للإسلام وأطفأ على أهله نار فتنة عظيمة وأصبح يخاطب من الملوك بالألقاب الموضوعه لأعظم المشاهير وإن سيرته الحميدة لا تشبه لها في التاريخ .<sup>(1)</sup>

وبسب هذه المنزلة السياسية التي بلغها الأمير رشح لكي يكون خليفة للعرب أو سلطانا عليهم في الجزائر وفي الشرق . وهذا ما سنوضحه في المطلب الآتي .

**المطلب الثالث : الأمير ومشروع المملكة العربية " Le Royaume Arabe " بالجزائر**

**والشام :**

**البند الأول : ترشيح الأمير لمنصب ملك العرب في الجزائر :**

لقد أثبت المؤرخون أن الأمير بعد محنته في سجون فرنسا - كما مر معنا- أصيب بصدمات نفسية عنيفة كان سببها خيبة أمله في الفرنسيين الذين خيبروا ظنه في شرف الكلمة وصدق العهد حيث غدروا به ولم يلتزموا بشروط مفاوضات التسليم وإنهاء الحرب.<sup>(2)</sup> وتظهر شخصية نابليون الثالث الذي حرره من الأسر وحقق له مراده في الهجرة الى المشرق . مقابل التعهد له بأن يترك كل عمل سياسي أو عسكري ضد فرنسا . و لقد أحب الأمير صديقه الجديد ويزوره في باريس سنة 1855م بعد زلزال بروسة ليطلب موافقته على الإنتقال الى دمشق. و يزوره ثانية بعد حوالي عشر سنوات - في سنة 1865م- لكي يشكره على الوسام الذي بعث به إليه بمناسبة أحداث الشام الطائفية.<sup>(3)</sup> ومن المناسب أن نذكر هنا ما

(1)- أنظر محتوى ما ورد في هذه الجرائد الثلاث الأمير محمد ، ج 2 ، ص : 112 وما بعدها.

(2) - شارل هنري شرشل ، ص : 24.

(3)- المرجع نفسه ، ص : 24.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

قاله الأمير عن الجنس الفرنسي عموماً لما زار كنيسة " المادلين " : " حينما بدأت مقاومتي للفرنسيين كنت أظن أنهم شعب لا دين له . ولكن تبينت غلطتي . وعلى أي حال فإن هذه الكنائس ستقنعني بخطئي." وهي لاشك نظرة تذكرنا برؤية الإنسان الكامل التي تورث في النفس والعقل معاني التسامح والتعايش مع الآخر مهما كان معتقده . وقد لا يبقى مجال للإستغراب والتعجب في تفسير مواقف الأمير السياسية في التواصل والتقارب . ولكن وفي المقابل ما سر إعجاب نابليون بالأمير حتى يفعل معه ما فعل إلى درجة أنه فكر لكي يرشحه أميراً على الجزائر أو تنصيبه سلطاناً على العرب في المشرق !<sup>(1)</sup>

ونحن نعلم أن الغرب عموماً في الشأن السياسي يقوم في اتخاذ المواقف على الهيآت الإستشارية والتقارير الإستخباراتية والدراسات الفاحصة الدقيقة والمتأنية التي لا تترك المجال للإرتجال والعجلة والصدف . وعليه فإنني أقدر وجاهة ما ذكره أبو القاسم سعد الله حين يقول : " (... فإن هناك بعض الأشخاص الذين أطلقهم فرنسا للتأثير عليه - على الأمير - ومراقبته وتفهم أفكاره . وقد تكون ملازمتهم له - في أيام السجن - تركت بعض البصمات على مواقفه . حقا إن الأمير لم يكن بالرجل السهل ، فكثيراً ما راوده الفرنسيون على التنازل عن بعض حقوقه فلم يفلحوا ، ولكن هناك نواحي أخرى في النفس الإنسانية لا ندرك كنهها بالكلمات والتصريحات والمواقف العاطفية . إن أشخاصاً كالجنرال دوماس والعقيد بواسوني والقسيس دوبوش لا بد أن يكونوا قد قاموا بدور عنده . وكلهم كانوا خبراء في الشؤون الأهلية والنفس العربية . " وبعد انتقاله إلى الشام اتصلت به شخصيات و قناصل دول غربية كثيرة منها عميد كلية طب فرنسي اسمه "لوريت - Loret - " الذي قال سنة 1878م : " إن فرنسا لم تعرف كيف تستفيد من نفوذ الأمير عبد القادر . " <sup>(2)</sup>

وهنا تتماهى شخصية الأمير عند الباحثين والنقاد بين صور مختلفة من الأحكام القيمية : هل هذا التقارب الذي بينه وبين نابليون أملتة المصلحة السياسية . وهل يسمح تصوف الأمير بهذا التطور التاريخي في العلاقة بين الكفر والإيمان ؟ - على حدّ تعبير السلفية الدينية في مسألة الولاء والبراء ؟ وقد مر معنا رأي

(1) - المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(2) - المرجع نفسه ، ص : 24.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

حفيدة الأمير عبد القادر في نقدها لما ورد في كتاب تحفة الزائر والتي اعتبرت فيه أن القول بأن الأمير قد سلم أو استسلم لعدوه هو أمر مرفوض وهو مما يمكن أن يكون مدسوسا وهو نوع من التحريف للحقيقة التاريخية. فما بالك بالتعايش والصدقة التي حصلت بين الأمير والإمبراطور !

وقد ظهرت في أوروبا -وفي فرنسا- خاصة فكرة تنصيب الأمير سلطانا على العرب ولقد تداول إعلاميون في صحفهم وكتابا هذه الفكرة. ويكتب الإمبراطور نابليون سنة 1964م رسالة الى الحاكم العام على الجزائر بيليسي رسالة جاء فيها : " ...وأكرر مقالتي لأن وطن الجزائر لم يكن كأرض خالية نعيمها وإنما هو مملكة عربية وأهل الوطن لهم حظ متساو في حمايتي كأصحاب العمارات الإفرنجية والآن فأني سلطان على العرب كما أني سلطان على الفرنسيين ". ولعل فحوي هذه الرسالة هو سبب ذبوع فكرة أن الإمبراطور يوشك أن ينصب الأمير سلطانا على العرب وهو السبب أيضا الذي جعل ديليسبس<sup>(1)</sup> و عناصر فرنسية أخرى تروج لهذه الفكرة في مصر<sup>(2)</sup>. ومن الجدير بالذكر أن نضع في حسابنا حسابات نابليون الثالث - الإمبراطور - السياسية الذي زار مدينة الجزائر سنة 1860م . ولما جلس في خيمة أقيمت على شرفه رأى كوكبة من الفرسان العرب تفرغ سلاح بنادقها أمامه بكل مهارة فقال متعجبا : " هذا ليس شعبا إنه جيش! " ولم تدم الزيارة إلا بضعة أيام بسبب وفاة أخت الإمبراطورة "Eugenie" بباريس. وتعاد الزيارة في سنة 1865م وتدم خمسة أسابيع ويكبر حلم نابليون في إقامة مملكة عربية في الجزائر و يكون الأمير نائبا له فيها. وبعد العودة الى باريس يكلف الإمبراطور مترجمه اسماعيل أوربان - Ismail Urbain<sup>(3)</sup> بعرض الفكرة على الأمير. ولكن الأمير وبعامل تجربته الصوفية والتي من مفرداتها صدق الكلمة والوفاء بالعهود يجب عن هذا المقترح قائلا : " أرى أن حياتي السياسية قد انتهت .

(1)- فرديناند دي ليسبس هو الدبلوماسي الفرنسي الشهير صاحب مشروع قناة السويس التي ربطت البحرين المتوسط والأحمر لأول مرة عام 1869م. وافتتحت في عهد الخديوي اسماعيل . وقد ولد في ضاحية فرساي بفرنسا في 19 نوفمبر سنة 1905م وفي سن السابعة والعشرين اختير فرديناند قنصلا مساعدا لفرنسا بالإسكندرية عام 1832م. توفي 7 ديسمبر 1894م . عصام عبد الفتاح : أيام محمد علي

، المنهل ، 2014 ، ص : 96

(2)- شارل هنري شرشل ، ص : 26.

(3)- مولد أبيض اعتنق الإسلام ، متزوج من مصرية ، محب للعربية ومعاد للإستعمار . بوعلام بسايح : الأمير عبد القادر مغلوبا لكن مظفرا ، مرجع سابق ، ص : 234.



## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

وأريد أن أكرس ما بقي لي من أيام حياتي للصلاة والدرس والتأمل. " (1) ولكننا نجد الأمير في أرض الشام تستدعيه الأقدار لكي يشارك في حركة سياسية عرفت بالحركة الإستقلالية . وهذا ما سنتعرض إليه في ما يلي :

### البند الثاني : الحركة الإستقلالية في بلاد الشام وموقف الأمير عبد القادر منها:

ومما يدل أيضا على الوزن السياسي للأمير في المشرق العربي هو ترشيح النخبة الشامية له لكي يكون على رأس حركتهم الإستقلالية عن الدولة العثمانية والتي ظهرت سنة 1294هـ - 1877م. (2) ولقد رشحوه لهذا المنصب لاعتبارات مهمة هي :

أ- مكانة الأمير السياسية المعترف بها شعبيا إذ هو يحظى بمكانة خاصة ومحترمة عند سكان المنطقة الشامية بكل طوائفها- العرب والمسيحيون والدروز. -

ب- منزلة الأمير الدبلوماسية العالمية وخاصة عند الدولة العثمانية والدول الأروبية التي أسدى الأمير لرعاياها في البلاد الشامية الحماية سنة 1860م.

ج- خبرة الأمير في شؤون الحكم التي اكتسبها من خلال تأسيس دولة حديثة في الجزائر.

د- خصال الأمير الذاتية : الدرجة العلمية والثقافية والفكرية والصوفية والجهادية وكونه من سلالة الأشراف .

هـ- خوف العرب الشاميين على مصيرهم وخاصة بعد كثرة الهزائم المتوالية للدولة العثمانية أمام روسيا. (3)

(1)-بوعلام بسايح : الأمير عبد القادر مغلوبا لكن مظفرا ، مرجع سابق ، ص : 237.

(2)- شارل هنري شرشل ، ص : 26.

(3)- محمد صلابي : كفاح الشعب الجزائري ضد الإحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق : ص : 587

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

وتذكر المصادر - كدليل على هذا الترشيح - رسالة الزعيم اللبناني يوسف بك<sup>(1)</sup> التي بعث بها من منفاه بروما الى الأمير عبد القادر والتي جاء فيها : " إن فخامتكم أحق وأولى من غيرها بالإمارة وذلك نظرا للأصل الشريف والمقام الرفيع ونظرا لمقتضيات الظروف وأحكام العناية الإلهية لأن السلطنة في لجج الديون المتوجبة للأجانب . ولم يبق للجنس العربي سبيل للنجاة من غوائل أرباب المطامع إلا بإعطاء القوس راميتها والإمارة مستحقها. " ويؤكد له مرة أخرى في نفس الرسالة فيقول : " لا نجاة ولا نجاح للأقطار العربية جمعاء إلا بالإتحاد تحت رايتكم الشريفة ."<sup>(2)</sup>

ولقد كان موقف الأمير من هذا العرض السياسي دلالة كبرى على بعد نظره وفراسته حيث أنه اشترط لقبول هذا المنصب أمران : الأول هو بقاء البلاد الشامية من الناحية الروحية والأدبية مرتبطة بنظام الخلافة العثمانية . وفي هذا الشرط رعاية لجوانب شرعية تتعلق بوجود نصب الخليفة وأنه واحد لا يتعدد الى غير ذلك من المسائل المرتبطة بهذا المنصب السياسي الحساس في عقيدة المسلم ولا أظن أن الأمير لا يعلمها أو يتجاوزها وهو الفقيه الصوفي ! والشرط الثاني أن يبايعه أهل الشام جميعاً<sup>(3)</sup> . وهذا الشرط يجسد أحد الركنين - كما مر معنا - لمشروعية كل حاكم في النظرية السياسية في الإسلام وهي رضا الأمة عن

---

(1) - يوسف بن بطرس كرم : (1238-1306هـ - 1823-1889م) . من قرية أهدن التي كان أميراً عليها بعد أبيه ، بعد حادثة 1860م عينه الوالي فؤاد باشا في بلده " وكيل قائم مقام " اعتزل من منصبه لأنه كان يطمح لشغل منصب " متصرفاً وطنياً " بعد انتهاء عهدة المتصرف الأجنبي " داوود باشا فاعتقله " الباشا " فؤاد، ونفاه إلى الآستانة سنة 1861م ففر سنة 1864م عائداً إلى بلده. وقلق منه داود باشا فأراد القبض عليه، فقاتله، وكثر أنصار يوسف، وظهرت بسالته، ونشبت بينه وبين العساكر اللبنانية معارك. وتوسط القنصل الفرنسي، فأخرجه تحت الحماية الفرنسية إلى فرنسا سنة 1867م فتنقل في أوربا. واستقر في " نابولي " بإيطاليا، محتفظاً بجنسيته العثمانية، معلناً أنه لم يخرج على السلطان، بل دفع عن نفسه ظلم " داود " ومات في " نابولي " ونقل أقاليمه جثمانه إلى " إهدن " وأقيم له فيها " تمثال " بعد مدة. وكان له اشتغال بالأدب، جمعت منظوماته في " ديوان " لم يطبع. انظر ، الزركلي ، ج 8 ، ص : 221-222.

(2) - انظر نص الرسالة ، سمعان خازن : يوسف بك كرم في المنفى ، صفحة رائعة من تاريخ لبنان المجيد في القرن التاسع عشر ، مطبعة الإنشاء ، طرابلس لبنان ، 1950م ، ص : 348 و 349. نسخة إلكترونية رابط الموقع على الأنترنت <https://books.google.dz/> تاريخ الدخول 2019/12/16م.

(3) - هذا الشرط لم يذكره محمد صلابي ، بل ذكر أن الأمير لم يتحمس لهذا المشروع ولم يرفضه. انظر ، محمد صلابي : كفاح الشعب الجزائري ضد الإحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر، مرجع سابق ، ص : 587. ويذكر سعد الله أن الأمير رحب بالفكرة و لكنه كان يرى أن وقتها غير مناسب وهي في حاجة الى انضاج وسط الجماهير وأنه وعد كتابة ومشاهدة بدراسة الموضوع. انظر ، شارل هنري شرشل ، ص : 27.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

طريق بيعة عامة و زيادة على ذلك فإن في البيعة العامة ما يدفع عن الأمير اللائمة والحرَج أمام آل عثمان فوافقته على ذلك أغلبية الحاضرين .<sup>(1)</sup>

ولم يرى هذا المشروع النور في أرض الواقع بسبب ظروف سياسية استجذت قويت بها الدولة العثمانية منها مؤتمر برلين سنة 1295هـ - 1878م و تولي الخلافة السلطان عبد الحميد الثاني<sup>(2)</sup> وتقدم السن بالأمير عبد القادر فطويت صفحة هذا المشروع.<sup>(3)</sup>

ومَّا يتصل بالجانب السياسي للأمير عبد القادر مسألة علاقته بالجمعية الماسونية . وقد تباينت الآراء حول هذه القضية وسنبسط القول في هذه الأقوال المختلفة في ما يلي .

### المطلب الرابع : الأمير عبد القادر وعلاقته بالجمعية الماسونية .

#### البند الأول : تعريف الماسونية :

يرجع الأصل الإشتقاقي للفظة الماسونية للكلمة الإنجليزية " ميسون Mason " التي تعني البناء . وتضاف أيها كلمة " free " بمعنى الحر ، ليصبح المعنى " البناء الحر " ووردت عدة تفسيرات لكلمة " حر " والتي منها المهارة لكي يقع التمييز بين " البناء الماهر " و " البناء الخام غير المدرب " وقيل معناها حرية الذهاب للعمل في أي مكان<sup>(4)</sup> وبمقتضى ذلك تعرف الماسونية بأنها : " مجموعة من التعاليم الأخلاقية

(1) - فؤاد صالح السيد: الأمير عبد القادر في دمشق جوانب من حياته الدينية والعلمية والفكرية ، مقال بمجلة الثقافة ، مرجع سابق ، ص 272 :

(2) - عبد الحميد الثاني : ( 1842 - 1918م ) تقلد السلطنة العثمانية من 1876 إلى 1909م ، اشتهر بالحنكة و الدهاء كان مقاوما للتدخل الغربي في شؤون امبرطوريته المتداعية الى السقوط . وتحت ظغوط دول غربية اظطر الى إحداث أول دستور عثماني ( 23 ديسمبر 1876م ) ولكنه أوقف العمل به سنة 1878م . اتهم من طرف أعدائه بالإرهاب والإستبداد . رعى حركة الجامعة الإسلامية أكرهه رجال حزب تركيا الفتاة عام 1908م على إطلاق الدستور من عقاله ثم خلعه عن العرش عام 1909م . انظر ، منير البعلبكي : معجم أعلام المورد ، إعداد رمزي البعلبكي ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1992م ، ص : 281 .

(3) - فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا ، مرجع سابق ، ص 80 .

(4) - عبد الوهاب محمد المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ط 1 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1999م ، المجلد الخامس ، الفرق الدينية اليهودية ، ج 3 ص : 458 .

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

والمنظمات الأخوية السرية التي تمارس هذه التعاليم والتي تضم البنائين الأحرار المقبولين أو المنتسبين<sup>(1)</sup> والمقصود بالمنتسبين الذين لا يمارسون حرفة البناء حيث اتسع هذا التنظيم ليشمل بعد ذلك كل الحرف. ولسائل أن يسأل لماذا كان أصل ومنطلق و نشأة هذا التنظيم هو حرفة البناء فقط دون غيرها ؟

والجواب هو ما ذكره عبد الوهاب المسيري من أن أصل الجمعيات الماسونية في العصور الوسطى هي نقابات الحرفيين الإقطاعية وكانت شبه مدارس لنشر العلم والخبرات المختلفة الضرورية للمجتمع وكانت جماعات البنائين من أقوى الجماعات في هذه النقابات وذلك لمصادفتها العصر الذهبي لبناء الكاتدرائيات والأديرة والمقابر في زمن سلطة الكنائس وهيمنتها على كل مناحي الحياة والمجتمع.<sup>(2)</sup>

ومنهم من عرفها فقال : " الماسونية أو المصونية كما سماها البعض نسبة لصيانة الأسرار ، جمعية سرية قديمة لم تعرفها بلاد الإسلام إلا في العصور المتأخرة . آخذة إياها عن البلاد الغربية من إفريقية وإنكليزية وإيطالية وألمانية وغيرها ."<sup>(3)</sup> وقيل فيها : " الجمعية الماسونية منظمة رأس هرمها مجهول هدفها الأكبر حسب موثيقها العمل على تحقيق مجتمع إنساني متضامن حر بعيد عن الله وعن الدين وهي متعددة الشعارات والألوان وفي نظامها الداخلي غموض وطاعة عمياء لرأس الهرم."<sup>(4)</sup>

(1) - المرجع نفسه ، ص 458.

(2) - المرجع نفسه ، ص : 459..

(3) - فتحي يكن : حركات ومذاهب في ميزان الإسلام ، شركة الشهاب للنشر والتوزيع ، باب الواد ، الجزائر ، 1989م ، ص : 53.

(4) - محمد صلابي : كفاح الشعب الجزائري ضد الإحتلال الفرنسي ، مرجع سابق ، ص : 602 وما بعدها.

البند الثاني : الإنتظام والمراتب والرموز والواجبات :

النظام الماسوني - كغيره من التنظيمات - يتوجب على من يريد الدخول فيه أن يطلب ذلك بموجب استدعاء - استمارة- ثم إذا استحسن التنظيم إدخاله كلف بوضع إمضائه في سجل خاص وأن يكتب بأنه دخل بإرادته واختياره الى المحفل الماسوني<sup>(1)</sup>. ومراتب العضوية في المحافل الماسونية ثلاث هي :

1- التلميذ أو الصبي ( الملتحق أو المتدرب )

2- زميل المهنة أو الرفيق .

3- البناء الأعظم أو الأستاذ ( أستاذ في الصنعة )

وقد تضاف مرتبة رابعة - حسب المحفل - هي " القوس المقدس الأعظم " . وقد تصل الدرجات الى 33 درجة كما هو الحال في المحفل الإسكتلندي القديم.<sup>(2)</sup>

ويعتبر المحفل الوحدة أو النواة الأساسية في التنظيم الماسوني ويسمى الورشة ويتكون من 7 الى 50 فردا يلتقون في اجتماعات دورية سرية ويرتدون لباسا خاصا مثل القفازات البيضاء والشريط الصدري العريض والمآزر الصغيرة حول الخصر وأحيانا يرتدون الثوب الأسود الطويل . وسرية اللقاءات تتطلب الرمزية والشفرة في الحوار والاتصال وذلك بهدف حماية أفراد المحفل أنفسهم من الدخلاء والأعداء وكذلك لتمييز المنتمين ومعرفة مراتبهم كما اتخذ التنظيم رموزا خاصة به تتصل بأهدافه ومعتقداته منها : المثلث - الفرجار - المسطرة - المقص - الرافعة - النجمة الخماسية - وتتصل هذه الرموز بحرفة البناء وسيلحقها بعد ذلك

(1)- الأمير محمد سعيد الجزائري : الأمير عبد القادر والجمعية الماسونية ، مقال بمجلة الحقائق ، مج2 ، ج2 ، دمشق ، 1329هـ ، ص : 78. نقلا عن فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا ، مرجع سابق ، ص : 77. وقد بين صاحب المقال عدم ثبوت هذا الإجراء التنظيمي ولا توجد الى اليوم وثيقة تاريخية تدل على انحراط الأمير في الجمعية الماسونية؟!  
(2)- عبد الوهاب محمد المسيري ، مج5 ، ص : 458.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

تفسيرات خاصة كما سنبينه لاحقاً. كما يخصون الأرقام 3 ، 5 ، 7 بأنها رموز تساعد على إكتشاف النور.<sup>(1)</sup>

وللمنخرط في هذا التنظيم واجبات نصت عليها " كتب الواجبات " أو " التعليمات " أو " الدساتير " كما هو موجود في مخطوط ريجيوس سنة 1390م .ومن هذه التعليمات : وجوب مساعدة الزملاء وعدم ذمهم ، عدم إيواء الدخلاء. والماسوني هو " ذكر بالغ يلتزم بالنسق الديني الذي يوافق عليه جميع البشر. " <sup>(2)</sup> وقد جاء في الدستور الماسوني لسنة 1733م الصادر في إنجلترا أن الماسوني " لا يمكن أن يكون كافراً غيباً أو فاسقاً غير متدين " وعليه أن يحترم السلطات المدنية ولا يشترك في الحركات السياسية.<sup>(3)</sup>

### البند الثالث : الروافد والتطور:

زيادة على أصل حرفة البناء ورموزها تذكر أصول و روافد أخرى للفكر الماسوني منها هيكل سيدنا سليمان عليه السلام الذي يعتبر البناء الأول وهيكله هو رمز الكمال الذي يطمح كل الماسون الى بلوغه. كما تعتبر جماعات فرسان الهيكل و الإستبارية " فرقة الإسعاف " التي ظهرت في الشرق الأوسط بسبب الحروب الصليبية التي تأثرت بأفكار بعض الجماعات الإسلامية مثل الدروز والطائفة الإسماعيلية والحشاشين وهذا مايفسر التشابه الكبير بين الماسون وشيخ الجبل رئيس جماعة الحشاشين وذلك في طريقة العمل السرية وتجنيد الأعضاء الجدد ونظام العضوية والمراتب. وقد انتشر المد الماسوني بفضل هؤلاء في أوروبا في العصور الوسطى وتمكنوا من جلب رؤساء مجموعات المؤسسات المالية الضخمة ذات النفوذ القوي.<sup>(4)</sup> ومنهم من يرجح أن الماسونية من ابتكار اليهود لتأسيس مملكة إسرائيل العالمية. ويدل على ذلك ما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون قولهم : " وإلى أن يأتي الوقت الذي نصل فيه الى السلطة ، سنحاول أن نشئ ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار في جميع أنحاء العالم...." وقيل أصلها من قدماء يونان القرن

(1)- المرجع نفسه ، ص : 459.

(2)- المرجع نفسه ، ص : 460 وما بعدها .

(3)- المرجع نفسه ، ص : 462.

(4)- عبد الوهاب محمد المسيري ، مج5 ، ص: 460.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

الثامن بعد الميلاد . كما توجد روايات تاريخية ترجع أصل حرفة البناء الماسوني الى بناء هيكل سليمان المقدس وسقوط أربعة بنائين شهداء مسيحيين قتلهم الرومان وأصبحوا قديسي البنائين. ورأي آخر أوصلها الى الكهانة المصرية أو الهندية القديمتين .<sup>(1)</sup>

وقد حصل تطور للفكر الماسوني بداية من عصر النهضة والإصلاح الديني (ق16م) حيث توقف شريان الجماعات الماسونية والمتمثل في حركة البناء القوية للكاتدرائيات وغيرها من البناءات الكاثوليكية والأديرة والمقابر لتحل محلها مشاريع البناء الضخمة بسبب النهضة الحاصلة تحت وصاية الدولة القومية الجديدة التي قضت على سلطة الكنيسة . وكمثل المؤسسات الإقطاعية الكبرى تحولت المحافل الماسونية الى جمعيات خيرية وتساهلت - مضطرة - في شروط العضوية وفتحت الباب لكل الحرف الأخرى وتحول البناء وأدواته من وظيفة الى رموز تحمل معاني فلسفية واسعة - كما سنبينه - تنسجم مع التطور والإنتشار الجديدين.<sup>(2)</sup>

وعن اتساع هذه الحركة وتأثرها بفلسفات غنوصية كثيرة وعن تطور مغزى رموزها يقول المسيري : " وقد اختلطت فلسفة البنائين بالفلسفة الهرمسية السائدة في عصر النهضة في إنجلترا وهي فلسفة غنوصية ذات طابع افلاطوني حيث ارتبطت بهرميس تريسميجيستوس ، وهو شخصية رمزية أساسية في الفكر الغنوصي حيث كان يعدُّ نبياً قبل المسيحية ، وكان يعد رسول الآلهة للبشر ويحمل المعرفة الخفية الباطنية ( الغنوص ) . كما اختلطت فلسفة البنائين أيضا بالحركة الروزيكروشيانية<sup>(3)</sup> التي ورد أول ذكر لها في القرن السابع عشر وهي جماعة غنوصية تدعي أنها تمتلك الحكمة الخفية عند القدماء . وقد أدى تداخل رموز البنائين وأسرارهم مع الفلسفة الهرمسية والروزيكروشيانية الى أن سقطت تماما القيمة الوظيفية لحرفة البناء كما سقطت أدواتها ( الفرجار ، والذراع والبوصلة والمثلث والمئزر والمزولة ) واكتسبت قيمة رمزية فلسفية ،

(1)- فتحي يكن ، ص : 54.

(2)- عبد الوهاب محمد المسيري ، مج5 ، ص : 460.

(3)- : روزيكروشيان بالإنجليزية Rosicrusian نسبة الى روز rose بمعنى وردة وكروس CROSS أي صليب. المرجع نفسه والصفحة نفسها

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

فتحول ميزان البنائين ( على سبيل المثال ) الى رمز العدالة وتحول الفادن ( وهو خيط رفيع في طرفه قطعة من الرصاص تمتحن به استقامة الجدار ) الى رمز استقامة الحياة وأفعال الإنسان.<sup>(1)</sup>

### البند الرابع : المعتقد .

وبالرغم من الطبيعة الجيولوجية المركبة لرموز الماسونية وبالرغم من أصولها الصوفية والغنوصية فقد كانت جزءا هاما من الثورة العلمانية الشاملة التي تفجرت في الغرب في القرن 16م والتي كان مثلها الإعتقادي الأعلى إزالة فكرة حاكمية الخالق من الكون والإيمان به يبقى محصورا في دائرة ضيقة مبتوتة الصلة بمناهج الإنسان الحياتية. ونستطيع أن نرصد الأفكار الرئيسية للمعتقد الماسوني في العناصر الآتية :

1-إحلال الإنسان محل الإله وجعله يتحكم في الكون عن طريق اكتشاف قوانين الطبيعة الهندسية والآلية .وهي بهذا - الماسونية العلمانية - أصبحت غنوصية جديدة تهدف الى التحكم في الكون لا من خلال المعرفة الخفية وإنما من خلال الصيغ العلمية .<sup>(2)</sup>

2-إسقاط الدين المعتمد على الوحي السماوي مع الإحتفاظ-صوريا- بفكرة الخالق الهامشية خشية الثورة الفلسفية العامة.

3-التحلي بالفضائل المدنية من منطلق صفة المواطنة في الدولة القومية الجديدة وإزاحة الفضائل الدينية لدى الإنسان المتدين الذي ينتمي الى الكنيسة ويؤمن بعقيدة منزلة .

4- السعي لتوحيد البشر من خلال العقل.

5-أن يكون العالم في اتحاد أخوي وإلهي ونلاحظ هنا نموذج حلولي واحدي كامن !

(1)- عبد الوهاب محمد المسيري ، مج3 ، ص : 461.

(2)- المرجع نفسه ، ص : 461



## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

6- تبني الفكر الماركنتالي الأرستقراطي واعتبار مصلحة الدولة أولى من مصلحة الدين والخضوع للسلطة المدنية أكثر من الخضوع للخالق ( الكنيسة )

7- الإعتماد على الطبقات الكادحة والوسطى وعدم تسليمها صولجان الحكم والقيادة. (1)

### البند الخامس : الإنتشار.

ولقد انتشرت المحافل الماسونية في فرنسا سنة 1725م من خلال محافل خمسة كبرى هي : محفل الشرق الكبير - محفل فرنسا الكبرى - المحفل الوطني الفرنسي الكبير - الإتحاد الفرنسي للحقوق الإنسانية - محفل فرنسا الكبير للنساء (2) وفي إنجلترا في القرن 17م وفي إيطاليا وألمانيا سنة 1733م.

كما انتشرت الماسونية في المستعمرات والمخيمات البريطانية : مصر وفلسطين والهند المملكة الأردنية

الهاشمية

وفي استراليا والولايات المتحدة الأمريكية. وفي تركيا من خلال يهود الدوغة .

وكان لها انتشار في الساحل الإفريقي من ذلك ما وجد في تونس: محفل أطفال قرطاجنة برئاسة انطونيو فينا سنة 1858م. ومحفل " المثابرة " برئاسة بامبيو. وفي الجزائر: محفل أطفال مارس بسكيكدة سنة 1814م وكان مقره في سنة 1926م بشارع يوغرطة ورئيسه ألبارت أوبارتين. وبقسنطينة محفل " هبوية " سنة 1900م ومحفل " نجمة الساحل " سنة 1901م وبقالمة محفل " أخوة كلاما " وبسطيف محفل " الوفاق السطائفي " ومحفل " جوريس " وبسوق أهراس محفل "نوميديا " وقد عملت هذه المحافل على منع أبناء المسلمين تعليم اللغة العربية والقرآن في الكتاتيب بطرق سرية (3)

(1)- عبد الوهاب محمد المسيري ، مج 3 ، ص : 462.

(2)- ونلاحظ هنا تباين في معتقدات المحافل حيث يقتصر فيها على الذكور في بعضها ويفتح المجال للنساء في بعضها الآخر وقد يكون سبب ذلك ما حصل من نخصة شاملة غيرت النظرة الى طبيعة المرأة ووظيفتها داخل المجتمعات.

(3)-. محمد صلاحي : كفاح الشعب الجزائري ضد الإحتلال الفرنسي ، مرجع سابق ، ص : 602 وما بعدها .

ومن الشخصيات التي انضمت للمحافل الماسونية :

ملكا بروسيا ، فريدريك الثاني والثالث وملوك شبه جزيرة إسكندنافيا وملك النمسا جوزيف الثاني ونابليون الثالث وأفراد عائلته وفولتير ومونتسكيو والأنسكلوبيديين ( الموسوعيين ) وفخته وجوته وجورج واشنطن وماتزنيو غاربيالدي وأعضاء الجمعية الملكية وكثير من رجال الشرطة والقضاء في بريطانيا ونصف أعضاء الجمعية العمومية عشية الثورة الفرنسية سنة 1789م وميرابو ولافايت .

أحد أبناء محمد علي باشا وعضوية شرفية لسعد زغلول ويوسف وهي (1).

البند السادس : نقد دعوى انتساب الأمير للجمعية الماسونية :

لقد أسهنا في التعريف بالفكر الماسوني وبيننا أصله التاريخي و تعرضنا لتطور رؤاه وتصوراته وكشفنا عن معتقداته وذلك لسببين اثنين : أولهما مهم و منهجي اقتضاه مقام البحث الذي يتعلق بتوضيح عنصر من عناصر هذا المطلب والثاني وهو الأهم أن يتبين للناظر عظم الفرية على الأمير بنسبة الماسونية الى شخصه واتهامه بأنه كان من المنتمين الى فكرها الإلحادي والعلماني والغنوصي كما بينا !

ولأمر ما لم تثر هذه الفرية في حياة الأمير ، فبعد وفاته في يوم 26 ماي 1883م ، أعلنت الجمعية الماسونية أن الأمير قد انتسب اليها وزعموا أن هناك نصوصا ماسونية موثقة تثبت هذا الإنتساب وأنه كلف رسميا من طرف الحكومة الفرنسية بإنقاذ آلاف المسيحيين في مذبحه دمشق.(2)

-مناقشة رأي تشرشل وإبطاله :

وأول من بث هذه النسبة هو المستشرق البريطاني تشرشل في كتابه " حياة الأمير عبد القادر " حيث أورد ما نصه : " إن الجمعية الماسونية في الإسكندرية قد سارعت بالترحيب بالعضو الجديد الشهير . فقد دعى المحفل الماسوني ، المعروف بمحفل الأهرام للإجتماع خصيصا لهذه المناسبة ، عشية الثامن عشر من

(1)- عبد الوهاب محمد المسيري ، مج3 ، ص : 462 و ما بعدها.

(2)- محمد صلابي : كفاح الشعب الجزائري ضد الإحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر ، مرجع سابق ، ص : 601.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

يونيو . وأدخل عبد القادر في هذا النظام الصوفي الغامض . وقد أضيفت الى ميزة " مجاور النبي " ميزة " ماسوني حر ومقبول " <sup>(1)</sup> ولكن الثابت كما مر معنا أن المستشرق هنري قد كتب مضامين كتابه من إمالات الأمير عليه مباشرة في الفترة الممتدة بين سنتي 1859 و 1860 الميلاديتين حيث سمع وكتب حينها مضمون ثلاثة وعشرين فصلا . وقد فارق الأمير بعدها وكتب الفصل الرابع والعشرين - كما يذكر هو بنفسه- من شهود عيان ولم يذكر من هم ؟! . يقول شرشل مبينا هاتين الحقيقتين : "... لذلك أقمت في دمشق أثناء شتاء سنة 1859-1860 بهدف وضع عزمي موضع التنفيذ ، ورغم أن الأمير كان شحيحا في وقته . فقد رضي أن يمنحني مقابلة ساعة يوميا ، وهكذا فتح المنجم أمامي . وبقي علي أن أستخرج الحام . وقد فعلت ذلك مدة خمسة أشهر (...). ولم يكن يخطر على بالي وأنا أغادر دمشق في ربيع 1860 أن فصلا آخر كان يوشك أن يضاف الى تاريخه الغريب كثير الوقائع " <sup>(2)</sup> ويخبرنا عن مصدر ما كتب عن الأمير بعد هذه الفترة فيقول : " فقد حصلت على تفاصيل على درجة كبيرة من الأهمية والصحة من مشاهدي العيان . " <sup>(3)</sup> ومعلوم أن دعوى انتساب الأمير للماسونية كانت بعد أربع سنوات من فراق شرشل للأمير أي في سنة 1864م حيث ذكر جرجي زيدان <sup>(4)</sup> فقال : " وفي أثناء عودته من الحجاز سنة 1864م مرّ بالإسكندرية وانتظم في سلك الجمعية الماسونية في 18 يونيو من تلك السنة " <sup>(5)</sup> .

### -نزار أباطة ودعوة بدون دليل :

(1)- شارل هنري شرشل ، ص : 292.

(2)- المرجع نفسه ، ص : 36 و ما بعدها.

(3)- المرجع نفسه ، ص : 37.

(4)- جرجي بن حبيب زيدان : (1278-1332هـ = 1861 - 1914 م). عربي مسيحي ، منشئ مجلة (الهلل) بمصر، وصاحب التصانيف الكثيرة. ولد وتعلم ببيروت، ورحل إلى مصر، فأصدر مجلة الهلال (اثنين وعشرين عاما) وتوفي بالقاهرة. له تصانيف كثيرة منها : تاريخ مصر الحديث - تاريخ التمدن الإسلامي - تاريخ العرب قبل الإسلام - تاريخ الماسونية العام - تراجم مشاهير الشرق - الفلسفة اللغوية - تاريخ اللغة العربية - آداب اللغة العربية - أنساب العرب القدماء - علم الفراسة الحديث - طبقات الأمم - عجائب الخلق - التاريخ العام - مختصر تاريخ اليونان والرومان - مختصر جغرافية مصر - و 22 رواية مطبوعة . انظر ، خير الدين الزركلي ، ج 2 ص :

(5)- جرجي زيدان : تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ، ، دت ، الفصل العشرون ، ص : 206 ، نسخة إلكترونية ، الرابط على الأنترنت <https://books.google.dz/books> تاريخ الدخول 2019/12/22...

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

وانتشرت هذه الفكرة في الكتب التي أرخت وترجمت لحياة الأمير من ذلك كتاب " الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد " لصاحبه نزار أباطة حيث ذكر ما نصه : " وفي الإسكندرية عرض عليه الماسونيون الدخول في جمعيتهم ثم توجه الى دمشق فوصلها في 19 محرم 1282هـ - 13/6/1865م " (1)

### -إبطال رأي برونو إتيان :

وكان من أغرب ما ذكر حولها ما قاله برونو إتيان: " إن الرسائل والإثباتات موجودة في الأرشيف الفرنسي .ففي تلك الحقبة كان عبد القادر بحاجة الى حلفاء في الغرب ، إذ كان يفكر أن الغرب لديه التكنولوجيا والشرق لديه الروحانية .إذن كانت الكنيسة الكاثوليكية مع المسيو ديوش أحد هذه العناصر الممكنة لهذا التبادل الذي يقوم على الحوار بين المسيحيين والمسلمين : هذه هي الماسونية " وفي تقديري أن برونو إتيان أخطأ حين قرر أن من يتحاور من المسلمين مع الغرب المسيحي أو يحاول نقل التكنولوجيا عنهم هو ماسوني ! ونجد ما يقترب من هذا السلوك المستغرب عند جورج زيدان حين زعم أن صلاح الدين الأيوبي ماسوني وحثه في ذلك هو حسن المعاملة والإسعاف الطبي الذي قدمه صلاح الدين الأيوبي الى عدوه في الحرب الصليبية " ريكاردوس<sup>(2)</sup> قلب الأسد !! " <sup>(3)</sup> إلا أن الثابت تاريخيا كما سبق ذكره أن الأمير لم يكن له اتصال بالتنظيم الماسوني إلا ما كان من أمر المراسلات التي وصلت إليه من زعماء هذا التنظيم وقد ذكرناها في الرسائل التي وردت على الأمير عقب موقفه من فتنة الشام الطائفية سنة 1860م

-بيان مضمون الرسائل الماسونية وأنها لا تحمل دليلا على الإنتساب: وتجنبنا للتكرار

سنكتفي بالإشارة إليها وسنذكر كل ما وصله من الجمعيات على اعتبار ما نحتمله من أن كل الجمعيات الموجودة في الغرب في تلك الفترة هي جمعيات ماسونية - كما بينا في عنصر تطور التنظيم الماسوني -

(1)- نزار أباطة ، ص : 26.

(2)- ويسمى أيضا ريتشارد قلب الأسد انتخب سنة 1155م استادا أعظم للمحافل الماسونية في انكلترا .وكان أستاذا أعظم لجماعات " الهيكلين " ، فقبل الدعوة ودام رئيسا للحركتين حتى توفي. فتحي يكن ، ص : 65.

(3)- المرجع نفسه ، ص : 65.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

-جمعية الفرانماسونية بباريس تشيد بصنيع الأمير في فتنة دمشق وترسل له برسالة مؤرخة في 1860/10/02م وليس فيها أي إشارة أو دعوة للأمير بالدخول الى المحافل الماسونية

-جمعية عمل الخير إصابة المصابين في البر والبحر وفيها أيضا شكر للأمير على ما قام به من أعمال الخير في سوريا سنة 1860م .وقد ورد فيها منح العضوية الشرفية للأمير .و تنتهي بعبارة بباريس ، آخر جوان 1861م .

-الجمعية الأميركية الشرقية في باريس وفيها الإعلان عن منح الأمير العضوية الشرفية وهي مؤرخة في باريس 12 جويلية 1860م

-محفل الأهرام الماسوني بالإسكندرية : يعقد اجتماعا عشية 18 جوان 1864م ويقرر - دون مشاورة الأمير؟! - إدخال الأمير الى النظام الماسوني .<sup>(1)</sup>

### الأمير محمد سعيد يبطل دعوى انتساب جده للمحفل الماسوني :

ويكشف الأمير محمد سعيد حفيد الأمير عبد القادر عن فحوى هذا الاجتماع حيث يذكر أن الأمير عبد القادر وهو في طريق عودته الى سوريا من الحجاز مر على الإسكندرية فاغتنم المحفل الماسوني الفرصة وأوفد الى الأمير هيئة من أعضائه وعرضت عليه مبادئها وفضائل الماسون في خدمة الإنسانية فشكرها الأمير على عملها الذي ادعته . فاتخذ البعض هذا الاجتماع ذريعة لدخول الأمير الجمعية الماسونية !<sup>(2)</sup> . وقد مر معنا أن الإنخراط في النظام الماسوني يكون بناء على طلب كتابي يقدمه العضو الجديد وترتيبات أخرى موثقة . ولم يتثبت ارخيا هذا الأمر للأمير . وكيف يعقل أن ينخرط الأمير في هذا التنظيم الذي لا يتماشى مع عقيدته الدينية ؟<sup>(3)</sup> وكتب هذا الحفيد مقاله ينفي عن جده انخراطه في التنظيم الماسوني سنة 1329هـ أي بعد وفاة الأمير ب29 سنة وقد كان الإنتماء يومها لهذا التنظيم منقبة

(1)-راجع نصوص هذه الرسائل في عنصر سابق من هذا الفصل بعنوان : وزن الأمير السياسي في الدبلوماسية العالمية.

(2)- الأمير محمد سعيد الجزائري : الأمير عبد القادر والجمعية الماسونية ، مقال بمجلة الحقائق ، مرجع سابق ، ص : 77.

(3)- المرجع نفسه : ص : 78.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

وفخر وليس تهمّة كما هو اليوم . والعجيب أن لا تثار هذه المسألة في ذلك الزمن الأول تعقيبا على مقال الحفيد الذي كتب في الجرائد وتثار في هذا الزمن الأخير؟!

### -بيان رد الأمير على طلب أعضاء الجمعية الماسونية :

وتوجد شهادة أخرى عن فحوى هذا الإجتماع وهي للسيد بدر الدين ابن أحمد الشقيق الأصغر للأمير عبد القادر ، يقول فيها : " سمعت عمي الأمير عبد القادر يقول : عندما حضرت حفل افتتاح قناة السويس سنة 1869م<sup>(1)</sup> أتاني بعض أعضاء الجمعية الماسونية يدعونني الى الإنضمام إليها ، فقلت لهم إلى أي شيء تدعون ؟ قالوا ندعو الى التكافل والتضامن فيما بيننا . فقال لهم الأمير : لا يجوز عندنا نحن المسلمين أن يتكافل البعض دون الكل . فانصرفوا . " <sup>(2)</sup> و لا يفوتنا أن نشير هنا الى ما ينطوي عليه رد الأمير من تميز في فلسفته الإنسانية والعالمية والجمعية والواقع التاريخي للمحافل الماسونية أثبتت عدم وفائها لما تدعو إليه من معتقد الحرية والمساواة والإنسانية ووقوعها في مواقف عنصرية حيث رفضت المحافل الألمانية والإسكندنافية عضوية اليهود وكذلك فعلت المحافل الأميركية مع الزوج واستبعدت المحافل البريطانية في الحرب العالمية الأولى الأصول الألمانية والنمساوية والمجرية والتركية .<sup>(3)</sup>

### - المسيحي يوضح وينفي ثبوت عضوية الأمير في التنظيم الماسوني :

وفي مقال للمسيحي في موسوعته الكبرى عن اليهود يرفع فيه اللائمة عن بعض الساسة والزعماء الذين انخرطوا في المحافل الماسونية ويبرؤ نوابيهم حيث كان قصدهم من هذا الإنتماء خدمة مشاريعهم النهضوية واستغلال الصراعات الموجودة بين الحافل الماسونية نفسها بسبب تضارب مصالح بلدانها . ولم يكن انخراطهم عن تأثر بمذاهب الفكر الماسوني و " كان من بين هؤلاء الشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والأمير عبد القادر الجزائري (...) ولنا أن نلاحظ أن الأفغاني قد اكتشف حقيقة الماسونية في

(1)- يلاحظ أن تاريخ 1869م ذكر أيضا في مقال الأمير سعيد خلافا للمراجع الأخرى التي تذكر سنة 1864م .

(2)- ابراهيم مياسي : روح الأمير عبد القادر عبر المقاومة الجزائرية ، مطبعة دار هومة ، بو زريعة ، الجزائر ، 2012م ، ص : 202.

(3)- عبد الوهاب محمد المسيحي ، معج 3 ، ص : 459.

## الفصل الرابع : الممارسة السياسية في حياة الأمير عبد القادر

---

وقت مبكر ، وتوصل الى الأسس العلمانية التي يقوم عليها خطابها الديني ، ومن ثم ناهض هذه الأفكار في كتابه " الرد على الدهريين " . أما عبد القادر الجزائري فلا توجد تفاصيل حول علاقته بالماسونية .<sup>(1)</sup> وليس من السهل بمكان أن يقرر المسيحي - وهو من هو في البحث والإستقصاء الموسوعي - عدم ثبوت عضوية وانتماء الأمير للمحافل الماسونية .

ولعل في ما قدمناه من شواهد حول عدم ثبوت عضوية الأمير عبد القادر في النظام الماسوني القدر الكافي وهو في نفس الوقت فيه من الدلالة على الوجه السياسي البارز للأمير عبد القادر الذي تناولته في هذه المسألة مراجع بحثية كثيرة.

---

(1) - المرجع نفسه ، ص : 464 .

# خاتمة

جامعة الأميرة  
عبد القادر  
للعلوم الإسلامية



الخاتمة :

لقد كانت الغاية الكبرى من هذا البحث رصد التجربة الصوفية والممارسة السياسية للأمير عبد القادر الجزائري من خلال مصادر ومراجع عديدة مؤملين أن نكون قد قدمنا إضافات جديدة في تاريخ الأمير الصوفي والسياسي والتي في ما نعتقد أنها لامست الإشكاليات التي أشرنا إليها في مقدمة هذا البحث . وقد حرصت أن يخلص بحثنا الى إبراز جملة من النتائج و التنصيص على بعض التوصيات تكون بمثابة آفاق مستقبلية للباحثين.

1- الوقوف على تاريخ الزاوية القادرية في بغداد باعتبارها الزاوية الأم لزاوية القيطنة بسهل غريس والتي شيدها جد الأمير مصطفى بن مختار والتي تأسست على منهج كنا كثيرا ما أومأنا إليه في سياقات كثيرة تضمنت شعار " السبحة والسيف " .

2- التأكيد على أن المشرب الصوفي الأول للأمير كان في الجزائر حيث كانت زاوية أجداده بالقيطنة على صلة بالنهج الصوفي القادري ولقد قرأ فيها الأمير من كتب ابن عربي الحاتمي قبل أن يهاجر الى الشام.

3- كما حاولت قدر المستطاع من خلال المنهج التحليلي التدليل على أن حياة الأمير بشقيها الجهادي والتعليمي، هي استمرار لنهج التصوف السني الذي أنتج روادا من مثل ابن تيمية، والعز بن عبد السلام، ونور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي وغيرهم من شيوخ التصوف الذين صدوا جحافل التتار وغارات الصليبيين.

4- تأسيس الأمير مشروعا دنيويا تمثل في بناء دولة فنية مكتملة الأركان طُكِّت فيها العملة وتولت إدارتها مجالس شورية من منطلق صوفي ديني. كما كان لها جيشا نظاميا وتمثيلا دبلوماسيا وقد أسهبت في بيان

المشاريع التنظيمية للأمير لكي تكون دليلا تاريخيا لتفنيد فكرة أن الحركة الإنسانية في التصورات الصوفية هي حركة للخلاص الفردي وذلك بمعاينة المطلق والفناء فيه و الزهد في الدنيا والإنقطاع الى الله وطرح ما سواه.

5-التنبية على تغييب التصوف السني في الدراسات الفلسفية المعاصرة والتركيز على التصوف الفلسفي واعتبار شطحاته - وما أكثرها - إبداعا فلسفيا وثورا عقليا تسوّدُ به الصفحات وتعمد من أجله الملتقيات وقد أشرت في بحثي الى دور حركة الإستعمار الحديث والمعاصر في تغييب الأول و الترويج للثاني.

6- استغلال الدوائر الغربية والإستشراقية تدريس التصوف لتحقيق غايات سياسية وعلمانية فيها زحزحة وزعزعة للثوابت الفكرية والعقدية للشرق الإسلامي و تسويق كل ذلك عن طريق أكاديميات المشاريع والبحوث الجامعية التي يتم فيها التركيز على مشاريع الدراسات التفكيكية والحفرية للنصوص الدينية وتغليب حرية المعتزلة والفكر المشائي على أصول الفقهاء و خاصة الحنابلة الأشعريون والتركيز على مسائل الهوية والإثنية والإرهاب والتسامح والأنسنة والإسلام الأصولي والسياسي والإشادة بعقيدة الحلاج وديمقراطية اليونان وآلهته المتعددة ووحدة الوجود الفلسفية وجزيرة ابن طفيل التي يفر إليها النخبة والمتقفون تاركين زمام المجتمع لميكيفيلية الجاه والمال والسياسة.

7- معاداة الإستعمار الحديث للتصوف السني الذي حاربه روسيا في شخص شامل الداغستاني الشيشاني و حاربه ايطاليا في شخص عمر المختار السنوسي و حاربه فرنسا في الجزائر في شخص العَلَمَيْن الجامعين لشعاره " السبحة والسيف " : الأمير عبد القادر الهاشمي وعبد الحميد ابن باديس الصنهاجي الأمازيغي .

8- منهج الأمير الصوفي العرفاني: وقد بين الأمير في مقدمة كتابه المواقف طبيعة المنهج الذي ارتكز عليه في نظرية المعرفة الصوفية عنده والتي بين بأن مصدرها هو نفثات روحية و إلقاءات سبوحية بعلوم وهبية وأسرار غيبية ، من وراء طور العقول ، وظواهر النقول خارجة عن أنواع الإكتساب والنظر في كتاب فالنفت والفيض والوارد هو منهج مستقل في تلقي المعارف كما سبق لنا وأن بيناه في مبحث تعريف التصوف وقد بينا مشروعيته عند كل من أبي حامد الغزالي وابن خلدون وتؤيده شواهد قرآنية و حديثية ثابتة ذكرناها في بحثنا. ومراً معنا أن الأمير تحدث عن مناهج ثلاثة للمعرفة وهي المنهج العقلي والمنهج النقلي والمنهج العرفاني وهو عنده أشرفها وأعلىها.

9- معالجة إشكالية علاقة المثقف بالسلطة وضرورة أن يبادر أصحاب الفكر والفلسفة والدين و العلم والخلق - كل في اختصاصه - الى المبادرة وأن يكونوا هم الرأس الذي يقود ، كما فعل الأمير حينما خرج بعلمه وتصوفه الى معترك السياسة ولهب الحروب مجسداً بذلك مذهب الفيلسوف الفارابي الذي يشترط أن يكون رئيس المدينة نبياً أو فيلسوفاً ولم يتبع مذهب ابن طفيل الذي يفضل هجرة الفلاسفة والنخبة الى جزيرة بعيدة سماها جزيرة السعداء . وكم عانت المجتمعات و خاصة لإسلامية منها من نكبة عزوف النوابغ والكفاءات أو تهميشها وما حروب الربيع العربي التي نادى بإسقاط الأنظمة عنا ببعيد.

10-- بيان الوجه الجمعي للأمير الصوفي الذي زواج بين الروح الإنساني المتسامح ، و السلفي - الأرثوذكسي- المجاهد . فمن الجوانب المهمة في شخصية الأمير الواقعية والتي حاولت قدر المستطاع معالجتها في مواضع عديدة من بحثي هي جدلية الأنا والآخر المتصلة بالروح العالمية والإنسانية التي تربي عليها الأمير عبد القادر حيث يدلنا التسامح الذي أبداه الأمير في التعامل مع الآخر واستيعابه حتى ولو كان هذا الآخر عدواً وقد مر معنا في فترة جهاده جوانب عديدة لهذا التواصل الإنساني وتكفي الإشارة الى ذكر أسماء فقط كنماذج لهذا الآخر : بيجو ، ديميشال ، درويه درلون ، لاموسير ، الدوق دومال ، اليهودي بن دوران ، ليون روش ،

أسرى الحرب ، نابليون الثالث والقائمة طويلة من هذا الآخر المحارب ثم بعد ذلك في ما أبداه الأمير من تعامل مع مسيحي نصارى الشام . هذا التعامل الذي يمثل حقيقة تتعلق بحضارتنا العربية الإسلامية ، هذه الحقيقة التي غيبتها الغرب - وما زال - بمركزته ونرجسيته فهو دائما الآخر المنظم والمتحضر والحقوقي والديمقراطي وفي المقابل يوجد الأنا - الذي هو نحن - الذي يمثل التخلف والخرافة والتطرف ولما لا الإرهاب والظلامية التي تعادي كل مفهوم جمعي وتعايش سلمي !؟

11- حول نسبة كتاب المواقف للأمير : فبعد أن حصل التواتر - كما بينت في ثنايا البحث - بين المؤلفين على أن من مؤلفات الأمير الأساسية هو كتابه المواقف وقد صرح بذلك ابنه البكر الأمير محمد في تحفة الزائر حيث قال : " وله تآليف عديدة وحسبك منها كتاب المواقف في علم الحقيقة وهو لعقد تأليفه واسطة النظام ولطلع مجده بيت القصيد و حسن الختام . " أثارت الأميرة بديعة الحسيني قضية عدم نسبة كتاب المواقف لجدها الأمير وكان الجديد الذي قدمته في هذه الأطروحة هو جمع ما تناثر من آراء ودراسات تحقيقية متباينة وقد استعنت في هذا الشأن بمصدرين اثنين استفدت منهما كثيرا الأول نسخة خطية لكتاب المواقف صورتها من المكتبة السليمانية بمدينة اسطنبول لما قمت بزيارتها في منحة علمية سنة 2017م. والثاني نسخة من كتاب المواقف مطبوع من ثلاثة مجلدات من تحقيق وتقديم بكرى علاء الدين وقد وصلت بعد دراسة وتمحيص بلغ عدد صفحاتها 37 صفحة الى ترجيح نسبة كتاب المواقف الى الأمير عبد القادر .

12- شبهة " وحدة الوجود الفلسفية " وبراءة فكر الأمير منها : وبعد التفصيل والتفريق بين وحدة الوجود الفلسفية الإلحادية التي تساوي بين الخالق والمخلوقات الكونية وبين وحدة الوجود الإسلامية التي تفرق بين الخالق ومخلوقاته وأن جميع ما سوى الله يستمد حقيقة وجوده من الله الواحد الخالق المتعالي على خلقه ، أسهبنا في ذكر الأدلة والشواهد والنصوص من أقوال كل من ابن عربي الحاتمي والأمير عبد القادر التي تبين معنى وحدة الوجود عندهما وأنها بعيدة كل البعد عن ومعاني وحدة الوجود الإلحادية الفلسفية .

ومما ذكره الأمير في نبد عقيدة وحدة الوجود الفلسفية قوله : " واحذر أن ترميني بجلول أو اتحاد أو امتزاج أو نحو ذلك فإني بريء من جميع ذلك ومن كل ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله -ص- ... " الموقف 284. وأيضا : " وأحذر أيها الواقف على هذا أن ترمينا بجلول أو اتحاد أو زندقة أو إلحاد ، فنحن بريئون من فهمك الأعوج وعقلك الأهوج . " الموقف 64 .

13- شبهة علاقة الأمير بالجمعية الماسونية : ولقد رصدنا لهذه الشبهة اثنا عشر صفحة بينا فيها جذور الفكر الماسوني وأصل تكوينه حيث أنها ممنظمات سرية تضم البنائين الأحرار المقبولين أو المنتسبين و هي منظمة رأس هرمها مجهول هدفها الأكبر حسب موثيقها العمل على تحقيق مجتمع إنساني متضامن حر بعيد عن الله وعن الدين وهي متعددة الشعارات والألوان وفي نظامها الداخلي غموض وطاعة عمياء لرأس الهرم. وقد أسهبنا في التعريف بمعتقد الفكر الماسوني وبيننا روافده الفلسفية المتشعبة التي لا يمكن للأمير أن يغفل عنها أو أن لا يدرك ابتعادها عن منهجه الصوفي الإسلامي ! وقد بسطنا الأدلة من خلال المقارنة والتحليل بين الأقوال ثم خلصنا لتبرئة الأمير من الإنتماء للمحافل الماسونية . وبذلك يتهافت القول الذي يزعم أن مواقف الأمير النبيلة والإنسانية التي ظهر بها كانت بأمر من الجمعية الماسونية بصفته كان عضوا منتظما في سلكها ؟ !.

### توصيات وآفاق :

1- جمع الأعمال الكاملة للأمير وترجمتها الى اللغات العالمية الكبرى : الإنجليزية والروسية والفرنسية والإيطالية والألمانية والصينية.

2- جمع كل الدراسات التاريخية والأكاديمية خاصة حول حياة الأمير عبد القادر لإنجاز سيناريو فيلم عالمي حول شخصيته .

- 3- الإستفادة من كتابات الأمير الفلسفية والصوفية وخاصة كتاب المواقف ودمجها في المقررات الدراسية الفلسفية الثانوية والجامعية.
- 4- توسيع وتعميق البحث البيئي والإيكولوجي من خلال كتاب المواقف للأمير عبد القادر لحاجة البشرية اليوم الى فقه هذه المعاني البيئية و اتخاذ الطبيعة موضوع حقوق بالمعنى الصحيح .وقد قمنا في بحثنا بإشارة موجزة الى هذه المعاني .
- 5- التأكيد على مواصلة العمل الأكاديمي كأفق بحثي من خلال الرسائل الجامعية لمسألة الوارد الإلهي والإشراق الصوفي عند الأمير لاسيما وأنه يعتبره منهجا رائدا في المعرفة وهو مقدم عنده على العقل و العلم .
- 6- تعرية الدراسات الصوفية البدعية والشركية وهي التي تتعارض مع مقاصد الشريعة وأدلتها التفصيلية في القرآن والسنة وتشجيع الدراسات البحثية لتنقية تاريخ التصوف السني من شطحات وهنات التصوف الفلسفي الأفلوطيني .
- 7- الإهتمام بتاريخ الزوايا في الجزائر خصوصا ما اتصل منها بالسياسة والتصوف والبحث عن الآثار العلمية لمؤسسيها ومواقفهم السياسية ودراستها دراسة نقدية على ضوء نصوص الكتاب والسنة.
- 8- تعميم علم التصوف العملي والنظري للمساهمة في الإصلاح السياسي والإجتماعي و الإقتصادي :
- من الآثار المتعدية والإيجابية للتربية الصوفية ما تتركه أورد القرآن و الذكر ونافلة الصلاة مثل قيام الليل وركعات الضحى ونافلة الصيام والصدقات من تهذيب للنفوس وترقيق القلوب و قد تكون هي الواقي من خطر الخصومات في العلاقات الإجتماعية والأسرية وكذلك الصراعات و الخلافات التي تفرزها طبيعة العمل المهني والإداري والحزبي والنقابي والجمعوي أين تبرز العداوات والأحقاد الأمر الذي يبدد طاقات الأمة وطاقات

الأفراد، ويعيق الإنجاز الحضاري، ويستطيع التصوف الإسلامي أن يساهم في التقليل من حدة الخلافات بين فئات المسلمين وذلك بما يثبه من روح التسامح من جهة، وبسبب قوة التربية النفسية والخلقية للأفراد .

. وزيادة على ذلك فإن التصوف بما يتركه من صفاء في النفس وقوامة في السلوك وخشية من الله في القلب كفيلا بأن يصلح مفاصل الإقتصاد في عالم الشغل والتجارة المرهق بالمضاربة والغش والرشوة والإحتكار وأكل المال الحرام وتبديد المال العام والتسيب الإداري وعدم الإتقان في العمل وفي الإنتاج الى غير ذلك مما عجزت عن معالجته العقوبات المقررة في القوانين والمراسيم الإدارية . والتي غالبا ما يتفلت منها المخالف بألف وألف حيلة.

فبمقتضى ما سبق ذكره فإننا نؤكد على تعميم التربية الصوفية العملية في مساجد المسلمين وفي أطرها الرسمية . وإدراج مقياس التصوف ومفرداته وتاريخ رجاله في المقررات الدراسية لجميع الأطوار التعليمية في المدارس العامة والخاصة بالقدر والكيف المناسبين لكل مرحلة. ولما لا في الإمتحانات والمسابقات الخاصة بالتوظيف في عالم الشغل العمومي . ولا يصعب على أصحاب العزائم الصادقة من أهل العلم والخبرة - إن فتح لهم المجال - ربط المجالس المنتخبة في مختلف الهيآت الإدارية والسياسية بالتصوف نظريا وعمليا.

# الملخص

جامعة الأمير عبد الوهاب للعلوم الإسلامية



## التجربة الصوفية والممارسة السياسية عند الأمير عبد القادر الجزائري.

تهدف هذه الدراسة البحثية الى الكشف عن مدى ارتباط التصوف والسياسة في شخص وفكر الأمير عبد القادر الجزائري وقد عالجنا هذه المقاربة الفلسفية من خلال خطة متكاملة تتكون من مقدمة وأربعة فصول . وقد حرصنا في مقدمة هذا البحث على التعريف بالموضوع وأهميته وذلك بالتنصيص على الجديد الذي سيضيفه في علاقة السياسي بالديني كما أشرنا الى العناصر البحثية الأخرى المكونة لهذه المقدمة ونقصد بذلك الإشكالية والمنهج والدراسات السابقة والأهداف والأسباب وبيان خطة الدراسة التي تتكون - كما أشرنا - من أربعة فصول .

حيث خصصنا الفصل الأول الذي يتكون من مباحث ثلاثة أبرزنا فيها الروافد التي ساهمت في تأسيس الملمح الصوفي والسياسي للأمير عبد القادر وهي التربية الأسرية ومنهجها التعليمي الصوفي القادري. مع بيان أثر ذلك من خلال بيان سيرته الحربية التي كان منطلقها شعار زاوية أجداده الذي تأسست عليه وهو " السبحة والسيف " .

أما الفصل الثاني فقد اشتمل على ثلاثة مباحث تناولت فيه تجربة الأمير الصوفية في محطات ثلاث ، الأولى قبل خروجه من الجزائر حيث تعرضنا الى تاريخ الزوايا السياسي في الجزائر مع التركيز على نموذجين التيجاني ثم القادري لأنه الأنسب لإشكالية البحث الرئيسية . ثم المحطة الثانية حيث أبرزنا فيها تجربته الصوفية في سجون فرنسا ثم الثالثة وذلك بعد استقراره في دمشق دون أن ننسى محطتان مهمتان وقعتا في رحلتي الحج الأولى بصحبة أبيه والثانية التي خرج إليها من دمشق .

وبينا في الفصل الثالث المعالم الكبرى لفكر الأمير الصوفي من خلال موسوعته الصوفية الكبرى التي اشتهرت باسم المواقف . وخصصنا المبحث الأول للتعريف بكتاب المواقف وقمنا بدراسة حققنا من خلالها ما أثير في السنوات الأخيرة من شكوك حول نسبة هذا الكتاب للأمير عبد القادر أما المبحث الثاني فقد أدرجنا فيه نماذج من الكتابات الصوفية للأمير في كتابه المواقف والتي تبين جانبا كبيرا من خصائص تجربته الصوفية .

وانهينا بحثنا بفصل رابع وقفنا في مبحثه الأول على مميزات الفعل السياسي عند المسلمين من خلال تعريف السياسة والممارسة السياسية بينما خصصنا المبحث الثاني لمحطات كبرى في الممارسة السياسية المتميزة والرائدة للأمير والتي تخدم إشكالية بحثنا الرئيسية من خلال المنهج الفلسفي الذي تجلّى عند الأمير في جمعه بين التصوف والسياسة والمعركة والزاوية والذي أثمر فقها سياسيا جمعيا جسّد المشروع الصوفي الإسلامي الذي استوعب الأنا والآخر سواء كان مسالما أو محاربا جعل الأمير يحارب المسيحية تارة - في جهاده بالجزائر - ويدافع عنها تارة أخرى في دمشق؟! . وقد فصلت القول في ذلك من خلال مواقف الأمير من الفتن الطائفية التي وقعت في لبنان وسوريا ودوره في مشروع المملكة العربية في إفريقيا والشام. وما أثير حول علاقته بالمحفل الماسوني العالمي.

ثم خلصت في الأخير الى خاتمة اشتملت على نتائج وتوصيات.

## **Experience soufie et pratique politique du Prince Abdel Kadir Algerien.**

### **Résumé :**

La présente étude vise à relever l'étendu du soufisme et de l'aspect politique qui se trouve chez la personnalité et la pensée de l'Algérien, l'Emir Abdelkader. Nous avons abordé cette approche philosophique à travers un plan intégré qui se compose d'une introduction et de quatre chapitres.

Dans l'introduction de cette recherche nous avons introduit le sujet et son importance en stipulant les nouveautés qu'il va les ajoutés dans la relation politique avec la religion comme nous l'avons souligné dans les autres éléments de recherche qui composent cette introduction, nous entendons par cela la problématique, le plan d'étude, les études antérieures, les objectif et une description du plan d'étude qui comprend, comme nous l'avons mentionné de quatre chapitres.

Le premier chapitre se compose de trois sections dans lesquelles nous avons mis en évidence les affluents qui ont contribué à la mise en place du caractère mystique et politique de l'Emir Abdelkader qui est l'éducation familiale et sa méthode éducative (soufie, Kadiri) avec une indication de l'impact de cela à travers sa vie militaire qui était basée sur le slogan de son oratoire (la zaouïa) sur lequel il a été fondé qui est le chapelet et le sabre (Sebha et Seif).

Le deuxième chapitre a inclus trois sujets qui traitent l'expérience soufie de l'Emir dans trois stations ; la première était avant son départ d'Algérie, ou nous avons examiné l'histoire des oratoires politiques en Algérie en mettant l'accent sur deux modèles : le Tidjani puis le Kadiri, car il est le mieux adapté à la problématique principale. Dans la deuxième station nous avons souligné son expérience soufie dans les prisons de France et la troisième station après son installation à Damas ; sans oublier deux autres stations qui ont eu lieu lors de son pèlerinage : la première avec son père et la seconde quand il est allé à Damas.

Dans le troisième chapitre nous avons montré les principaux axes de la pensée du prince soufi à travers son encyclopédie mystique majeure, connue sous le nom

de « Mawaquif ». Nous avons consacré la première partie à la définition du livre « el mawaquif » et nous avons mené une étude à travers laquelle nous avons examiné les doutes soulevés ces dernières années concernant l'attribution de ce livre à l'Emir Abdelkader. Quant à la deuxième partie nous avons inclus des exemples des écrits soufis de l'Emir dans son livre « El Mawaquif » qui montrent une grande partie des caractéristiques de son expérience mystique.

Nous avons terminé notre recherche par un quatrième chapitre composé de deux parties, dans la première, nous avons abordé les caractéristiques de l'acte politique chez les musulmans à travers la définition et la pratique politique. Dans la deuxième partie nous avons traité les grandes haltes particulières et majeures de l'Emir Abdelkader dans la pratique politique et qui est au service de notre problématique principale à travers l'approche philosophique démontée par l'Emir dans sa combinaison du soufisme, de la politique, de la bataille et de l'oratoire (zaouia) qui ont abouti à une doctrine politique et collective qui a incarné le projet mystique, islamique qui à son tour a mis en valeur le « moi » et « l'autre » qu'il soit pacifique ou violent, qui a amené l'Emir à combattre le christianisme, tantôt dans sa lutte en Algérie et tantôt à le défendre de nouveau à Damas. Nous avons expliqué cela à travers les positions prises par l'Emir Abdelkader sur les conflits sectaires qui se sont produits au Liban et en Syrie, et son rôle dans le projet du royaume d'Arabie en Afrique et en Syrie, également ce qui a été soulevé au sujet de sa relation avec le forum maçonnique mondial.

Finalement, nous avons conclu notre recherche par des conclusions et des recommandations.

## **Sufi experience and political practice of Algerian Prince Abdel Kadir**

### **Abstract**

This research study aims to reveal the extent of Sufism and politics in the person and thought of Algerian Prince Abdel Kadir. We have addressed this philosophical approach through an integrated plan consisting of an introduction, four chapters, and a conclusion. We have been keen in the introduction of this research to introduce the topic and its importance by stipulating the new that it will add in the political relationship to religion. We also pointed out to other research elements that make up this introduction, i.e., the problem, approach previous studies, goals, reasons, and the statement of the study which comprises four chapters.

In the first chapter which consists of three investigations, we highlighted the streams that contributed to the establishment of the Sufi and political character of El amir Abdel kader, which comprises the family education and Elkadiri's sufi educational method. Here, also, we explored the effect of this method by examining El amir's military biography and the various philosophical dimensions it holds.

As for the second chapter, it includes three topics that dealt with El amir's Sufi experience in three stations. The first was before his departure from Algeria where we talked about the history of political "zawaya", with a focus on two models of Eltidjani and Elkadiri. In the second station, we highlighted his Sufi experience in the prisons of France, then the third, after settling in Damascus without forgetting two important stations that took place on the first pilgrimage trip with his father, and the second when he left from Damascus.

In the third chapter, we showed the major milestones of El amir's thought through his major mystical encyclopedia, known as Al-mawquif. Two topics are discussed here. The first is devoted to the definition of the book "Al-mawquif, and we carried out a study through which we investigated the doubts raised in recent years about the connection of this book to El amir Abdel kader. As for the second

topic, we included samples of El amir's Sufi writings which show a big amount of the characteristics of his Sufi experience.

In the fourth and last chapter, we discussed the advantages of the political action among Muslims through the definition of politics and political practices. We also dealt with the major milestones in the distinct and pioneering political practice of El amir.

Finally, in the conclusion, we discussed our findings and introduced some recommendation

جامعة الإمام عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر اليوم الإسلامية

## المصادر والمراجع

## \*-القرآن الكريم

### \*-الحديث الشريف :

1. أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ط: 7 ، المطبعة الكبرى الأميرية ، مصر، 1323 هـ .
2. أحمد بن محمد بن حنبل : المسند ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون ، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001م.
3. أبو بكر البيهقي: الزهد الكبير ، تحقيق عامر حيدر ، ط3 ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، 1996م.
4. ابو بكر البيهقي: شعب الإيمان ، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد ، ط1، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1423 هـ - 2003 م .
5. الحاكم النيسابوري : المستدرک علی الصحيحین ، دار المعرفة ، سنة النشر ، 1418 هـ - 1998م-
6. ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب ، ط1، مطبعة دائرة المعارف النظامية الهندية ، الهند، 1326 هـ.
7. ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز و محمد فؤاد عبد الباقي و محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د ت
8. ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار ريان للتراث، سنة النشر 1407 هـ - 1986م.
9. أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد و محمد كامل قره بللي و عبد اللطيف حرز الله ، ط1 ، دار الرسالة العالمية ، 1430 هـ - 2009 م
10. محمد بن أحمد اليميني : النوافح العطرة في الأحاديث المشتهرة ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ط1 مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، 1412 هـ



11. محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي : صحيح البخاري ، دار ابن كثير ، 1414هـ - 1993م .
12. محمد بن علي الشوكاني : قطر الولي على حديث الولي ، دراسة وتحقيق شتا محمد ، ط 1 ، 1435هـ - 2014م .
13. محمد ناصر الدين الألباني : إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، إشراف محمد زهير الشاويش ، ط 1 ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1399هـ - 1979م .
14. مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، تحقيق محمد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دت .
15. مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، تحقيق خليل مأمون شيحا ، ط 3 ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 1431هـ - 2010م .
16. أبو نعيم أحمد: المسند المستخرج على صحيح مسلم ، تحقيق محمد حسن محمد حسن ، ط 1 ، 1417هـ - 1996م .

#### \* المصادر :

17. الأمير عبد القادر : المواقف الروحية و الفيوضات السبوحية ، تحقيق عاصم ابراهيم ، منشورات محمد علي بيضون ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2004م - 1452هـ .
18. الأمير عبد القادر : رسالة الى الفرنسيين ، ذكرى العاقل وتنبه الغافل، تحقيق عمار طالي، منشورات، ANEP، 2005م .
19. الأمير عبد القادر : كتاب المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف ، تحقيق بكري علاء الدين ، ط 1 ، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا ، 2014م - 1434هـ .
20. الأمير عبد القادر : مذكرات الأمير عبد القادر ، تقديم عبد المجيد أمزيان ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط 3 ، 1998م .

21. الأمير عبد القادر : مذكرات الأمير عبد القادر ، تحقيق محمد الصغير بناني ومحفوظ سماتي ومحمد الصالح ألقون ، تصدير أبو القاسم سعد الله ، ط 4 ، ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، 2004 م.
22. الأمير عبد القادر الجزائري : المقرض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد ، تحرير عبد الله الخالدي المغربي ، د ط ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دت.
23. الأمير عبد القادر: المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف ، تحقيق عبد الباقي مفتاح ط1 ، مؤسسة الأمير عبد القادر ، 1426هـ - 2005م
- \* المراجع :

24. أ. كريسي موريسون : العلم يدعو للإيمان، ترجمة محمود صالح الفلكي، دار الكتب العلمية، 2013م.
25. إبراهيم مذکور : في الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، سمر كرز للطباعة والنشر، القاهرة، 1984م.
26. إبراهيم مذکور : وحدة الوجود بين ابن عربي وأسينوزا ، كتاب تذكاري لمحي ابن الدين عربي في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده ، 1165-1240م ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1969م.
27. ابراهيم مياسي : روح الأمير عبد القادر عبر المقاومة الجزائرية ، مطبعة دار هومة ، بوزريعة ، الجزائر، 2012م.
28. أحمد أبا الصافي الجعفري : من تاريخ توات أبحاث في التراث، ط1 ، منشورات الحضارة، بئر التوتة، الجزائر، 2011م.
29. أحمد ابن عبد الحليم ابن تيمية : قاعدة في الفناء والبقاء، تحقيق أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي، ط1 ، دار ابن حزم، بيروت، 2003م.
30. أحمد الراشد : الرقائق، ط 8 ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984م.
31. أحمد بن محي الدين : نثر الدر وبسطه في بيان كون العلم نقطة ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1425هـ - 2004 م.
32. أحمد درويش : في صحبة الأميرين أبي فراس الحمداني وعبد القادر الجزائري، طبعة مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2000م.

- 33 . أحمد زروق : قواعد التصوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، ط 1 ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2002 م
- 34 . أديب حرب: التاريخ الإداري والعسكري للأمير عبد القادر، 1808-1847 ، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، 1983 م .
- 35 . الأسدي محمد بن محمد بن خليل : التيسير والإعتبار والتحرير والإختبار في ما يجب من حسن التصرف والإختيار، تحقيق عبد القادر، دار الفكر العربي، 1989م.
- 36 . اسماعيل العربي : المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر ، دط، الشركة الوطنية للنشر دو التوزيع، الجزائر، 1982م.
- 37 . اسماعيل زروحي : دراسات في الفلسفة السياسية، الطبعة الأولى، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001 م.
- 38 . اسماعيل عبد الفتاح ،النظم السياسية وسياسات الإعلام، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية ، مصر، 2004م.
- 39 . آسيا تميم : الشخصيات الجزائرية 100 شخصية، دط، دار المسك، الجزائر، 2008م.
- 40 . الآغا بن عودة المزاري : طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، نشر دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1990م.
- 41 . الإمام الشافعي : الرسالة، تحقيق أحمد شاکر، ط1 ،نشر مصطفى البابي الحلبي، 1358هـ - 1940م.
- 42 . الأمير محمد: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر ، المطبعة التجارية ، غرزوزي و جاويش ، الإسكندرية ، 1903 م
- 43 . الأميرة بديعة الحسيني : فكر الأمير عبد القادر الجزائري حقائق ووثائق ، ط1 ،دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، دمشق، 1421هـ-2000م.
- 44 . الأميرة بديعة الحسيني : الأمير عبد القادر الجزائري، حياته وفكره، تقديم أبو القاسم سعد الله، ط1 ،دار الوعي للنشر والتوزيع، روية ، الجزائر ، 1433هـ - 2012م.
- 45 . أيمن حمدي : قاموس المصطلحات الصوفية ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2000م

46. أيوب بن موسى الكفوي : الكليات ،معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، دت.
47. بدوي عبد الرحمان : موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1984م .
48. بركات محمد مراد : الأمير عبد القادر الجزائري، دار النشر الإلكتروني، الجزائر، 1990م.
49. برونو إتيين : عبد القادر الجزائري، ترجمة ميشيل خوري، ط 1، دار عطية للنشر، بيروت، لبنان، 1997م.
50. بسام العسلي : الأمير عبد القادر الجزائري ، ط 3 ، دار النفائس، 1986م.
51. أبو بكر الكلابادي: التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية ، بيروت، دت.
52. بوعلام بسايح : الأمير عبد القادر مغلوبا لكن مظفرا من لويس فيليب إلى نابليون الثالث ، ت، خليل أحمد خليل ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، 2007 م .
53. تقي الدين ابن تيمية : السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ط1، نشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، 1418هـ.
54. ابن تيمية ،مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمان محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ، السعودية ، 1416هـ - 1995م.
55. ابن تيمية: مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمان بن محمد بن قاسم ،طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 2004م.
56. ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ط محمد علي صبيح ، القاهرة، 1385 هـ.
57. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: استحقاق الإمامة، تحقيق حسن السند ويتضمن رسائل الجاحظ ، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة 1922م.

58. جاسم سلطان : قواعد في الممارسة السياسية، ط 1 ،مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، المنصورة، 1428هـ - 2008م.
59. جان غانياج : ثورة علي بن غداهم، ترجمة لجنة من كتابة الدولة الثقافية، الدار التونسية للنشر 1965م.
60. جرجي زيدان : تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ، لبنان ،دت.
61. جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب ، طبعة 2 ، دار صادر ، بيروت ، 1414هـ.
62. جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، الشركة العالمية للكتاب طباعة ونشر وتوزيع بيروت ، لبنان ، 1994م - 1414هـ.
63. الجنيد البغدادي: تاج العارفين ،دراسة وجمع وتحقيق، سعاد الحكيم، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط3، 2007م.
64. جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة ، ط3 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، 2006 م.
65. أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ،خرج أحاديثه الحافظ العراقي، ط1 ،دار الثقافة للنشر والتوزيع، بئر مراد رابس، الجزائر، 1411هـ - 1991م.
66. أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ط1 ، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ، 1426هـ- 2005 م.
67. أبو حامد الغزالي: فاتحة العلوم، مكتبة الجندي، 1322هـ.
68. حسن الشافعي، أبو اليزيد العجمي : في التصوف الإسلامي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط 1 ،مصر، القاهرة والإسكندرية، 1428هـ - 2007 م.
69. حمدان بن عثمان خوجة : المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق : محمد العربي الزبير بمنشورات ANEP ،2005م.

70. حنة أرندت : ما السياسة ، تحقيق وترجمة ،زهير الخويلدي و سلمى بالحاج مبروك ، ط 1 ، دار الأمان ، الرباط و منشورات الإختلاف الجزائر ومنشورات ضفاف ، بيروت 1435هـ - 2014م
71. ابن خلدون: المقدمة، ضبط و مراجعة خليل شحادة وسهيل زكار دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ،بيروت ،لبنان، 1421هـ- 2001م.
72. ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون،تحقيق عبد السلام الشدادي ، بيت الفنون والعلوم والآداب، 2005م.
73. خير الدين الزركلي : الأعلام قاموس تراجم ، ط15 ، دار العلم للملايين ، 2002م.
74. الذهبي : سير أعلام النبلاء ، دار الحديث، القاهرة، 1426هـ - 2006م.
75. الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط7، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1990 م.
76. الربيع شهاب الدين أحمد بن محمد ابن أبي : سلوك المالك في تدبير الممالك، مكتبة الأحمدي بطنطا، 1386هـ.
77. رفيق العجم : موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، مكتبة لبنان ، ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1999م
78. ريان محمد علي أبو ،الحركة الصوفية في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، ط1، 2013 م.
- ريان أبو: أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط1 ، القاهرة ، 1959م
79. الزبيدي محمد مرتضى : تاج العروس من جواهر القاموس ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، دت.
80. زكي : التصوف في الأدب والأخلاق، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، دت.
81. الزمخشري جار الله أبي القاسم محمود بن عمر مبارك ، أساس البلاغة، ط1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دت .

- 82 . زين الدين عبد الرحمان بن أحمد بن رجب : ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق عبد الرحمان بن سليمان العثيمين، ط 1 ، الناشر مكتبة العبيكان، الرياض ، 1425هـ - 2005م.
- 83 . سمعان خازن : يوسف بك كرم في المنفى، صفحة رائعة من تاريخ لبنان المجيد في القرن التاسع عشر، مطبعة الإنشاء، طرابلس لبنان، 1950م.
- 84 . سهيلة الترجمان : نظرية وحدة الوجود بين ابن عربي والجيلي، ط 1، مكتبة خزعل، 2002م.
- 85 . سيد قطب : تفسير الضلال، ط 2 ، دار الشروق، سنة النشر 1423هـ - 2003م.
- 86 . ابن سينا أبو علي الحسين : رسالة في السياسة ، نشرها الأباء اليسوعيون ، لويس معلوف وتحليل إده ولويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1911م.
- 87 . شارل هنري شرشل : حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم وتعليق أبو القاسم سعدالله، طبعة خاصة ، دار الرائد ، دار المعرفة ، 2009م
- 88 . شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامي ، ط 4 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، المجلد الأول ، 1394هـ - 1973م
- 89 . صلاح مؤيد العقبي : الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت، لبنان، 2002م.
- 90 . الطرطوشي أبو بكر بن أيوب الفهري : سراج الملوك، المطبعة الأزهرية، 1319 هـ .
- 91 . الطوسي : اللمع، تحقيق، عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثني ببغداد، 1960م.
- 92 . عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر ، ط 2 ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1400هـ-1980م.

- 93 . عبد الباقي مفتاح : أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 2009م.
- 94 . عبد الحلیم محمود : فلسفة ابن طفيل وقصة حي بن يقظان، دار غريب للطباعة والتوزيع، القاهرة، 2000م.
- 95 . عبد الحلیم محمود : قضية التصوف المدرسة الشاذلية، ط 2 ، دار المعارف ، القاهرة ، دت.
- 96 . عبد الحلیم محمود : أبو مدين الغوث حياته ومعراجه الى الله ، دار المعارف ، مصر ، د ط ، 1985م
- 108- عبد الرحمان السلمي : طبقات الصوفية، تحقيق أحمد الشرباصي، ط 2 ، مؤسسة دار الشعب، 1419 هـ - 1998م.
- 97 . عبد الرحمان بن خلدون : شفاء السائل لتهذيب المسائل، تعليق أغناطيوس عبده اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1959م.
- 98 . عبد الرحمان بن خلدون : مقدمة ابن خلدون، ضبط خليل شحادة، ومراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421هـ - 2001م.
- 99 . عبد الرحمان بن محمد بن خلدون : مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دت.
- 100 . أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق عبد الله درويش، دار الفكر العربي ، ط 1 ، 1967 ، ص .
- 101 . عبد الرزاق البيطار : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق محمد بهجة البيطار، ط 2 ، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ودار صادر، بيروت، 1413هـ-1993م.
- 102 . عبد الرزاق بن سبع : الأمير عبد القادر وأدبه، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، مطبعة خاصة، دارالرائد، دار المعرفة، 2009م.



- 103 . عبد العزيز شهبي : الزوايا والصوفية والعزابة والإحتلال الفرنسي، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2007م.
- 104 . عبد الغني بن عبد الواحد تقي الدين المقدسي : عمدة الأحكام، تحقيق بن أمين الزهيري، ط1، مكتبة دار المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1403هـ - 2009م.
- 105 . عبد الفتاح الفاوي : التصوف عقيدة وسلوكا، ط1 ، مكتبة الزهراء، دار الجليل، بيروت، 1995م.
- 106 . عبد الفتاح سعيد : قصة الحلاج وما جرى له مع أهل بغداد، ط2، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 2000م.
- 107 . عبد القادر تومي، وجوه الفلسفة، طبع دار هومة، الجزائر، 2009م.
- 108 . عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي : الإنسان الكامل في معرفة الآواخر والأوائل، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ - 1997م.
- 109 . عبد الكريم بن هوازن القشيري : الرسالة القشيرية في علم التصوف، ط1، مكتبة ومطبعة علي صبيح، القاهرة، 1409هـ - 1989م.
- 110 . أبو عبد الله القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، 1427هـ - 2006م.
- 111 . عبد الله بن عبد القادر التليدي : المطرب بمشاهير أولياء المغرب ، دار الأمان للنشر والتوزيع ، ط4 ، 2004م
- 112 . أبو عبد الله بن مسلم بن قتيبة: كتاب السلطان، طبعة محمد إبراهيم آدم المكتبي، القاهرة. 2002م.
- 113 . عبد الله عبد الرزاق ابراهيم : انتشار الإسلام في غرب إفريقيا، طبع ونشر دار الفكر العربي، مدينة نصر، القاهرة، 2006م.

114. عبد الله محمد بن أبي شيبه : المصنف ، دار الفكر، 1414هـ - 1994م.
115. عبد المجيد بن محمد الخاني : الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية، تنضيد وتصحيح ، عبد الرزاق عبدالله، ط2 ، مطبعة وزارة التربية، دار نارس للطباعة والنشر، حي خازندار، أربيل، كردستان العراق، 2002م.
116. عبد المنعم الحفني ، معجم مصطلحات الصوفية ، ط2 ، دار المسيرة ، بيروت ، 1407هـ - 1987م.
117. عبد المنعم الحفاجي : الأزهر في ألف عام، ط2 ، عالم الكتب، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1408هـ - 1988م.
118. عبد المنعم القاسمي الحسني : أعلام التصوف في الجزائر، ط1 ، دار الخليل القاسمي، 1425هـ - 2005م.
119. عبد الوهاب الكيالي : موسوعة السياسة ، دار الهدى و النشر ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، 1983م.
120. عبد الوهاب محمد المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ط1 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1999م.
121. عبدالرحمان بن خلدون : المقدمة لكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ط، دار المصحف، دت.
122. عبدالغني النابلسي : الوجود الحق والخطاب الصدق، تحقيق بكري علاء الدين، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1995م.
123. ابن عربي: الإسرا الى المقام الأسرى ، تحقيق سعاد الحكيم ، بيروت ، 1988م.
124. ابن عربي: الفتوحات المكية ، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت ، دت.
125. ابن عربي: الفتوحات المكية ، طبعة بولاق، القاهرة، 1269هـ.

126. عزمي طه السيد : التصوف الإسلامي حقيقته وتاريخه ودوره الحضاري، ط1، المؤسسة العربية الدولية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004.
127. عزمي طه السيد أحمد : أفلاطون، محاوره كراتيلوس، وزارة الثقافة، عمان، 1995م.
128. عشراقي سليمان : الأمير عبد القادر العرفاني، ط1، دارالقدس العربي للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2011م.
129. ابن عطاء الله السكندري: الحكم العطائية، شرح ابن عباد النفزي الرندي، إعداد ودراسة محمد عبد المقصود هيكل، إشراف ومراجعة عبد الصبور شاهين، ط1، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1408هـ - 1988م.
130. أبو العلاء المعري: لزوم مالايكزم، طبعة بومباي، الهند، 1885م.
131. علي محمد محمد صلابي : كفاح الشعب الجزائري ضد الإحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2015م.
132. علي بن المطرز: المغرب، تحقيق محمود فاقوري وعبد الحميد مختار، ط1، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، 1979م.
133. علي بن محمد الجرجاني : كتاب التعريفات، ضبط وتصحيح جماعة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1403هـ - 1983م.
134. علي محمد محمد صلابي : الأمير عبد القادر محي الدين الجزائري، مركز الكتاب الأكاديمي، دت
135. عمر بن محمد السهروردي : عوارف المعارف تحقيق وضبط أحمد عبد الرحيم السائح والمستشار توفيق علي وهبة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1427هـ - 2006م.
136. عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ - 1993م،
137. عمر فروخ : التصوف في الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، دت.

138. عميراوي حميدة : رسالة الطريقة القادرية في الجزائر ، د ت ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة ، الجزائر.
139. الفارابي أبو نصر : أهل المدينة الفاضلة ، تقديم وتعليق ألبير نصري نادر ، ط2 ، دار المشرق ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، لبنان ، 1968م .
140. الفارابي أبونصر : السياسة المدنية ( مبادئ الموجودات ) ، تحقيق فؤاد ميري نجار، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1924 م.
141. فتحي يكن : حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، باب الواد، الجزائر، 1989م.
142. فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، د.ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م.
143. الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي : القاموس المحيط ، ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.
144. أبو القاسم القشيري: الرسالة القشيرية ، تحقيق عبدالحليم محمود ومحمود بن الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة والنشر، 1409هـ - 1989م.
145. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.
146. قاسم غني : تاريخ التصوف في الإسلام، طبعة النهضة، مصر، 1970م.
147. أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف السلف برجال الخلف ، مطبعة بيبير فونتانة الشرقية ، الجزائر 1324هـ-1906م.

148. قاصري محمد السعيد : الأمير عبد المالك الجزائري وثورته في المغرب الأقصى 1868-1924م، طبع ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، السداسي الأول 2017م.
149. قدور بن رويلة : وشاح الكتائب وزينة الجيشا لمحمدي الغالب ويليه ديوان العسكر المحمدي للملياني، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968م.
150. قدور محمصاجي : شباب الأمير عبد القادر، ترجمة مختار محمصاجي، ديوان المطبوعات الجزائرية، بن عكنون، الجزائر، 2007م.
151. قيم الجوزية ابن محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي : الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق محمد جمال غازي، مطبعة المدني القاهرة ، 1961م.
152. ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، تحقيق محمد حامد الفقي، ط 2 ، 1993 م.
153. كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارسو منير البعلبكي، ط 5، دار العلم للملايين، 1968م.
154. كامل مصطفى الشبيبي : صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي، دار المناهل، بيروت، 1997م.
155. كانط عمانوئيل : نحو السلام الدائم، محاولة فلسفية، ترجمة نبيل الخوري ، بيروت ، دار صادر، 1985م.
156. ابن كثير (المتوفى: 774هـ): تفسير القرآن العظيم، المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى - 1419 هـ.
157. ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق علي شري، ط 1، دار إحياء التراث العربي، 1408هـ - 1988م.
158. ابن كثير: البداية والنهاية، دار التقوى ، القاهرة، 2004م.

- 159 . ليفي بروفنسال " الزوايا " دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة أحمد الشتاوي و آخرين، المجلد العاشر، القاهرة، 1933م.
- 160 . مالك بن نبي: بين الرشاد والتهيه (السياسة و البولتيك) ، ط1، دار الفكر، دمشق، 1978م.
- 161 . الماوردي أبو الحسن : الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1988م.
- 162 . مبارك بن محمد المليي : رسالة الشرك ومظاهره، اختصرها وهذبها سعد بن عبد الرحمان الحصين، منار السبيل، دت.
- 163 . محمد أحمد الراشد : المنطلق، ط1 ، مؤسسة الرسالة، شارع سوريا، بيروت، 1975م.
- 164 . محمد الشريف ساحلي : الأمير عبد القادر رفراس الإيمان، ترجمة محمد يحياتن، منشورات ANEP ، 2008م.
- 165 . محمد العربي الزيري : الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، والمؤسسة الوطنية للطباعة، 1982م.
- 166 . محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، طبعة جديدة، مكتبة لبنان للنشر، بيروت، 1415هـ-1995م.
- 167 : محمد بن أمين فتح الله زاده الكردي : تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب ، تحقيق نجم الدين أمين الكردي ، مطبعة الصباح ، دمشق 1991 م .
- 168 . محمد بن بكر بن خلّكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، حققه إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، 1978 م .
- 169 . محمد بن صالح العثيمين : شرح الأصول من علم الأصول ، تحقيق، نشأت بن كمال المصري، ط، دار البصيرة ، الإسكندرية، القاهرة، مصر، 1422هـ.

170. أبو محمد بن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشلبي محمد ، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ.
171. محمد جعفر الكتاني : جلاء القلوب من الأصدقاء الغينية بيان إحاطته عليه السلام بالعلوم الكونية، تحقيق حسن عباس زكيو علي جمعة محمد، ط1 ، 1425هـ - 2004م.
172. محمد ضياء الرحمان الأعظمي : دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ط2 ، مكتبة الرشد ،السعودية ، 2003م.
173. محمد عبده : الأعمال الكاملة، تحقيق وتقديم محمد عمارة، ط1 ، دار الشروق، 1414هـ - 1993م.
- محمد الغزالي: فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء ، طبعة دار الشروق ، 2006
174. محمد علي محمد ، علي عبد المعطي: السياسة بين النظرية والتطبيق، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1984م.
175. محمد فاضل علي باري وسعيد ابراهيم كربدية : المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت
176. محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق إحسان حقي ، ط1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1981م.
177. محمد مصطفى الزحيلي : الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، ط2 ، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1427هـ - 2006م.
178. محي الدين ابن عربي : ديوان ترجمان الأشواق، اعتنى به عبدالرحمان المصطاوي، ط1 ، دار المعرفة للطباعة والتوزيع ، 1425هـ - 2005م.

- 179 . محي الدين ابن عربي : رسالة كشف السر لأهل السر، تحقيق عاصم الكيالي الدرقاوي، ط1 ،دارا لكتب العلمية، بيروت، 2004م.
- 180 . محائيل مشاقة : مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان ،تقديم ملحم خليل عبدو واندرواس حنا شخاشيري ،ط1 ،مصر، 1908م.
- 181 . مدني صالح : ابن طفيل قضايا ومواقف ،دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1980م.
- 182 . مراد وهبة : المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثة ، القاهرة ، 2007م.
- 183 . مصطفى بن التهامي : سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق وتقديم تعليق يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع 2009م.
- 184 . مصطفى بن التهامي : سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق يحي بوعزيز، ط2 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2005 م.
- 185 . المعجم الفلسفي : تصدير إبراهيم مذكور ،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، 1403هـ- 1983م.
- 186 . منير البعلبكي : معجم أعلام المورد ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان 1992م.
- 187 . ناصر الدين سعيدوني : عصر الأمير عبد القادر الجزائري، إشراف ومراجعة ماجد الحكواتي، طباعة أحمد جاسم وأحمد متولي، 2000 م.
- 188 . ناصر الدين سعيدوني : عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، طباعة وتنفيذ أحمد متولى وأحمد جاسم، 2001 م.
- 189 . ناصر الدين سعيدوني : من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب العربي، ط1 ،بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1999م.



- 190 . نزار أباظة: الأمير عبد القادر الجزائري، العالم المجاهد، ط1، دارالفكر، دمشق، 1999م.
- 191 . نصر حامد أبو زيد : مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، ط1، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط، المملكة المغربية، 2014م.
- 192 . أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني أبو : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ، 1416هـ - 1996م.
- 193 . هایل عبد المولى طشطوش: مبادئ أساسية في العلوم السياسية، دار الكندي للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، 2009م.
- 194 . يحي بوعزيز : الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، طبعة خاصة ومنقحة، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983 م.
- 195 . يحي بوعزيز : الطريقة القادرية و الأمير عبد القادر، مجلة مسالك، الجزائر، تصدر عن مؤسسة الأمير عبد القادر ، عدد3 ، الجزائر ، 1998م .
- 196 . يحي بوعزيز : موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب ، ط 1 ، دار الهدى للطباعة و النشر والتوزيع ، 2009م.
- 197 . يحي بوعزيز :أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1995م.
- 198 . يوسف القرضاوي : فقه الزكاة، دراسة مقارنة لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة، ط 20، مكتبة رحاب، ساحة بورسعيد، الجزائر، 1988م.
- 199 . يوسف بن إسماعيل النبھاني : جامع كرامات الأولياء، تحقيق ابراهيم عطوة عوض، ط1، نشر مركز اهل السنة بركات رضا فريند غجرات، الهند، 1222هـ - 2001م.

المراجع باللغة الأجنبية :

- 200 -M.Emerit : L'algerie à Lépoque D'Abd el Kader, Ed .Larose ,  
Paris, 1951.p 52
- 201 -Malek Bennabi : Le Phenomene Coranique, Preface du cheikh  
M Drase, 2eme Edition , Dar Al Thuraya. p 31.
- 202 -.Ahmed Bouyerdene Éric GeoffroySetty G. Simon-Khedis:  
ABD EL-KADER, UN SPIRITUEL DANS LA MODERNITÉ  
,Éditeur : Presses de l'Ifp.Lieu d'édition : Damas 2012, pp : 223-234

\* المقالات :

- 203 .احميدة عميراوي : الطرق الصوفية والسياسة ،مقال في كتاب الحياة الروحية للأمير عبد القادر ، ضم  
أعمال الملتقى الوطني حول الحياة الروحية للأمير عبد القادر، 29 جوان-1 جويلية 1998 م، إصدار مؤسسة  
الأمير عبد القادر، بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011 م.
- 204 . الأمير محمد سعيد الجزائري : الأمير عبد القادر والجمعية الماسونية ، مقال بمجلة الحقائق ، مج 2 ، ج 2  
، دمشق ، 1329هـ
- 205 . أمين عودة : كتاب المواقف للأمير عبد القادر الجزائري ، دفع الشبهة عن إثبات النسبة مقال بمجلة  
دراسات الصادرة عن الجامعة الأردنية في شهر حزيران- جوان - سنة 2003م.
- 206 . بكري علاء الدين : الأمير عبد القادر الجزائري قارئاً لفصوص الحكم لابن عربي ، مقال ضمن كتاب  
- نسخة الكترونية - بالفرنسية بعنوان "Abdel-Kader,un spiritual dans la modernité"  
.Ahmed Bouyerden , Eric Geoffroy , Setty G. Simon-Khedis.

207. بوسلاح فايزة : كتابات أدب التصوف عند الأمير عبد القادر ، مجلة الحوار المتوسطي مخبر البحوث والدراسات الإستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي ، جامعة جيلالي اليابس ، المجلد 12 ، العدد 2 ، ماي 2021م

208. بوعبد الله غلام الله : وقفة على كتاب المواقف للأمير عبد القادر، مقال بمجلة جامعة الجزائر و مؤسسة الأمير عبد القادر ، الملتقى الدولي حول " الأمير عبد القادر و القيم الإنسانية ، مجلة جامعة الجزائر مؤسسة الأمير عبد القادر ، الملتقى الدولي حول " الأمير عبد القادر و القيم الإنسانية ، عدد خاص ، طباعة دار الحكمة ، شارع أملكار بلكار ، ساحة الشهداء ، الجزائر ، 2001م.

209. بوعلام بالسايح : الإمام عبد القادر المغاربي والإمام شاميل الآسيوي رمزان بارزان للدفاع عن الإستقلال الوطني والذود عن الإسلام . مقال من محاضرات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 1999م.

210. حمد بن أحمد بابا علي : أسئلة الجنرال دوماس حول و ضعية الأسرة المسلمة بالجزائر ، مجلة جامعة الجزائر - مؤسسة الأمير عبد القادر ، الملتقى الدولي حول " الأمير عبد القادر و القيم الإنسانية ، عدد خاص ، طباعة دار الحكمة ، شارع أملكار بلكار ، ساحة الشهداء ، الجزائر ، 2001م .

211. صالح الحساب الغامدي : إسلام أمريكياني ،مقال بموقع " المسلم " على شبكة الإنترنت، الرابط <http://www.almoslim.net/> تاريخ الدخول : 2020/01/12م.

212. عبد الحميد بن هدوقة : الأمير عبد القادر و المجاهدة اللامتكافئة .مقال بمجلة الثقافة ،من إصدار وزارة الثقافة ، الذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، مطبعة أحمد زبانة ، الجزائر ، عدد 75 ، رجب ، شعبان 1403هـ - ماي ، جوان ، 1983م .

213. عبد الله بن صالح البراك : اعتقاد أئمة الهدى من الصوفية الجنيد بن محمد وسهل التستري نموذجاً، مقال منشور بموقع الألوكة الشرعية بتاريخ 2010/04/18 م . الموقع على الأنترنت : <http://www.alukah.net/sharia> . تاريخ الدخول 2017/01/17.

214. عبد المنعم قاسمي حسني : دور الطرق الدينية في محاربة الإحتلال الفرنسي، مقال منشور في بوابة "سيدي بن عزوز" الإلكترونية-[http://albordj.blogspot.com/2010/06/blog-post\\_03.html](http://albordj.blogspot.com/2010/06/blog-post_03.html)
215. عدنان المبارك : الأمير عبد القادر الجزائري مع العلماء و الشخصيات والأعيان و الوجهاء في بلاد الشام ، مجلة جامعة الجزائر - مؤسسة الأمير عبد القادر ، ملتقى دولي " الأمير عبد القادر و القيم الإنسانية " ، عدد خاص ، طباعة دار الحكمة ، شارع أملكار بلكار ، ساحة الشهداء ، الجزائر ، 2001 م .
216. عمار بلخوجة : القيم المعنوية و الروحية للأمير عبد القادر ، مقال في مجلة جامعة الجزائر - مؤسسة الأمير عبد القادر ، الملتقى الدولي حول " الأمير عبد القادر و القيم الإنسانية ، عدد خاص ، طباعة دار الحكمة ، شارع أملكار بلكار ، ساحة الشهداء ، الجزائر ، 2001 م .
217. العيد مسعود : المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني ، مقال بمجلة سيرتا ، عدد 10 ، إصدار معهد العلوم الإجتماعية ، جامعة قسنطينة ، الجزائر ، 1988 م ..
218. فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر في دمشق ، جوانب من حياته الدينية والعلمية والفكرية (1300-1472هـ / 1882-1856م ) ، مقال بمجلة الثقافة ، تصدرها وزارة الثقافة بالجزائر ، السنة الثالثة عشرة ، عدد75 ، رجب -شعبان ، 1403هـ - ماي، جوان 1983م .
219. محمد ضريف: مؤسسة الزوايا بالمغرب الإسلامي . المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي . سنة 1. العدد الأول ، ديسمبر ، 1986م .
220. محمود عياد : عبد القادر الإنسان ، مقال بمجلة الثقافة ، من إصدار وزارة الثقافة ، الذكرى المعنوية لوفاة الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، مطبعة أحمد زبانه ، الجزائر عدد 75 ، رجب - شعبان 1403هـ ، ماي ، جوان 1983م .
221. يحي بوعزيز : الطريقة القادرية والأمير عبد القادر ، مجلة مسالك ، الجزائر ، تصدر عن مؤسسة الأمير عبد القادر ، عدد3 ، الجزائر ، 1988م .

## \*الدوريات :

- 222 . مجلة الثقافة ، من إصدار وزارة الثقافة ، الذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، مطبعة أحمد زبانة ، الجزائر، عدد 75 ، رجب ، شعبان 1403هـ - ماي ، جوان ، 1983م.
- 223 . مجلة الحقائق ، مج 2 ، ج 2 ، دمشق ، 1329هـ.
- 224 . المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي . سنة 1 . العدد الأول ، ديسمبر ، 1986م.
- 225 . مجلة جامعة الجزائر - مؤسسة الأمير عبد القادر ، الملتقى الدولي حول " الأمير عبد القادر و القيم الإنسانية ، عدد خاص ، طباعة دار الحكمة ، شارع أملكار بلكار ، ساحة الشهداء ، الجزائر ، 2001م.
- 226 . مجلة دراسات الصادرة عن الجامعة الأردنية ، شهر حزيران - جوان - سنة 2003م.
- 227 . مجلة سيرتا ، عدد 10 ، إصدار معهد العلوم الإجتماعية ، جامعة قسنطينة ، الجزائر ، 1988 م.
- 228 . مجلة مسالك ، الجزائر ، تصدر عن مؤسسة الأمير عبد القادر ، عدد 3 ، الجزائر ، 1998م.

## \* شبكة الأنترنت :

- 229- : <http://www.alukah.net/sharia> . تاريخ الدخول 2017/01/17.
- 230- بوابة "سيدي بن عزوز" الإلكترونية- [http://albordj.blogspot.com/2010/06/blog-post\\_03.html](http://albordj.blogspot.com/2010/06/blog-post_03.html) تاريخ الدخول : 2018-10-05.
- 231- موقع المسلم ، الرابط <http://www.almoslim.net> / تاريخ الدخول : 2020/01/12م.
- 232- موقع منتديات وهران <http://oran.yoo7.com/t551-topic> تاريخ الدخول <http://www.alukah.net> 2016/02/04م.

- 233- شريط فيديو : استقالة الأميرة بديعة الحسيني من مؤسسة الأمير عبد القادر ، على الرابط :  
[//www.youtube.com/watch?v=JRl8\\_ZW8eCU](http://www.youtube.com/watch?v=JRl8_ZW8eCU) بتاريخ 2019/03/05م.
- 234- موقع : [www.Constantine-hier-aujourd'hui.fr](http://www.Constantine-hier-aujourd'hui.fr) تاريخ الدخول 2015/09/12 م.
- 235- موقع درر العراق الإلكتروني : [www.dorar-aliraq.net](http://www.dorar-aliraq.net) تاريخ الدخول : 2019/07/12م.
- 236- موقع مداد : [midad.com/article/199340/](http://midad.com/article/199340/) تاريخ الدخول 2019/01/20 م.
- 237- موقع كل العرب <http://www.alarab.com/Article/710758> تاريخ الدخول  
2018/07/06.
- 238- موقع المعرفة <http://www.marefa.org/index.php> ، تاريخ الدخول : 2015/12/30 م
- 239- موقع : [www.islamtoday.net/bohoot](http://www.islamtoday.net/bohoot) . تاريخ الدخول 2015/08/08.

# فهرس الآيات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الرقم	الآية	السورة	الرقم	الصفحة
(1)	﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾	الفاتحة	1	255
(2)	﴿ إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ﴾	البقرة	26	176
(3)	﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾	البقرة	30	166
(4)	﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾	البقرة	45	166
(5)	﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ﴾	البقرة	144	166
(6)	- ﴿ قول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾	البقرة	144 و 149 و 150	261
(7)	﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾	البقرة	222	247
(8)	﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ﴾	البقرة	190	238
(9)	﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾	البقرة	286	233
(10)	﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾	آل عمران	19	313
(11)	﴿ ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾	آل عمران	85	313
(12)	﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾	آل عمران	110	265



82	1	النساء	﴿يَأْيُهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾	(13)
253	30	النساء	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَاوَاتِ كَانَتْ رَتْقًا﴾	(14)
307	59	النساء	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾	(15)
232	82	النساء	﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾	(16)
232	116	النساء	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾	(17)
250 و 251	11	المائدة	﴿وَعَلَى اللَّهِ فليتوكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾	(18)
250 و 251	23	المائدة	﴿وَعَلَى اللَّهِ فتوكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	(19)
268	35	المائدة	﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	(20)
154 و 243	54	المائدة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾	(21)

176	143	الأعراف	﴿ قال ربي أرني أنظر إليك قال لن تراني ﴾	(22)
145	-172 175	الأعراف	﴿ والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملئهم إن كيدي متين أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾	(23)
261	178	الأعراف	﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾	(24)
261	179	الأعراف	﴿ و لهم آذان لا يسمعون بها ﴾	(25)
261	198	الأعراف	﴿ وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ﴾	(26)
323	17	الأنفال	﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾	(27)
235	44 و 43	الأنفال	﴿ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا . وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأُمُورِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ . إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّمْيِيمِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيَقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا . وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ . ﴾	(28)
230	9	التوبة	﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾	(29)
262	104	التوبة	﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويقبل الصدقات ﴾	(30)
54	111	التوبة	﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل ﴾	(31)

			والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴿
146	112	التوبة	﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ.﴾
248	118	التوبة	﴿تاب عليهم ليتوبوا﴾
262	106 و 107	هود	﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها﴾
234	108	هود	﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها﴾
251	67	يوسف	﴿وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون﴾
235	8	الرعد	﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾
249	12	ابراهيم	﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾
176	25	ابراهيم	﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾
176	1	الحجر	﴿ألم تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾
268	29	الحجر	﴿ونفخت فيه من روحي﴾

18	80	النحل	﴿يَوْمَ ضَعَنكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾	(42)
262	23	الإسراء	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾	(43)
105	36	الإسراء	﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾	(44)
269	60	الكهف	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾	(45)
257	17	مریم	﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾	(46)
76	5	طه	﴿الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾	(47)
229	132	طه	﴿فَسَتَلِمُونَ مِنْ أَصْحَابِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾	(48)
267	107	الأنبياء	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	(49)
232	37	الحج	﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دَمَآؤَهَا﴾	(50)
233	117	المؤمنون	﴿وَمَنْ يَدْعُو مَعَ اللَّهِ إِلَآهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ﴾	(51)
235	2	الفرقان	﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾	(52)
249	58	الفرقان	﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾	(53)
233	74	الشعراء	﴿بَلْ وَحَدَّنَا آبَاءَنَا كَذَلِكُمْ يَفْعَلُونَ﴾	(54)
249	217	الشعراء	﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾	(55)
243	7	القصص	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا حَضَتْ عَلَيْهِ فَأَلْفَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾	(56)

302	26	القصص	﴿ يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ﴾	(57)
176	43	العنكبوت	﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾	(58)
98 و 105	69	العنكبوت	﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾.	(59)
175 و 194	21	الأحزاب	﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾	(60)
60	36	الأحزاب	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مِؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمَا الْخَيْرَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾	(61)
267	72	الأحزاب	﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا. ﴾	(62)
175	25-21	ص	﴿ وهل آتاك نبأ الخصم.. وحسن مآب ﴾	(63)
228	13	الشورى	﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾	(64)
233	23	الزخرف	﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾	(65)
239	24	الزخرف	﴿ قل أولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ﴾	(66)

228	19	محمد	﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾	(67)
56	18	الفتح	﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾	(68)
60	1	الحجرات	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	(69)
104	13	الحجرات	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾	(70)
317	13	الحجرات	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾	(71)
163	56	الذاريات	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	(72)
235 و 257	49	القمر	﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾	(73)
268	50	القمر	﴿وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةً بِبَصَرٍ﴾	(74)
261	27	الرحمان	﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ﴾	(75)
139 و 236	4	الحديد	﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْلَمُونَ بَصِيرٌ﴾	(76)

139	4	الحديد	﴿ وهو معكم أين ما كنتم ﴾	(77)
139	16	الحديد	﴿ ألم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾	(78)
105	20	الحديد	﴿ أعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر بينكم في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾	(79)
250 و 251	3	الطلاق	﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾	(80)
233	47	الطلاق	﴿ لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها ﴾	(81)
176	11-7	القيامة	﴿ فإذا برق البصر وخسف القمر ... كلا لا وزر ﴾	(82)
60	8	الإنسان	﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا و يتيما وأسيرا ﴾	(83)
320	20	البروج	﴿ والله من ورائهم محيط ﴾	(84)
268	6	الكافرون	﴿ لكم دينكم ولي ديني ﴾	(85)

# فهرس الأءادبء

ءامعة الأمبء عبء القاءبء العلموم الإسلامبء



جامعة الأميرة  
عبد القادر للعطوم الإسلامية

الرقم	نص الحديث	الصفحة
1.	"هل خصكم رسول الله -ص- أهل البيت بشيء دون الناس؟ يعني من العلم، فقال: لا. والذي فرق الحبة، و برأ النَّسَمَة . إلا أن يكون فهما أُعْطِيه رجل في كتاب الله "	20
2.	" إذا ضيقت الأمانة فانتظر الساعة ، قيل كيف إضاعتها يا رسول الله قال إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة."	45
3.	" ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر "	48
4.	" إذا بويح لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما "	48
5.	" كلّ ابن آدم يأكله التراب إلاّ عجب الذنب "	71
6.	عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قام رسول الله في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم ذكر الدجال .فقال : " إني أنذركموه ، ما من نبي إلا أنذره قومه ، لقد أنذره نوح قومه "	75
7.	" من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، و ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، و ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه . فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيده "	108
8.	" من عمل بما علم ، ورثه الله علم ما لم يعلم . "	108

117	" أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظاً، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضياً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل، كما يفسد الخل العسل "	9.
135	" حفظت من رسول الله وعاءين : فأما أحدهما فبثته ، وأما الآخر لو بثنه قطع هذا الخلقوم "	10.
146	من حديث أبي أمامة رضي الله تعالى عنه أن رجلاً قال: " يارسول الله ائذن لي في السياحة؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن سياحة أمتي: الجهاد في سبيل الله تعالى "	11.
236	" أنا جليس من ذكرني "	12.
236 و 258	" إن الله تعالى يتجلى لأهل الموقف ، ويقول لهم أنا ربكم ، فيقولون له نعوذ بالله منك لست أنت ربنا ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاءنا ربنا عرفناه "	13.
236	" : لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية "	14.
250	" أريت الأمم بالموسم ، فرأيت أمتي قد ملأوا السهل والجبل ، فأعجبني كثرتهم وهيئتهم ، فقيل : أرضيت ؟ فقلت : نعم . قال : ومع هؤلاء سبعون "	15.

	ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، لا يكتنون ، ولا يتطيرون ، و لا يسترقون ، وعلى رهم يتوكلون ."	
251	حديث نبوي شريف ورد فيه أن " رجلا جاء على ناقة له فقال يارسول الله أدعها وأتوكل ؟ فقال : اعقلها وتوكل ."	16.
258	" وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دَحِيَّةً."	17.
274	" كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي وسيكون بعدي خلفاء فيكثرون"	18.
301	"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفّ عبد الله وعبيد الله وكثيراً من بني العباس، ثم يقول من سبق إليّ فله كذا وكذا قال فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدرة فيقبلهم ويلزمهم"	19.

# فهرس الأعلام

جامعة الأمير عبد القادر العظم الإسلامي

الأعلام		
الصفحة	العلم	الرقم
315	ابراهيم باشا	.1
36	ابن طفيل	.2
275	ابن العنابي	.3
104	ابن سينا	.4
69	ابن عربي	.5
35	أبو الحسن ابن رشيق	.6
95	أبو نصر السراج الطوسي	.7
22	أحمد المختار	.8
22	أحمد بن محمد المعروف بابن خدة	.9
214	أحمد بن محي الدين	.10
34	أحمد بن الطاهر الرزيوي	.11
35	أرسطو	.12
119	أشيل روبر	.13
35	أفلاطون	.14
332	أوجيني "Eugenie"	.15
103	أفلوطين	.16
218	الأمير خلدون مكّي	.17
217	أمين عودة	.18
35	ابن هانئ	.19
331	اسماعيل أوريان - Ismail Urbain -	.20
26	أوجين دوماس - Dumas -	.21
43	البابا بوجولا - Baptism Poujoulat -	.22

130	الباي حسن	.23
129	الباي محمد بن عثمان	.24
952	بشر بن الحارث	.25
184	البغال	.26
62	التستري	.27
42	توماس روجير بوجو دولا بيكونري ( thomas (Bugeaud de la piconnerie	.28
342	جرجي بن حبيب زيدان	.29
115	جماعات المخزن.	.30
218	جمال الدين محمد القاسمي	.31
52	الجنرال بويه	.32
62	الجنيد	.33
37	حمدان بن خوجة	.34
88	خير الدين التونسي	.35
167	الدراوية	.36
21	دولة الأدارسة	.37
100	سعيد أحمد الخراز	.38
46	السلطان عبد المجيد خان	.39
327	شامل الداغستاني	.40
98	شهاب الدين السهروردي	.41
72	الشهرستاني	.42
334	عبد الحميد الثاني	.43
178	عبد الرزاق البيطار	.44
114	عبد السلام بن مشيش	.45

23	عبد القادر الجيلاني	.46
22	عبد القادر بن أحمد	.47
180	عبد القادر بن محمد أبي الفيض، المعروف بابن قضيبة البان	.48
21	عبد القوي الأول - من أجداد الأمير -	.49
70	عبد الكريم الجيلي	.50
192	عبد المجيد بن محمد الخاني	.51
132	علي بن غدهم	.52
126	عمر بن الكشكاش القسنطيني	.53
322	فؤاد باشا محمد	.54
331	فرديناند دي ليسبس	.55
201	فيكتور هيجو	.56
103	. فيثاغورث	.57
119	قبيلة بني هاشم	.58
95	القشيري	.59
96	كراتيلوس	.60
203	كريسي موريسون	.61
104	الكندي	.62
162	الكولونيل أوليفيه	.63
27	لامورسيير - "Juchault Lamoriciere"	.64
63	ليون روش (Léon Roches)	.65
331	"لوريت - Loret -"	.66
283	المأمون	.67
131	محمد الكبير - التيجاني -	.68



178	محمد الخاني	.69
178	محمد الطنطاوي	.70
120	محمد المرتضى	.71
23	محمد بن المختار	.72
21	محمد بن عبد القوي	.73
118	محمد بن محمد المقلش	.74
120	محمد سعيد بن محي الدين	.75
147	محمد علي الخديوي	.76
28	محمد علي كرو	.77
131	محمد الحبيب	.78
24	محي الدين والد الأمير عبد القادر	.79
22	المختار بن عبد القادر	.80
116	المرابطون	.81
75,18	مصطفى بن التهامي	.82
23	مصطفى بن محمد	.83
117	مولاي سليمان	.84
333	يوسف بن بطرس كرم	.85
338	بهرميس ترسيميجيستوس	.86

# فهرس المصطلحات

المصطلح		
الصفحة	العلم	الرقم
254	الإتحاد	1
230	الحقيقة المحمدية - الوراثة المحمدية-	2
229	الجدب	3
230	النفس الناطقة والنفس الحيوانية	4
230	القطب	5
229	الفيض الإلهي الصوفي	6
253	نظرية الفيض أو الصدور - الفلسفي المشائي -	7
255	وحدة الوجود	8
303	وسام الشيعة المحمدية	9
334	الماسونية	10
338	الهرمسية	11
336	الإستبارية	12
338	الروزيكروشيانية	13

# فهرس الأماكن

جامعة الأمير  
عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصفحة	المكان	الرقم
44	تافنا أو تافنة	1
132	تمبكتو	2
118	توات	3
114	زاوية القيطنة	4
56	شجرة الدردارة- مكان المبايعه-	5
64	عين ماضي	6
132	فوتاجالون	7
22	كاشرو- سيدي قادة -	8
74	مدينة امبواز	9
159	مدينة طولون	10
140	مرسية ( بالإسبانية : Murcia	11
24	معسكر	12
159	ميناء طولون	13
18	وهران	14

جامعة الأمير عبد القادر العظم الإسلامي

## فهرس الموضوعات

الصفحة	المحتوى
أ-ص	مقدمة
	الفصل الأول: الملمح الصوفي والسياسي والعلمي في حياة الأمير عبد القادر
16	تمهيد
17	المبحث الأول: نسب الأمير عبد القادر ونشأته وتعليمه وتأسيس توجهه الصوفي و السياسي .
17	المطلب الأول: مولده و نسبه الصوفي القادري
21	أجداد الأمير عبد القادر :: 1. عبد القوي الأول 2-محمد بن عبد القوي 3-أحمد بن محمد المعروف بابن خدة 4- عبد القادر بن أحمد 5- أحمد المختار
22	6-عبد القادر بن أحمد المختار 7- المختار بن عبد القادر 8- محمد بن المختار 9- مصطفى بن محمد
24	10- محي الدين والد الأمير عبد القادر
25	المطلب الثاني : نشأته و تعليمه وتكوينه الصوفي والسياسي :
25	أ- المستوى التعليمي في عصر الأمير .
29	ب - تعليم أبيه له في زاوية القيطنة :

30	ب1- مؤسس الطريقة القادرية : عبد القادر الجيلالي
33	ب2- تعليم الزاوية الأول للأمير
34	ج-في مدرسة أرزيو:
37	هـ - في المدرسة العمومية بوهرا
38	و- الرجوع إلى زاوية القيطة وتعميق التربية الوطنية و السياسية
39	ز- خروج الأمير إلى الحج مع أبيه .-الزاد الشرعي و الصوفي و السياسي -
41	المبحث الثاني: البعد الصوفي في مسيرة الأمير عبد القادر الحربية.
41	تمهيد
41	المطلب الأول: الحقيقة الصوفية في جهاد الأمير عبد القادر:
42	1-المارشال بيجو : إنه -الأمير- رجل حرب ودين .
43	2-القائد سانت إيوليت : الروح و الخلق والمهمة المقدسة عند الأمير:
43	3-البابا بوجولا - BaptismPoujoulat - والشحنة الصوفية للأمير:
44	4-الأمير- وهو في أعز أيام إمارته - يعرض نفسه جنديا على سلطان المغرب .



45	5- شهادة سلطان المغرب وردده على تنازل الأمير
46	المطلب الثاني : إرهابات في طريق تأسيس جهاد الزاوية القادرية بالجزائر
46	1 - المبررات الشرعية والواقعية لاندلاع الجهاد في الجزائر- تحليل نص رسالة أميرية-
47	أ- فساد الحكم العثماني في الجزائر
48	ب- البيعة في الإسلام لا تكون إلا لخليفة واحد :
48	ج- مقدم زاوية القبطنة محي الدين و دوره السياسي في الدفاع عن الجزائر.
51	المطلب الثالث : تجربة الأمير الجهادية تحت إمرة أبيه " شيخ الزاوية"
52	1- معركة خنق النطاح الأولى :
53	2- معركة خنق النطاح الثانية
55	3- ذكر واقعة برج العين
56	المطلب الرابع : مأسسة جهاد الأمة الجزائرية من خلال مبايعة الأمير :
57	1- مبايعة الأمير البيعة الخاصة :

58	2- هيئة العلماء تراسل القبائل لمبايعة الأمير:
59	3- الأمير يراسل القبائل في أمر مبايعته :
60	4- مبايعة الأمير البيعة العامة :
61	المطلب الخامس : محطات من سياسة الأمير الحربية بعد توليه الإمارة
61	المحطة الأولى : الأمير يكرم الأسير العدو ويعدم القاضي المسلم - أحد شيوخه - أو فلسفة الأنا والآخر.
61	المحطة الثانية : الفكر الصوفي الأميري وأثره في بناء المواقف والعلاقات
63	المحطة الثالثة: مكيفيلية السياسة الفرنسية
67	المبحث الثالث : ثقافة الأمير عبد القادر
67	تمهيد
67	المطلب الأول : أساتذته
67	1- والده الشيخ محي الدين
67	2- قاضي أرزيو :
68	3- حمدان بن خوجة
68	4- علماء التقى بهم في رحلته الى الحج مع أبيه

69	5- الشيخ محمد الفاسي
69	بعضاً ممن تتلمذ عليهم بواسطة قراءة كتبهم :
69	1- ابن عربي الصوفي :
70	2- عبد الكريم الجيلي
71	3- أبو حامد الغزالي
72	4- الجويني إمام الحرمين وزعيم المتكلمين
72	5- فخر الدين الرازي
72	6- محمد الشهرستاني
72	7- علي بن إسماعيل الأشعري
73	8- أبو بكر الباقلاني
73	المطلب الثاني : نماذج من كتاباته
75	1- في علم الحديث ومصطلحه : بيان وشرح معاني الحديث النبوي :
75	2- يكتب عن تأويل صفات الله في المواقف
77	3- من فقه الملاحم : حكم الهجرة من دار الكفر الى دار الإيمان :
78	4- حول انقلاب سلطان المغرب عبد الرحمان علي الأمير ومساندته

	للفرنسيين :
79	5- الأجوبة على أسئلة الجنرال دوماس العشرين حول المرأة
81	6- المرأة في فكر الأمير الفلسفي
84	من مراسلات الأمير
84	أ - رسالة الى بعض القبائل يحثهم فيها على الجهاد
85	ب- من رسائله إلى قادة فرنسا أيام جهاده في الجزائر
86	ج- من رسائله في فلسفة البناء التنظيمي
86	ج1- يبعث الى رؤساء القبائل يخبرهم بأمر مبايعته.
86	ج2- في تقليد المسؤوليات وتنظيم الرعية
87	د- رسالة يستفتي فيها أهل العلم في فقه الجهاد
87	هـ- رسالة الى الوزير خير الدين التونسي في شأن التكفل بأتباع الشائر محمد المقراني
88	و- رسالة أخرى الى خير الدين التونسي
89	ز- رسالة إلى شامل الداغستاني ورد الأمير عليه
الفصل الثاني : تجربة الأمير الصوفية في الجزائر وفرنسا والشام.	

93	تمهيد
94	المبحث الأول: تاريخ التصوف والزوايا في الجزائر
94	المطلب الأول: تعريف التصوف و المنهج الصوفي
94	البند الأول : تعريف التصوف
94	القسم الأول : التصوف لغة
97	ترجيح أحد الآراء.
97	القسم الثاني : التعريف الإصطلاحي للتصوف :
99	1- الجانب الأول : التصوف العملي ، أو التخلية والتخلية
100	2- الجانب الثاني : تصوف التجليات المعرفية
100	البند الثاني : تعريف المنهج الصوفي
101	1- التصوف والعلم
102	2- التصوف والعقل
106	3- المنهج الصوفي
106	3- 1- من أدلة القرآن الكريم على المنهج الصوفي :
106	3- 1- 1 - المجاهدة أو منهج التصوف عند أبي حامد الغزالي :

106	3-1-2 - المجاهدة أو منهج التصوف عند ابن خلدون
107	3-2 - من أدلة السنة على المنهج الصوفي :
109	المطلب الثاني: الطرق الصوفية ودورها السياسي في الجزائر.
109	البند الأول : تعريف الزاوية والرباط والطريقة :
109	1-تعريف الزاوية
110	2- تعريف الرباط
111	3-تعريف الطريقة
112	البند الثاني : الدور السياسي والإجتماعي للزاوية في الجزائر
113	1-الزاوية القادرية
113	1-1: كيف دخلت الزاوية القادرية الى الجزائر
114	1-2 :الزاوية القادرية في الجزائر ونشاطها التعليمي والسياسي والإجتماعي
120	*ومن بقايا المقدمين والزوايا القادرية
123	*عدد الزوايا القادرية
124	2-الزاوية التيجانية

124	2-1 : مؤسسها
125	2-2 : كيف تأسست الطريقة التيجانية
125	2-3 : وفاة المؤسس وآثاره
126	2-4 : انتشارها وروادها
129	2-5-الدور السياسي للطريقة التيجانية
133	المبحث الثاني: تجربة الأمير الصوفية قبل هجرته من الجزائر .
133	المطلب الأول: تجربة الأمير الصوفية في زاوية القيطنة القادرية
133	أ-تعليم المهد
134	ب-العلم الشرعي في زاوية القيطنة
134	ج- التربية الصوفية وبداية الوعي السياسي في زاوية القيطنة
134	ج1- حلقة الأوراد وتأصيل علم التصوف
136	ج2- توضيح المنهج الصوفي السياسي القادري
137	ج3- شعار الزاوية واستيعاب التجربة
139	ج4- عبد القادر الجيلالي وابن عربي الحاتمي وتعميق المنهج
140	المطلب الثاني: تجربة التصوف عند الأمير في رحلة حجه مع أبيه

141	أولا : الخلوة الصوفية في سجن العريش الوهراني
144	ثانيا : الخروج من وهران إلى تونس وبداية السفر الصوفي
144	*علاقة السفر بالتصوف في فلسفة أبي حامد الغزالي :
145	ثالثا : في مجلس علماء تونس
146	رابعا : السياحة الصوفية في القاهرة و الإسكندرية
148	خامسا : ثلاثة أشهر من التصوف في رحاب الحرمين :
148	سادسا : دمشق، وشهر من التصوف في رحاب الزاوية النقشبندية
149	سابعا: شهران من التصوف في زاوية عبد القادر الجيلالي - الزاوية الأم- ببغداد وتجديد بيعة الطريق الصوفي ( البيعة التنظيمية ) :
150	ثامنا : وفي طريق العودة الشام والحرمين والقاهرة وليبيا :
151	تاسعا : تصوف الأمير في الجزائر بين النفي والإثبات.
154	المطلب الثالث : تصوف الأمير عبد القادر بالفتوة والرباط في جهاد الفرنسيين.
158	المبحث الثالث : تجربة الأمير الصوفية بعد هجرته من الجزائر
158	تمهيد



159	المطلب الأول : تجربة الأمير الصوفية في سجون فرنسا
159	أولا : النزول في طولون ونقض عهد الإستسلام
159	ثانيا : ثانيا : تصوف الأمير وأثره في رفض إغراء الكلونيل دوماس
160	ثالثا : الأمير بين مقامي الرضا والصبر
162	رابعا: اعتبار الأمير جهاده للفرنسيين من أعلى درجات العبادة
163	خامسا : المحنة في سجون فرنسا
164	سادسا : التصوف في سراية أمبواز
166	المطلب الثاني : تجربة الأمير الصوفية بعد هجرته الى بلاد الشام
166	أولا : تصوف الأمير في الحرمين الشريفين
170	ثانيا : تجربة الأمير الصوفية بعد استقراره في دمشق
الفصل الثالث : الفكر الصوفي عند الأمير من خلال كتابه المواقف	
174	تمهيد
174	المبحث الأول : التعريف بكتاب المواقف والتحقيق في نسبه للأمير
174	المطلب الأول : التعريف بكتاب المواقف
175	1- وصف عام لكتاب المواقف

175	الجزء الأول
175	الجزء الثاني
176	الجزء الثالث
176	2- الأمير يسمي كتابه بواسطة وارد إلهي
177	3- معنى كلمة المواقف :
177	4- متى بدأ الأمير تأليف كتابه المواقف
179	5- غاية الأمير من تأليف كتابه المواقف
179	6- سبب التسمية بالمواقف
180	7- مخطوطات المواقف في المكتبات العالمية
180	أولا : مخطوطات المواقف في دمشق
184	-المخطوطة السابعة
184	ثانيا : مخطوطا انجلترا :
185	ثالثا : مخطوطات تركيا : وهي ثلاث مجموعات
186	رابعا : مخطوطا المغرب :
188	خامسا :مخطوطا الجزائر :

190	سادسا :مخطوطا باريس :
191	سابعا :مخطوط عبد الرزاق البيطار
191	ثامنا : مخطوطات المواقف المفردة
191	-مخطوط الموقف 290 نسختان : للطنطاوي وللمجدوب
191	-مخطوط الموقف 291 نسختان : لليطار وللمجدوب
191	-مخطوط الموقفان 369 و 372 لابن الأمير محمد في كتابه تحفة الزائر.
192	-مخطوط الموقف 365 بخط عبد المجيد الخاني
192	8-طبعت المواقف
192	أ- طبعة القاهرة :
193	ب - طبعة دمشق
193	ج- طبعت الجزائر
193	د- طبعة بيروت
195	المطلب الثاني: الأميرة بديعة الحسيني ونفي نسبة كتاب المواقف للأمير
195	أ-التعريف بالأميرة بديعة الحسيني :

196	ب-من تأليفها :
196	ج - استقالة الأميرة بديعة الحسيني من مؤسسة الأمير عبد القادر
197	د-الأميرة بديعة الحسيني تنفي نسبة كتاب المواقف للأمير عبد القادر
198	د1 : وصف نسخة كتاب المواقف التي أقامت عليها الأميرة دراستها النقدية
199	د 2: مضامين المنهج النقدي للأميرة بديعة في نفي نسبة المواقف لجدها عبد القادر :
199	المضمون النقدي الأول :أسئلة وملاحظات على نسخ المخطوط
201	المضمون النقدي الثاني : حول الأسلوب اللغوي الوارد في كتاب المواقف
202	المضمون النقدي الثالث : الإستعانة بخبراء الخطوط
203	خ1 : تقرير الخبير هشام الغراوي
203	*خطأ منهجي وقع فيه الخبير
203	*منهج العمل
204	*الوثائق التي خضعت للإختبار
205	*الخصائص الفنية لخط الأمير المغربي
205	*خطأ منهجي آخر في عملية الخبرة

205	*الأدلة الفنية التي تقطع بأن الوثيقة رقم 7 ملفقة وليست بخط الأمير
208	*النتيجة الأخيرة
208	*ملاحظة منهجية
208	المسألة الأولى
209	المسألة الثانية
209	خ2 : تقرير الخبير عبد المنعم ياسن
210	ع1 : الموضوع : وفيه ذكر الوثائق التي سيجري عليها الخبير الخبرة الفنية وهي
210	ع2-المطلوب : هو المقارنة بين خطي النموذجين " أ و ب "
210	ع3 -النتيجة
210	*ملاحظة منهجية
211	خ3: تقرير الخبير أحمد الباري
211	المطلب الثالث: آراء وحجج المشبين نسبة كتاب المواقف للأمير
211	ر1 : دراسة عبد الباقي مفتاح
211	ر1-1 : من الكتب التي ذكرت كتاب المواقف

213	ر1-2 : الشهود المباشرون لكتاب المواقف
213	أ-الشيخ محمد الطنطاوي
213	ب-الشيخ عبد الرزاق البيطار
213	ج-محمد الخاني
214	د-أحمد بن محي الدين
215	كتاب المواقف في قصائد الشعر
217	ر2- دراسة أمين عودة
218	ر3-دراسة فارس لعلاوي
218	ر4- دراسة الأمير خلدون مكي الحسني الجزائري
219	ر5- دراسة الأستاذ بكري علاء الدين
220	ر5-1 أخطاء منهجية في الدراسة النقدية للأميرة بديعة
221	ر5-2 نص عبد الرزاق البيطار الذي لم تذكره الأميرة بديعة
222	ر5-3 شكالية التزوير المنسوبة الى مصحح مطبعة الشباب في القاهرة
222	ر5-4 الرد على الأميرة بأنها تعرف الأمير أكثر من معرفة ابنه البكر محمد له

223	ر5-6 شهادات على ثبوت نسبة كتاب المواقف للأمير
223	أ- الشهادة الأولى : الأمير أحمد شقيق الأمير عبد القادر
223	ب- الشهادة الثانية : جمال الدين القاسمي
224	ج- الشهادة الثالثة : هي أيضا لجمال الدين القاسمي
224	موازنة وترجيح
227	المبحث الثاني: نماذج من الكتابات الصوفية للأمير في كتاب المواقف
227	تمهيد
227	المطلب الأول : خصائص المنهج الصوفي للأمير من خلال كتاب المواقف
227	1- التأصيل الشرعي
228	2- الوارد الإلهي "العلم الوهبي"
229	3- الجذب الإلهي
230	4- تبني المنهج العرفاني الأكبري لابن عربي
231	5- الإستقلالية والتميز في بعض المسائل.
231	1-5 استدرارك على الجيلي في معنى " العلم و الإرادة والقدرة

232	5-2 مصير المشرك بالله إذا اجتهد واستعمل النظر العقلي ؟
234	5-3 فناء الخلدین - الجنة والنار - واستدراك آخر على الجيلي.
235	6- افتتاح المواقف بآيات القرآن
236	7- تصدير المواقف بالحديث النبوي
237	المطلب الثاني : نماذج من المباحث الصوفية في كتاب المواقف
237	1- : تعريف التصوف والمتصوفة
238	2- المجاهدة الصوفية والكشف العرفاني الإستمولوجي :
238	2-1 : المجاهدة و " منهج المعرفة " عند المتصوفة
239	2-2 : المنهج العرفاني عند الأمير
240	3- المقامات والأحوال
241	3أ- الأحوال
241	3أ1- حال القرب
243	3أ2- حال المحبة
245	3ب- المقامات.
246	3ب1- مقام التوبة



249	3ب2- مقام التوكل
252	4- بين التصوف والفلسفة
254	5- وحدة الوجود عند الأمير عبد القادر
254	5أ : وحدة الوجود في الفكر الإنساني
254	5أ1- وحدة الوجود بمعنى الإتحاد والحلول
255	5أ2- معنى وحدة الوجود الموافق للشريعة حيث الخالق المفارق للمخلوقات
255	عند الجنيد
256	عند ابن عربي
257	عند الأمير عبد القادر
258	مثالان توضيحيان تقريبيان عن وحدة الوجود عند الأمير :
259	* المثال الأول
259	*المثال الثاني
260	6- النظرة العرفانية الى الموجودات
262	7- وحدة الأديان أو مشاهدة الحق في كل اعتقاد

265	8- كسمولوجيا العالم ، حدوثه ونسبة الوجود إليه
266	9- الإنسان الكامل
268	10- أهمية الشيخ المرابي في المنهج التربوي الصوفي
269	11- من آداب إنكار أهل الفقه على أهل العرفان
269	12- الإشارات الإيكولوجية في كتاب المواقف
270	13- ماهية كلام الله بين العرفان والفقه
الفصل الرابع : الممارسة السياسية حياة الأمير عبد القادر	
273	تمهيد
373	المبحث الأول: الممارسة السياسية عند الأمير عبد القادر لتأسيس دولة إسلامية في الجزائر
273	المطلب الأول : تعريف السياسة و الممارسة السياسية
274	أولا : تعريف السياسة
274	أ-في المعنى اللغوي
276	ب-المعنى الإصطلاحي لكلمة السياسة
277	-في الفكر الغربي

278	-في الفكر الإسلامي
278	- ما ذكره شهاب الدين بن ربيع
278	- وقول الجاحظ
278	- قول ابن قتيبة الدينوري
278	-الفارابي
279	- ابن سينا
279	-الماوردي
279	-أبو حامد الغزالي
279	- أبو بكر الطرطوشي
279	-ابن قيم الجوزية
279	-خليل الأسدي
280	-فكر مالك بن نبي
280	تعريف الأمير عبد القادر للسياسة
281	ثانيا: تعريف الممارسة السياسية
282	قواعد الممارسة السياسية في الإسلام

282	*عند ابن خلدون
284	جدول يضم قواعد الممارسة السياسية مستنبطة من مقدمة ابن خلدون
286	*عند محمد عبده
287	1-نفي السلطة الدينية في الإسلام
287	2- الحاكم في الإسلام حاكم مدني
287	3-استقلالية القضاء والفتوى عن السلطان
287	4-عدم وجود شكل محدد لممارسة الحكم في الإسلام
288	المطلب الثاني: ممارسات الأمير عبد القادر السياسية لبناء دولة إسلامية في الجزائر
288	1-تقسيم الدولة الى مقاطعات
289	2-تقسيم المقاطعات الى دوائر
290	3-مجالات التداول وصنع القرار
291	4-اخذ العهد على جميع الرؤساء
291	5-رفع المظالم للأمير مباشرة
292	6-تعيين الرؤساء يكون بمراسيم كتابية

292	7-الختم والمصادقة
292	8-توثيق التعيينات الإدارية
292	9-تعيين الوزراء والولاة
294	10-رسم السياسة التعليمية للدولة
294	11-الإهتمام بالتربية الخلقية
295	12-احداث دار للشورى
296	13-تكوين المجلس الأميري العالي
296	14-نظام النفقات
296	15-بناء المستشفيات
297	16-بناء دار للمسافرين
297	17-بناء الحصون المنيعة
298	ثانيا : تكوين جيش نظامي وطني :
298	18-تكوين جيش نظامي احترافي ووضع نظام داخلي له
298	18أ- المقدمة : وفيها ثماني مسائل
298	18أ1- المسألة الأولى في رتب أفراد الجيش

299	أ- الخيالة
299	ب- العسكر المحمدي
299	ج- الطوبجية " المدفعيون "
299	218- المسألة الثانية في كسوة العسكر المحمدي والعلامات- الأوسمة-:
299	318- المسألة الثالثة التعليم الحربي
301	418- المسألة الرابعة المكافآت والتعويضات:
302	18أ و5 و6- المسألة الخامسة والسادسة المحافظة على السلاح والزي العسكري:
302	718- المسألة السابعة الكفاءة في تولية المناصب :
303	818- المسألة الثامنة مؤونة الطعام العسكري
303	18ب : القوانين
307	18ج- : الخاتمة: الواجبات والعقوبات
308	18د- أحكام عامة
309	19- نظام هيئة جيش الأمير وترتيبه :
310	19-1- القراءة المفتاحية لشكل معسكر الأمير :

311	19-2- من مظاهر العسكر التنظيمية في جيش الأمير :
312	20- انشاء معامل للصناعات الحربية :
312	21- تشييد مصانع للعملة النقدية
313	المبحث الثاني: الممارسة السياسية عند الأمير بعد الهجرة الى بلاد الشام
314	تمهيد
315	المطلب الأول : الأمير والنزاع الطائفي في لبنان.
317	المطلب الثاني : الأمير والفتنة الطائفية في دمشق .
322	*الأمير ينقذ دمشق من غزو العسكر الفرنسيين:
322	*الأمير يزود الجيش العثماني بفريق من المقاتلين الجزائريين
322	*وزن الأمير السياسي في الدبلوماسية العالمية
323	1-النيشان المجيدي العالي من السلطان العثماني
323	2-الصدر الأعظم علي باشا رئيس وزراء الدولة التركية يشيد بدور الأمير
323	3-خطاب وزير خارجية فرنسا ، وامبرطورها يرسل بنيشان " الليجون دونور "
324	4-ملك بروسيا يبعث خطابا مشفوعا بالنيشان

324	5- قيصر روسيا يرسل خطابا ونيشانا أيضا
324	6- ملك ايطاليا يرسل بخطاب مع وسام الشريطة الكبرى " نيشان الموريس والعاذر
325	7- ملك اليونان يكتاب الأمير ويرسل له بنيشان " المخلص "
325	8- ملكة انجلترا ترسل هدية للأمير وقنصلها في دمشق يحرر بيانا يشيد فيه بالأمير
325	9- الجمعية الفرانماسونية بفرنسا تشيد بصنيع الأمير في فتنة دمشق
326	10- رسالة جمعية " عمل الخير وإعانة المصابين في البر والبحر
327	11- رسالة الجمعية الأميركية الشرقية في باريس
327	12- رسالة الزعيم الشيشاني شامل الداغستاني
328	13- الصحف الأوروبية تشيد بالدور السياسي للأمير في مذبحه دمشق
329	المطلب الثالث: الأمير ومشروع المملكة العربية " Le Royaume Arabe " بالجزائر والشام :
329	البند الأول : ترشيح الأمير لمنصب ملك العرب في الجزائر
332	البند الثاني : الحركة الإستقلالية في بلاد الشام وموقف الأمير عبد القادر منها



334	المطلب الرابع : الأمير عبد القادر وعلاقته بالجمعية الماسونية
334	البند الأول : تعريف الماسونية
335	البند الثاني : الإنتظام والمراتب والرموز والواجبات
336	البند الثالث : الروافد والتطور
338	البند الرابع : المعتقد
339	البند الخامس : الإنتشار
340	ومن الشخصيات التي انضمت للمحافل الماسونية
340	نقد دعوى انتساب الأمير للجمعية الماسونية
340	-مناقشة رأي تشرشل وإبطاله
342	-نزار أباضة ودعوى بدون دليل.
342	-إبطال رأي برونو إتيان
343	-بيان مضمون الرسائل الماسونية وأنها لا تحمل دليلا على الإنتساب
343	-الأمير محمد يبطل دعوى انتساب جده للمحفل الماسوني .
344	-بيان رد الأمير على طلب أعضاء الجمعية الماسونية
345	-المسيري يوضح وينفي عضوية الأمير في المحفل الماسوني

346	-الخاتمة
354	-الملخص : عربي - فرنسي - اجليزي .
361	فهرس المصادر والمراجع
383	-فهرس الآيات
390	فهرس الأحاديث
393	فهرس الأعلام والمصطلحات والأماكن
402	-فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأميرة  
عبد القادر للعطوم الإسلامية